# هدير الصمت

## محمد شعير

ثورة يناير

رواية صحفية من داخل جريدة الأهرام

# هدير الصمت

## ثورة يناير

## رواية صحفية من داخل جريدة الأهرام

**محمد شعير**

shoair@hotmail.com

2013

إسم الكتاب : هدير الصمت

إسم المؤلف: محمد شعير

الغلاف : علاء نصار

خطوة العنوان: محمد المغربى

الإخراج الفنى : محمد مهابه

المراجعة اللغوية: شريف عبدالجواد

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٨٤٣٩

الرقم الدولى والترميز:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها** ﴾

**حديث شريف**

# الإهداء

.. إليها وحدها.. هناك.. بعيداً.. فى الأعالى.. لعلها تنتظرنى.. بشوق وخجل وسرور.. وسط رفيقاتها من الحور!

# قبل المبتدأ

■ كانت يوماً ما صبية صغيرة.. لا أعرفها ولا تعرفنى.. لكننى فقط سمعت جدها يفخر بقصة قصيرة كتبتها، واختارت لها عنوانا هو.. (هدير الصمت).. و مرت السنون، ولم تغب الكلمتان عن خاطرى، وتساءلت طويلا.. كيف يمكن أن يكون الصمت هادراً؟! حتى حدث ما حدث.. وقررت أخيراً أن استخدم ذات الكلمتين عنوانا لهذا العمل.. هدير الصمت.. فإلى السيدة.. التى كانت يوما ما صبية.. لا أعرفها ولا تعرفنى.. يسعدنى أن أتقدم بخالص شكرى، وعرفانى بالجميل، وتحياتى العطرة لها.. فى أى أرض تكون!

■ هذا العمل.. لا يزعم أبدا.. أن أبطاله أو شخصياته كانوا هم وحدهم محركى الأحداث، أو الفاعلين الرئيسيين لها دون آخرين، لكنهم قاموا بأدوار.. وكانت لهم آثار.. اختار هذا العمل أن يسلط الضوء عليها، أكثر من غيرها، فى سياق قصة طويلة.. جميع أحداثها حقيقية.

■ شكر خاص للفنان علاء نصار مصمم غلاف (هدير الصمت)، والفنان الخطاط محمد المغربى كاتب عنوان الرواية بخط اليد والأستاذ محمد مهابه المخرج الفنى، والأستاذ شريف عبد الجواد المراجع اللغوى، وجميعهم قام على أكتافهم هذا العمل.

■ الفهرس ص ٤١١

**المؤلف**

# المبتدأ

بالموت أبدأ !

ساءلت نفسى كثيرا.. بماذا أبدأ هذا العمل الطويل؟ فقلت.. .. ..
بالموت أبدأ.

نعم.. لكن لأجل الحياة !
بالموت أبدأ.

لكن.. سعادةً لا حزناً.. أملاً لا ألماً.. فبالموت تصلح الحياة.
بالموت.. تصلح الحياة.

عُد إلى نفسك.. إلى الداخل.. فى الأعماق.. هناك.. استحضر ضميرك.. وتساءل.. أيمكن أن تحيا بلا موت؟.. تُرى - إن كان ممكنا - كيف كانت الحياة تكون؟ أتصبح أفضل؟ أم أن إيماننا بالموت يصلحها؟ يعدلها.. فتستقيم وجهتها نحو غايتها اللانهائية.. فى طريقها إلى الله؟

الله..

سبحانه.. منه المبتدأ.. وإليه المنتهى..

لكن الكل يقول إنه متجه إليه..

لذا فأنت بحاجة دوما - كى تُصلح الحياة - لأن تتجه إلى البشر.. أن تصل إليهم.. تقنعهم.. فتغيرهم.. فتتصلح الحياة.
هذه قصة بشر فى ثورة ..

أرادوا إصلاح الحياة..

أبطال هذا العمل الذين ستقرأ عملهم، عاشوا وسط ثورة يناير فى مصر،

فعلّمتهم جديدا، وغيّرتهم كثيرا، فلم يعودوا كما كانوا. لم يعودوا هم.

لكن أبطالا آخرين هناك.. ربما لن تقرأ عنهم كثيرا.. أولئك هم الذين ذهبوا.. ذهبوا ولم يعودوا.. هناك.. بعيدا.. فى الأعالى.
ذهبوا.. كى نصبح أفضل.

ماتوا.. لتستقيم الحياة.

وهؤلاء.. لا حديث عنهم يكفيهم.. ولا كلمات لبشر، لحقّهم تُوفّيهم.. لكننا فقط نذكرهم، وسنظل نذكرهم.

وبالنسبة لى، فإننى أسعى دائما إلى تذكرهم - كى يظلوا حاضرين فى العقل والوجدان - عبر استحضار كلمات قصيرة.. لكن مؤثرة.. كتبها إسلام جاد ولحنها إيهاب عبد الواحد ووزّعها موسيقيا حسن الشافعى وتغنّت بها أنغام على مدار ٩٣ ثانية فقط قائلة:

«كنت فاكرة الأرض ثابتة

والسنين متكررين

كنت فاكرة الجنة أبعد

من أيادى الطيبين

كنت بأضحك قدّ ما أقدر

كنت شايفة الصورة أصغر

بعينيّ الضيقين

فجأة هزّ الدنيا صوتكو

والحياة رجعت بموتكو

والسنة اتسمت يناير

شيلتو عن عينّا الستاير

وانكشف عالم جميل
درس من قلب الميدان
للّى خايف من زمان
عِدتو ترتيب المكان
وإحنا ليكم مديونين»

**محمد شعير**

# ينـايرالخـير

## عمرو موسى يرد عن سؤال حول مستقبل مصر

## يوم ٩ ينـاير: «كل خير إن شاء الله»

أعمل صحفيا فى جريدة «الأهرام» ، بلغت السابعة والثلاثين من العمر فى عام ٢٠١١، عام الثورة المصرية، ذلك العام الذى غير وجه الحياة كثيرا.

وهو العام الذى أجبرتنى أحداثه على التوقف أمامها طويلا، والعودة إلى الوراء، لإعادة قراءة العديد من الأمور فى حياتى السابقة، التى أعلم أنها ليست مهمة بالنسبة لك بالمرة، لكن المهم هو الثورة وما أحدثته فينا، لذا فإننى أرجو أن تحتمل السطور المقبلة التى أبدأ بها هذا العمل، والتى قد تبدو لك فى صورة أقرب إلى السيرة الذاتية، لكن لا بأس.. حاول أن تحتمل هذه البداية قدر الإمكان.

بدأت عملى الرسمى فى «الأهرام» عام ١٩٩٦، لكن سبقت ذلك سنوات من الدراسة والتدريب والنشر فى بعض الصحف والمجلات، وخلال سنواتى الخمسة عشر فى «الأهرام» تنقلت بين العمل فى مجالات صحافة الجريمة، والثقافة والأدب، وأخيرا الشئون السياسية العربية. فى عام ٢٠٠٠، أصدرت كتابا صغيرا عن تجربة صحفية لى مع سيدة الأعمال الشهيرة هدى عبدالمنعم التى كانت هاربة آنذاك، تحت عنوان (المرأة الحديدية تتكلم)، وبعد صدور الكتاب بفترة كان الأصدقاء والزملاء كثيرا ما يسألوننى عن موضوع الكتاب المقبل، باعتبار أننى قد بدأت فى هذا المجال وأنه ينبغى ألا أتوقف.

لكن إجابتى الثابتة التى كنت أصرح بها للمقربين منى خصوصا، هى أن كتابى المقبل سيكون حول موضوع محدد لا محيد عنه، وهو العلاقة بين الدين والسياسة، وأن ذلك سوف يكون بإذن الله تعالي- إن طال الأجل وامتد بى العمر- بعد ٢٠ عاما!

والواقع أن فكرة العلاقة بين الإسلام والسياسة كانت - ولا تزال - هى شاغلى الفكرى الرئيسى، ولم يكن هدفى من البحث فيها هو أن أصدر كتابا

بشأنها، بقدر ما كان هدفى هو أن أتمكن بشكل شخصى من التعرف على إجابات أسئلة عديدة حيرتنى طويلا.. وأتعبتنى كثيرا بشأن هذه العلاقة! ولا شك أنه مما ساهم بشكل ما فى تلك الحيرة وذلك التعب، هو تلك (النقلة) الحضارية والفكرية والنفسية.. التى تعرضت لها، بعد انتقالى للإقامة بشكل دائم فى مصر.. قادما من السعودية!

سافرت إلى هناك عام ١٩٧٨، عندما كنت فى الرابعة من العمر، بصحبة والديّ اللذين كانا يعملان هناك، وفى تلك السنة ذاتها بدأت تعليمى فى السنة الأولى من المرحلة الابتدائية، متقدما على أقرانى فى مصر بعامين، ثم استمرت الرحلة التعليمية حتى نهاية المرحلة الابتدائية، ثم الإعدادية، وبعد السنة الأولى من المرحلة الثانوية عدت للإقامة فى مصر. وقد ساهم تعلمى فى السعودية فى إثراء معارفى فى العلوم الدينية كثيرا، حيث درست تفسير القرآن الكريم وتجويده والأحاديث النبوية الشريفة والفقه الإسلامى فى مراحل مبكرة جدا من التعليم فى السنوات الابتدائية وهو ما أسعد به الآن، لكننى أيضا تشربت فى المقابل بفكر دينى خاص، ظللت طويلا أظن أنه هو وحده الإسلام الصحيح، وأن ما دونه ليس كذلك فى أغلبه، وجئت محملا بهذا الفكر إلى مصر فى سن الصبا (١٤ سنة)، وبعد ذلك بعامين التحقت بالجامعة للدراسة فى كلية الإعلام، وهناك كان مقدرا أن تلتقى معرفتى الخاصة هذه بمعارف وعلوم أخرى للمرة الأولى، فدرست مبادئ الفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ المصرى، وشهدت حوارات وسجالات فكرية طويلة ضمت إسلاميين وشيوعيين وناصريين، وسمعت عن الحرية والعدالة الاجتماعية، وتعلمت فضيلة القراءة، وهكذا.. حتى كان ما كان.

عموما، وبالعودة إلى سياقنا، فإننى كنت أرى أن فترة البحث فى العلاقة بين الإسلام والسياسة لا يمكن - وربما لا ينبغى - أن تقل عن عشرين عاما، وكانت الأحلام ترتفع بى إلى عنان السماء، فأرانى بعد هذه الفترة قد أصدرت كتابا يحمل نظرية جديدة حول هذه العلاقة، نظرية تجمع ولا تفرق، تبنى ولا تهدم، تحاول الإجابة عن مختلف التساؤلات التى تطرح حول الإسلام والسياسة.. ماهى العلاقة بينهما؟ أو.. هل هناك علاقة من الأصل بينهما أم لا؟ وإن وجدت هذه العلاقة فما كونها؟ وما طبيعتها؟ ما هى الحدود الفاصلة بين الاثنين؟ أين تبدأ مناطق نفوذ كل منهما وأين تنتهى؟.. المطلق والنسبى.. هل يمكن الجمع بينهما؟! وإن أمكن فكيف؟ كيف يتداخلان؟ كيف يتجاوران؟

بل كيف يتحاوران؟وكيف يمكن أن تكون هناك سياسة فى الإسلام، وحرية كاملة أيضا؟ استفهامات عديدة، وتساؤلات عميقة، تولد كلها من رحم السؤال الرئيسى حول العلاقة بين الإسلام والسياسة.. وعلى درب البحث عن إجابات لهذه الأسئلة على مر التاريخ، تفجرت أنهار من الدم، و سالت بحور من الدموع!

ظللت سائرا على دربى فى محاولة البحث عن الإجابات، لكننى فى عام ٢٠٠٩ نقضت عهدى مع نفسى وأصدرت كتابا صحفيا جديدا، لا علاقة له بموضوع بحثى.

فالواقع أن الصحافة ولع وهوس وجنون، لذا فقد عادت لتلح علىّ من جديد، فأصدرت كتابى الثانى تحت عنوان (لا ينشر)، وفيه جمعت موضوعاتى الصحفية التى تم رفض نشرها على مدى سنوات سواء فى «الأهرام» أو فى صحف أخرى تعاملت معها، وقمت بتبويب الموضوعات والتعليق على أسباب رفض نشرها، وقلت للقارئ فى بداية الكتاب إنك لا تقرأ الآن كتابا بل صحيفة، حيث كونت من هذه الموضوعات عددا واحدا من صحيفة سياسية ثقافية اجتماعية شاملة أطلقت عليها اسم (اشتباك)، وجعلتها صحيفتى الخاصة، التى كتبت فيها ما أريد، ومارست من خلالها الصحافة كما تمنيت أن أمارسها، لكننى عدت لأقول فى ختام هذا الكتاب أيضا أننى «كتبت، وقلت فى الصحافة ما أريد.. والآن، يكفى هذا القدر من الصحافة، لذا فإننى سأنصرف.. واجب علىّ أن أنصرف.. إلى طريقى.. إلى مشروعى الرئيسى حول تجديد الفكر الإسلامى، لا سيما السياسى منه.. حتى يشتبك الدين بالحياة.. يقتحمها ويحتويها.. لا يهادنها أو يعاديها».

شعرت فى تلك اللحظة من عام ٢٠٠٩، بعد إصدار (لا ينشر)، وما حققه من نجاح بحمد الله، بأنه لم يعد لى عذر، وأنه لا مناص من بدء مشروعى إذا كنت جادا فيه، لذا فقد بدأت بالفعل فى جمع كتبى وقصاصات الصحف التى أحتفظ بها على مدى سنوات، بالإضافة إلى تلك الأوراق التى دونت فيها ملاحظاتى وأفكارى وتعليقاتى على ما قرأت خلال تلك السنوات، ووجدت فى المجمل أن العنصر الرئيسى فى مساحة الخلاف بين الإسلاميين ومعارضيهم يتعلق بمسألة الحرية، وضوابطها، كما سيتم شرحه فى هذا العمل لاحقا، ودونت عددا من المحاور الرئيسية التى يمكن أن يتعرض لها كتابى حول الدين والسياسة، أبرزها أولا ملاحظات على الفكر السياسى الإسلامى الأكثر شيوعا وثانيا بعض الإشكاليات التى تقود وتدفع إلى محاولة البحث عن موقف جديد

وثالثا البناء على فكر المفكر الإسلامى حسن العشماوى الذى لا يعرفه كثيرون ورابعا تقديم قراءة فى برنامج حزب الوسط الإسلامى، ثم خامسا التعرض بالدراسة للنموذج التركى، وسادسا تقديم صورة للفقيه الجديد الذى نريده، بالإضافة إلى محورين حول المرأة والفنون

والحق أننى قد شعرت بعد أن جمعت أوراقى ووضعت أطرا لما ينبغى بحثه والتعرض إليه بالدراسة بغصة فى حلقى، إذ أدركت حجم العمل الذى أحاول الإقدام عليه، وبدأت مشاعر الإحباط فى التسلل إلى نفسى، التى راحت تئن بأسئلة جديدة..

هل أنا مؤهل لهذا العمل أصلا أم لا؟

هل أنا صحفى أم باحث؟

أعتقد أن عندى بالفعل ما يمكن أن أقوله فى الموضوع، لكن عدم التخصص سلاح يمكن بسهولة استخدامه ضدى فى أى وقت، ولكن..

هل أصبحت أقول ذلك الآن حتى أبرر لنفسى الهروب من المسألة؟!

هل هو وسواسى الذى يلاحقنى قبل الإقدام على العمل؟!

هل.. ؟ لكن.. لا أعرف..

هل هذا هو ما أنا ميسرٌ له؟

ظلت أكوام الكتب والأوراق أمام عينىّ، بادية كجبل شاهق ينبغى محاولة تسلقه، لكننى أعمل على تأجيل المحاولة قدر الإمكان..

وفى هذه الأثناء، وعلى محور آخر، كانت الصحافة (التى هى فى دمى على مايبدو) تواصل إلحاحها..

فى النصف الأول من شهر يناير ٢٠١١، لمعت فى عينى فكرة إنشاء (مدونة) على الإنترنت، وذلك حتى أتمكن من خلالها من حل الإشكالية الرئيسية التى كانت ولا تزال تواجهنى فى مجال الصحافة، وتتمثل هذه الإشكالية ببساطة فى أن الصحفى - أى صحفى - تتيح له طبيعة عمله أن يصل إلى مواقع لا يمكن للمواطن العادى أن يصل إليها، وأن يجلس مع أشخاص ومسئولين لا

يراهم المواطن إلا فى صورهم الرسمية على صفحات الصحف أو شاشات التليفزيون. باختصار تسمح الصحافة للصحفى بأن يقترب إلى درجة كبيرة من مسار حركة التاريخ، ليقف على بعد خطوات قصيرة منه ومن رجاله، فيتمكن من الحصول على معلومات والوصول إلى مشاهدات وتدوين ملاحظات، قد لا تتوافر فى شلالات التصريحات الرسمية للمسئولين، بل ربما تشى بها أنصاف الجمل والتعبيرات واللفتات، أو حتى الضحكات والتعليقات الساخرة، كل ذلك يتيح للصحفى أن يخرج برؤى معينة، أو يفهم أوضاعا معقدة، أو يتمكن من استشراف ملامح لحركة ما أو تطور فى المستقبل..

ولكن..

أين يذهب الصحفى بهذا كله؟

غالبا - لا سيما فى صحافتنا - يعود الصحفى بكل ذلك ليحكيه لأصدقائه فى المقهى!

نعم.. إذ تضيق مساحات الصحف.. وتقف رافضة نشر كل ذلك، حيث تعتبر أن التصريحات والبيانات الرسمية والأرقام هى الأهم لأنها تحتوى على الحقائق التى تهم المواطن، رغم أن ما يقوله المسئولون ليس بالضرورة هو الحقيقة، أو على الأقل فإنه لابد مع نقل هذه التصريحات من أن يتم نقل تلك الأمور الصغيرة (الإنسانية) أيضا لأنها تعكس جزءًا من الحقيقة، إن لم يكن هو الجزء الأهم.

لابد من أن يتاح للصحفى بشكل أو بآخر أن ينقل رؤيته الإنسانية للحدث أو القضية، وليس مجرد تلك الوقائع الجامدة التى تأتى خالية من الروح الإنسانية، كأن آلات أو أجهزة صماء هى التى صنعت الحدث، لا الإنسان!

تلك هى فكرتى الرئيسية فى الصحافة..

وهى التى عززت دوما وفى كل وقت فكرة أن تكون لى دائما صحيفتى الخاصة.

وإذا كان كتاب (لا ينشر) قد أتاح لى أن أنشر موضوعاتى الصحفية التى كنت قد عجزت عن نشرها من قبل، فإن ذلك لا ينفى أن هذه الموضوعات كان قد تم إعدادها فى الأساس وفقا للقواعد التى تعمل بها الصحيفة التى تم

تقديم كل موضوع إليها ك «الأهرام» أو غيرها مما تعاملت معه من صحف..
.. أما فى صحيفتى الجديدة، (اشتباك) الإليكترونية، فإننى سوف أمارس الصحافة من البداية بالشكل الذى أريده، وسوف أعد ما آراه من موضوعات وفقا لرؤيتى، لتأخذ الصحيفة.. «الأهرام» .. ما تريده منها، والباقى سوف يذهب إلى (اشتباك).

ولماذا لا تكون (اشتباك) الجديدة فى صورة كتاب أيضا؟!

كان هذا سؤالا مطروحا ومشروعا.. فما الذى يمنع من أن أقوم كل فترة زمنية معينة بإصدار كتاب جديد يضم كل ما أريد نشره من موضوعات صحفية حول القضايا والأحداث خلال تلك الفترة، إن ذلك قد يبدو كشكل أو نوع جديد من أنواع التأريخ من خلال الصحافة.. فلا بأس.. لماذا لا؟.. لكن..

هنا تثور قضية أخرى، وهى أننى بذلك، أكون قد حصرت دور صحيفتى الخاصة هذه فى مهمة (التأريخ) وحسب، ولكن.. هناك الكثير من الأحداث والوقائع والمعلومات التى ربما تكون غير ذات قيمة تاريخية كبيرة إذا تم نقلها بعد وقوعها بفترة، لكنها بالكشف عنها فى حينها تكون ذات أهمية قصوى وهو ما يمكن تسميته بالتأثير المباشر للصحافة، وذلك كأن يتم الكشف عن واقعة فساد فى عقد صفقة ما مثلا فيتم إيقاف الصفقة وعقاب المسئول عن ارتكاب الفساد، أو أن يتم نشر معلومات حول اتجاه الحكومة إلى إصدار قانون ما ضد مصلحة المواطنين فيؤدى هذا النشر إلى تكوين رأى عام مضاد يمنع صدور القانون مثلا، وهكذا.

وكان مما ساهم فى تعزيز فكرة إنشاء المدونة.. أو (اشتباك) الإليكترونية فى تلك الفترة.. هو تلك الزيارة (الثرية صحفيا) التى قمت بها إلى العراق بين يومى الخميس ٦ يناير والاثنين ١٠ يناير ٢٠١١، وكان ذلك بهدف التغطية الصحفية لزيارة الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى إلى العراق عقب تشكيل الحكومة الجديدة هناك. وكانت نتائج هذه الزيارة بالنسبة لى إيجابية للغاية.. بلغة السياسيين.. فقد التقيت كواحد من أعضاء الوفد الصحفى المرافق للأمين العام بجميع المسئولين العراقيين وسألتهم واستمعت إليهم بشكل مباشر، وكان موسى قد أجرى حوالى ثلاثين مقابلة رسمية خلال ٣ أيام!

ودخلت مرقد سيدنا على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فى مدينة النجف،

خلال زيارة موسى للمرجع الشيعى السيد على السيستانى، كما زرت كنيسة سيدة النجاة فى بغداد وهى التى كانت مسرحا لهجوم إرهابى غادر أطاح بأكثر من ٤٠ ضحية قبل الزيارة بشهر.

وهنا وهناك.. شاهدت البشر والحجر.. استمعت إلى الناس...وقرأت التعليقات على الحوائط فى الشوارع والطرقات.. الملصقات.. الصور.

الكل يتجه إليك يارب.. فى الكنيسة والمرقد والمسجد.. الكل آتيك على طريقته.

وفى الوقت نفسه.. وعلى مدار ما يقرب من ساعتين مساء يوم الأحد ٩ يناير ٢٠١١ عقد موسى لقاء صحفيا طويلا مسجلا مع أعضاء الوفد الصحفى المرافق له، توطدت خلاله علاقتى به وسألته أكثر من سؤال إلا أن آخر الأسئلة التى طرحتها عليه كان فى الحقيقة من جانبى نوعا من الاستعراض الصحفى أمام موسى بشكل أو بآخر، أو قل «المداعبة الصحفية» له.. قلت له بعد أن طاف الحوار بأرجاء المشرق والمغرب:

«السيد الأمين العام، نحن نسهب القول والتحليل السياسى فيما يتعلق بجميع الدول العربية، لكننا ننسى دولة عربية مهمة.. هى مصر.. والواقع أن هناك جهات عديدة خارجية وداخلية تحاول أن تجتهد بحثا عن إجابة سؤال محدد هو.. ما الذى يمكن أن يحدث فى مصر غدا؟! »

رد موسى سريعا قائلا: « كل خير إن شاء الله.. كل خير إن شاء الله»

وانتهى الحوار.. وتلك كانت طريقته عموما فى الحديث عن مصر فى تلك الأثناء!

عدت من العراق مساء يوم الإثنين ١٠ يناير، وفى جعبتى الكثير مما يمكن أن يقال بخلاف التغطية الإخبارية العادية التى أرسلتها بالطبع خلال الزيارة يوما بيوم، ولكن.. إلى أين؟

ضاق صدر «الأهرام» وصفحاتها بالطبع.. وهو ما أصبح أمرا اعتياديا بالنسبة لى، لم يعد يثير غضبى أو استغرابى كثيرا.. وما الحل إذن؟

الحل كان هو (اشتباك) الإلكترونية.. بالطبع.. ولكن.. بعد عودتى بفترة قصيرة.. حدث ما حدث!

........................

........................

زلزال كبير ضرب مصر، بعد عصر يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١، تجمدت معه الكلمات، وتوقفت الحركات، وسطع فى الأفق ضوء قادم من بعيد جاء حاملا إلينا رسائل حانية بأن آمالا يمكن أن تتحقق، وأحلاما ربما تصبح واقعا.. فى هذا الوطن!

اعذرنى يا صديقى.. فقد أفقت يوم ٢٨، لا ٢٥ يناير..

صباح يوم الخامس والعشرين كان - بالنسبة لى - صباحا عاديا، حيث توجهت إلى الجريدة فى حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا، واطلعت على العدد الصادر من «الأهرام» فى ذلك اليوم وكان العنوان الرئيسى على ٧ أعمدة (من أصل ٨ أعمدة هى عرض أى صفحة) عن (ضبط تنظيم إرهابى من ١٩ انتحاريا لتفجير دور العبادة)، وذلك فى حوار لوزير الداخلية حبيب العادلى مع رئيس التحرير أسامة سرايا، ونشرت «الأهرام» صورة للعادلى (ضاحكا) على ٣ أعمدة بالصفحة الأولى، مع نشر نص الحوار على صفحتين كاملتين بالداخل، احتجت لقراءة أجزاء من الحوار أكثر من مرة حتى أفهم طبيعة العلاقة بين التنظيم المذكور والمتهم أحمد لطفى الذى وصف بأنه العقل المدبر لجريمة كنيسة القديسين بالإسكندرية التى كانت قد وقعت أواخر ديسمبر، وبين تنظيم جيش الإسلام الفلسطينى، وتنظيم القاعدة الذى قيل أن المتهم عضو فيه!

كان السياق مضطربا إلى حد كبير، ولا يمكن فهم العلاقة بين عناصره من القراءة الأولى أبدا.

تم عقد اجتماع مجلس التحرير الساعة الحادية عشرة والنصف كالمعتاد برئاسة أسامة سرايا الذى بدا سعيدا بالحوار، لكن تمت مناقشة كيفية تسرب صورة المتهم أحمد لطفى التى انفرد بها «الأهرام» لجريدة المصرى اليوم التى تتم طباعتها فى مؤسستنا، وطلب رئيس التحرير إجراء تحقيق فى ذلك، لا سيما بعد أن قال البعض أن الطبعة الأولى من «المصرى اليوم» صدرت فى ذلك اليوم بدون الصورة.

لم يتناول العدد الصادر من «الأهرام» المظاهرات التى كانت قد بدأت لأسباب مختلفة فى القاهرة والمحافظات فيما عدا مظاهرة واحدة فى جزيرة الوراق قام بها الأهالى احتجاجا على نزع ملكية أراضيهم لدخولها فى مشروع تطوير شمال الجيزة وتم نشر تقرير إخبارى عنها على ثلاثة أعمدة أسفل الصفحة الأولى.

أما «المصرى اليوم» فقد نشرت على ٣ أعمدة يمين الصفحة الأولى خبرا تحت عنوان (النائب العام يحظر النشر فى تحقيقات كنيسة القديسين) مع صورة كبيرة للمتهم أحمد لطفى وهى الصورة المشكوك فى سرقتها من «الأهرام»، وبجوار ذلك وعلى خمسة أعمدة يسارا، نشرت «المصرى اليوم» تقريرا شاملا بعنوان (بروفة مبكرة ليوم الغضب)، وتناول التقرير تفاصيل ١٢ مظاهرة فى القاهرة والمحافظات المختلفة، مع صورة كبيرة لأحد الاحتجاجات أمام مكتب النائب العام وإحدى السيدات التى فقدت وعيها أثناء الوقفة، مع نشر تفاصيل كل هذه الوقفات على صفحة كاملة داخل الجريدة.

فى ذلك اليوم - يوم الخامس والعشرين - عهد إلىّ بإعداد وصياغة التقرير الإخبارى الذى يتناول التطورات الجارية فى الشأن اللبنانى - باعتبارى محررا فى قسم الشئون العربية - وبالفعل قمت بإعداد تقرير كبير للنشر فى الصفحة الأولى، حيث قرر أسامة سرايا ومسئولو التحرير فى «الأهرام» خلال اجتماعهم أن تكون التطورات اللبنانية هى الخبر الرئيسى (المانشيت) فى الصفحة الأولى، كانت لبنان قد شهدت تكليف نجيب ميقاتى بتشكيل الحكومة الجديدة وسط مظاهرات واضطرابات للاحتجاج على إقصاء سعد الحريرى عن رئاسة الحكومة، قمت بإعداد التقرير الخاص بـ (المانشيت) وتم تسليمه للدسك المركزى الذى قام بتعديله تماما ووضع عناوين جديدة، حيث لم تعجبهم صياغتى غالبا، وذلك أمر معتاد، لكن تمت المحافظة على أن يكون تقرير لبنان هو المانشيت الرئيسى لـ «الأهرام».

وصدر «الأهرام» الأربعاء ٢٦ يناير بالفعل حاملا التطورات اللبنانية كـ (مانشيت) على خمسة أعمدة يمين الصفحة الأولى، وتحته على خمسة أعمدة أيضا إلى اليسار تم نشر تقرير عن المظاهرات فى مصر تحت عنوان (مظاهرات حاشدة بالقاهرة والمحافظات.. استشهاد مجند أمن مركزى بالقاهرة وشابين بالسويس والداخلية تدعو لإنهاء التجمعات) وتم تعديل العنوان الأول فى الطبعة الثالثة ليكون (الأمن ينجح فى تفريق المتجمهرين فى ميدان التحرير)،

وإلى جوار ذلك خبر صغير على عمود حول قيام المواطنين بتبادل الشيكولاتة والورود مع رجال الشرطة بالمحافظات تعبيرا عن البهجة بأعياد الشرطة، تحت عنوان (شيكولاتة وورد فى عيد الشرطة) ولاحظت أن العنوان كان باللون الأحمر الذى يعد نادر الاستخدام فى «الأهرام» ، إلا فى الأحداث الكبرى!

على أى حال تحول خبر الشيكولاتة، وإبراز المظاهرات فى لبنان قبل مظاهرات القاهرة، إلى حديث المنتديات المختلفة ومواقع الإنترنت، ووسيلة للهجوم والتهكم على «الأهرام» التى بدا أنها اختارت لنفسها طريقا خاصا للتعامل مع المظاهرات منذ اليوم الأول لوقوعها.

وبالنسبة لى لم تحمل هذه المظاهرات - فى الحقيقة - أى إشارات بأنها مختلفة عن مظاهرات عديدة سبق أن وقعت خلال السنوات الماضية واعتدت قراءة تفاصيلها وتطوراتها فى الصحف المستقلة وحسب.. ولكن جاء زلزال يوم ٢٨ يناير ليهزنى بعنف...

وفى لحظات... شعرت بأننى أقف ساكنا وسط شلال منهمر من الأحداث السريعة المتوالية، فجأة أصبح كل ما يحدث لى وحولى مهما وقابلا للتسجيل، وفقا للمعايير الصحفية. لم يعد الأمر اقترابا من حركة التاريخ وحسب مما يمكن أن يتاح للصحفى لكننى أصبحت أرى بأم عينى عجلة التاريخ وهى تدور بى وحولى، وكان لا بد من ملاحقتها.. كيف؟ وما الذى يمكن عمله فى مثل هذه الظروف؟ لم تعد فكرة المدونة على الإنترنت صالحة للتعامل الصحفى مع الأحداث، بل إن مسألة نقل الخبر فى حد ذاتها لم تعد فى هذه الظروف هى صاحبة دور البطولة لا سيما فى ظل تعدد مصادر الأخبار وملاحقتها لحركة الأحداث والتطورات المتسارعة لحظة بلحظة، ما الذى يمكن إذن أن تقدمه (اشتباك) الالكترونية من جديد يفيد المتلقى؟!

ما العمل؟

قبل أن أحدد ما الذى يمكن عمله بالفعل، قررت فقط أن أسجل كل ما يدور حولى، فى «الأهرام» والشارع والمنزل وعلى صفحات الصحف وشاشات الفضائيات، وكل ما يرد لى من معلومات وبيانات وتحليلات كصحفى، وكزميل لعشرات الصحفيين ممن يمكن أن يكونوا قد اطلعوا على ما لم أصل إليه، مما اعتدنا جميعا على روايته فى المقهى لأصدقائنا!

لن يكون هناك ما يمكن أن يروى فى المقهى بعد اليوم.. سوف يتم تسجيل كل شىء، تلك الأحداث المتسارعة وأثرها فى حياة البشر، سوف يكون كل ذلك مدونا ومسجلا، ومتاحا أمام الجميع، غدا، وبعد غد.. ليس من السهل أو المعتاد أن تمر على البشر فترات زمنية (تاريخية)، لكنها إذا حدثت فلابد من أن يتصدى لها كل بسلاحه الذى يجيد استخدامه، للتعامل معها، وما أهم ذلك السلاح الذى يملكه الصحفى.. الكتابة!

التوثيق إذن هو الهدف؟!

ربما.. لكن فى قالب جديد، هو (الرواية الصحفية).. كيف؟ ربما تعد التسمية غريبة نوعا ما، لكن لم لا؟ لماذا لا نقدم شكلا جديدا من أشكال العمل الصحفى؟!

فى كتابى السابق (لا ينشر) حاولت الخروج على الشكل التقليدى للصحيفة، وذلك بإصدارها من خلال كتاب، والآن وبعد أن جمعت مادتى حول ما حدث منذ يوم ٢٨ يناير، فقد وجدت نفسى أمام رواية حقيقية، رواية صحفية، هى ليست رواية أدبية قوامها الخيال، بل هى رواية لأحداث وقعت بالفعل، لها أبطال حقيقيون، وبها شخصيات واقعية. والعمود الفقرى للرواية هو عمل صحفى يقوم به الراوى الذى يعمل صحفيا فى جريدة «الأهرام» ليسجل من خلاله حدثا فارقا هو ثورة يناير ٢٠١١ فى مصر، ووسط ذلك وفى أثنائه تحدث تطورات عديدة مهنية وفكرية وإنسانية لهذا الراوى ومن حوله من أبطال العمل، ولا شك أن التغيرات الإنسانية المهمة التى تطرأ على البشر نتيجة لأحداث مثل الثورات السياسية هى التغيرات الأهم والأبقى وذات التأثيرات الأعمق من مجرد إزاحة نظام سياسى واستبدال آخر به.

**وهكذا تكون الرواية الصحفية.. هى التاريخ.. لكن فى قالب روائى.. إنسانى.**

**أو هى.. الحقيقة فى صورة قصة..**

**أو.. قصة الحقيقة.**

**والآن يا صديقى..**

**أعلم أننى قد أطلت عليك كثيرا لا سيما فيما يتعلق بالأحداث والتطورات**

فى حياة الراوى نفسه قبل وقوع الثورة، مما لا يعد مهما لك أبداً، لكن عذرى الذى أسوقه هنا إليك هو أنك ستجد كل ما سبق مرتبطا بما سيلحق، ليتداخل السابق واللاحق معا فى سياق واحد، للدلالة على أفكار بعينها، ولطرح تجارب إنسانية عامة من خلال استعراض قصة مجموعة من الشخصيات خلال أحداث الثورة المصرية.. أو قل.. قصة بشر فى ثورة.

# الجزء الأول

## 28 يناير ـ 20 فبراير

# أطول يوم فى تاريخ مصر

## فيلم الأسبوع فى سينما جريدة «الأهرام»:

## «قطار لا يمكن إيقافه»!

## ٢٨ يناير ٢٠١١

هذا أطول يوم فى تاريخ مصر..

وأهم يوم فى تاريخ مصر..

لا أقول هذا مدفوعا بمشاعر فخر مبالغ فيها، لكن القراءة المتعقلة الرصينة لما جرى على مدار اليوم تدفع المرء ببساطة إلى اعتبار يوم ٢٨ يناير عام ٢٠١١ يوما شديد الخصوصية شديد الأهمية، ففيه انهارت أسطورة قبضة الأمن الحديدية، التى لا يمكن قهرها، وانتصرت الفكرة على القوة، وتغلبت الروح على المادة، وانكسر قيد المصريين أخيرا. بكل أسف، بدأ هذا اليوم بالنسبة لى عاديا، جلست خلف جهاز الكمبيوتر فى قسم الشئون العربية بـ «الأهرام»، لأقوم بإعادة صياغة ما يرد إلينا على وكالات الأنباء عن الدول العربية، لتحريره ونشره، أعددنا مجموعة من الموضوعات عن التطورات الفلسطينية، ومتابعة المظاهرات فى الأردن احتجاجا على البطالة وزيادة الأسعار، ومواصلة نجيب ميقاتى مشاوراته لتشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة، والحديث عن تعديل وزارى محتمل فى الحكومة الكويتية. كان عددنا صغيرا فى قسم الشئون العربية، وكان يجلس بجوارى زميلى وصديقى شريف جوهر، الذى كان يقطع عمله من آن لآخر بمتابعة ما تقوله وكالات الأنباء عن المظاهرات فى مصر، ثم يخبرنى به، مما كان يزيد حماسى كثيرا وتطلعى نحو متابعة ما يجرى، إلا أن الوقت كان ضيقا للغاية، وكنا نقوم بإجراء عمليات بحث عن الأخبار على الوكالات، بوضع أسماء الدول العربية ككلمات بحث، ووقتها تمنيت أن أنهى عملى سريعا لأضع كلمة «مصر» على الوكالات، للبحث عما يجرى فيها. ساءلت نفسى وقتها.. لماذا قررت أن أتجه للعمل فى قسم الشئون العربية لا أى قسم آخر من الأقسام المتخصصة فى متابعة السياسة

الداخلية فى مصر؟ لكننى تذكرت أننى فعلت هذا مختارا لا مجبرا، لسبب أساسى وهو أن أكون حرا فى الكتابة كما أشاء إلى حد ما، فمن السهل تمرير ما أكتبه عن العراق أو سوريا أو غيرهما بشكل أو بآخر فى «الأهرام» ، أما بشأن مصر.. فالمحاذير كثيرة، وأسقف الحرية خفيضة ! أنهينا عملنا حوالى الساعة الثالثة عصرا ، وأصبحت قادرا على «العودة إلى مصر»، أى كتابة كلمة «مصر» ككلمة بحث على الوكالات لمتابعة ما يجرى . المظاهرات اليوم مختلفة.. حاشدة.. رهيبة.. ماذا يجرى ؟! إنه ليس ككل يوم من أيام المظاهرات.. كل الشواهد تؤكد ذلك . عرفت من الزملاء أن أعدادا من المتظاهرين يمرون أمام مبنى «الأهرام» وأنهم يتحدثون مع بعض الزملاء ، أو يحاول بعضهم الاحتكاك بـ «الأهراميين» فيمنعهم زملاؤهم، نزلت إلى بهو الجريدة لأتابع ما يجرى، كان الباب الرئيسى لـ «الأهرام» شبه مغلق، مع انتشار رجال أمن المؤسسة بشكل كبير.

وجدت أمام الباب بعض الزملاء ومنهم إبراهيم سنجاب المحرر بقسم المحافظات وشادى عبد الله المحرر فى القسم الخارجى، كانا يعملان على امتصاص غضب المتظاهرين نحو الجريدة والتحدث معهم، وعرفت أن هتافات سبابية نحو «الأهرام» ورئيس تحريرها أسامة سرايا قد أطلقها المتظاهرون أثناء مرورهم أمام مبنى المؤسسة، فضلا عن الاتهامات بعدم الصدق.. «يا كذابين.. بتكذبوا علشان مين؟!» وغيرها من السباب المصرى المعروف الذى يوجه عادة لمنافقى السلطة!

وقفت أتأمل حشود المتظاهرين فى صمت، أفراد ومجموعات، بشر، استعدوا لهذا اليوم وحملوا فى حقائبهم زجاجات المياه للشرب، والخل لوضعه على أعينهم للوقاية من أثر الغازات المسيلة للدموع، رجال وفتيات يسيرون بهمة وحماس، شخص يهتف: «انزلوا من بيوتكم هنجيب حقوقكم» وآخر يحدث زملاءه مبشرا « خلاص السويس والاسماعيلية سقطوا» استوقفتنى كلمة «سقطوا».. وكانت الأنباء الواردة لنا تشير إلى تراجع قوة الشرطة أمام المتظاهرين فى السويس بالتحديد ، ولا شك أن تعبير «سقوط المدن» يستخدم فى الحروب، وهؤلاء فعلا يحاربون لأجلنا، أتكون هذه حربا للتحرير حقا؟! يا الله.. ما الذى يجرى؟ أيمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة ؟! ومن قال إنها بسيطة ؟! ها هم الرجال والسيدات يسيرون فى العراء، رغم الغازات الخانقة والرصاص، وجحافل الأمن، أما نحن فنقف لنتفرج عليهم من خلف أبواب «الأهرام» !

أعجبتنى طريقة زميلى إبراهيم سنجاب فى الحوار مع المتظاهرين، فهو «ابن بلد» ، ونجح فى إقناعهم إننا معهم، وأننا ضد الممارسات التى تقوم بها جريدتنا، إلا أنها مفروضة علينا، وكان ذلك حقيقيا، لكن أحدهم رد قائلا: «خايفين من إيه؟! انزلوا معانا».

وأمامى بدأ سقوط المصابين جراء الغازات أو الرصاص المطاطى، كان زملاؤهم يحملونهم راكضين لا يعرفون إلى أين، وهنا طلب منهم إبراهيم سنجاب إحضارهم لعلاجهم فى المركز الطبى بـ «الأهرام» الموجود فى الطابق الثالث، وبالفعل تم السماح للمصابين بدخول المؤسسة، وأسهمت هذه الفكرة كثيرا فى امتصاص غضب المتظاهرين نحونا.

وفى ظل السباب الذى أسمعه ضد رئيس التحرير أسامة سرايا، قلت لنفسى : «آه لو عرفوا أنه موجود على بعد أربعة أدوار منهم». كان سرايا يجلس فى صالة التحرير بالفعل لمتابعة التطورات أولا بأول، وكانت كل الأنباء تشير إلى عدم قدرة الشرطة على مواجهة المتظاهرين، رغم كل القسوة المتبعة فى التعامل معهم. سنجاب أخبر سرايا بفخر أنه تم السماح بدخول المصابين لعلاجهم فى «الأهرام» وأن ذلك أسهم فى احتواء غضبهم ضدنا، وقال الزميل هشام فهيم (عضو الدسك المركزى ومراسل «الأهرام» السابق فى الجزائر) انه تم احتواء الشباب بالفعل والتعامل معهم بشكل جيد. وأضاف سنجاب أنه تم إخطار قسم التصوير لإرسال مصور للطابق الثالث، لتصوير المصابين أثناء علاجهم فى «الأهرام» ، لنشر ذلك فى الجريدة. تمتم سرايا بكلمات بسيطة، وقال «ده خبر إنسانى كويس» وأضاف «عايزين نقول إننا متعاطفين معاهم» وتساءل مستنكرا : «همّ إسرائيليين؟» ثم أجاب بنفسه: «دول شوية عيال صيع بس من مصر زينا». وبعد انصراف الزميلين إبراهيم سنجاب وهشام فهيم قال سرايا: «دى غباوة إنهم يدخلوهم جوه «الأهرام» .. ممكن يعملوا حريقة جوه «الأهرام» .. وبعدين يقول لك «الأهرام» بيتحرق» . وبعدها سأل قائلا: « الناس بتوع الأمن واقفين تحت كويس؟ لأنهم ممكن يدخلوا علينا» توالت الأحداث بعد ذلك سريعا، خارت قوى الأمن تماما، وصدر القرار بنزول الجيش إلى الشارع.

هذه هى المرة الأولى فى حياتى التى أعيش فيها هذه الأجواء. هل

قررت فى هذه اللحظة أن أسجل كل ما يحدث حولى لتوثيقه؟ قبل أم بعد نزول الجيش؟ لا أدرى بالتحديد لكن كل شىء كان يشير إلى أن ما يجرى كان شيئا تاريخيا، وعندئذ بدأت أتحرك يمينا ويسارا، صعودا وهبوطا، داخل «الأهرام» ، لتسجيل ما يجرى وتدوينه. لفت نظرى فى أرضية مصعد «الأهرام» وفى أحد الأركان داخل المبنى وجود آثار دماء المصابين الذين تم علاجهم فى «الأهرام» ، بالإضافة إلى بقايا البصل الذى كانوا يستعملونه، لكن ما لفت نظرى بشكل أكبر ودفعنى إلى الابتسام متعجبا أمام تصاريف القدر، عندما قرأت فى لوحة الإعلانات بالطابق الرابع إعلانا عن الفيلم الأسبوعى الذى يفترض أن سينما «الأهرام» فى الطابق الأول قد عرضته أمس الخميس، وكان فيلما أجنبيا بعنوان : «قطار لا يمكن إيقافه»! وهكذا بدا لى أن قطار المظاهرات الحاشدة الرافضة لكل الأوضاع الجاثمة على صدر المصريين سنوات وسنوات قد انطلق ولم يعد ممكنا إيقافه. وبالنسبة لى فقد كان قطارى أنا المتجه إلى تدوين كل ما يجرى قد انطلق هو الآخر وبدأت أسمع وأشاهد وأسجل. كانت الصورة ضبابية لدى الجميع داخل «الأهرام» ، مساء اليوم، الكل يتحدث ويدلى بدلوه ولكن لا معلومات مؤكدة حتى لدى سرايا نفسه.

حازم عبد الرحمن (مدير التحرير ورئيس الدسك المركزى)[1] وهو الرجل الثانى فى الجريدة بعد سرايا قال مخاطبا رئيس التحرير: «حصل حريق قدام مقر الحزب الوطنى» سرايا : «ماحصلش حاجة.. دى القاعة اللى قدام المقر»

حازم: «هو الريس هيطلع يتكلم»

سرايا : «أيوه هيطلع يتكلم»

حازم: «يعنى انت عرفت؟» (يقصد من مصادره)

سرايا :«أيوه عرفت»

وبعد قليل.. سرايا يدافع عن قراره بتأجيل صدور الطبعة الأولى انتظارا لخطاب الرئيس حسنى مبارك: «استنوا كلام الريس، والله حيتكلم، ما احنا لو حنطلع كده (أى بدونه) حنترمى ومش حنتقرى» أى لا أحد سيقرأ «الأهرام».

---

(١) أحد أبطال «هدير الصمت»

ويضيف: «عايزين نقول إنها مظاهرات حاشدة للتخريب، ماأعرفش هم مين بالضبط، هم حرامية بيعملوا تخريب فى البلد» ، وأضاف قائلا «عشان يبقى خالد المخرج بتاع «هى فوضى» يتبسط» (يقصد خالد يوسف).

عمرو على الفار صديقى المحرر بقسم الحوادث :

«مول أركاديا بضاعته كلها بره وقدامه ألف حرامى».

محمد رضا محرر القسم الخارجى: «ناس غريبة بيمشوا فى شارع سوريا فى المهندسين بيضربوا نار».

سرايا قرر طبع الطبعة الأولى فى «الأهرام» بدون انتظار خطاب الرئيس مبارك، وقرر أن يكون المانشيت الرئيسى كالتالى:

«مظاهرات حاشدة فى القاهرة والمحافظات»

«حظر تجوال فى القاهرة الكبرى والسويس والمحافظات»

بالإضافة إلى صورة ضخمة للمتظاهرين على ثمانية أعمدة «بعرض الصفحة الأولى بالكامل» محاطة ببرواز أسود ثقيل.

سرايا : «الظاهر الريس مش هيتكلم»

ظهر الدكتور عبد المنعم سعيد رئيس مجلس إدارة «الأهرام» فى صالة التحرير على غير العادة، جلس مع أسامة سرايا، وكان معه صديقه الدكتور محمد عبد السلام الذى كان يعمل كذراع يمنى له.

أحد الزملاء سأل سرايا عن طريقة نشر أحد الأخبار، فبادر عبد المنعم سعيد بالرد قبل أسامة: «عايزين نشتغل مهنيا» وقال باللغة الانجليزية «reporting» وكررها مرتين، قاصدا ضرورة عدم الانحياز لأى طرف فى الصراع الدائر.

تم عرض بروفة الصفحة الأولى على سرايا، فطلب عبد المنعم سعيد رؤيتها وقال سرايا له إننا كنا كتبنا أن حظر التجول فى جميع المحافظات، لكن تم تعديله فى اللحظة الأخيرة، بعد معرفة القرار.

وبعدها اصطحب سرايا عبد المنعم سعيد للتحدث معه، وخرجا من صالة

التحرير، وفى أثناء ذلك قال سرايا وهو ينصرف لشباب الصحفيين: «اقعدوا يا شباب.. كل واحد يقعد فى مكانه.. مش عايزين تجمعات.. مش عايزين تجمعات».

رد على السيد (عضو الدسك المركزى المناوب فى سهرة الجمعة) قائلا: «احنا اللى شغالين» يقصد أنه يجلس لمتابعة العمل، لا فى إطار تجمعات.

قال عبد المنعم سعيد ضاحكا: «عايزين نعمل لكم لجنة إعاشة».

رد سرايا ساخرا: «هنجيب الإخوان»!

وفى كافتيريا الدور الرابع ظهر محمد البرغوثى [1] عضو الدسك المركزى «المشاغب»، وهو شخصية لها أسلوبها الخاص فى الحياة، حاد إلى حد كبير، لكنه شريف متمسك بمواقفه. وكان البرغوثى ربما هو أول شخصية أمكن لى خلال اليوم الحصول منها على معلومات ووقائع محققة حول ما يحدث، لأنه ببساطة شاهد تلك الأحداث بعينيه فى ميدان التحرير، أو بالقرب منه، وكان شاهدا عليها. البرغوثى قال إنه كان فى مقر مكتب قناة «الجزيرة» فى العقار الشهير آخر شارع الجلاء والمجاور لفندق «هيلتون رمسيس»، وقت انهيار قوات الشرطة أمام المتظاهرين، وقال إنه كان يجلس فى المكتب مع عبد الفتاح فايد مدير مكتب «الجزيرة» والمذيعة التليفزيونية جميلة اسماعيل، عندما سمعوا صوت طرق شديد على باب المكتب المغلق، وتوقع الجميع أنه سيتم إلقاء القبض عليهم فى هذه الظروف من جانب قوات الشرطة، إلا أنه تبين أن بعض أهالى منطقة بولاق أبو العلا جاءوا إلى المكتب لتوصيل شكواهم من أن تأثير الغازات المسيلة للدموع على أبنائهم أصبح رهيبا ولا يمكن احتماله، كان الأهالى يريدون أن يصل صوتهم عبر القناة إلى أى جهة يمكن لها مساعدتهم بأى شىء، وإنقاذهم مما هم فيه. وبعد ذلك خرج البرغوثى من مكتب «الجزيرة» ووجد أمامه عددا من جنود الأمن المركزى يقفون مذعورين أمام جحافل المتظاهرين بعد انهيار قوى أجهزة الشرطة، فما كان من الشباب إلا أن قاموا «بالطبطبة» على أكتافهم وتركوهم بعد أن أخذوا منهم العصى التى كانت بحوزتهم، ويقول البرغوثى انه اصطحب معه حوالى ١١ جنديا من جنود الأمن بعد ذلك إلى مدخل عمارة قناة الجزيرة، فخلعوا خوذهم وملابسهم العسكرية وأسندوا رءوسهم للحائط فى ذهول.. بينما راح بعضهم يغط فى نوم عميق بعد دقائق!

---

(١) أحد أبطال «هدير الصمت»

ويضيف البرغوثى أنه شاهد ضابطا ضابطا برتبة رائد يحاول الهرب قبل أن يقع فى أيدى المتظاهرين، إلا أنهم أمسكوا به، وظل يرتعد وسطهم متوقعا أن يفتكوا به، إلا أن البرغوثى تمكن بمساعدة بعض العقلاء من تخليصه من بين أيديهم قائلا لهم «لا إحنا مانعملش كده.. انتم ماتعملوش كده».

محمد البرغوثى صحفى متميز عمره ٤٩ عاما وله قلم يعرف من أين يُكتب الموضوع الصحفى، حتى وقت قريب كان يعمل فى قسم التحقيقات الصحفية فى «الأهرام» ، لكنه كان نادرا ما ينشر له تحقيق صحفى فى «الأهرام» ، خاصة أن آراءه ومواقفه واضحة بل حادة فى بعض الأحيان، ولا يكتب كلاما مما يجمع بين المتناقضات، كما أنه كان قد ملّ بعد هذا العمر من أن يحاول التودد للكبار أو بالأحرى التذلل لهم حتى ينشر له الموضوع، وفقا لما هو معتاد فى كثير من الأحيان فى الوسط الصحفى.

وفى المقابل، كان البرغوثى يعمل فى جريدة «المصرى اليوم»، وله مقال أسبوعى فيها(!) ومنذ حوالى عام صدر القرار بنقل البرغوثى إلى الدسك المركزى فى «الأهرام» (وهو أعلى سلطة تحريرية فى الجريدة بعد رئيس التحرير ومدير التحرير) وكان هذا القرار مفاجئا إلى حد ما بالنسبة لنا، ليس لأن البرغوثى لا يستحق بالطبع، بل لأنه يمكن ببساطة تصنيفه على أنه صحفى معارض يميل دوما إلى كشف السلبيات لا «الطبطبة» والتركيز على الإيجابيات والتصفيق لها، فكيف سيكون ترسا جديدا فى الآلة الإعلامية الجهنمية، التى تمجد النظام فى مصر، ليل نهار؟!

توقف البرغوثى عن العمل فى «المصرى اليوم» لكنه احتفظ بمقاله الأسبوعى فقط هناك، وكان سعيدا إلى حد ما بدخوله دائرة «الدسك المركزى» وهو المطبخ الصحفى فى الجريدة، ووقتها كنا نداعبه نحن الذين نتأخر عنه جيلا من العمر قائلين: «أخيرا بقى لنا واحد وسطهم.. دلوقتى دورك يا بطل عشان تحقق الهدف الكبير» وكان يرد بجدية قائلا إن الأمور لا تسير بهذه الطريقة، وأن مسألة التغيير صعبة لكنها تحتاج... وعندها كنت أقاطعه قائلا: «أقصد الهدف الكبير هو انك تضحى بنفسك عشان المجموع.. إحنا حنتولى تفخيخك، عشان تنفجر وسطهم، ونخلص منهم كلهم» وكنا نضحك جميعا.

حازم عبد الرحمن مدير التحرير هو رئيس الدسك المركزى، أى أنه رئيس القسم الذى يعمل فيه البرغوثى، لكن العلاقة بينهما كانت لها طابع خاص،

فكلاهما مثقفان، كل منهما يقدّر قيمة الآخر، و«الأستاذ حازم» كان يعلم طبيعة مواقف البرغوثى وآراءه المعارضة، ويحترمه، ولا يتعامل معه كرئيس ومرءوس، كما أن البرغوثى كان يحترم حازم أيضا ، لكنه يفهم طبيعة الدور الذى يفترض أن يقوم به كرجل ثانٍ فى «الأهرام» ، فى عصر مبارك.

واليوم وفى أثناء تجمع عدد من الصحفيين أمام مكتب حازم لمتابعة التطورات ومناقشتها جاء البرغوثى، وكنا نقف جميعا بالطبع، على أطراف أصابعنا مترقبين لأى جديد، متطلعين بشغف لفهم طبيعة وحجم ما يجرى، وعندئذ وجدنا «الأستاذ حازم» يخاطبنا بشىء من الانفعال معترضا على حماسنا وتحفزنا كأننا جنود محاربون قائلا: «إيه رأيكم تلبسوا وتنزلوا انتم الشارع بدل الجيش؟!» قالها ثم أدار ظهره لنا ليدخل مكتبه، وعندئذ قال البرغوثى بصوت أظنه كان مسموعا قائلا: «والله انتم اللى حتولعوها»! ولم يرد حازم عبد الرحمن الذى بدا كأنه لم يسمع. البرغوثى قال فى موضع آخر فى صالة التحرير، ولم يكن حازم موجودا، إنه لابد من أن تكون تغطية المظاهرات فى «الأهرام» متوازنة، يقصد عدم الانحياز للنظام، وأضاف محذرا من أنه سمع أن المتظاهرين كانوا يريدون التوجه إلى مبنى التليفزيون للاعتداء عليه. وعندئذ رد عبد المحسن سلامة مدير التحرير ورئيس قسم التحقيقات الصحفية مؤكدا أنها «متوازنة جدا».

وفى هذه الأثناء، وبينما كنا داخل مكتب حازم عبد الرحمن، استمرارا فى متابعة ما يجرى، فوجئنا بظهور صوت رئيس التحرير أسامة سرايا فى التليفزيون، حيث كانت قناة «العربية» تجرى اتصالا هاتفيا معه على الهواء لمتابعة الأحداث. لكن المفاجأة الكبيرة كانت فى ظهور عبارة على الشاشة على لسان سرايا وضعتها القناة كتصريح له مفاده أنه يقول أن المتظاهرين حاولوا اقتحام «الأهرام» . كما طالب فى تصريحه للقناة بمحاكمة كل الذين قاموا بإجراء عمليات النهب والسلب من «الحرامية والبلطجية».

وتذكرت عندئذ امتعاض سرايا من مسألة إدخال المصابين للعلاج فى «الأهرام» بعد حدوثها، باعتبار أنهم كان من الممكن أن يحرقوا أى شىء فى الداخل ثم يعلنوا أن «الأهرام بتتحرق» .

والواقع أنه لم يحدث أى شىء من ذلك، وأن المصابين من المتظاهرين لم يدخلوا «الأهرام» أصلا إلا بمبادرة من «الأهراميين» ذاتهم، وهو ما أسهم فى امتصاص غضبهم ضد المؤسسة.

والمفارقة الكبيرة هنا، هى أن الصفحة الأخيرة بالكامل من عدد الجريدة الذى يفترض أن يصدر غدا كانت مخصصة بالكامل لصور علاج المصابين داخل «الأهـرام» مع الإشـارة إلى أنها لفتة إنسانية للجريدة، مع تعليق من الزميل إبراهيم سنجاب، الذى كان صاحب الفكرة. فكيف إذن تصدر الجريدة وهى تحتفى بما فعلته بينما يقول رئيس تحريرها أن هناك من حاول اقتحام «الأهرام» من المتظاهرين؟

لا أدرى أى خيال أوحى لسرايا بأن هناك من حاول اقتحام الجريدة، لكن تصريحه الذى ظهر على شاشة « العربية» أثار استياء الجميع من الصحفيين الموجودين داخل حجرة حازم، الذى بدا واجما ولم يعلق بشىء، فى الوقت الذى حذر فيه الحاضرون من أن هذه الكلمات هى التى ستؤدى إلى إحراق «الأهرام» بالفعل.

أحمد موسى مدير التحرير والمشرف على قسم الحوادث والذى كان مندوبا لـ «الأهرام» فى وزارة الداخلية سنوات طويلة، خرج من مكتب حازم بعد ظهور تصريح سرايا، ووجدته يتجه إلى مكتب رئيس التحرير مسرعا، لإثنائه عن مواصلة الإدلاء بهذه التصريحات، لكنه وجد باب المكتب الموجود ناحية صالة التحرير مغلقا، فعاد مرة أخرى.

وفى أثناء مراجعة بروفات صفحات الجريدة، لم يحبذ أحمد موسى اقتراح المحرر البرلمانى الشاب أحمد جلال عيسى بإضافة عبارة «لمنع النهب والتخريب» إلى العناوين فيما يتعلق بأسباب حظر التجول.

وبالإشارة إلى أننى كنت قد عملت سنوات طوال فى قسم الحوادث تحت رئاسة أحمد موسى وهو المحرر الأمنى المخضرم ، العارف بدهاليز السياسة والأمن، أستطيع أن أقول إنه يبدو أن موسى أراد تهدئة نبرة «الأهـرام» فى هذه الأحداث حتى لا تأخذ الجريدة خطاً مغايرا تماما لخط الشارع، الذى كان على ما يبدو قد وضح لموسى أنه أصبح خارجا تماما عن سيطرة النظام، أو بالأحرى هو «قطار لا يمكن إيقافه».

هكذا كان تقدير موسى للأمر فى الأغلب، لأنه فى العادة ليس صاحب هذه الطريقة فى التهدئة، بل إنه كان عالى الصوت دوما فيما سبق فى الإشادة «بالضربات الأمنية الناجحة لوزارة الداخلية» وما إلى ذلك. لكن موسى أيضا كان له تقدير آخر فيما يتعلق بالموقف المتوقع من الجيش الذى

صدر القرار بنزوله إلى الشارع، حيث قال وسط مناقشات الزملاء للأمر إنه يتوقع أن يضرب الجيش المتظاهرين فى النهاية إذا لم يغادروا الميدان ويتركوا الشارع، قائلا أن نزول الجيش الهدف منه فى الأساس هو تأمين المتحف المصرى.

نزلت إلى الشارع، وأمام مبنى «الأهرام» وقفت أتنسّم عبيرا جديدا!

كان الجو باردا، لكن لطيفا، تتخلله نسمات هادئة، اختلطت بما تبقى من روائح الغاز المسيل للدموع، لكنها جاءت حانية، عطوفة، مبشرة بأجواء مشرقة يبدو أنها ستأتى غدا!

شاهدت دبابات الجيش لأول مرة تقطع شارع الجلاء بسرعة قادمة من ميدان رمسيس فى اتجاه ميدان التحرير، كانت الأعداد القليلة من البشر فى شارع الجلاء تلوح للجنود بعلامات النصر وإشارات السعادة، وكان الجنود يبادلونهم التحية، والابتسام أحيانا.

رفعت يدى أنا الآخر محييا الجنود، مرحبا بالجيش، رفعت يدى محاولا التشبث بأمل جديد، لاح أخيرا من بعيد، بعد أن كنا ظننا أنه لن يأتى أبدا.

بدت أجواء شارع الجلاء منهكة من هول ما جرى فيه وبجواره، بدت الأجواء منهكة لكن سعيدة راضية، كمن يسند ظهره أخيرا إلى حائط فى ختام يوم عمل شاق، بعد أن يكون قد نال الأجر، ورضى به.

ذهبت لاستطلاع «موقف» سيارتى التى كنت قد تركتها فى الشارع الصغير خلف مبنى مجمع محاكم الجلاء منذ الصباح، وفى ظل الأجواء العاصفة التى مرت على المنطقة طوال اليوم، قلت لنفسى إنه من المحتمل للغاية أن أجدها على حال غير التى تركتها عليها، وربما لن أجدها، قلت لنفسى إن ذلك رغم كونه مؤلما إلا أنها أبسط ما يمكن دفعه من ضرائب فى هذه الأثناء.

على أى حال.. لم أجد خدشا فى السيارة، فأغلقتها وعدت لأصعد إلى الجريدة لاستكمال متابعة الأمر، وعندئذ وجدت «هوارى» فى مواجهتى.. «هوارى؟ انت فين يا عم؟»

أحمد هوارى [١] هو صديقى الشاب «الجميل» وزميلى فى قسم الشئون

---

(١) أحد أبطال [illegible]ير الصمت»

العربية، وكان قد اختفى مبكرا بعد أن أنهينا عملنا فى القسم عصرا، وعندما شاهدنى بادر بسؤالى بابتسامة واسعة وخليط من الفصحى والعامية قائلا: «أين تذهب ياريّس فى هذه الليلة التاريخية؟» وافقته على الفور بأنها ليلة تاريخية بالفعل، وتحدثنا قليلا ثم صعدت إلى الجريدة، وانصرف هو عائدا إلى ميدان التحرير مرة أخرى.

وفى الطابق الرابع كانت أعداد الصحفيين قد تناقصت حيث بلغت الساعة حوالى العاشرة مساء، وبإستثناء مجموعة «السهرة» الصغيرة من المحررين (الذين سيظلون حتى نهاية الطبعة الثالثة) كان الموجودون يحاولون تدبر أمورهم بحثا عن وسيلة للإنصراف، فى ظل حظر التجول. وفى هذه الأثناء ظهرت بشكل مفاجئ دعاء خليفة [1] الصحفية فى جريدة «الأهرام إبدو» التى تصدر باللغة الفرنسية، وزميلتى فى الدراسة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة، ولم أكن قد رأيتها منذ بداية اليوم، لكن ختامه شهد قصة مثيرة لى مع دعاء!

دعاء خليفة صحفية نابهة فى «الأهرام إبدو» الفرنسية، وبالنسبة لى هى أخت طيبة ورفيقة درب طويل منذ نحو ١٧ عاما قضت معظمها فى جريدتها الفرنسية، لكنها فى الوقت نفسه كانت تنشر جانبا من تحقيقاتها الصحفية فى جريدة «الأهرام» ، وتزايد معدل النشر لها أخيرا فى الجريدة حتى أصبحت كأنها واحدة من أسرة «الأهرام» لا «الإبدو» وكنت أحاول إقناعها دوما بأن تطلب النقل إلى الجريدة، إلا أنها كانت ترفض معللة ذلك بأن الجو فى جريدتها يريحها نفسيا.

والتحقيق الصحفى عند دعاء هو عمل حقيقى، وسفر، وذهاب وعودة، ومشقة «ومرمطة فى الشوارع»، فهى تحقق فى القضية التى تتناولها بالفعل، وتطرح التساؤلات ثم تستمع لإجابات المختصين، وتجمع المعلومات وتصطحب المصورين لالتقاط الصور على أرض الواقع. أى أنها تبذل مجهودا جبارا، ليس كما يفعل معظم محررى التحقيقات من الاتصال «بمصدرين أو ثلاثة» هاتفيا، يقومون بإملاء المحرر وجهات نظرهم، ليقوم هذا الأخير بعد ذلك «بضرب مقدمة للموضوع» ثم لصقها أعلى كلام المصادر «وبالسلامة».

دعاء لا تفعل ذلك أبدا، بل تعمل بجد وضمير ومسئولية ، وتختار دائما التحقيق فى موضوعات صعبة، فتسافر إلى المنيا للتحقيق فى واقعة ختان

(١) أحد أبطال «هدير الصمت»

أنثى ثم تستخدمها مدخلا لمناقشة القضية ككل، أو تصطحب مصورا وتجره وراءها فى الشوارع تحت أشعة الشمس الحارقة، كى تلتقى بالأطفال المشردين فى تحقيق عن أطفال الشوارع، أو تسافر دمياط لمناقشة مشاكل الصيادين والهجرة غير الشرعية، أو أسوان لمتابعة ما إذا كان منكوبو السيول قد حصلوا بالفعل على التعويضات المقررة لهم أم لا؟!

ورغم كل ذلك، فهى تقدم ما تكتبه للقارئ الفرنسى! تخيل !

كنت ألحّ عليها دوما كى تطلب النقل لكن ما أقنعها فى النهاية أظن هو أننى قلت لها انها رغم كونها من القلائل الذين لا يزالون يمارسون الصحافة باعتبارها رسالة إلا أنها مع ذلك لا تنجح فى توصيل أى رسائل أو حل أى مشكلات، لأن قناة التوصيل هنا موجهة إلى المكان الخطأ، إلى فرنسا، وقراء الفرنسية فى مصر !

اقتنعت دعاء أخيرا بالأمر بعد طول تردد، لاسيما أنها شخصية حساسة للغاية، لذا فقد كانت تعتبر «صالة التحرير فى الدور الرابع» والألعاب النارية النفسية و «الأكروبات المهنية» التى تشهدها، أمراً يفوق قدرتها على التحمل، كما أن انخفاض سقف الحرية كثيرا فى «الأهرام» مقارنة بما هو عليه فى «الإبدو» أمر كان يقلقها كثيرا، فهى لا تتحمل أن تكتب شيئا، ثم تفاجأ به منشورا فى اليوم التالى موقعا بإسمها، لكنه يحمل وجهة نظر أخرى تماما.

أمر كهذا لو حدث معها ربما كان سيؤدى إلى إصابتها بنزيف فى المخ، خاصة أنه يمكن إعتبار شخصيتها «حادة فى الحساسية»، فهى تريد أن يكون كل شىء مضبوطاً تماما، متوافقاً مع القيم والأخلاق والمهنية و.. وهى فتاة متوسطة الطول غير محجبة ذات حضور قوى بفعل تلقائيتها وبساطتها، وإن كانت كثيرا ما تسقط فى براثن «الثرثرة».

على أى حال تقدمت دعاء أخيرا بطلب النقل ووافق رئيس التحرير، ولكن كان لا بد من موافقة رئيس مجلس الإدارة، وفى هذه الأثناء تطورت الأحداث سريعا لتصل بنا إلى هذه الليلة، مساء ٢٨ يناير.

ظهرت دعاء اليوم فى صالة التحرير بعد العاشرة مساء.. أتدرى أين كانت ؟!

دعاء كانت قادمة لتوّها من أسيوط، حيث كانت تجرى هناك تغطية ومتابعة لافتتاح مركز ثقافى بإسم «أحمد بهاء الدين» فى قرية صغيرة، فى تجربة غير مسبوقة.

وهناك سمعت بما يحدث لكن بشكل مشوش ، وعادت وسط حظر التجول بسيارة «الأهرام» من هناك واضطرت للنزول فى ميدان رمسيس، ثم أكملت طريقها لـ «الأهرام» مشيا على الأقدام فى شارع الجلاء بصحبة المصور، وفى هذه الأثناء شاهدت جنود الجيش لأول مرة، ومرت على قسم الأزبكية أثناء اشتعال النيران به، وكان كل ذلك بالنسبة لها مفاجئا، لأنها لم تعلم بكل هذه التطورات فى ظل انقطاع جميع وسائل الاتصال !

دعاء كانت تريد بالطبع أن تعود إلى منزلها وأهلها الذين لم يعرفوا عنها شيئا منذ الصباح، وفى حين أن مدير التحرير «الأستاذ حازم» نجح فى توفير سيارة لها من المؤسسة لتوصيلها إلا أنها طلبت منى أن أوصلها أنا بسيارتى. وهكذا وجدت نفسى مع دعاء، نستعد للنزول من «الأهرام» قبل الساعة الحادية عشرة مساء بقليل وكان علىّ أن أسلك الطريق إلى الهرم حيث تقيم هى ثم أعود للمعادى حيث أقيم، وفى ظل حظر التجول، وإغلاق الطرق، لم نكن نعلم إلى أين سنتجه بالتحديد !

وصلنا إلى السيارة القابعة منذ الصباح، أمام الباب الخلفى لمجمع محاكم الجلاء، وعندئذ لاحظت وجود ٣ أشخاص يقومون بتكسير الباب الزجاجى للمحكمة بهدوء فى الظلام، دلفت إلى السيارة سريعا، متجاهلا سؤال دعاء البرىء بصوت مرتفع. «همَّ بيعملوا إيه هنا؟!» وبعد تحركى بالسيارة قلت لها «أبدا ولا حاجة بيكسروا باب المحكمة عشان يدخلوا يسرقوا من جواها» !

صعقت دعاء بالطبع كالعادة، لكننا انطلقنا بسرعة، وفكرت فى أن أسلك شارع ٢٦ يوليو متجها إلى طريق المحور مباشرة، حتى لا أمر على ميدان التحرير المغلق تماما، سرت بسرعة وقطعنا كوبرى ١٥ مايو فى لمح البصر، وحاولت صعود الطريق الدائرى ، لكننى وجدت مجموعة من الأشخاص يمنعوننى، وتوقعت بداية التعرض للمشاكل ، لكن أحدهم اقترب منى محذرا من الصعود إلى الطريق الدائرى، لأن هناك من يلقون الحجارة على المارة أعلى الطريق، ويحاولون الاستيلاء على السيارات.

واصلت السير فى طريق المحور متجها إلى طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى، وعندها تذكرت أننى لم أتناول شيئا تقريبا منذ الصباح، كما تذكرت شيئا آخر كان فى جيب سترتى أعددته كمفاجأة لدعاء قلت لها «شفتى أنا جايبلك إيه؟! بقسماط» ضحكنا معاً.. وواصلنا المسير حتى وصلنا أخيرا

إلى شارع الهرم من خلال الطريق الصحراوى، وبجوار مستشفى الهرم التى تقيم دعاء أمامها لاحظنا وجود أشخاص يحملون كراسى وأشياء مختلفة كان واضحا تماما أنهم قد قاموا بسرقتها من محلات شارع الهرم!

نزلت دعاء أخيرا ووجدت شقيقها يقف فى الشارع فى انتظارها، وبعد أن اطمأننت عليها، بدأت رحلتى إلى المعادى، ولم يكن هناك مفر من أن أسلك شارع الهرم، بعد أن أصبح الطريق الدائرى غير آمن، وبالفعل مرقت بسيارتى ولم أجد من يوقفنى حتى وصلت إلى المعادى، وأمام باب منزلى بالتحديد، وقبل أن أغادر سيارتى.. بدأ مبارك إلقاء خطابه المنتظر!

جلست فى السيارة لمتابعة الخطاب فى «الراديو» وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة.

استمعت إلى كلماته باهتمام شديد بالطبع.. وقال كلاما كثيرا..

«أتحدث إليكم فى ظرف دقيق يفرض علينا... إن خيطا رفيعا يفصل بين الحرية والفوضى.. أعى التطلعات المشروعة للشعب..مواصلة الإصلاح السياسى والاقتصادى.. .. وسوف أظل أنحاز للفقراء... نهب وفوضى وحرائق... خطوات جديدة... طلبت من الحكومة التقدم باستقالتها اليوم».

صعدت إلى منزلى، والتقيت أخيرا بزوجتى إيناس وطفلىّ حازم (٩سنوات) وحلا (٥سنوات)، سلمت عليهم بلهفة، وارتميت جالسا، وأعدت ظهرى للوراء، كى أستريح أخيرا فى ختام يوم طويل.. طويل.. أطول يوم فى تاريخ مصر .

# شهادة تاريخية من قلب الميدان

## مدير الأمن اسماعيل الشاعر للضباط:
## «كل واحد يجيب خشبة يدافع بيها عن نفسه»!

فى وقت لاحق بعد يوم الجمعة ٢٨ يناير، جلست مع الزميل أيمن فاروق الصحفى فى «الأهـرام» مندوب الجريدة فى وزارة الداخلية ومديرية أمن القاهرة، واستمعت منه إلى هذه الشهادة التاريخية عما جرى فى هذا اليوم، حيث كان يقف فى ميدان التحرير، داخل الدائرة الصغيرة التى تضم قيادات وزارة الداخلية التى تولت التعامل مع أحداث اليوم، وذلك بحكم علاقاته الوطيدة بهم، فكان أول من يعلم بالأحداث وقت وقوعها، سواء تلك التى وقعت فى ميدان التحرير، أو فى مختلف المواقع الأخرى، عبر أجهزة اللاسلكى.

يقول أيمن أنه وصل إلى ميدان التحرير يوم الجمعة حوالى الساعة الحادية عشرة والربع، حيث وجد الميدان أشبه بثكنة عسكرية،وهناك أعداد كبيرة جدا من ضباط الشرطة من مختلف القطاعات كالأمن المركزى وقوات مكافحة الشغب وقوات أمن القاهرة وقوات مباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية، ويوضح قائلا : «لقيت كل الضباط اللى عرفتهم على مدار ١٢ سنة شغل».

ويضيف أنه شاهد أشخاصا أقوياء البنية، وليسوا من الضباط أو المجندين، وعندما سأل أحد الضباط عنهم قال له أنهم مجموعة من المسجلين جنائيا و «البودى جاردات» تمت الاستعانة بهم لمواجهة العناصر الإجرامية، حيث أن معلومات الشرطة أشارت إلى قيام المتظاهرين باستئجار أعداد من «البودى جاردات» أيضا لمواجهة قوات الشرطة بهم.

أيمن أدى صلاة الجمعة مع الضباط وبينهم اللواء إسماعيل الشاعر مدير أمن القاهرة فى مسجد صغير فى شارع خلف الميدان بين شارعى الفلكى ومحمد محمود، وهو المسجد الذى تحول إلى مستشفى ميدانى بعد ذلك، ولم يكن هناك مواطنون تقريبا، بل الضباط وحدهم فى الصلاة التى استغرقت بالاضافة إلى الخطبة ثلث ساعة تقريبا.

وبعد الصلاة كانت القوات قد انتشرت فى أماكنها، حيث تحرك الضباط

رؤساء المجموعات قبل الصلاة إلى كل من ميادين طلعت حرب ورابعة العدوية ورمسيس وأمام دار القضاء العالى وغيرها وتم حصار مظاهرة دار القضاء.

وفوجئ الضباط فى البداية، بأن جميع أجهزة الاتصالات التى معهم لا تعمل، بما فى ذلك أجهزة اللاسلكى، بسبب قطع الاتصالات، ولم يكن أمامهم سوى استخدام أجهزة «جى بى إس» التى يمكن استعمالها كهاتف أو لاسلكى عبر القمر الصناعى، لكن هذه الأجهزة محدودة وموجودة أساسا لدى ضباط أمن الدولة فقط، فتم توزيع أعداد محدودة منها على رؤساء المجموعات وضباط الاتصال فقط، وتوالت الأحداث بعد ذلك سراعا.

أول الإخطارات التى وردت للقيادات الأمنية كانت بخروج نحو ألف وخمسمائة متظاهر من مسجد الفتح فى رمسيس وأنه تم فرض «كردونات» أمنية حولهم. ثم إخطار ثان- كما يقول أيمن الذى كان يسمع هذه الإخطارات بنفسه على الأجهزة الموجودة لدى الضباط - بخروج نفس العدد تقريبا من مسجد الأزهر وتوجههم نحو شارع بورسعيد ومقر مديرية أمن القاهرة، وأن قوات الأمن المركزى تتعامل معهم. وإخطار ثالث بوجود ألفين وخمسمائة شخص من الإخوان فى مسجد النور بالعباسية وأنهم يستعدون للخروج.

ويقول أيمن انه حتى ذلك الوقت «كانت المسائل تحت السيطرة» لكن بداية الانزعاج الذى لاحظه على وجوه الضباط كان عند تلقى إخطار بخروج كتلة مكونة من خمسة آلاف شخص أمام مقر الجامعة العمالية فى مدينة نصر، وكان الرقم كبيرا وغير متوقع، لاسيما أنه معروف أن هذه الكتلة فى مدينة نصر هى للإخوان المسلمين.

وعندئذ تم توجيه قوات إضافية إلى ذلك الموقع للتعامل مع هذه الكتلة، بعد سحب قوات من شوارع مكرم عبيد ومصطفى النحاس وعباس العقاد، لكن هذه الكتلة تحركت نحو مسجد رابعة العدوية لتلتقى هناك نحو ألفين وخمسمائة شخص آخرين كانوا عند المسجد، ولاحظ أيمن الوجوم على وجوه الضباط، خاصة أن الإخطارات بدأت تتوالى خلال حوالى نصف ساعة فقط بخروج أعداد كبيرة بالألوف، منهم ٤آلاف فى منطقة المطرية، و٥آلاف عند مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة.

كانت تعليقات الضباط - كما يقول أيمن-على هذه الإخطارات عبارة عن

تساؤلات «أيه الآلافات دى؟ فين ال٥٠٠ و٦٠٠ ؟» التساؤلات كانت تصب فى تساؤل رئيسى، وهو أنه كيف سيتم التعامل مع كل هذه الآلاف واستيعابها والسيطرة عليها؟ ويوضح أيمن أنه من المعروف فى التقديرات الأمنية أنه لابد من وجود ٣ أفراد شرطة لكل متظاهر، فكيف سيمكن توفير قوات للتعامل مع كل هذه الآلاف المؤلفة ؟!

وتوالت المفاجآت المؤلمة للضباط حيث ورد إخطار بأنه تمت سرقة أحد أجهزة «جى بى إس» اللاسلكى من أحد الضباط، وهو ما كان يمثل كارثة، لأن ذلك يعنى أن كل تحركات القوات ستكون مكشوفة ومعروفة مسبقا للمتظاهرين، وهنا سارع ضباط أمن الدولة بالعمل سريعا على معرفة اسم الضابط الذى سرق منه الجهاز، حتى يتم تعطيل الشفرة الخاصة به، وبعد قليل، جاء أحد الضباط ليؤكد أنه تم تعطيل شفرة الجهاز بالفعل وأنه لم يعد يعمل.

بعد ذلك بدقيقتين تقريبا طلب اللواء اسماعيل الشاعر تحديد موقف مايحدث فى مدينة نصر، ولكن جاءت الإخطارات تكشف أن المجموعات فى مدينة نصر قد تلاقت مع بعضها لتشكل مجموعة كبيرة قوامها حوالى عشرة آلاف متظاهر وأنهم فى اتجاههم إلى منطقة عمارات العبور.

يقول أيمن أن ذلك كان مفجعا، بسبب قرب المنطقة للغاية من نفق العروبة ومقر قصر الرئاسة، ويضيف قائلا : «فى تقديرى كان ده بداية الانهيار».

عندئذ قامت قوات الحرس الجمهورى على الفور بعمل كردونات حول قصر العروبة الرئاسى، بينما أخذت الشرطة تفكر فى كيفية مواجهة هذه المجموعة الضخمة، فتم الاتصال باللواء أحمد رمزى مدير الأمن المركزى الذى لم يكن موجوداً يوم ٢٨ يناير فى ميدان التحرير، حيث قال الضباط أنه كانت لديه مسئوليات أخرى وهى المواجهة مع المتظاهرين فى جميع المحافظات الأخرى، أو كما قال الضباط أنه كان «عنده ليلة كبيرة».

أصدر اللواء رمزى تعليماته بسحب كل قوات الأمن المركزى الموجودة فى مدينة مصر لتتجه إلى منطقة نفق العروبة وقصر الرئاسة، ويقول أيمن انه يشك فى أن أعداد القوات التى توجهت إلى هناك كانت تكفى لمواجهة ١٠ آلاف متظاهر (وفقا لقاعدة ٣ جنود لكل متظاهر)، ويضيف أن أصوات المواجهات وطلقات تفريغ الهواء والقنابل المسيلة للدموع كانت ترد واضحة فى مدينة نصر عبر أجهزة اللاسلكى.

وبداية التوتر فى ميدان التحرير، كانت حوالى الساعة الثانية والنصف ظهرا، حيث اندلعت اشتباكات متعددة وكثيرة فى محيط مناطق وسط البلد وميدان عبدالمنعم رياض وكوبرى قصر النيل، وتم القبض على أعداد من المتظاهرين وإيداعهم سيارات الترحيلات وسيارات ميكروباص أخرى.

ويقول أيمن فاروق أنه فى حوالى الساعة الرابعة إلا ربع عصرا حدثت أول محاولة لاقتحام أقسام الشرطة وكانت فى قسم البساتين، وبعد خمس دقائق ورد إخطار يؤكد أن المتظاهرين نجحوا فى اقتحام القسم وتهريب المحتجزين، ثم إخطار أخير بإحراق القسم، وبعدها إخطار جديد باحتراق نقطة شرطة نجدة شرق القاهرة فى المطرية وبداخلها ١٤ سيارة نجدة، ثم احتراق قسمى المطرية والزيتون.

وحوالى الساعة الرابعة والنصف عصرا كانت أقسام كثيرة قد احترقت، وبدأت ملامح الضباط تتغير، كما يقول أيمن، ويضيف أن اللواء اسماعيل الشاعر جمع عندئذ سيارات الميكروباص التى تضم المتظاهرين الذين ألقى القبض عليهم، وأمر بانصرافهم، ويبدو أنه كان قد شعر بأن الانهيار أصبح حتميا.

ويقول أيمن أن آخر الإخطارات التى سمعها كانت من مأمور قسم السيدة زينب حيث كان يخاطب الشاعر قائلا « يافندم العدد كبير جدا علينا وإحنا مش قادرين نقاوم» وبعدها تقرر إطلاق الأعيرة الحية فى الهواء، ولكن الاشتباكات أصبحت تقترب من آخر كردون أمنى يحيط بميدان التحرير.

ويضيف أيمن أن آخر المشاهد كانت حوالى الساعة الخامسة إلا عشرة دقائق عندما جاء عميد من قوات الأمن المركزى لإخطار اسماعيل الشاعر بقرب نفاد الذخيرة (المتمثلة فى طلقات تفريغ الهواء والقنابل المسيلة للدموع) وقال إنه أمامه خمس دقائق فقط ولن يستطيع الاستمرار فى المواجهة بعدها، كما أن بعض أجهزة اللاسلكى بدأت تفرغ من طاقتها حيث أصبحت تحتاج إلى شحن!

وكان هناك حوالى ١٤ ضابط شرطة فى قلب الميدان بينهم الشاعر واللواء أمين عز الدين مدير مباحث القاهرة الذى قال لضابط الأمن المركزى ردا على كلامه قائلا: «يعنى إيه؟ حتسيبونا كده؟ ده إحنا حتى مش معانا أسلحتنا الشخصية! » ، وسأل أمين عز الدين مساعديه عن القوات التابعة للمديرية

والمباحث الجنائية، فرد الضباط عليه بأنها توجهت إلى السيدة زينب.

وكان عدد الجنود الذين يحيطون بالضباط لايزيد على ٤٠ جنديا، وعندئذ قال الشاعر مخاطبا الضباط «كل واحد يجيب خشبة ولا حاجة يدافع بيها عن نفسه! » وبالفعل راح الضباط يحاولون تكسير الخشب الموجود بجوار المسجد الصغير، وهنا خاطبتهم سيدة فى إحدى الشرفات مستغربة ما يفعلون قائلة: «انتم بتعملوا إيه؟! »

ويقول أيمن أن الضباط أخذوا يتجهون إلى الشوارع الجانبية هربا من الميدان، بينما شاهد إسماعيل الشاعر يدخل مبنى الجامعة الأمريكية، وبدأت مجموعات الأمن المركزى التى تحاصر الميدان تتراجع وتترك مواقعها وتهرب من أمام المتظاهرين، حيث وقع الانهيار الأخير.

# مكالمة المساء

## صفوت الشريف يتحدث: «الأزمة بتنكسر»

## السبت ٢٩ يناير

خرجت من منزلى فى المعادى الساعة الثانية عشرة ظهرا متوجها إلى «الأهرام» ، رغم أن اليوم هو أجازتى الرسمية لكن من الذى يمكنه أن يجلس فى بيته فى هذه الظروف؟ فى الطريق لم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء عندما رأيت آثار تكسير واحتراق فوق كوبرى المنيب. وعندما وصلت إلى شارع البحر الأعظم توقف المرور، وبعد قليل شاهدت أتوبيسين خاليين من الركاب يقطعان الطريق أحدهما نزع منه الباب الخاص بالسائق، ولم يكن ممكنا إلا مرور سيارة أو سيارتين متجاورتين على أقصى تقدير، ثم شاهدت دبابتين عند السفارة الإسرائيلية على الكورنيش وأخريين عند السفارة الروسية بعدها.

أول ظهور لقوات الشرطة أمامى كان على الكورنيش عند مستشفى الشرطة بالعجوزة حيث وقفت حوالى ٢٠ سيارة من سيارات الأمن المركزى، وفوق كوبرى ١٥ مايو شاهدت عددا آخر من سيارات الشرطة، وفى الموقفين ظهر عدد من الضباط يقفون على استحياء، لا يفعلون شيئا.

القاهرة بدت مرهقة.. منهكة.. قلقة.. على وجهها مشاعر العبوس.. الغاضب، الخائف، المتردد.. الكل ينظر إلى الآخر دون اطمئنان كامل.. متى كان المصريون يخافون من بعضهم البعض؟! أكان لابد ياوطنى؟ أكان لابد؟!

عند وصولى إلى مبنى «الأهرام» وجدت تجمعا من الناس أمام دبابة تقف عند باب المؤسسة، وعلمت أن الناس قد أمسكوا بأحد اللصوص الذى كان يسرق من مجمع محاكم الجلاء المجاور، وأحضروه للضابط الموجود فى الدبابة، باعتبار أن هذه الدبابة هى السلطة الوحيدة الموجودة فى الشارع، تم إدخال اللص إلى الدبابة، ولم يعرف أحد بعد ذلك ما حدث، البعض قال إنهم سوف يطلقون سراحه بعد فترة قصيرة بلا شك!

فى كافتيريا الجريدة، ومن خلال المناقشات مع الزملاء، علمت أن أعمال نهب كبيرة طالت المحلات التجارية فى مبنيى كارفور بالمعادى وأركاديا على كورنيش النيل، ومن خلال المناقشات أيضا بدا أن سؤال الوقت هو.. ماذا سيفعل الجيش مع المتظاهرين؟ وكيف سيتم تطبيق حظر التجول فى الشارع بعد الساعة الرابعة عصرا؟ كيف سيتم فرض ذلك؟ أحد زملائنا قال إنه سأل ضابط شرطة صغيرا من أقاربه فرد عليه بأن (الجيش سيتعامل)، قال له زميلنا: لكن الجيش لن يضرب فى الناس، فسكت الآخر ولم يرد.

فى الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهرا دخل أسامة سرايا صالة التحرير وجلس على مائدة الدسك المركزى وتحدث قائلا: «ح نمر بمرحلة انعدام للأمن كبيرة جدا مش حيقدر عليها حد، علشان كل الحيوانات اللى هيأوا البلد للسفالة دى يدفعوا الثمن».

ثم نظر إلى حازم عبدالرحمن مدير التحرير ورئيس الدسك المركزى وقال له: «وعشان انت بتضحك كده ومبسوط حتشوف إنك مش حتعرف بعد كده تكتب كلمة من اللى انت بتكتبه، وحتندموا عشان انتم بتتبطروا، شوفوا بقى».

سرايا كان فى الحقيقة ينتقد ما يعتقد أنه شعور داخلى لدى حازم بالسعادة لما يجرى.

حازم عبدالرحمن هو بحكم منصبه الرجل الثانى فى الجريدة بعد سرايا، ويمكن اعتباره بمثابة رئيس التحرير التنفيذى، الذى يمارس العمل بشكل مباشر مع الأوراق المكتوبة والموضوعات بنفسه، ويحتك بالمحررين بشكل يومى، وهو ينفذ المطلوب منه بدقة فى ضوء ما يعتبر أنه سياسة الجريدة التى لا يمكن أن تتصادم مع النظام، وكنت أشعر فى بعض الأحيان أثناء تلقى تعليماته حول ما ينبغى نشره أو إبرازه، وبأى وسيلة وأى صياغة، أنه كان حلقة فى سلسلة قصيرة للغاية تولت توصيل هذه التعليمات لى ، بدءًا من رئيس الجمهورية ثم شخص ما فى مؤسسة الرئاسة ممن يتولون توصيل تعليماته، ثم سرايا، وحازم فقط لا غير، أقسم أننى كنت أشعر فى بعض الأحيان أننى أستمع إلى تعليمات مبارك نفسه على لسان حازم، خاصة فيما يتعلق بالموقف من إيران وضرورة صب اللعنات عليها قدر الإمكان، وفى المقابل من كل ذلك فإن حازم شخص دمث الخلق شديد الأدب مع المحررين، وهو مثقف، إذا دخلت مكتبه لابد أن تلفت نظرك عناوين الكتب فى مكتبته باللغتين العربية والانجليزية، له موقف

خاص من الحرية حيث يبالغ كثيرا فى تقديرها والاحتفاء بها !

والمبالغة عموما هى - من وجهة نظرى - أحد مفاتيح شخصية حازم عبدالرحمن، فعلى الرغم من أدبه الجم حذار أن تقع تحت يديه إذا ما استحكم عقله وفهم شيئا ما بشكل ما خاطئ ، وهو صحفى ماهر بالطبع!

حازم رجل يميل إلى الطول، معتدل القامة، حسن الملامح، له عينان صغيرتان، أصلع، لكن لديه كتلتين بارزتين من الشعر على جانبى رأسه، كنت أشعر أنهما تزدادان بروزا إذا ما غضب، وهو فى منتصف الخمسينات من العمر.

حازم رد على انتقاد سرايا وهو يضحك قائلا: «أنا مش بأضحك»!

وسأل أحد الزملاء أسامة سرايا معلقا على حديثه عن فقدان الأمن قائلا: «احنا نعمل ايه؟ نحمى أولادنا أزاى؟» رد سرايا: «أهه عند «الأهرام» حطوا دبابة لأننا نعتبر من الأماكن الحيوية، فما حدش حيدخل علينا».

عاد زميلنا ليسأل: «طب وأولادى أحميهم إزاى فى البيت؟» رد سرايا: «احميهم بنفسك، ولما يطلع عليك حد من الناس، اديله ٥٠ جنيه وقل له معلش، الناس حتطلع على أصحاب العمارات والشقق اللى بالملايين».

وفى النهاية قال سرايا وهو يغادر إلى مكتبه: «بالنسبة للشغل عايزين نكون كويسين وهاديين واحنا أحسن من كل الجرايد»، رد زميلنا: «الفارق كبير بيننا وبين الأخبار والجمهورية» ، رد سرايا سريعا: «والمصرى اليوم.. والشروق».

فى حوالى الساعة الثانية ظهرا نزلت من «الأهرام» مع زميلىّ الشابين أحمد هوارى الذى يعمل معى فى قسم الشئون العربية ومحمد المراكبى الذى يعمل فى مجلة الشباب التابعة لمؤسسة «الأهرام» ، وهما من الجيل التالى لجيلى، أى أنهما فى أواخر العشرينات من العمر وكلاهما لم يتم تعيينهما بعد بشكل رسمى.

توجهنا جميعا إلى ميدان التحرير، وفى الطريق علمت من المراكبى أنه كان يعمل بالأمس فى التغطية الصحفية للمظاهرات للموقع الإلكترونى لمجلة الشباب المعروف باسم (بوابة الشباب)، وأن موقعه كان عند مسجد الفتح فى ميدان رمسيس، وقال أنه شهد بنفسه كيف كان المتظاهرون فى البداية عقب صلاة الجمعة يقفون مرددين هتافاتهم مع التأكيد على أنها (سلمية.. سلمية)

ولم تكن هناك مشاكل لكن بداية المواجهات جاءت عندما أطلق ضابط برتبة صغيرة قنبلة مسيلة للدموع وعندئذ وبخه ضابط آخر رتبته أكبر ولكن من قطاع آخر فى وزارة الداخلية قائلا إنه لم يطلب منه ذلك إلا أن الأول رد عليه بقوله: «الأوامر اللى عندى أنى أضرب».

وحول ملابسات الانسحاب المفاجئ للشرطة قال المراكبى أنه علم من ضابط صغير فى الأمن المركزى ( كان زميلا له فى المدرسة) أنه قبل الانسحاب كانت هناك حالات تذمر لدى جنود الأمن من الأوامر بإطلاق الرصاص المطاطى والغاز المسيل للدموع لا سيما مع طول فترة المواجهات وعدم انصراف المتظاهرين بالإضافة إلى توالى سقوط الإصابات والوفيات، حتى أن بعض الجنود رفض تنفيذ الأمر بمواصلة الضرب وخلع بعضهم من أبناء الصعيد والريف خوذته ورماها على الأرض قائلين فى حالة عصبية (إحنا اللى قتلناهم.. إحنا اللى قتلناهم)! قالوها بلهجتهم العامية (جتلناهم) وأضاف المراكبى أن ذلك ربما يكون أيضا سببا فى انسحاب الشرطة إلى جوار مسألة انتهاء الذخيرة لديهم مثلما قلت له أنا.

واصلنا مسيرتنا فى شارع الجلاء حتى وصلنا إلى ميدان عبدالمنعم رياض وبدأت أرى بعينى مشاهد سيارات الشرطة التى كان واضحا أنها ظلت مشتعلة لفترة طويلة حتى أتت عليها النيران تماما ولم يبق منها سوى هياكلها (الشاسيه). ومع تكرار هذه المشاهد لفتُّ نظر أحمد هوارى اليها متعجبا إلا أنه رد علىّ بهدوء بقوله: «كل ده كان امبارح لسه مولع!» (أى أنه لم يفاجأ بهذه المشاهد مثلى) أحرجنى رده نوعا ما من نفسى لأننى لم أكن موجودا فى اليوم الأول.

لاحظت أن هوارى يسبقنا مع زميل أخر انضم لنا، هو محمد جميل، واننى والمراكبى نحاول اللحاق بهما ولا ننجح، طلب هوارى أن نكون معا كمجموعة واحدة حتى لا نتفرق، وهنا قلت له:«انتم اللى بتجروا إحنا ما عندناش صحة»، فضحك إلا أنه استمر فى تقدمه.

التقينا بأولى المظاهرات وكانت مقبلة من شارع رمسيس نحو ميدان عبدالمنعم رياض. بدأ هوارى فى تصويرها بتليفونه المحمول حتى وصلت المظاهرة إلى مكاننا وعندها وجدت هوارى يهتف مع الهاتفين ويرفع يده وهو يهتف، لفت نظرى تصرفه لكنه تكرر مع مظاهرات أخرى رأيناها. فكرت قليلا ثم قلت لنفسي أنه من الطبيعى أن يفعل هوارى ذلك.

أحمد شاب من أولئك الذين يمكن أن تقول عنهم أنهم «شباب زى الورد». يبهرك أول ماتراه بأدبه الجم ثم يصعقك عندما تعرفه أكثر بإمكانياته البشرية (إذا صح التعبير) فهو صحفى من الطراز الأول، صحفى حقيقى، ليس بالبطاقة الصحفية مثل عشرات الصحفيين، وهو يجيد الكتابة الصحفية، محترف فى استخراج العناوين، وأديب حقيقى يكتب القصة القصيرة، لا كمجرد خواطر إنسانية كالتى يسطرها بعض الأدباء، يعرف اللغتين الانجليزية والإيطالية بشكل معقول، فهو خريج كلية (الألسن)، والأهم من ذلك وقبله اللغة العربية الفصحى. ومع كل ذلك فإن هوارى مازال يتدرب فى «الأهرام» منذ حوالى ٥ سنوات ولم يتم تعيينه، بل بدأ الحصول على مكافأة شهرية منذ أشهر قصيرة، وهو متزوج ولديه ولد اسمه (يوسف).

من إذن سيخرج فى المظاهرات إذا لم يفعل ذلك هواري؟!

أحمد متوسط الطول يميل إلى القصر، قمحى اللون، ممتلئ الجسد نوعا ما، رأسه على شكل مثلث قاعدته لأعلى.

«الشعب والجيش إيد واحدة.. الشعب والجيش حيكملوا المشوار».. تعالت هتافات المتظاهرين عند مرورهم بجوار أول دبابة يقابلونها فى ميدان التحرير بجوار سور المتحف المصرى وصعد البعض ليرقص ويهتف على ظهر إحدى الدبابات وطلب منهم الجنود بهدوء أن يتوقفوا عن ذلك (لما فى الأمر بالطبع من إخلال بوقار العسكرية)، لكن تكرر الأمر، ولم يلتزم المتظاهرون كثيرا، ولم يقم الجنود إزاء ذلك سوى باستمرار منع المتظاهرين «بهدوء»، لكن السؤال المهم الآن هو.. كيف سيتصرف الجيش؟ مع من سيكون؟ الشعب أم النظام؟

ذلك هو السؤال الكبير لكن أولى الدلائل والمؤشرات على إجابة السؤال كان من الممكن استخلاصها خلال ساعة واحدة فقط من خلال التعرف علي إجابة سؤال آخر هو.. كيف سيتصرف الجيش ليفرض حظر التجول المقرر بدؤه فى الرابعة عصرا؟ هل سيطلق الرصاص بعدها على المتظاهرين ليفرض الحظر بالقوة؟ لا يمكن، ليس هناك ما يدل على ذلك، لكن كيف سيطبق الحظر؟ بالأمس بدأ حظر التجول الساعة السادسة بعد العصر واليوم تم تقديم موعده ساعتين لتصبح بدايته فى الرابعة عصرا.. الأمر جاد إذن فكيف سيتم تطبيقه؟ أحد التحليلات ذهب إلى أن الجيش لن يطلق الرصاص على المتظاهرين لكنه سوف يدعوهم إلى فض الاعتصام ثم يقوم بإلقاء القبض على

كل من لم يستجب منهم للأمر بإدخاله فى سيارات كبرى والقبض عليهم.. كان ذلك تحليلا لكن ما بدا كمعلومة هو ما قاله المراكبى عندما نقل عن صحفى كبير فى مجلة الشباب قوله إن مصدرا فى المخابرات أخبره بأنه لابد من الالتزام بمسألة حظر التجول لأن الجيش سيتولى تطبيقه بكل حزم، ولذا فإن هذا الصحفى نقل للمحررين فى المجلة هذه المعلومة حتى يلتزموا بها فى أثناء تغطيتهم للأحداث.

الساعة الآن هى حوالى الثالثة عصرا.. وسوف يتضح كل شىء خلال ساعة واحدة.. وخلال هذه الساعة رحت أراقب المتظاهرين أنفسهم وجدت أن غالبيتهم كما توحى مظاهرهم من الطبقة المتوسطة بشرائحها المختلفة بالإضافة إلى طلاب جامعيين وحرفيين ومثقفين وغيرهم، لم يكونوا أبدا مجموعة من الرعاع كما قيل، لا يمكن أن يكون المخربون من هؤلاء، لاحظت اختلاط روائح العطر الحريمى المثيرة بروائح العرق شبه السامة!

لقد رأيت هؤلاء وأولئك من قبل.. أعرفهم.. ليسوا غرباء عنى.. وقد تنوعت وسائلهم فى التعبير ما بين رفع اللافتات القماشية أو اللوحات الورقية.. الوقوف أو السير أو حتى افتراش الأرض والجلوس فى منتصف الطريق، ولم تبتعد روح الدعابة عن المصريين كعادتهم إذ ظهر أكثر من شخص يحمل كل منهم بطاقة حمراء ويرفعها لأعلى (فى استلهام لما يفعله حكام كرة القدم عندما يطردون لاعبا بإشهار الكارت الأحمر فى وجهه).

صور ومشاهد المتظاهرين لا توحى بحال من الأحوال أنهم يمكن أن ينصرفوا بعد ساعة واحدة.. ولو بالقوة.. والأهم من ذلك هو أننى عندما تفحصت المتظاهرين وسلوكهم بشكل عام ترسخت لدي قناعة بأن هؤلاء لن يتوقفوا عما يفعلون إلا فى حالة واحدة هى (رحيل مبارك).. تلك هى الحالة الوحيدة فقط لاغير.. لم يكن هناك أى صدى لما أعلنه الرئيس فى الساعة الأولى فى صباح ذاك اليوم (بعد منتصف ليلة أمس) حول إقالة الحكومة وتشكيل حكومة جديدة.. ربما كان الصدى الوحيد الذى لمسته لذلك هو أن المتظاهرين قد حولوا هتافهم من (الشعب.. يريد.. إسقاط.. النظام) ليكون (الشعب.. يريد.. إسقاط.. الرئيس)!

كم هم حاسمون.. واضحون فيما يطلبون.. لا يرضون بديلا لرحيل حسنى مبارك، لا سيما بعد كل ما عانوه فى التظاهر والمواجهة مع الشرطة على مدى عدة أيام بدءا من يوم ٢٥ يناير واذا كان كل هذا قد أنتج مكسبا مثل مكسب

إقالة الحكومة.. فلماذا لا يتم الاستمرار ومواصلة الطريق إلى النهاية؟! كان ذلك ما يقضى به منطق الأمور من وجهة نظرى وهو ما تأكدت من صحته عندما وقفت بين المتظاهرين ورأيتهم عن قرب.. والحق أننى لم أفهم كيف لم يدرك الرئيس مبارك ذلك، فهؤلاء ليس لديهم ما يخسرونه من جديد، كيف لم يدرك مبارك أن مسألة إقالة الحكومة ستأتى برد فعل عكسى لما أراده من خلالها؟ كيف ظن أن إعلانه عن تغيير الحكومة مع بقائه على رأس النظام يمكن أن يعتبره المتظاهرون (مكسبا نهائيا) يتوقفون عند حدوده؟

لقد انكسر الحاجز النفسى الذى طالما منع المصريين من الخروج ضد الحاكم الظالم، وهاهم يلمسون بأيديهم أولى بشائر النصر، بعد أن تمكنوا من هزيمة صلف القوة الذى مارسته الشرطة طويلا ضدهم، فهل يمكن بعد كل ذلك أن يكتفى هؤلاء بإقالة الحكومة؟! كيف حسبها مبارك ومستشاروه؟! لا أعرف!

ولم أعرف أيضا.. على الرغم من كل ذلك.. لماذا لم أهتف مع الهاتفين مثل هواري؟!

تعددت احتمالات الإجابة فى داخلى، لكن لم يكن بين الاحتمالات هو أننى أقف ضد هذه الثورة بأى حال من الأحوال، فقد كنت بالطبع مؤيدا لها كحال معظم المصريين من غير المنتفعين باستمرار النظام السابق أو أولئك المترددين غير المصدقين أو الذين ابتلعهم بحر الخوف منذ زمن فغرقوا داخله، ولم تتقذهم أمواج الثورة الأخيرة أو ترسو بهم على شاطئ، فقد كان هؤلاء المنتفعون - وأولئك المترددون والمرتعشون - على كل حال.. قلة لم تندس وسط جموع الجماهير الحاشدة!

لماذا لم أهتف مثل هوارى إذن؟!

احتمالات الإجابة - فى تفكيرى - شملت أننى ربما اعتدت على أن أكون صحفيا يقوم بتغطية حدث ما، مع المحافظة على انفصاله عن الحدث فى أثناء التغطية، بأن أكون مراقبا لما يحدث لا جزءًا منه.. لكن الحدث هنا استثنائى، يحتمل الأمرين ، المشاركة فيه وتغطيته صحفيا.. لكننى لم أفعل.. ربما أيضا لأننى لم أتعود المشاركة فى هذا النوع من العمل السياسى «الحركى» فلم أشارك فى حياتى فى مظاهرة تقريبا فيما عدا مظاهرة واحدة عام ١٩٩٢ فى جامعة القاهرة عقب حادث اغتصاب فتاة العتبة، أى أنها كانت أقرب إلى التظاهر لسبب اجتماعى لا سياسى.

لم أعتد العمل الحركى، فقد كان اهتمامى ينصب على الأفكار النظرية، أو ما يمكن تسميته بأنه عمل سياسى فكرى أو نظرى، ببحث الأفكار السياسية المختلفة، بل وبحث السياسة فى حد ذاتها كفكرة، وصولا إلى القناعة بأفكار سياسية محددة كخطوة أولى أساسية، يأتى بعدها فى مرحلة تالية الاهتمام بنشر الفكرة والدفاع عنها «حركيا».

على كل حال.. قلت لنفسى فى النهاية قولا يرضينى وهو أننى كنت أهتف بالفعل مع الهاتفين.. لا بصوتى.. وإنما من خلال هذين الكشافين المحمولين لدىّ ، عينىّ، وهاتين السماعتين على جانبى رأسى، أذنىّ، لأهتف فى النهاية بطريقتى الخاصة عبر نقل ما أراه وأسمعه بقلمي! فمن قال إن ذلك ليس هتافا؟!

سرنا نحو شارع باب اللوق، لاحظنا حركة غريبة فى الشارع، أناس يركضون قادمين نحو التحرير ويمنعون كل من يريد دخول الشارع فى اتجاه باب اللوق، لماذا؟ بدأت تظهر مشاهد أشخاص يحملون آخرين ويركضون بهم في اتجاه أحد الشوارع الجانبية، ذهبنا إلى هذا الشارع وجدنا مصلى صغيرا قام الأطباء والمتطوعون بتحويله إلى ما يشبه مستشفى ميدانى لعلاج الجرحى، داخل المصلى وجدنا أكثر من شخص أصيب برصاص حى ويجرى علاجه، علمنا أن قناصة من الشرطة يعتلون سطح مبنى وزارة الداخلية حيث يقومون بإطلاق الرصاص الحى على المتظاهرين الذين يحاولون اقتحام المبنى، بدت الشرطة كأنها تدافع عن حصنها الأخير المتمثل فى مبنى الوزارة.

وفجأة ووسط كل الهرج الذى صاحب إدخال المصابين إلى المصلى، شقت الصرخات عنان السماء، مات أحدهم، لفظ أنفاسه، استسلم جسده فى النهاية للرصاص، وشخص بصره للمرة الأخيرة متطلعا إلى حياة أفضل، وفى لحظات أصبح يحمل لقب شهيد.. وبعد لحظات أصبحا شهيدين.. تلك إذن هى ضريبة الدم يا وطنى.. تلك هى ضريبة الدم! (١)

رأيت أشخاصا داخل المصلى يصطحبون مصورين أجنبيين لتصوير

---

(١) كتبت هذه الكلمات وفقا لمشاعرى وقتها، لكن ما يمكن قوله الآن، هو أنه لا شك أن من الإجرام أن يقف قناصة ليطلقوا الرصاص الحى على الناس، لكن هل كان من الصواب أن يفكر المتظاهرون فى اقتحام مبنى وزارة الداخلية؟ ولأى هدف؟

الشهيدين، وأمام اعتراض البعض، ردوا قائلين : «دول أجانب».. ماذا لو انكشف أمرنا وعرف من حولنا بأننا صحفيون فى جريدة قومية؟!

والآن.. ما العمل؟ يوجد بجوارى شهيدان لفظا أنفاسهما للتو وأنا أقف متفرجا.. ماذا أفعل؟ تذكرت قناة «الجزيرة»، ورد اسم مراسلتها دينا سمك على ذهنى وكنت أعرفها جيدا حيث كانت تعمل فى «الأهرام» من قبل، ولكن سرعان ما تذكرت أن دينا تتولى تغطية المظاهرات فى السويس، وشاهدت لها أكثر من تقرير متميز خلال اليومين الماضيين، ما العمل؟ تذكرت فى الحال حديث زميلنا محمد البرغوثى حول معرفته لمدير مكتب الجزيرة فى القاهرة عبدالفتاح فايد، فاتصلت به على الفور وقلت له إننى الآن أقف أمام خبر صحفى أنا مسئول عن صحته وهو أن شهيدين قد لفظا أنفاسهما فى الحال وسط ميدان التحرير، طلبت منه نقل الخبر للجزيرة لإذاعته، وقد سمعنى هو باهتمام شديد، وأخبرنى أنه سيتصل بفايد.. شعرت وقتها بأننى أجريت عملا صحفيا يسمح لى بشىء من الفخر!

نظرت إلى الساعة فوجدتها قاربت الخامسة عصرا أى أن حظر التجوال قد دخل حيز التنفيذ منذ ساعة كاملة، واصلت سيرى مع رفاقى عائدين إلى الجريدة بصعوبة، محاولين أن نتلمس طريقا وسط الحشود.. التى لم يوقف قرار الحظر تجولها!

وفى كافتيريا المؤسسة التى وصلنا اليها حوالى الساعة الخامسة والنصف عرفنا أنه تم تعيين عمر سليمان رئيس جهاز المخابرات العامة نائبا لرئيس الجمهورية.

ولكن جاءت الساعة السادسة مساء لتحمل لى المكالمة الصدمة، إيناس زوجتى اتصلت بى وهى تصرخ مذعورة وأخبرتنى بأنها تسمع بجوار المنزل أصوات إطلاق رصاص وأنها سمعت أيضا أن أشخاصا يقتحمون البيوت على من فيها فى ظل عدم وجود شرطة و.. وفى لحظات شعرت أن واجبى الآن هو العمل على حماية أمنى الشخصى بمعنى حماية بيتى وأفراد أسرتى، ووددت لو ظللت لأتابع «العمل العام» الذى أقوم به لكن الآن أصبح الواجب هو الأمن الخاص، نزلت من «الأهرام» مندفعا، وعند بوابتها التقيت بمحمد البرغوثى عائدا من الخارج، بادر بإخبارى بأن قناة الجزيرة أذاعت الخبر بالفعل وأن عدد الشهداء أصبح ثلاثة وليس

شهيدين فقط، وقال أيضا أن الجماهير فى الميدان هتفوا مطالبين عمر سليمان بعدم قبول منصب نائب الرئيس.

وصلت إلى جراج الترجمان لأخذ سيارتى لكننى فشلت فى دخوله، حيث شاهدت أشخاصا يحاولون اقتحام الجراج والمركز التجارى من الخارج، بينما يقف العاملون بهما فى الداخل وفى أيديهم العصى لمنع المهاجمين. فشلت فى دخول الجراج وعدت إلى الجريدة مرة أخرى عاجزا عن فعل شىء. ظللت أتصل بزوجتى للاطمئنان لكن ردودها لم تزدنى إلا قلقا، وبعد قليل قال أحد الزملاء أن البلطجية تمكنوا من إحراق مبنى الترجمان.. أدركت أننى قد فقدت سيارتى، فكرت قليلا وشعرت بصدق أنه فى ظل ما نحن فيه فإن احتراق السيارة أقل بكثير من ضريبة الدم التى دفعها البعض، لم أستطع الانتظار فى الجريدة تاركا أسرتى وقتا أطول من ذلك، نزلت ونطقت الشهادتين فى طريقى إلى مبنى الترجمان، لم أجد أى بلطجية خارجه، ونجحت فى الدخول بسهولة إلى الجراج لأجد السيارة كماهى ولأكتشف أنه لا صحة لإحراق المبنى كما قال زميلنا.. فى أى وقت يمكن أن تنتشر الشائعات إذا لم تنتشر الآن؟!

اصطحبنى أحد العاملين للخروج من البوابة الخلفية للجراج، وسلكت شارع السبتية لكننى وجدت مجموعة من الشباب يحملون عصيًا يأمروننى بالتوقف.. وقفت ونظروا إلىّ ثم فتحوا الطريق ولم أفهم شيئا، سلكت شارع الجلاء ثم الكورنيش الذى وجدته خاليا لكننى فوجئت بمظاهرة تأتى فى الاتجاه المواجه لى بعد السفارة الإيطالية وفندقى (ماريوت) و (فورسيزونس)، لم أجد بدأ من الدوران والعودة فى الاتجاه المعاكس ووصلت معاكسا إلى مبنى الحزب الوطنى المحترق وكانت تقف أمامه سيارتان محترقتان، لم أدر إلى أى اتجاه أسير، سلكت شارع رمسيس ثم عبدالخالق ثروت، وكانت مشاهد سيارات الشرطة المحترقة تتوالى أمامى، فضلت عدم المرور عبر نفق الأزهر وصعدت فوق الكوبرى متوجها إلى طريق صلاح سالم حيث وجدت أشخاصا يستقلون دراجات نارية حاملين فى أيديهم أسلحة بيضاء وسيوف، شعرت بالخوف وواصلت السير بسرعة.

وقبل كوبرى السيدة عائشة وقفت فى نقطة كمين للشرطة العسكرية، قلت لهم إننى صحفى وأننى فى طريقى إلى منزلى، طلبوا فتح حقيبة السيارة ففعلت، ثم قال لى أحدهم «معلش يا باشا» وطلب منى أن أعود لأسلك طريق

الأوتوستراد لا صلاح سالم، فعلت وعند مدخل المعادى فى طريق الأوتوستراد وجدت أشخاصا يغلقون الطريق وفى أيديهم أسلحة، فواصلت السير حيث صعدت إلى كوبرى طرة للوصول إلى الكورنيش، وهناك وجدت عددا من الدبابات فشعرت بالأمان بعض الشىء، واصلت السير إلى منزلى حتى وصلت بالفعل، وفهمت سبب وقوف تلك التجمعات المسلحة فى بعض الأماكن عندما وجدت أبناء شارعنا، مصر حلوان الزراعى، يقفون أمام العمارات، وأمام عمارتى وجدت الشباب من جيراننا يقفون حاملين العصى فى أيديهم للحراسة، وبينهم شقيقى مدحت (٢٣ سنة)!

صعدت إلى المنزل واطمأننت على زوجتى وطفلىّ:حازم وحلا، وأجريت بعض المكالمات بالأصدقاء فى القاهرة والإسكندرية وبورسعيد وكانت المشاهد واحدة تقريبا، لكننى علمت أن صديقى أمجد حنفى الموظف بالتليفزيون قد تم كسر زجاج سيارته على كوبرى المنيب أمس عند عودته من منزل والدته بالدقى إلى منزله بالمعادى، حيث طلب منه عدد من الشباب المسلحين أن يقف بالسيارة إلا أنه لم يفعل فتمكن أحدهم من كسر زجاج السيارة بعصا غليظة، وسط هلع وصراخ زوجته وطفليه.

أجريت مكالمة أخرى بدينا اسماعيل التى تولت رئاسة المكتب الصحفى للأمين العام للجامعة العربية منذ فترة قصيرة، وكنت قد نجحت فى توطيد علاقتى الصحفية بها خلال رحلة العراق السابقة، وكان عمرو موسى قد أدلى بتصريح ظهر اليوم لقناة «الجزيرة» دعا فيه السلطات إلى احترام رأى الناس ومعرفة أسباب الغضب الشعبى والتعامل معه وقال إنه يجب ألا نعتبر الشباب المتظاهر طائشا بل شباب واع وعلينا السير فى طريق الإصلاح الحقيقى. ناقشنا أنا ودينا تطورات الأحداث المتسارعة وقالت لى أنها سمعت أن بعض المظاهرات قد هتفت لعمرو موسى. قلت لها أن موسى كان له تصريح اليوم على الجزيرة وأننا كنا نود أن يكون ذلك لـ «الأهرام» فوعدت بالترتيب للتحدث معه غدا. وانتهت المكالمة.

أما المكالمة الثانية فالواقع أن من أجراها كانت هى زوجتى إيناس ماهر حلبى مدفوعة من جانبى، وكان الطرف الآخر هو السيد صفوت الشريف الأمين العام للحزب الوطنى الحاكم ورئيس مجلس الشورى!

الشريف هو زوج عمة إيناس، وقد أتاحت لى هذه العلاقة العائلية أن أشاهد الرجل عن قرب مرات عديدة، لكننى أيضا أستطيع أن أؤكد أننى لم أقم

باستغلال هذه العلاقة سوى مرتين، توسط لى فيهما الشريف لمحاولة الانتقال من قسم الحوادث فى «الأهرام» إلى قسم آخر، وقد فشلت هذه الوساطة فى المرة الأولى حيث لم يستجب لها رئيس التحرير فى ذلك الوقت إبراهيم نافع، بينما نجحت فى المرة الثانية بعد اعتلاء أسامة سرايا مقعد رئاسة التحرير حيث استجاب على الفور لطلب الشريف نقلى، وانتقلت بالفعل إلى القسم الأدبى.

ذلك ما أستطيع أن أقول إننى استفدت فيه من الرجل، وفيما عدا ذلك فإنه يمكن أن أقول أن مسألة علاقتى به يمكن النظر إليها على مستويين، الأول هو المستوى العام، أى رأيى فيه كشخصية عامة، وسياسى بارز يمثل أحد أركان حكم مبارك. وعلى هذا المستوى فقد كان رأيى معروفا فى كل رموز هذا الحكم، وهو أنهم مارسوا الفساد والإفساد فى هذا الوطن على مدى سنوات، ولكن.. إذا انتقلت إلى المستوى الثانى، وهو المستوى الخاص، فقد كنت حريصا على عدم التصريح برأيى هذا أمام زوجتى وأقاربها جميعا، احتراما للصلة التى تربطهم بالرجل، ولعل هذه الصلة هى التى تمنعنى أيضا الآن من أن أصدر حكما تاريخيا على الرجل، لا سيما أنه ليست لدى معلومات أو شهادات حاسمة أستطيع أن أدلى بها حوله.

لكن ما لدىّ هو بعض المشاهدات والتصورات والتحليلات غير العميقة التى أتاحها القرب، فقد شاهدت الرجل فى أماكن وأوضاع مختلفة، شاهدته وهو يرتدى «الشورت والبرنيطة» ، كما شاهدته وهو يسبح فى حوض السباحة، وهو يتناول السيجار، وهو يصلى، وهو يلعب الطاولة وينتظر بتحفز ليرى أرقام النرد، وهو يلتهم الفجل الأخضر بنهم مع الرنجة فى شم النسيم، شاهدته كثيرا، والحق أننى كنت أراقبه، كنت مهووسا بمراقبته، كم كنت أتمنى أن أختلى به طويلا، وأن نجلس سويا لنتحدث، دون أن يستمع إلينا أحد، بلا عدسات أو أجهزة تسجيل، كنت مهووسا إلى حد الجنون بالرغبة فى أن أشق عن صدره لأعرف كيف يفكر، كيف ينظر هو نفسه داخليا إلى ما يفعل، وما حقيقة مشاعره وآرائه إزاء ما يحدث، وإزاء ما يفعله هو شخصيا وما يجرى حولنا فى هذا الوطن، لكن ذلك لم يتح لى بالطبع، وما أتيح لى كان هو بعض اللقاءات القصيرة والأحاديث العادية.

لكننى لا أستطيع أن أنسى أننى كنت وزوجتى إيناس شاهدين على لحظة تاريخية مهمة فيما يتعلق بمسألة توريث الحكم من مبارك إلى نجله جمال، فى

شهر رمضان الماضى عام ٢٠١٠، كنا ضيوفا على مائدة الإفطار السنوية التى يدعو صفوت الشريف إليها كل أقاربه وأقارب زوجته. وبعد الإفطار اقتربنا منه وتحدثنا إليه وكانت تلك من المرات القليلة التى أطلب منه فيها تصريحا صحفيا، قلت له أن الجميع الآن ينتظر أن يعرف منه اسم مرشح الحزب الوطنى لانتخابات الرئاسة المقبلة، رد قائلا «ما هو مفروغ منه» فى إشارة إلى أنه حسنى مبارك.

اعتبرت أن عبارته هذه تعد خبرا فى حد ذاته، قلت له إن إعلان ذلك على لسانه الآن سيكون مهما للغاية، إلا أنه رفض وقال إنه لا يريد التحدث فى هذا الموضوع لأن «فيه علك كثير» ، على حد وصفه، وقال أنه على استعداد للتحدث فى أى موضوع آخر. و أضاف أنه أدلى يومها بحديث إلى مجلة «المصور» سوف يظهر فى اليوم التالى وقد أجاب فيه عن تساؤلات كثيرة، وكما توقعت ظهرت مجلة المصور لتعلن على لسانه على الغلاف أن حسنى مبارك هو مرشح الحزب الوطنى فى انتخابات الرئاسة المقبلة، ولتخرج بعدها الحرب الدائرة بين معسكرى مبارك الأب والإبن أو جزء منها على الأقل إلى العلن!

والآن.. وبعد أن جرى ما جرى يوم ٢٨ يناير.. لا شك أن أى كلمة يقولها الشريف فى هذا التوقيت ستكون مهمة ومقروءة، لقد ظهر الرجل فى مؤتمر صحفى يوم الخميس ٢٧ يناير وأدلى بتصريحات موسعة نفى فيها هروب بعض قيادات الحزب الوطنى خارج البلاد وقال كلاما كثيرا مثل «احنا واقفين حاضنين الناس شايلينهم على رأسنا » .. « وعشان الوطن».. وغيرها.. لكن الآن بعد التطورات المتسارعة يوم ٢٨ يناير ما الذى يمكن أن يقوله؟

أقنعت زوجتى بمحاولة الاتصال به فى منزله مؤكدا أن احتمال وجوده فى المنزل من الأساس ضعيف للغاية، لكن المفاجأة أنه رد على الهاتف، اتسعت عيناها وهى تستمع إلى صوته يأتيها عبر الأسلاك. قالت له إنها تريد الاطمئنان عليه وعلى عمتها وما يقال عن أعمال نهب وخلافه، رد عليها الشريف بثبات قائلا: «لا ما تقلقيش.. . أعمال النهب حيتم السيطرة عليها كلها.. والنهاردة أحسن من امبارح.. وبكره حيبقى أحسن من النهاردة.. الأمور كلها هديت.. والأزمة بتتكسر! »

سألته إيناس عما إذا كان يريد أن يقول شيئا للصحافة فرد عليها قائلا: «شكرا شكرا أنا قلت كل اللى عايز أقوله فى المؤتمر اللى ظهر فى التليفزيون وكل الصحف، الإصلاح ماشى، وهو ده اللى إحنا ماشيين فيه»، ثم اعتذر قائلا: «معلش أصل أنا مشغول قوى دلوقتى شكرا شكرا».

# فخر «الأهرام» .. البشر لا الجريدة

## وزير الدفاع لأحد الجنود: «انت خايف من إيه؟ هه؟ مصر محتاجة لنا»

## الأحد ٣٠ يناير

نمت اليوم نوما طويلا بعد إرهاق أحداث جسام خلال يومين كاملين.. استيقظت فى المساء، وجلست بجوار الشرفة أرشف من فنجان القهوة صامتا.. داعبت أذنى تعليقات وضحكات شقيقى مدحت وزملائه أعضاء اللجان الشعبية التى سمعتها قادمة إلىّ من الشارع.. ما الذى يحدث فى هذا الوطن؟! عبارة كتبتها أكثر من مرة فى الماضى، عند التعليق على أحداث فساد واستيلاء على أموال من البنوك وغيرها. لكن المرة ليست ككل مرة.. فى المسافة الزمنية الفاصلة بين النوم واليقظة، وعلى وقع رشفات القهوة، بدا كأن ما جرى لم يكن سوى حلم طويل، أو أضغاث أحلام متداخلة، لكن ذلك لم يكن صحيحا، والصحيح هو أن ما حدث قد وقع بالفعل، وأن واقعا جديدا يبنى نفسه فى مصر الآن.. ولكن.. ما الذى يحدث؟ أهكذا إذن تنهار الدول؟!

أهكذا يمكن أن تعود المجتمعات البشرية فجأة من طور المدنية والتحضر إلى ما يشبه حياة الغاب؛حيث يكون كل فرد هو المسئول عن أمنه وأمن عائلته؟ لهذا إذن يقولون فى علم السياسة أن الدولة شر لابد منه، فلا شك أن وجود تنظيم سياسى يحكم حياة المجتمعات يمكن أن يعتبر انتقاصا من الحرية الفردية لكل شخص، ولكن فى مقابل هذه النقيصة توجد عشرات الفوائد التى من شأنها أن تنظم حياة البشر فى المجتمع وتوجه طاقاتهم إلى الخير.. فى الماضى القريب كنا نشكو بسبب امتداد يد الأمن فى مصر إلى كل شىء تقريبا فى حياتنا، لكن هل يكون البديل هو أن تنسحب هذه اليد لتختفى تماما من الحياة؟!

لفت نظرى العنوان الرئيسى لجريدة «المصرى اليوم» فى عدد الأحد حيث كتبت على ثمانية أعمدة: «مؤامرة من الأمن لدعم سيناريو الفوضى»، وأشارت التفاصيل إلى أن جهة أمنية تابعة لوزارة الداخلية فرضت كلمتها على خطة

الوزارة وقررت الانسحاب ودعم سيناريو الفوضى وإطلاق سراح المسجونين والبلطجية والمسجلين خطر، والمساعدة فى أعمال التخريب والنهب عبر غض الطرف عنها.... وأضاف مصدر أمنى أن هناك روحا انتقامية تسيطر على عدد من القيادات الأمنية بعد الأحداث الدامية التى انتهت بانسحاب قوات الأمن.. واعتبر مصدر أمنى أن انسحاب شرطة المرور من الشارع جزء من سيناريو الفوضى الذى يتبناه عدد من قيادات الداخلية.

فى «المصرى اليوم» أيضا لفت نظرى إدلاء عمرو موسى بتصريح خاص للجريدة، لكننى عندما قرأت التفاصيل وجدت أن موسى قال عبارة قصيرة جدا لمحرر الجريدة، عبر مكالمة هاتفية قصيرة فى الأغلب، لكن الجريدة وضعت كلمته هذه كمقدمة لتصريحات موسى التى كان قد أدلى بها أمس إلى قناة الجزيرة، وكنت قد تحدثت مع دينا إسماعيل رئيسة مكتبه الصحفى بشأنها. على أى حال شعرت بأن خبرا أو تصريحا قد فاتنى، لكنه ليس شديد الأهمية أو التأثير، أو هكذا قلت لنفسى، لا سيما أننى لست المندوب الرئيسى ولا الوحيد لـ «الأهرام» فى جامعة الدول العربية، ولا أتمتع بحرية حركة كاملة داخل الجامعة، إلا من خلال مسعود الحناوى نائب رئيس التحرير ورئيس قسم الشئون العربية بـ «الأهرام» ، ولا شك أنه يثق فىّ كثيرا ويعتمد علىّ وقد منحنى فرصا عديدة للعمل والسفر وإجراء المقابلات الصحفية، لكننى فى كل الأحوال لا أستطيع تخطيه أو المبادرة بالاتصال بعمرو موسى دون الرجوع إليه. لا بأس.

العنوان الرئيسى لـ«الأهرام» اليوم الأحد جاء كالتالى: «عمر سليمان نائبا لرئيس الجمهورية وأحمد شفيق رئيسا للوزراء» وتم إبراز خبر صغير فى الصفحة الأولى حول قبول استقالة أحمد عز أمين التنظيم فى الحزب الوطنى من الحزب، كما نشر خبر آخر عن استشهاد الزميل محمد عبدالوهاب شلتوت الموظف بإدارة التوزيع بـ «الأهرام» (٣٠ سنة) فى أثناء حراسته مبنى الجريدة ومشاركته فى إطفاء حريق مجمع محاكم الجلاء المجاور حيث أصيب برصاصة أطلقها بلطجى مجهول، لفظ على إثرها أنفاسه الطاهرة.

**بمثل هذا يحق لـ «الأهرام» أن تفخر.. لقد شاركت «الأهرام» .. الموظفون والبشر.. فى دفع ضريبة الدم مع الجموع.. بهذا يحق لـ «الأهرام» أن تفخر، أما خلاف ذلك فقد جاءت «الأهرام» .. الجريدة.. الصادرة اليوم حافلة بعناوين**

وتعليقات صور من أمثال:

المظاهرات تحولت إلى أعمال شغب وإحراق وتدمير.. إتلاف متعمد لسيارات الشرطة.. حتى كبائن التليفونات لم تسلم من الاعتداءات.. أعمال عنف وتخريب وترويع أمن وسلامة المواطنين فى الشوارع.. .. وهكذا.

أما أهم أحداث اليوم الأحد فقد كانت تدور حول اجتماع حسنى مبارك بمركز العمليات فى القوات المسلحة وظهوره جالسا إلى جوار عمر سليمان، بينما يشير الفريق سامى عنان رئيس الأركان بيده إلى شاشة أو لوحة يتم استعراضها، كما ظهر وزير الدفاع حسين طنطاوى للمرة الأولى منذ بداية الأزمة، وكان يسير مستعرضا عددا من الجنود، وظهر وهو يحيط وجه أحدهم بكفيه قائلا: «انت خايف من إيه؟ هه؟ مصر محتاجة لنا دلوقتى» ثم يضحك.

وفى «الأهرام» ، علمت أن الزميل إسلام فرحات مندوب الجريدة فى وزارة الرى قال لرئيس التحرير صباحا فى الصالة: «عايزين نكون مع الناس» فرد الأخير قائلا: «احنا مع الناس»، لكن إسلام عاد ليقول: «لأ مش مع الناس، عايزين ندافع عنهم». فقال له رئيس التحرير: « اتفضل روح المظاهرات، حد منعك؟» وانتهى الحوار.

وبعيدا عن «الأهرام» ، وبالعودة إلى الشارع المصرى المتأزم، فقد علمت اليوم أيضا أن أحد المواطنين. قد قام بشراء سلع وبضائع من متجر (ألفا ماركت) على كورنيش المعادى بمبلغ ١٢ ألف جنيه كاملة، تحسبا لأى ظروف أو أزمات مستقبلية!

**ليس لدى تعليق.. فهل لديك أنت؟!**

# مشاجرة فى القلعة الهادئة

متظاهر فى ميدان التحرير لأحد المجندين:

«انت بتاخد كام؟ ما تخرجوا معانا»

## الاثنين ٣١ يناير

اليوم هو يوم انفجار الغضب داخل «الأهرام» !

دخلت صالة التحرير بالجريدة بعد الساعة الثانية عشرة ظهرا، وكان اجتماع مجلس التحرير قد انتهى لتوه وغادر أسامة سرايا الصالة متوجها إلى مكتبه، فتحت باب الصالة فوجدت فى استقبالى عاصفة من الصراخ والصوت العالى غير المعتاد فى هذا المكان.. جمال زايدة عضو الدسك المركزى ومراسل «الأهرام» السابق فى كندا يصرخ بأعلى صوت فى وجه حازم عبدالرحمن رئيس الدسك قائلا: «لا حاتكلم وحاقول اللى أنا عايزه هنا». فهمت أن حازم كان يقول له قبلها إنه إذا كان يريد إبداء رأيه فليكن هذا فى مكتبه لا فى صالة التحرير حرصا على سير العمل اليومى، لكن جمال رفض ذلك وقال:

«حاقعد هنا على ترابيزة الدسك وأقول اللى أنا عايزه، وأكتب اللى أنا عايزه» ثم انفجر غاضبا: «لا فلوس ولا كتابة، ودخل أى موظف أحسن مننا.. كل طقم رؤساء التحرير دول قدامهم ٤٨ ساعة ويمشوا.. ٣٢ سنة شغل فى «الأهرام» ومش قادر أكتب اللى أنا عايزه (! ). مش قادر أكتب مقال فى صفحة الرأى(! ).. منعوا لى عمودى فى «الأهرام» الأسبوع اللى فات.. . دى مسخرة.. كفاية بقى.. عيال صغيرة واقفين فاتحين صدورهم للدبابات وإحنا هنا مش قادرين نتكلم.. ده جرنال الشعب مش جرنال أسامة سرايا.. لازم تغيير العلاقة بين الصحف والدولة.. لازم تحرير الصحف من قبضة الدولة.. الصحف ملك الشعب مش الدولة.. ليه يتم تعيين رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير «الأهرام» .. إحنا صحفيين ومش قادرين نقول ونكتب.. إزاى؟!» فى مثل هذه الأمور تستطيع أن ترى حازم عبدالرحمن لكن ليس من السهل أن تسمع ما يقول فهو يتحدث بصوت خفيض.. تحدث حازم محاولا تهدئة ثورة

جمال الذى عاد ليقول له: «أنا أولادى هناك فى المظاهرات.. شوية عيال عملوا حاجات كتير قوى» .. وهنا أمكن سماع صوت حازم وهو يقول له: «وأنا كمان أولادى هناك.. خرجوا وما أعرفش عنهم حاجة!» جمال قال: «الناس بتتف (تبصق) على «الأهرام» بره، «الأهرام» مش بتاع سرايا».

بعض الزملاء علقوا على ثورة جمال زايدة بأنها محاولة للقفز من السفينة فى الأواخر قبل أن تغرق، فكتابات جمال فى العمود الأسبوعى الخاص به لم تكن تنطق بكل هذه الثورية، بل إن بعضها كان يهيم فى حب النظام ويدافع عنه.. لماذا انفعل جمال الآن إذن؟ هل هى محاولة للقفز من السفينة قبل أن تغرق فعلا؟ هل كان منع نشر عموده هو ما أشعل فتيل اللهب بداخله؟ أم أنه ربما يكون قد شعر بخجل حقيقى أمام نفسه عندما وجد أبناءه يقولون ويفعلون ما يريدون وبأعلى صوت فى حين يقف هو عاجزا عن الفعل إما لأنه يضع بنفسه القيود على نفسه فيكتب دفاعا عن النظام أو لأن الآخرين هم أصحاب هذه القيود فيمنعون ما قد يفرج هو عنه من آراء ترضى ضميره؟

أيا كانت الاحتمالات فالواقع هو أن ثورة الغضب قد اشتعلت بالفعل داخل «الأهرام» ، وتم إعلان رفض سياسة رئيس التحرير والهجوم عليه بأعلى صوت فى صالة التحرير الرئيسية.. والواقع أيضا أن كلمات جمال زايدة الغاضبة أدت إلى انقسام المستمعين بين مؤيد ومعارض داخل الصالة، فالزميلة عائشة عبدالغفار المحررة الدبلوماسية المخضرمة رفضت كلام جمال وقالت إنها ترفض أن تتم المزايدة على البلد.. «لازم نكون كلنا دلوقتى مع البلد».. كما تدخلت سيلفيا النقادى رئيسة تحرير مجلة البيت المتخصصة فى الديكور التى تصدرها المؤسسة لكى تنتقد موقف جمال أيضا، لكن الزميل جمال اسماعيل المحرر فى الطبعة العربية للأهرام تدخل مناصرا زايدة لكنه قال كلاما جارحا ينال من شرف سيلفيا، فتحول الأمر إلى مشاجرة حقيقية بين عدة أطراف وسباب، وإصرار من سيلفيا النقادى على ضرب جمال إسماعيل فى مكتبه!

هكذا بدت «الأهرام» تلك القلعة الهادئة الرصينة فى صورة لم يسبق لى أن شاهدتها عليها من قبل منذ التحاقى بالعمل فيها.. أشياء كثيرة تتغير بسرعة البرق فى هذه الأيام التاريخية بحق.. و«الأهرام» أيضا تتغير.

فى كافيتريا الجريدة قال لى الزميل أحمد المصرى المحرر الشاب فى قسم الحوادث غاضبا إنه تعرض للضرب المبرح فى ميدان التحرير عندما نزل

لتغطية المظاهرات، قال أحمد إنه كان بصحبة زميل له فى «المصرى اليوم» عندما طلب منهما أحد الجنود فى الجيش ابراز بطاقتيهما الصحفيتين، فعل الإثنان ذلك، وما أن سمع الواقفون بأن أحمد يعمل فى «الأهرام» حتى انهالوا عليه ضربا حتى سقط على الأرض، وتمرغ وجهه فى التراب، كما قال لى.

أحمد قال أيضا أن ما يكتبه من تغطية لأخبار المظاهرات لا ينشر منه سوى سطرين أو ثلاثة بينما يتم نشر البيانات الصحفية الواردة من وزارة الداخلية بتوسع كبير. وفى الكافيتريا أيضا قال لى أيمن فاروق مندوب «الأهرام» فى وزارة الداخلية ومديرية أمن القاهرة أن مسألة ظهور وانتشار البلطجية واللصوص لا ترجع فقط إلى أن الأمن هو الذى أطلقهم من السجون كما قيل، لكن الأمن كان قد استعان كعادته يوم الجمعة ٢٨ يناير بمجموعة من البلطجية والمسجلين خطر للاحتكاك بالناس وافتعال المشاجرات معهم، كما كان يجرى فى أثناء الانتخابات، وعندما انسحبت الشرطة بعد عصر ذلك اليوم لم يبق فى الشارع سوى المتظاهرين والبلطجية، فقام هؤلاء الأخيرون باستغلال الموقف ونهبوا وسلبوا المحلات وغيرها.

بعد الظهر اصطحبت إيناس زوجتى ونزلنا من «الأهرام» إلى ميدان التحرير سيرا على الأقدام، وعندما وصلنا إلى الميدان داعبتها قائلا إننى يمكن أن «أبيعها» بسهولة وأن أخبر الناس حولنا أنها إحدى أقارب صفوت الشريف، ردت قائلا فى البداية «وإيه يعنى» إلا أنها شاهدت إحدى اللافتات المرفوعة مكتوبا عليها قائمة بأسماء المطلوب محاكمتهم من النظام ومن بينهم الشريف بالطبع فعادت لتقول لى ضاحكة «اوعى تقول» .

فى الميدان كانت هناك دعوة لمظاهرة مليونية غدا (الثلاثاء) وقال لنا أحدهم دون أن يعرفنا.. «المهم بكرة ياجماعة الساعة ١٠ الصبح»، قلنا.. «إن شاء الله».. وسمعت أحد المتظاهرين يتحدث مع مجند فى الجيش ويقول له: «يعنى أنت بتاخد كام»، رد المجند قائلا: « طبعا مفيش حاجة مكفية والظروف صعبة» فقال له الأول: «طب ما تخرجوا معانا».

جلسنا؛ إيناس وأنا، على مقهى فى شارع شامبليون واستمعنا إلى حوارات المصريين ومناقشاتهم، وبدت إيناس كمن تتعرف على البلد من جديد، وكنت سعيدا بهذا.

عدنا إلى «الأهرام» وأخذنا السيارة إلى المنزل حيث مررنا بحوالى ثمانية

أكمنة للجان الشعبية وفتحنا حقيبة السيارة وأخرجنا الرخص أكثر من مرة. وفى إحدى اللجان بالمعادى قبل وصولنا إلى المنزل سأل شاب زوجتى قائلا: «إنت معاه؟» ضحكت أنا ولم ترد هى أن «تبيعنى» هذه المرة فقالت إنها معى.. اعتذر الشاب بأدب وقال «معلش أنا بدوّر على أمنها».

فى المنزل عرفت من الفضائيات أن الأعداد أخذت تتزايد بشكل كبير فى ميدان التحرير فى المساء استعدادا لمليونية الغد، وقبل أن تظهر التساؤلات حول الموقف المنتظر من الجيش إزاء هذه التظاهرة، حسم الجيش الجدل بإعلانه أنه لم ولن يستعمل العنف مع المتظاهرين حتى لو تعرض هو للاعتداء. وتزامن موقف الجيش هذا مع إعلان وزيرة الخارجية الأمريكية هيلارى كلينتون أن واشنطن تريد انتقالا سلميا للسلطة فى مصر، وانقسمت الآراء حول تفسير هذا الموقف وما إذا كان يعنى أن أمريكا تريد انتقال السلطة سلميا لنظام آخر لا يقوده مبارك، أم أن واشنطن تتحدث عن انتقال السلطة الذى تم بالفعل من خلال تشكيل حكومة جديدة، وتم الإعلان عن إرسال سفير أمريكى سابق إلى مصر.

وفى هذه الأثناء كشفت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية أن تل أبيب طلبت من أمريكا ودول أوروبية دعم نظام مبارك، وسألتنى إيناس عن سبب ذلك، فقلت لها مفسرا إنه مفيد لهم فى مسألة السلام، والمواجهة مع حركة حماس، وتنفيذ مطالبهم بشكل عام.

وفى المساء ظهر أحمد قدرى (1) أخيرا على سطح الأحداث!

أنت لا تعرف بالطبع من يكون قدرى، لكنه حالة إنسانية خاصة قلما تلتقى بمثلها فى الحياة، ربما ليس من السهل أن تحبه ولكن ليس من السهل أيضا أن تتجنبه أو تعتبر أنه ليس موجودا أو لا لزوم له، هو لاذع، مثل باذنجانة مخللة محشوة بالثوم بكثافة، لا يمكن أن تبحث عنها على المائدة وأنت فى مطعم أنيق «خمس نجوم» من تلقاء نفسك، لكنها إن وجدت فلا شك أنك لن تستطيع تجاهلها!

أحمد مهندس زراعى عمره الآن ٣٨ عاما، طويل القامة نوعا ما، ضخم الجثة، شعره طويل عادة ، مما يزيد حجم رأسه الكبيرة أصلا، تشعرعندما تراه بأن الأتربة والغبار يكسوان جسده وملابسه. هو زميل دراسة فى مدرسة الأورمان

---

(1) أحد أبطال (هدير الصمت).

الثانوية بالدقى وتربط عائلتينا صلة نسب، والده مدير عام سابق بوزارة الزراعة. أعرف أحمد منذ ٢٢ عاما وياللهول، كم هى فترة طويلة، قامت فيها دول وسقطت امبراطوريات، لكن قدرى كما هو، لا يتغير، مفلس معظم الوقت، له رؤيته الخاصة فى الحياة، ساخر، شديد الثقة فى النفس بلا مبرر مفهوم، وهو يكره الالتزام الوظيفى كما تكره الأرض الدم المسفوح، ولذلك فهو بلا عمل ثابت حتى الآن، لكن مجاله الرئيسى الذى يعمل فيه هو بيع وصيانة أجهزة معالجة المياه، وإياك أن تقول إنه يعمل فى بيع «الفلاتر»، لأن الأجهزة التى يتعامل فيها أكثر رقيا وتعقيدا بكثير من كونها مجرد فلاتر، من وجهة نظره، وهو مؤمن بأنه سوف يصبح يوما رجل أعمال ثرى، لكنه فقط تنقصه الفرصة.

وإذا كان مجالى فى الصحافة والكتابة قد وجه حياتى لتكون بين الأفكار والآراء والتحليلات فإن قدرى يأخذنى إلى شاطئ آخر مختلف تماما وهو «المكسب»، هو يريد المال، يريد الثراء، أو قل أنه يريد أن يأكل.. ويشرب.. يريد أن يعيش.. وهذا حقه.. وليس معنى ذلك أنه لا يقرأ، بل هو قارئ نهم للصحف ومتابع دائم للأحداث لكن تظل له رؤيته الخاصة بشأنها. أنت تستطيع أن تلومه لأنه ليس جادا بما يكفى فى مجال العمل والبحث عن وظيفة، لكنه سيرد عليك فورا بأنه منذ سنوات صدّق البرنامج الذى أعلنت عنه الحكومة للتوظيف واتصل بالرقم المعلن عنه فى الصحف لتسجيل بياناته، إلا أن الإجابة الوحيدة التى جاءته هى.. «من فضلك ضع السماعة»!

قدرى يعيش فى شقة «إيجار جديد» بالحوامدية ، وقد طلّق زوجته منذ فترة ليست طويلة بناء على طلبها، ويتكسب من جراء عمليات صيانة أجهزة معالجة المياه التى سبق أن باعها، مع إجراء محاولات بيع أجهزة جديدة إن أمكن، تستطيع أن تقول أنه «أرزقى» أو أنه «يعيش اليوم بيومه» .

اتصل بى قدرى فى المساء وتطرق الحوار بالطبع إلى التطورات الجارية على الساحة، بدا قدرى كمن يريد أن يفهم ويعرف كيف ستسير الأمور، كان مستمعا أكثر منه متحدثا، على غير العادة، لكنه نقل لى معلومة قال إنها ربما تصلح كخبر صحفى وهى أنه علم أن كبار رجالات منطقة بولاق الدكرور قاموا بإعادة المسروقات التى كان البعض قد نهبها من شركة مصر للأسواق الحرة، وقال إنه شاهد بنفسه أربع سيارات للشركة تقف فى المنطقة وتقوم بتحميل البضائع التى سرقت من أجهزة وبوتاجازات وغيرها. بدا قدرى سعيدا بهذه الخطوة، وسألنى عن رؤيتى لما يجرى، قلت إننى أعتقد أن المتظاهرين لن

يعودوا إلى بيوتهم إلا فى حالة واحدة وهى رحيل مبارك، وأن ذلك هو ما لمسته فى ميدان التحرير، وأن مسألة تشكيل حكومة جديدة أو تعيين نائب للرئيس وخلافه ستأتى بآثار عكسية حيث سيشعر المتظاهرون أنهم بدأوا يحققون المكاسب بالفعل، فليستمروا فى الأمر إذن حتى نهايته، لا سيما بعد سقوط قتلى منهم. رد قدرى قائلا: «طيب كويس بس ياريت الدنيا تهدأ شوية عشان الناس ترجع شغلها والعجلة تدور، والإصلاحات تيجى بالتدريج بعد كده»..
قلت: «ربنا يسهل» ، وانتهت المكالمة.

# ثلاثة مشروعات فردية.. ومنظومة طائشة

## عمرو موسى: «مستعد لخدمة مصر فى أى موقع»

## الثلاثاء ١ فبراير

فى بداية اجتماع مجلس التحرير الساعة الحادية عشرة والنصف طلب حازم عبدالرحمن مدير التحرير ألا تكون هناك مناقشات أو تبادل للآراء حول ما يجرى، لأن ذلك سيؤدى إلى ما أدى إليه بالأمس، وطلب أن تقتصر المناقشات على أن يعرض كل قسم ما لديه من مادة صحفية لعدد الغد، وبدأت عملية العرض وبعدها بقليل جاء رئيس التحرير ولم يتحدث فى الاجتماع أو يعلق على أى أخبار، ومرّ الاجتماع بسلام.

غادر أسامة سرايا صالة التحرير إلى مكتبه ثم عاد بعد قليل وجلس على مائدة الدسك المركزى لمتابعة سير العمل، وقال للزملاء والمساعدين الموجودين إننا نريد أن نظل متوازنين كما نحن، لأننا نعبر عن الشعب والدولة، رد أحد نواب رئيس التحرير قائلا: «بما أننا بنعبر عن الشعب يبقى نعبر عن كل أطيافه». ولم يرد سرايا لكنه عاد ليقول إنه لم يمنع مقالا أو عمودا فى حياته وأضاف أن كل من لديه خبر فليكتبه، «كل اللى عنده حاجة يقولها»....، عندئذ قالت الزميلة سحر عبدالرحمن لى همسا «أنا منع لى موضوع».

وواصل أسامة حديثه قائلا: إن الوزارات بدأت العمل لذا فإننا لابد أن نغطى ما تقوم به بالإضافة إلى تغطية المظاهرات، لا تغطية المظاهرات وحسب، وطلب أن يكون هناك عمود طويل فى الصفحة الأولى يضم أخبار الخدمات المقدمة للناس «اللى قاعدة فى بيوتها وعايزة تأكل وتشرب، مش مظاهرات، انما خدمات».

جاء عماد عريان رئيس القسم الخارجى من خارج الجريدة وقال موجها كلامه إلى سرايا والموجودين: «فيه روح جديدة فى مصر، انزل وشوف الناس،

مفيش محل مكسر أو شغب، شباب منظمين جدا، فى سوق التوفيقية الناس بتبيع وتشترى الخضار وعادية جدا، تعال معاى يا أستاذ أسامة ننزل السوق مع بعض». ثم ضحك.. رد أسامة بغير ارتياح قائلا: «انت بتضحك يعنى؟ طب ما أنا بأنزل وأروح وأجى وبأشوف الناس». عماد رد قائلا: «إحنا فى «الأهرام» بنتكلم عن شىء تانى غير اللى بيحصل فى الواقع، إحنا بنقول إن فيه إتلاف وتخريب وترويع، وده غير صحيح».

سكت الجميع وانتقل سرايا إلى إظهار حزنه بسبب قلة عدد صفحات الجريدة إلى ١٦ صفحة فقط وقال باستياء: «الأهرام شكله يحزّن»، فرد آخرون بأن «البلد كلها تحزّن».

انصرف أسامة وبعد قليل ظهر حازم عبدالرحمن ووجدته يتحدث بعصبية مع أحد أعضاء الدسك قائلا: «إحنا نقول عن مظاهرات الحزب الوطنى إنها قام بها بضع عشرات، أما المظاهرات التانية فقام بها عشرات الألوف». وطلب عدم نشر خبر فى الصفحة الأولى عن مظاهرات الحزب الوطنى المؤيدة لمبارك والاكتفاء بالنشر عنها داخل الجريدة، وعندما أحضر أحد المصورين صور مظاهرات الوطنى لحازم قال له: «لا خليها خلاص».. أى أنها لن يتم نشرها فى الصفحة الأولى أيضا.

حوالى الساعة الخامسة عصرا التقيت فى كافيتريا «الأهرام» بالزميلة الشابة أميرة عبدالمنعم وهى المرأة الوحيدة تقريبا التى تعمل فى التصوير فى المؤسسة فى ظل كون جميع المصورين من الرجال، أميرة فتاة حالمة وثابة، درست الفلسفة، والتحقت بالعمل بمجلة الشباب تحت التمرين ولم يتم تعيينها بعد، وفى ظل مشاكل النشر الصحفى المعتادة للمحررين، آثرت أن تعمل هى فى مجال التصوير وشقت طريقها فيه، وعلمت منها أنها كانت تقوم بتصوير الأحداث منذ بدايتها فجلست أستمع إلى شهادتها حول ما جرى.

قالت أميرة إنها تشعر بأنها تريد أن تحذف أرشيفها السابق كله من الصور وأن تبدأ بتسجيل أرشيف جديد يبدأ من هذه الأحداث، التى تعتبر أحداثا تاريخية بحق، وأضافت أنها تقوم بتوثيق ما يحدث بالصور يوما بيوم، ليس من أجل مجلة الشباب التى قالت إنها لا تهتم بنشر هذه النوعية من الأحداث (!) بل للتاريخ.

وصفت أميرة أحداث جمعة ٢٨ يناير بأنها كانت أشبه بحرب بين المتظاهرين والشرطة، وكان الأهالى فى منطقة بولاق أبو العلا يفتحون منازلهم للمتظاهرين ويقدمون لهم كميات كبيرة من الخل والبصل وزجاجات المياه الغازية للتغلب على آثار القنابل المسيلة للدموع، وأضافت أنها أصيبت بحالة اختناق شديدة بسبب سقوط إحدى القنابل أمامها مباشرة فتم نقلها إلى أحد المنازل فى الوقت الذى كانت تشعر فيه بحق بأنها تموت. وقالت إن أحد الأكشاك كان يقوم فى البداية ببيع زجاجات المياه الغازية للمتظاهرين لمواجهة آثار القنابل لكنه قام بعد ذلك بتوزيع الزجاجات مجانا عليهم «لأن الإصابات كثيرة والناس كانت بتموت».

أميرة أوضحت أيضا أنه عند نزول قوات الجيش فى البداية إلى ميدان التحرير مساء الجمعة قام بعض المتظاهرين بالاشتباك معهم خوفا من أن يكونوا قد جاءوا لإمداد الشرطة بالذخيرة ولكن اتضحت الصورة بعد ذلك. وأضافت أنها علمت أن الشرطة قتلت ١٢ متظاهرا يوم السبت ٢٩ يناير، وقالت أن والدها الطبيب بمستشفى أحمد ماهر وردت إليه حالتا وفاة وحالتى إصابة.

علمت من أميرة أنها ستعود مع زملاء لها اليوم إلى ميدان التحرير فى المساء بعد أن ينالوا قسطا من الراحة ويؤدوا الصلاة، قلت لها إننى سأذهب معهم. رحبّت أميرة وانضمت لنا بعد ذلك دعاء خليفة التى كانت تلح علىّ فى طلب الذهاب إلى ميدان التحرير سويا لمتابعة الأوضاع.

تحرك الركب حوالى الساعة السابعة مساء من أمام مبنى «الأهرام» الجديد بشارع الجلاء، كان الجو لطيفا والعقول متيقظة والقلوب متوثبة، لكننا مع بداية تحركنا كنا على موعد مع.. تعكير الصفو.. لماذا؟! التقينا بعدد من زملائنا الذين يتولون مسألة التغطية الإخبارية اليومية للأحداث وكانوا عائدين من ميدان التحرير يجرون خلفهم ذيول الخيبة والإحباط.. لماذا؟!

قالوا لنا إنهم علموا أن عدد «الأهرام» الصادر غدا سوف يكون المانشيت الرئيسى به باللون الأحمر بعنوان «الملايين يخرجون لتأييد مبارك»، أو بهذا المعنى، فى إشارة إلى المظاهرات الصغيرة التى قام بها بعض مؤيدى الحزب الوطنى. تذكرت على الفور كلمات حازم عبدالرحمن وإصراره على الإشارة إلى أن هذه المظاهرات قام بها بضع عشرات فقط ودون إبرازها فى الصفحة الأولى.. فما الذى حدث إذن ؟.. كيف تحول الأمر إلى.. مانشيت.. وباللون

الأحمر.. والملايين؟! حازم هو الرجل الثانى فى الجريدة وكان رأيه واضحا فما الذى حدث؟! لاشك أن ذلك كان هو قرار الرجل الأول.. سرايا.. سامحه الله!

على كل حال.. فقد شاركنا الزملاء إحباطهم، لكننا لم نصدم أو نفاجأ كثيرا، ولكن كان المشهد بالنسبة لى دالا ومهما، هذا هو فريق التغطية الرئيسية للجريدة، أى الذى يعمل ضمن المنظومة يعود من الميدان محبطا حزينا، وفى المقابل هناك ثلاث مشروعات، أو قل محاولات، يتجه أصحابها - أميرة ودعاء وأنا - نحو الميدان باستعداد وتحفز وعزيمة، لا يلوون على شىء، ربما هم لا يعرفون ما الذى سيفعلونه بالتحديد غدا، لكن ما يربط بينهم جميعا هو أن محاولاتهم أو مشروعاتهم فردية، ذاتية، غير مرتبطة بالمنظومة الصحفية للأهرام، تلك المنظومة التى بدت فى هذا الوقت كعجلة طائشة تتحرك بسرعة رهيبة فى اتجاه غير معروف، وهى تمضى لتحطم فى طريقها ما قد يظهر من آمال وأحلام ورؤى ذاتية.

انطلقنا جميعا نحو الميدان، أميرة التى تعلم أن مجلة الشباب لن تنشر صورها، ودعاء التى لا تعلم حتى الآن ما إذا كانت تعمل فى جريدة «الأهرام» أم «الأهرام ابدو»، وأنا وما أقوم به من عملية تسجيل لكل شىء فى سبيل تحقيق هدف لايزال غير معلوم أو واضح بالنسبة لى، ومعنا زملاء آخرون، كل مع نفسه، انطلقنا سائرين، وكانت أميرة تتركنا وتطير كالفراشة مع عدستها لتحط فى موقع ما يكون مناسبا لتسجيل لقطة أو التقاط مشهد ما، كم أضعنا أميرة لكنها كانت تعود لتظهر فى آخر الأمر وعلى وجهها ابتسامة تشى بملامح الظفر المقرون بشىء من الاعتذار عن ذهابها بعيدا عنا دون إخبارنا، لاحظت أن ما يجذب أميرة غالبا هو البشر، الناس العاديون، مشاهد الأسر المصرية التى قررت الإقامة شبه الدائمة فى حدائق ميدان التحرير، وكذلك اللافتات التى تحمل تعليقات أو شعارات ساخرة ضد نظام مبارك، وهو ما لفت نظر دعاء أيضا فواصلت عملا كانت قد بدأته فى يوم سابق بتسجيل هذه الشعارات بصوتها على جهاز تسجيل صغير، وأوضحت لى أنها كانت قد اضطرت لذلك بالأمس عندما وجدت أنها تقف وسط الجموع دون أى ورقة أو قلم حيث جاءت دون حقيبتها كما قال لها آخرون لتكون أسهل حركة وأكثر خفة، طلبت منها أن ترسل لى جميع هذه الشعارات عبر البريد الإلكترونى عندما تقوم بتجميعها، ضحكت للغاية ولم أفهم السبب إلا عندما أوضحت لى قائلة.. «إيميل إيه؟ هو فيه انترنت؟! ».

بعد قليل استأذنّا دعاء وأنا من زملائنا فى أن ننصرف حتى أقوم بتوصيلها إلى منزلها فى الهرم، وقبل أن نغادر ميدان التحرير تلقت دعاء مكالمة من والدتها على تليفونها اضطرت لعدم الرد عليها، حتى لا تعلم الوالدة من الأصوات أن ابنتها فى المظاهرة(!).

وفى الطريق إلى الهرم حيث تقيم دعاء ومن الهرم إلى المعادى حيث أقيم توقفت فى حوالى ٢٠ لجنة شعبية، أو أكثر أبرزت فى معظمها بطاقتى الشخصية ورخص القيادة وفتحت حقيبة السيارة للتفتيش!

وصلت إلى المنزل فى ختام يوم طويل حوالى العاشرة مساء وعلمت أن الرئيس مبارك سيلقى بيانا بعد قليل ولكن تأخر إلقاء البيان حوالى ساعة كاملة وأخيرا ظهر مبارك ليلقى بيانه الذى كان أبرز ما جاء فيه كما يلى:

- لم أكن أنتوى الترشح لفترة رئاسية جديدة.

- تصحيح عضوية مجلس الشعب عبر النظر فى الطعون القضائية المقدمة.

- التوجيه نحو إجراء تعديل دستورى على المادتين ٧٦ و٧٧ من الدستور حول شروط الترشح للرئاسة وتحديد الرئاسة لتكون فى مدد محددة.

- محاسبة كل من تسبب فى شيوع حالة عدم الأمن وانتشار الفوضى.

- سوف أظل على هذه الأرض التى حاربت عليها وعشت فيها وسوف أموت فيها.

انتهى بيان الرئيس فى الساعة الحادية عشرة و١٣ دقيقة، نظرت فى ساعتى وقتها حتى أقوم بتقدير التوقيت المحدد الذى بدأ إلقاء الخطاب فيه وكان حوالى الحادية عشرة مساء أما سبب ذلك فهو أننى اعتبرت هذا البيان بيانا تاريخيا بحق لابد من تسجيل أنه تم القاؤه الساعة الحادية عشرة مساء يوم الثلاثاء أول فبراير عام ٢٠١١.

هو بيان تاريخى بالفعل.. وكيف لا؟ فهاهم المصريون عبر ثورتهم الجديدة يحصلون من خلاله على حقوق مشروعة طالما جفت الحلوق سنوات طويلة فى المطالبة بها، لا سيما فيما يتعلق بمسألة تحديد الرئاسة لتكون فى مدد محددة، بالإضافة إلى تعديل شروط الترشح للرئاسة بتوسيعها وعدم التشدد

فيها إلى درجة قصرها على أشخاص بعينهم كما كان الوضع القائم، كل ذلك بالإضافة إلى تعهد الرئيس بالطبع بعدم الترشح لفترة جديدة، بما يعنى أننا سيكون لدينا «رئيس جمهورية سابق» أخيرا.

سعدت كثيرا بما حققته الثورة من إنجاز حقيقى لا يمكن الاستهانة به أو التقليل من شأنه مهما كان، ولكن ترى ماذا سيكون رأى حشود المتظاهرين فى ميدان التحرير؟! لقد تركتهم قبل قليل على حال تشى بأنهم لا يقبلون بديلا عن رحيل الرئيس عن منصبه فورا، لكن المكاسب الجديدة التى حققوها بدمائهم ربما تغير وجهة نظرهم.. هل يمكن لوجهة نظرهم أن تتغير حقا؟!

تلفتُّ حولى لأرى ما سأصنع.. وتذكرت على الفور.. دينا اسماعيل، فاليوم كان عمرو موسى قد ظهر على قناة «العربية» وتحدث إلى برنامج يقدمه الإعلامى حافظ الميرازى وقال كلاما مهما، كان منه أن الأوضاع فى مصر لا يمكن أن تعود كما كانت قبل يوم ٢٥ يناير، وعندما سأله الميرازى عما إذا كان قد طلب منه القيام بأى دور خلال الفترة المقبلة قال موسى إنه لا يدعى لنفسه دورا لم يطلب منه لكنه كمواطن مصرى مهتم للغاية بمتابعة ما يجرى ومستعد للقيام بأى دور يطلب منه فى أى موقع أيا كان.

وهنا فإننى أعترف أننى قد أسأت التقدير منذ البداية حول إمكانية أن يتحدث موسى بصراحة حيث تصورت أنه ربما يرفع سقف تصريحاته لما هو أعلى من عبارة «كل خير إن شاء الله» التى ردّ بها علىّ فى العراق، ولكن ليس بالقدر الكبير، هكذا تصورت، لكنه كان أكثر صراحة مما توقعت، حتى أننى شككت فى إمكانية أن يتحمل «الأهرام» الآن تصريحات موسى بشكلها الجديد. وفى الوقت نفسه، فقد لفت نظرى ظهور موسى خلال برنامج الميرازى فى قناة «العربية» بدون بدلة رسمية ورابطة عنق، رغم أن التسجيل معه كان فى مكتبه بالجامعة العربية كما يبدو من العلم بجواره، موسى ظهر وهو يرتدى قميصا مفتوحا، فوقه جاكت، وتحت القميص تظهر فانلة بيضاء(!)

هل هى مصادفة غير مقصودة؟ أم أن موسى - الذى احترف استخدام الإعلام لتوجيه الرسائل والتعبير عما بداخله على مدى سنوات - قد أراد أن يظهر بشكل يقربه من المواطن العادى البسيط بعيدا عن الرسميات؟!

على أى حال.. فقد توقعت أن يكون تعليق موسى على بيان مبارك تعليقا

إيجابيا وأنه لن يعبر عن رفضه إياه، وهو ما يتيح أن يتم النشر بسهولة فى «الأهرام» .. اذن.. ما المطلوب الآن؟!

دينا اسماعيل.. دينا اسماعيل.. دينا اسماعيل.. «انت فين يا دينا؟! »

اتصلت برئيسة المكتب الصحفى لعمرو موسى وكان أول ما قالته لى فى المكالمة.. «ايه رأيك؟» تقصد خطاب الرئيس بالطبع، تهيأت للإجابة وقلت بعد لحظات: «والله معقول».. وأضفت أن هناك مكاسب كبيرة تحققت طالما طالب بها المصريون على مدى سنوات، وافقتنى دينا الرأى، لكننى قلت لها إنه بغض النظر عن رأيى ورأيها، فإننا نريد معرفة رأى «عمرو بك» عبر تصريح خاص لـ «الأهرام» ، وقلت إنه لو كان مستيقظا الآن فلا مانع من أن يكون ذلك الآن عبر الهاتف. ردت دينا قائلة إنه يجرى حاليا عدة مكالمات مع الخارج لكنها وعدت بأن يتم ذلك فى الصباح.. شكرتها، وانتهت المكالمة.

كنت قد وجهت لها اللوم لأنها لم ترتب لى لقاء أو اتصالا بموسى من قبل عندما طلبت ذلك فى بداية الأزمة، فقالت إن موقفه بعد التطور الأخير لبيان الرئيس سيكون هو الأهم بالطبع.

**فى هذه الأثناء وبعد منتصف الليل كانت التقارير الإعلامية قد أكدت بوضوح رفض المتظاهرين بيان الرئيس واستمرارهم فى اعتصامهم المفتوح. أما الدكتور محمد البرادعى فقال إن البيان لم يقدم شيئا ولم يقدم ضمانات للتنفيذ، ولم يتحدث عن عدم ترشح جمال للرئاسة، كما لم يتحدث عن المادة ٨٨ من الدستور المتعلقة بالإشراف القضائى على الانتخابات.**

**كلام البرادعى حول الضمانات ومسألة عدم الحديث حول ترشيح جمال لم أقتنع به كثيرا، خاصة أننى أعتقد أن جمال الآن أصبح يخشى مجرد الظهور علنيا فما بالك بما لو قام بالترشح للرئاسة؟! لم يعجبنى هذا الكلام أو ينزل بداخلى منزل التقدير.. لكننى لا أخفى أننى لم أفاجأ كثيرا برفض الجماهير فى الميدان بيان الرئيس، والحق أننى لم أحزن كثيرا أيضا لهذا الرفض!**

نزلت للوقوف مع مدحت وجيراننا ضمن اللجنة الشعبية أمام منزلنا، وبعد قليل علمت ممن معى أن الرئيس الأمريكى باراك أوباما أدلى بتصريح قبل دقائق طلب فيه من مبارك تسليم السلطة.. الآن!

# وطـن يحـترق

## عمار الشريعى: «ياريت ما يكونش صفوت الشريف
## ورا اللى حصل.. ده صاحبى»

## الأربعاء ٢ فبراير

«مستعد لخدمة مصر فى أى موقع، ١٠ صباحا ت دينا اسماعيل».

كتبت هذه العبارة مساء أمس على ورقة صغيرة لتذكير نفسى بضرورة الاتصال بدينا صباحا، لكننى لم أستيقظ ، ولم أتصل.. هل هو الكسل؟ التراخي؟ الظروف؟ «الأهرام» ؟ الإحباط؟ على كل حال فقد قصرت.

ظللت نائما، لكننى قفزت من سريرى عندما وجدت والدتى تتصل بى وهى تبكى وتصرخ مذعورة: «بيضربوا فى المتظاهرين فى التحرير»، انطلقت إلى شاشة التليفزيون فورا.

وكانت بداية أحداث عصيبة مرت على مصر وكل بيت فيها. نقلت شاشات الفضائيات أن أعدادا كبيرة من الأشخاص (البلطجية) اقتحموا ميدان التحرير على ظهر أحصنة وجمال واشتبكوا مع المتظاهرين فى معركة حقيقية تبادل خلالها الفريقان القذف بالحجارة وزجاجات المولوتوف المشتعلة، وبدا أن مجزرة ستحدث، لكن موقف الجيش كان هو المثير للجدل حيث ذكرت قنوات تليفزيونية أن الجيش هو الذى سمح لهؤلاء البلطجية بالدخول، كما أن تبادل الضرب كان يجرى فى ظل وجود قوات الجيش دون أن تحرك ساكنا، بل إن الجنود والقوة الموجودة عند كل دبابة قاموا بالدخول إليها حتى لا يتعرضوا للضرب، وكان باب قمرة الدبابة يفتح بشكل صغير من آن لآخر لمراقبة الموقف. ولكن فى المقابل كان هناك دفاع عن موقف الجيش بأنه لا يستطيع التدخل حتى لا يقف مع فريق ضد آخر أو يتورط فى الصراع، وحتى لا يطلق الجيش الرصاص فى أى اتجاه وضد أى طرف لأن الطرفين مصريان.

الحقيقة أننى استرجعت مشاهد ميدان التحرير وكيفية الدخول إليه حتى أستطيع الحكم على موقف الجيش، تذكرت أن لجانا من المتظاهرين كانت تقوم بتفتيش كل الداخلين إلى الميدان والاطلاع على بطاقاتهم حتى لا يكون بين الداخلين أفراد من الشرطة. هذه اللجان كانت تقف فى ما يشبه كردونات داخلية محاطة بكردونات خارجية من قوات الجيش وحواجزها التى وضعتها لتنظيم الدخول وإجراء التفتيش الذاتى أيضا، أنا شخصيا تعرضت للتفتيش الذاتى يوم أمس الثلاثاء عندما دخلت كردون الجيش، فكيف عبرت الأحصنة والجمال كل ذلك؟!

الحقيقة هى أن ظلالا سوداء بدأت تكسو موقف الجيش فى ذهنى، وبدا أننا وصلنا إلى النقطة الفاصلة التى طالما فكرت فيها وخفت من بلوغها، وهى نقطة.. مع مَنْ سيقف الجيش فى النهاية.. النظام أم المتظاهرين؟!

قلت لنفسى إن الجيش الذى يقوده المشير حسين طنطاوى منذ سنوات طويل، وعلاقة المشير بالرئيس وقربه منه أمر معروف ، ربما يكون قد حسم أمره بعدم التدخل فى الظاهر إلا أنه سمح لبلطجية الحزب الوطنى الموالين بالدخول ليكونوا هم القوة التى تزيح المتظاهرين من أماكنهم التى تمسكوا بها فى ميدان التحرير بعد أن فشلت الشرطة فى ذلك.

كنت أؤيد عدم تدخل الجيش بإطلاق الرصاص فى أى اتجاه وضد أى طرف حتى لا يتورط فى الصراع لكن ألا يمكن أن يقوم بعمل فصل بين ميلشيات الجانبين؟ وكيف دخلت هذه الميليشيات المؤيدة للرئيس على ظهر أحصنة وجمال أصلا؟! لا شك أن الجيش سمح لها بذلك أو على أقل تقدير غض الطرف عن دخولها وفقا لأوامر عليا وردت إليه بعدم التحرك بحجة الرغبة فى عدم التورط فى الصراع.

العلاقة بين المتظاهرين والجيش التى كانت علاقة طيبة وحميمة خلال الفترة الماضية بدأ يعتريها التشكك والغموض مثلما ذكر خالد عز العرب مراسل قناة «بى بى سى» العربية على الهواء فى موقع الأحداث. ومما عزز فكرة وجود خطة رسمية محكمة ومؤامرة كبيرة تستهدف إجلاء المتظاهرين من أماكنهم بأى شكل هو أن المتظاهرين أكدوا أنهم عثروا على بطاقات شخصية وبطاقات للشرطة مع بعض من ألقوا القبض عليهم من بين الميليشيات التى اقتحمت ميدان التحرير، وجاء صوت مساعد وزير الداخلية اللواء حمدى عبدالكريم

عبر قناة النيل للأخبار لينفى اشتراك عناصر من الشرطة فى هذه الأعمال ويقول إن البطاقات التى عثر عليها هى بطاقات مسروقة من ضباط خلال عملية اقتحام أقسام الشرطة التى تمت يوم الجمعة.

استمر التراشق بالحجارة والزجاجات المشتعلة عدة ساعات متواصلة وتصاعدت تقديرات أعداد الجرحى لتكون بالمئات (حوالى ستمائة! )، وبدا أمام الكل أن ميدان التحرير ومعه الوطن بالكامل يحترق.

اتصلت بى دعاء خليفة وسألتنى عما إذا كنت فى «الأهرام» أم لا حتى تعرف منى ما يجرى، قلت لها إننى فى المنزل، قالت وهى مذعورة إنها أيضا فى منزلها وأنها رأت من شرفتها المطلة على شارع الهرم خيولا وجمالا يمتطيها أشخاص قادمون من منطقة «نزلة السمان» يسيرون فى الاتجاه نحو الجيزة. قلت لها أننى لا أعرف شيئا، وانتهت المكالمة.

وبمرور الدقائق والساعات عادت دعاء لتتصل بى مرة أخرى، ومرات، ولكننى فى الواقع لم أتمكن من الرد عليها، إذ لم يكن لدى ما أقوله، أو لعلى لم أكن أصلا قادرا على الكلام، اضطررت للرد فى النهاية، لأجد المفاجأة فى انتظارى، دعاء تبكى بتأثر واحتراق شديدين وتسألنى بصوت مختنق سؤالا محددا عما إذا كان بإمكانى الاتصال بشكل مباشر بعمرو موسى لعمل أى شىء.. لم أجد دعاء فى هذه الحالة منذ معرفتى بها أيام الكلية قبل سنوات طويلة، كانت فى حالة انهيار عصبى حقيقى، حاولت تهدئتها لكننى قلت لها إننى ليس لدىّ رقم تليفون موسى الخاص، كما أن الرجل ليست لديه قوة على الأرض تمكنه من التحرك أو عمل شىء فى مثل هذا الموقف، ردت بدموعها قائلة إنه لابد أن يفعل أحد شيئا، وإنه لا يمكن أن يترك الناس يموتون بهذا الشكل.

انتهت المكالمة لكن دموع دعاء أثرت فىّ بشدة إلى درجة أننى فكرت بالفعل فى محاولة توصيل هذا الشعور.. أو قل الرجاء.. إلى موسى عبر دينا اسماعيل لعمل أى شىء، أو لمجرد أن يعلم أن هناك من ينتظرون منه عمل شىء، لكننى عدت للتفكير بواقعية، وذكرت نفسى بما كنت أقوله دوما لمن يتهم موسى بأنه يتكلم ولا يفعل، كنت أرد بقولى أن الرجل لم يكن فى أى وقت من الأوقات صاحب قوة حقيقية على الأرض من جيش وشرطة وأجهزة مخابرات ومؤسسات، فكيف نحكم عليه بأنه لا يفعل وهو لم يختبر أصلا، كانت فكرتى هى أن موسى لو امتلك هذه القدرات المؤسسية كرجل فى موقع المسئولية الفعلى فإن أفعاله كان ستقترب كثيرا من تصريحاته.

لم أملك سوى استمرار المتابعة لما يجرى بألم، وفى غضون ذلك ذكرت إحدى القنوات الفضائية أن ضابطا فى الجيش برتبة نقيب شوهد وهو يضع سلاحه فى فمه وأنه كان على وشك إطلاق الرصاص إلا أنه تم منعه.

على أى حال.. تواصلت حلقات جديدة فى مسلسل المؤامرة على مدى اليوم حيث قال أكرم خزام مراسل قناة «الحرة» انه شاهد فى شارع جانبى بالقرب من ميدان التحرير عددا من هؤلاء الذين يسميهم المصريون بالبلطجية يقفون مع شخص ويقولون له «إدينا فلوس احنا أدينا المهمة»، بينما قال الدكتور مصطفى الفقى أن لديه معلومات أن رجال أعمال مؤيدين للحزب الوطنى يقفون وراء هذه الأعمال ويمولونها، قال الفقى ذلك على «قناة الجزيرة» وسمعته بنفسى لكنه عاد ليتراجع حيث اتصل ببرنامج (مباشر مع عمرو أديب) على قناة «الحياة» بعد أن طالبه أحد ضيوف البرنامج بأن يدلى بالأسماء التى لديه للنائب العام، وكان ذلك مطلبا طبيعيا ومنطقيا، إلا أن الفقى قال فى اتصاله أنه لا داعى لمثل هذه الكلمات وأنه لا يعلم أى أسماء، تراجع الفقى إذن، واعتبر أن الكلام عن ضرورة توجهه إلى النائب العام فيه إهانة له «وتلقيح» عليه فانفعل على الإعلامية رولا خرسا وقال لها وهى تعرض عليه ورقة بتصريحه «روحى ورّى الورقة دى لزوجك» عبداللطيف المناوى، رئيس قطاع الأخبار فى التليفزيون وانفعل أكثر وقال «أنا ممكن أقول لكل واحد هو مين ما عدا محمد مصطفى شردى» وأغلق التليفون وكان الحضور هم عمرو أديب ورولا خرسا وخالد صلاح رئيس تحرير اليوم السابع والدكتور عبدالرحيم على الباحث فى شئون (الإخوان المسلمين) انتهى الاتصال وعلق خالد صلاح بأنه لديه الأسماء وسوف يعطيها لعمرو أديب!

الولايات المتحدة الأمريكية أخذ موقفها فى التصاعد على مدى اليوم ولوحظ أن وكالة «رويترز» للأنباء نقلت عن مسئول أمريكى قالت إنه رفيع ولم تسمه أن مسئولا كبيرا مقربا من الحزب الوطنى يقف وراء أعمال البلطجة التى تمت ثم قال روبرت جيبس المتحدث باسم البيت الأبيض أن أمريكا تريد أن يكون هناك انتقال للسلطة الآن، والآن تعنى الأمس ليس اليوم أو غدا، ثم عاد وقال أن الآن تعنى الآن وليس شهر سبتمبر . وقال أن أوباما شرح لمبارك هذا الموقف بكل وضوح فى اتصالهما يوم أمس الذى استمر نصف ساعة ، لكنه رفض الإفصاح عن الطريقة التى قال بها أوباما ذلك لمبارك وقال إنه لايمكنه التحدث فى هذا، لكن أوباما قال بأوضح صورة لمبارك أنه يجب أن يتم تسليم السلطة الآن.

سألت نفسى.. لماذا باعت أمريكا حليفها الرئيسى مبارك بهذا الشكل ؟! لا شك أن مصالح الشعب المصرى ليست هى التى دفعت أمريكا لهذا الموقف، كان يمكن ببساطة أن تدعم أمريكا موقف مبارك بعد إعلانه أنه سيترك السلطة فى سبتمبر وأن تدافع عن ذلك لكنها أصرت على أن يكون نقل السلطة الآن بكل وضوح لماذا؟ لاشك أن المصلحة الأمريكية تتمثل فى أن يتم تسليم السلطة الآن لعمر سليمان . ولاشك أنها ترضى عنه وتريده بل ربما دعمت تعيينه نائبا، حتى يقوم عمر سليمان بنفسه وهو رئيس للجمهورية بتنظيم انتخابات فى سبتمبر بما يجعله مسيطرا على الموقف ويفوز فى الانتخابات التى تكون قد جرت وهو فى السلطة فيسهل تمريرها لصالحه، أما إذا استمر مبارك ثم قام بتنظيم انتخابات نزيهة فى سبتمبر مع ماقال أنه سينفذه حول تحديد مدد الرئاسة فإنه من غير المضمون أن يأتى نظام جديد يدافع عن مصالح أمريكا بل إن الإخوان المسلمين ربما يكونون هم أصحاب قصب السبق. وهذا مالا تريده أمريكا بالطبع.. هذا تحليل لا معلومات!

فى المساء تعزز حديث المؤامرة وانتقل إلى مرحلة ذكر الأسماء والتصريح بها، حيث ذكر الفنان عمار الشريعى خلال لقاء مع برنامج «العاشرة مساء» للإعلامية منى الشاذلى إن ماحدث شىء مدبر ومخطط له. وقال إنه على اتصال مستمر بشباب المتظاهرين، وقالت منى أننا يمكن أن نحصل منك الآن على أخبار من خلال علاقتك بالمتظاهرين، وقال أن هناك أسماء بعينها يمكن أن يذكرها، ولم تمنعه منى أو توقفه، فواصل الكلام قائلا إنه يرجو ألا يكون صفوت الشريف وراء ماحدث اليوم، وأضاف: «حأحزن جدا إذا كان هو». وقالت منى إننا ليست لدينا أدلة على الاتهامات ضد أشخاص بعينهم حتى تكشف التحقيقات الحقيقة، وبعدها قال الشريعى «ده صاحبى أنا بأحبه ياريت مايكونش هو». فى النهاية قالت منى إنها لاتضمن أن يظهر برنامجها غدا لاسيما أن الغد هو الخميس وسوف يذاع برنامج عمرو الليثى، وأضافت أنه ستتم إذاعة حوار مع عمرو موسى كان من المقرر تسجيله اليوم الأربعاء، إلا أنهم فشلوا فى الوصول إلى مقر الجامعة العربية بسبب اشتعال الأحداث فى التحرير وأنها سوف تسجل الحوار غدا الخميس صباحا ويذاع فى المساء.

اليوم الأربعاء عادت خدمة الانترنت إلى مصر.. دخلت على «النت» فى المساء بعد أحداث عاصفة فى يوم طويل، تحدثت مع شقيقى ماجد الذى يدرس ماجستير الهندسة فى ألمانيا وقال إن قرار عودة الانترنت فى هذا

التوقيت بالذات (الأربعاء) تدل على «تفكير شيطانى» يدير الأمور.. تساءلت عن السبب فيما قال فأوضح أن خطاب مبارك بالأمس لاشك أنه أحدث حالة من الجدل بين رأيين، فهل تستمر المظاهرات أم لا باعتبار أن ماتحقق شىء كبير؟ وكان من المطلوب أن يسرى هذا الجدل أو قل الانقسام بسرعة كبيرة بين المصريين عبر الانترنت وهو ماحدث بالفعل.

وقال ماجد إنه دخل فى نقاش طويل مع صديق له وصفه بأن كلامه مستفز حول ضرورة الاعتراف لمبارك بموقفه البطولى ، ماجد قال كلاما كثيرا لم يستبعد فيه أن يعود نظام مبارك للتنكيل بهؤلاء المتظاهرين إذا عادت له قوته، قلت له إن الأمور اختلفت كثيرا وتغيرت.

وفى الحقيقة لم أكن أحمل رأيا حاسما حول مسألة استمرار المظاهرات وامتدادها إلى جمعة الرحيل أم لا، كنت أراقب المشهد فى «ذهول وتسجيل» لكننى كنت أيضا مدركا لحجم ماحققته الثورة حتى الآن من مكاسب أعلن عنها مبارك بالأمس، لم تكن لدى شكوك كبيرة فى أن يرجع مبارك فى كلامه، فالتاريخ لايسير بهذا الشكل، كما أن الظروف تغيرت، وعرف الناس طريق الشارع أخيرا، لكننى فى ظل كل هذا كنت أحترم رغبة المتظاهرين فى استمرار التظاهر حتى جمعة الرحيل.

وعندما دخلت على الانترنت قرأت كلاما كثيرا لأصدقائى من الصحفيين والمثقفين الشباب وكانوا يدعون بقوة إلى التهدئة وعدم الاستمرار فى التظاهر، لكننى مع ذلك وجدتنى أقوم بعمل بحث على كلمتى «جمعة الرحيل»، ودخلت على الصفحة الخاصة بها على «فيس بوك»، ثم أرسلت ٢٠٢ دعوة لأصدقائى للمشاركة فى الحدث!

**لكن رغم كل شىء، كان أجمل ما قرأت على الانترنت فى إطار الدعوة للتهدئة هو ماكتبه صديقى الذى لم أهتف معه فى الميدان أحمد هوارى، حيث كتب يقول: «عودوا إلى دياركم.. عودوا ولنغتنم ماتحقق.. عودوا فلن تعوض مصر عقلة إصبع من أحدكم».**

# ظهور الرجل الغامض

## عماد الدين أديب: «الإخوان عايزين ٦ وزارات»

## الخميس ٣ فبراير

خيمت غيمة الغموض على ملامح الأحداث صباح اليوم.. فهل يستمر الناس فى التظاهر أم لا، هل يكفى ماتحقق أم لابد من رحيل مبارك «الآن»؟ وسألت نفسى عن سبب إرسالى دعوات لأصدقائى للمشاركة فى صفحة مناسبة «جمعة الرحيل» على «فيس بوك» فهل كنت أطلب استمرار التظاهر وأدعو إليه؟

تلاحقت الأحداث سريعا بعد ذلك. ظهر رئيس الوزراء أحمد شفيق فى مؤتمر صحفى ظهرا وقدم اعتذاره عما حدث بالأمس للشعب المصرى وجموع المواطنين مؤكدا فتح تحقيقات شاملة لمعرفة أسباب هذه الأحداث ومن وقف وراءها وقال إنه لا يستطيع أن يتخيل كيفية أو وسيلة دخول المجموعات التى دخلت إلى ميدان التحرير وهل كانوا فرادى أم جماعات وهل كان ذلك تلقائيا أم مرتبا له. وتعهد بفتح تحقيق فورى لمحاسبة المتسببين فيما حدث. كما أكد أن هناك تحقيقا حول الغياب الأمنى الكامل فى مصر مما أدى إلى الانفلات والنهب.

وقال إنه إذا ثبتت مسئولية حبيب العادلى عن الفراغ الأمنى فإنه سوف يحاسب عن أى أخطاء ارتكبها فى حدود حجم تلك الأخطاء.

كلمة رئيس الوزراء ساهمت فى معالجة جانب من الاحتقان الحادث فى الشارع المصرى، أما الموقف على الأرض فى ميدان التحرير فقد شهد بعض الاشتباكات كانت بين المؤيدين والمعارضين أيضا لكن ليس بحجم حدة المواجهات التى جرت أمس.

وفى حوالى السادسة مساء ظهر نائب رئيس الجمهورية عمر سليمان على

التليفزيون المصرى فى أول حديث طويل يذاع له أجراه الإعلامى عبد اللطيف المناوى، وكان قد تم تسجيله وإذاعته مسجلا.

إذن فهاهو الرجل الغامض الذى طالما تداول المصريون الكلام حوله وحول شخصيته يظهر للمرة الأولى على مدار حوالى نصف ساعة كاملة يتحدث أمام المصريين ليحكموا عليه. هاهو الرجل الذى عاش سنوات طوال يعمل فى الخفاء، دون أن يستطيع أحد تقدير حدود حجم الدور الذى يلعبه فى النظام، لكنه ظهر بعد ذلك فجأة فى وسائل الإعلام باعتبار أنه «الوزير عمر سليمان» واقترن اسمه إلى حد كبير بملف المصالحة الفلسطينية، وقد سمعت قيادات فلسطينية تشيد بالدور الذى يقوم به فى هذا الملف قائلين «لولا عمر سليمان ما حضرنا» لبحث المصالحة.

صعد اسم سليمان أيضا ليشغل مساحات أكبر نسبيا فى وسائل الإعلام لا سيما العربية خصوصا فى غضون عام ٢٠٠١، عندما خلا منصب وزير الخارجية المصرية بعد «قرار الإزاحة» الذى أصدره مبارك لعمرو موسى بترشيحه لمنصب الأمين العام لجامعة الدول العربية، وتداولت الصحف العربية اسم سليمان كأحد المرشحين لمقعد وزير الخارجية آنذاك، إلا أن مصدرا على صلة بجهاز المخابرات قال لى وقتها إن سليمان أو مساعديه كانوا يسخرون من الحديث عن هذا الترشيح قائلين: «ده هو اللى بيجيب وزير الخارجية»، فى إشارة إلى أهمية دور المخابرات العامة وموافقتها على الترشيح لهذا المنصب، وللتأكيد على أن الدور الذى يلعبه فى النظام أكبر من هذا المنصب بكثير.

رأيت عمر سليمان مرة واحدة فقط عن قرب فى مسجد آل رشدان قبل عام تقريبا عندما جاء لتقديم العزاء لصفوت الشريف فى وفاة الشقيقة الكبرى لزوجته، عمة زوجتى، مرّ الرجل أمامى بقامته الفارعة الطويلة التى تضفى عليه – مع جبهته العريضة وعينيه اللامعتين – هالة من الوقار والرهبة والغموض. نهض صفوت الشريف لاستقباله ومصافحته، ولاحظت أن الشريف قام قبل أن يصل إليه سليمان بربط جاكت بدلته.

على أى حال، ها هو عمر سليمان يتحدث للمرة الأولى أمام المصريين وجها لوجه. وكانت هناك تصريحات له فى الحوار اعتبرتها إيجابية ومقنعه منها قوله إن مبارك استجاب لكل المطالب المشروعه لشباب ٢٥ يناير وأنه كان من الممكن قبول مطالب أخرى متعلقة بالإصلاح السياسى لكن الوقت هو الذى يربطنا لأن انتخابات الرئاسة ستجرى فى شهرى أغسطس وسبتمبر، وبالتالى

فإنه لدينا أقل من مائتى يوم وهناك تعديلات دستورية وتشريعية كثيرة تحتاج إلى وقت، حيث أن التعديلات الدستورية تحتاج إلى ٧٠ يوما على الأقل لكى تأخذ دورتها الدستورية حتى يتم إقرارها، وأضاف أن الشباب كان يطالب بحل : جلسى الشعب والشورى ومعنى هذا أننا لن نستطيع النظر فى موضوع التعديلات الدستورية لأنه لابد أن يكون هناك برلمان حتى يمكن النظر فيها. وقال إن الوقت المحدود حاليا لابد أن نعمل فيه بالدستور الحالى مع تعديلات للمادتين ٧٦ و٧٧ وإذا كانت هناك مطالب بشأن المادة ٨٨ (الإشراف القضائى) سيتم النظر فيها من خلال الحوار، وأضاف إننا نريد أن ننتهز الفرصة الباقية لانتقال السلطة لكى ننجز تعديلات دستورية وتشريعية مقبوله تساعد على الخروج من الأزمة الحالية وهذا هو الهدف لكن التعديلات الأخرى أو تغيير الدستور كله يمكن أن يأتى فيما بعد عندما يكون هناك رئيس جديد لديه فترة ٦ سنوات تسمح له بالدراسة المستفيضة فى الدستور الجديد لمصر.

لكن ما أقلقنى فى حديث سليمان كان أمران أولهما وهو الأقل أهمية هو انتهاج نفس طريقة التفكير الأمنية عندما قال إن حركة ٢٥ يناير لم تكن حركة تخريبية بل كانت لها مطالب مشروعة إلا أنه استدرك بقوله أنه بعد ذلك اندست للأسف الشديد بينهم عناصر أخرى لها أهداف خاصة قد تكون مرتبطة بأجندات خارجية أو أغراض خاصة داخلية.

أما الأمر الثانى المقلق فكان هو حديث سليمان عن المادة ٧٦ وتعديلاتها حيث قال إن المهم هو أنه عندما نتعرض للمادة ٧٦ وهى مادة بها عدة قيود خاصة للترشح لانتخابات الرئاسة فإن الحوار الذى سيجرى من أجل شكل هذه التعديلات لابد أن ينظر لمستقبل مصر ومن سيترشح وما إذا كان سيتم تخفيف هذه القيود أو رفعها وماذا سنفعل؟! وأضاف قائلا: إننا سنترك هذا للدستوريين، ولكن لابد أن ننظر إلى من سيقود مصر فى المستقبل وخلال السنوات الست القادمة وهذا هو الفيصل، فالمهم ليس هو الشخص «ولكن مَنْ هو ومَنْ يمثل».

كلمات سليمان أوحت لى بأنه سيتم تخفيف القيود فقط على الترشيح لكن قيودا أخرى ستستمر ولن يتم فتح باب الترشيح على مصراعيه، لا بأس عندى بأن يكون القيد متمثلا فى تحديد مبلغ يدفعه المرشح كما يحدث فى بعض الديمقراطيات الغربية، أما التوسع فى القيود حتى «ننظر إلى من سيقود مصر فى المستقبل».. «ومَنْ هو ومَنْ يمثل» مثل هذه العبارات أقلقتنى وأشعرتنى

بأنه لايزال هناك من يلعب دور الوصاية على المصريين بحجة النظر فى مستقبل مصر والمحافظة عليه، وبالنسبة لى لم يكن المهم هو أن نرى «من هو ومن يمثل» وإنما أن يكون الناس قد اختاروه بالفعل فى انتخابات حرة لم تمتد إليها يد التزوير أو «التعويق المسبق» كالذى تفعله المادة ٧٦ حاليا، حتى لو كان هذا الرئيس الجديد أى إنسان كان.. احتفظت بقلقى داخلى حتى نرى ما سيحدث.

الأمر اللافت للنظر ولعله كان هو محور أحاديث المساء هو أن عمر سليمان قال إنه تم توجيه الدعوة للإخوان المسلمين للمشاركة فى الحوار الدائر حاليا إلا أنهم مترددون. سأله عبداللطيف المناوى: «رافضون أم مترددون؟» قال: «مترددون، لكن أعتقد أن من مصلحتهم أن يحضروا الحوار لأنها فرصة ثمينة لهم». وبعد إذاعة حوار سليمان أصدر الإخوان بيانا أكدوا فيه أنهم ليسوا مترددين فى قبول الحوار بل هم رافضون له فى ظل استمرار النظام الحالى.

هل الإخوان رافضون أم مترددون؟ لم يكن ذلك هو الشىء المهم لكن المهم هو ما جاء بعد ذلك على لسان الإعلامى عماد الدين أديب فى حوار مع عمرو الليثى فى برنامج «واحد من الناس» الذى أذاعته قناة دريم فى المساء على الهواء مباشرة. قال أديب أن لديه معلومات أدلى بها له أحد المصادر لكنه قال إنه مصدر واحد لا أكثر من مصدر مما تستلزمه قواعد تأكيد الخبر، ومع ذلك فهو سيقول ما لديه وهو كالتالى:

الإخوان يرون أن النظام المصرى فى الموقف الحالى هو فى أضعف حلقاته منذ قرار حظر الجماعة عام ١٩٥٤، وأن الفرصة الحالية تاريخية بالنسبة لهم للفوز بأكبر مكاسب ممكنة ولن يتاح مثلها فى المستقبل، وهذه هى المرة الأولى التى يقول لهم النظام تعالوا وتحاوروا معنا، لذا فإنه من مصلحة الإخوان استمرار الاعتصام الحالى للاستمرار فى لعبة عض الأصابع حتى النهاية للخروج بأكبر مكاسب ممكنة، فالنظام سيظل تحت ضغط طالما استمر الاعتصام، وبالتالى فإنه قد يلجأ إلى تشكيل حكومة انتقالية تدير البلاد، وعندئذ فإن الحديث يدور عن مطالبة الإخوان بست وزارات فيها، ثم أوضح: «ده دلوقتى لأن الأمور تسير على عجل»، لكن عندما تكون هناك انتخابات جديدة ويتم تشكيل نظام جديد فإن الإخوان سيقولون للنظام أنهم يرضون بأن يكون «الرئيس منكم» لكن فى المقابل أن يصبح المرشد العام للإخوان نائبا للرئيس.

ثم يضيف عماد تحليله قائلا: إن السؤال الآن هو ماذا يريد الإخوان بالتحديد؟ هل يريدون «انتهاز» الفرصة المتاحة لهم حاليا أم «تعظيمها»؟! ويوضح الفارق قائلا إنه يمكن للإخوان العمل على انتهاز الفرصة وتحقيق مكاسب معينة سريعة لكن لابد من الوضع فى الاعتبار أن النظام لن يظل ضعيفا بل ستعود له قوته بعد فترة وسيكون واردا بالطبع أن يقوم بحظر نشاطهم مرة أخرى.

هذا إذا كانوا يريدون انتهاز الفرصة، لكن فى المقابل فإنه يمكن للإخوان أن يعملوا على تعظيم الفرص لهم فى المستقبل من خلال العمل الآن من خلال النظام دون هدمه، وفى هذه الحالة فإنهم سيمكنهم الاستمرار والاحتفاظ بما يحققونه من مكاسب، فهل سيختار الإخوان انتهاز الفرصة أم تعظيمها؟

عماد أديب قال ذلك منتقدا عدم السماح للإخوان بممارسة العمل السياسى موضحا أنه إذا استبعدت فريقا من اللعب وأخرجته خارج النادى فإنه سيقف خارج السور ويرمى الحجارة عليك، لكنه أيضا مال إلى اعتبار أن الإخوان هم القوة الرئيسية التى «تريد وتدير» الاعتصام غدا الجمعة.

بعد قليل وفى نفس البرنامج قال عمار الشريعى فى اتصال هاتفى إن أحد السفراء العرب اتصل به ونقل إليه رغبة عمرو موسى فى الجلوس مع الشباب المعتصمين حتى «يسمع منهم ويسمعوا منه» فقام الشريعى بنقل هذه الفكرة لمن يعرفهم من الشباب لاختيار مجموعة تمثلهم تلتقى بموسى فقال له بعضهم إنهم لا يمانعون فى ذلك لكن طلبوا الانتظار لحين استطلاع رأى زملائهم ثم عادوا وقالوا أن شباب الإخوان رفضوا الفكرة، وقالوا إنهم سينقلونها إلى قياداتهم.

وفى نفس الوقت فإن مصطفى الفقى كان قد ظهر على إحدى القنوات الفضائية قائلا إنه يعتقد أن مواجهة كتلك التى دارت فى الشارع يوم أمس بهذه الخبرة وذلك التنظيم لا يمكن أن تحدث إلا بين النظام والإخوان.

استعدت ما سمعته على قناة «بى بى سى العربية» أمس عندما ذكر مراسلها أن شباب المتظاهرين قاموا بعمل ما يشبه السجون السرية فى مداخل محطة مترو الأنفاق المغلقة فى ميدان التحرير لاحتجاز من تمكنوا من الإمساك بهم من المؤيدين، وقال أحد الحراس لهذه السجون لمراسل القناة فى ختام حواره معه أنه «من الإخوان».

# جمعة الاعتقال

## ضابط فى الجيش برتبة مقدم: «أنتم مقبوض عليكم»!

## الجمعة ٤ فبراير

فى بريدى الإلكترونى وجدت أن الزميل عمرو جمال المصور بـ «الأهرام» قد أرسل لى دعوة للاشتراك فى صفحة على موقع «فيس بوك» بإسم «لا للتظاهر يوم الجمعة القادم ٢٠١١/٢/٤ لإخماد نار الفتنة».

فهمت أن رسالته هذه جاءت ردا على الدعوة التى أرسلتها له ضمن أكثر من مائتى شخص للاشتراك فى صفحة «جمعة الرحيل».

استعدت مسألة إرسالى هذه الدعوة وتساءلت.. هل كنت أريد الدعوة للمشاركة فى المظاهرة حقا؟ أنا شخصيا لم أرغب فى المشاركة بل إننى طلبت من شقيقى مدحت عدم المشاركة لأن هناك مخاوف حقيقية من وقوع اشتباكات أو عمليات ضبط للمشاركين.. فلماذا أرسلت هذه الدعوة إذن؟

فكرت مليا فى الأمر فوجدت أن إرسالى هذه الدعوة ربما كان يهدف فى الأساس إلى المطالبة بالاستمرار فى الفكرة، فكرة الدفاع عما تحقق من مكاسب وعدم التراجع، والدعوة إلى متابعة تنفيذ ما وُعدنا به حتى لا ينقلب علينا أحد، لكن لم يكن الفارق كبيرا لدى بين أن يرحل مبارك اليوم أو غدا، ففى الحالتين هو إلى زوال، وفى الحالتين أيضا، هى - أى الثورة - حققت نجاحا باهرا وأعاد صناعها كتابة التاريخ فى مصر.

كان لافتا أن مبارك اختار قناة «إيه بى سى» الأمريكية ليدلى بتصريحات خاصة لها مساء أمس قال فيها إن الرئيس الأمريكى باراك أوباما لا يفهم عقلية المصريين ولا يدرك ما يمكن أن يحدث إذا ما ترك مبارك منصبه فى الوقت الحالى حيث ستسود الفوضى. وإذا كان مبارك قد اختار هذه القناة الأمريكية لتوصيل رسالته إلى الرئيس الأمريكى وإدارته، فإن صحيفة «الأهرام المسائى»

الصادرة اليوم نشرت على صفحتها الأولى تصريحات مبارك هذه ووضعت صورة لمبارك وأوباما فى لقاء سابق بينهما وبدا مبارك وهو يشير إلى أوباما، وجاء ذلك تحت عنوان «مبارك لأوباما: أنت لا تفهم المصريين»!

تساءلت بداخلى عما إذا كان الوقت مناسبا لمثل هذه النوعية من التغطيات الصحفية الموجهة. لم أعرف أبدا من المستهدف بهذه الرسالة فى الوقت الحالى.. هل الأمريكان عبر سفارتهم فى القاهرة مثلا؟! لا يمكن لأن رسالة مبارك لهم وصلت بالفعل من خلال قناة «إيه بى سى» .. أم هل يمكن أن يكون المستهدف هو المصريين.. فى الوقت الذى تشققت فيه حناجرهم وهم يهتفون.. يسقط مبارك؟!

كنت فى «الأهرام» .. وعبر الاطلاع على مايرد على وكالات الأنباء، تصاعدت التقديرات بالنسبة لأعداد المشاركين فى مظاهرة «جمعة الرحيل» اليوم شيئا فشيئا على مدار اليوم، ولكن لم ترد أى تقارير تشير إلى اشتباكات أو أعمال عنف، فى هذه الأثناء قرأت على شريط الأخبار فى قناة «الجزيرة» أن مكتب عمرو موسى يؤكد أن موسى موجود وسط المتظاهرين فى ميدان التحرير، بادرت بالاتصال بدينا اسماعيل فأكدت لى ذلك وقالت أن حواره مع شباب المتظاهرين سوف يدور حول محورى الدعوة إلى التهدئة والحوار الوطنى، وسألتنى عما إذا كان البيان الذى أصدره موسى أمس الخميس ورد إلىَّ أم لا؟

كان البيان قد ورد لى بالفعل على بريدى الإلكترونى حوالى الساعة الثالثة والنصف عصر الخميس ولم أطلع عليه إلا صباح اليوم، هل ستنشر «الأهرام» أن عمرو موسى وسط المتظاهرين فى التحرير؟! لا أعرف، سألت حازم عبدالرحمن مدير التحرير فقال لى إنه يعلم أن موسى موجود فى المظاهرة وأن «بى بى سى» أذاعت الخبر، سألته عن إمكانية النشر، فقال لى: «أيوه اكتبه» كتبت الخبر واستعنت بالبيان الصادر أمس للإشارة إلى حوارات موسى مع الشباب، باعتبار أن حواره معهم لاشك أنه سيدور حول نفس المحاور التى وردت فى بيانه الصادر أمس.

فكرت فى محاولة الحصول على صورة لموسى وسط المظاهرة لكننى اعتقدت أن صدر «الأهرام» لن يتسع بكل هذا القدر لعمرو موسى، لكننى وجدت بعد ذلك أن حازم عبدالرحمن مهتم بالخبر وبالتصريحات المنسوبة لموسى وطلب أن ينشر جزء منه فى الصفحة الأولى لأهميته، أدركت حجم تبدل الأمور فقد

كان «الأستاذ حازم» لا يطيق خبرا عن عمرو موسى من قبل لكن الأحوال تبدلت، والأهمية الصحفية لأنشطة موسى الآن أصبحت أكبر بوضوح من أهمية لقاءاته السابقة بوصفه الأمين العام للجامعة العربية.

الوقت يمر على مدار اليوم ولا أنباء عن عنف أو اشتباكات، نقلت ذلك إلى دعاء خليفة حوالى الساعة الرابعة عصرا عندما اتصلت بى للاطمئنان على الأحوال، لكنها روت لى فى نفس المكالمة ما حدث معها بالأمس.. وكان بالنقيبة لها فارقا!

دعاء أرادت أن تفعل شيئا ملموسا يدعم المتظاهرين فقامت ظهر أمس الخميس بالتوجه إلى صيدلية «الإسعاف» لشراء مواد طبية من شاش وقطن وغيره للمتظاهرين، دخل الصيدلية أحد أمناء الشرطة وحاول منعها من شراء كميات كبيرة وسألها عن الغرض من شرائها هذه الأشياء ثم سأل العاملين فى الصيدلية عما إذا كان لديهم ما يكفى من الكميات للبيع لها ولغيرها، وعندما فشل بكل الوسائل فى منعها من الشراء خرج من الصيدلية، إلا أنه انتظرها فى الخارج ومعه اثنان من البلطجية على ما يبدو واعترضوا جميعا طريقها وأجبروها على التوجه معهم إلى أحد الضباط الذى كان بجواره عدد كبير من البلطجية أيضا، قاموا بتفتيش حقيبتها والإحاطة بها من كل اتجاه بشكل مرعب وأصر الضابط على أن يأخذ منها كل ما اشترته وكانت قيمته حوالى ٦٠٠ جنيه، وذلك حتى يسمح لها بالرحيل، قالت إنها صحفية ولكن لا جدوى، استوقفوا لها فى النهاية سيارة أجرة وأجبروها على الانصراف، دعاء انفجرت غاضبة ولم تجد بدا من أن تقول لهم عندما دخلت «التاكسى» قبل انصرافه بصوت مرتفع.. «يا ولاد الكلب»!

كدت أضحك عندما سمعت كلام دعاء، باعتبار أن من شر البلية ما يضحك أحيانا، لكننى منعت نفسى حفاظا على مشاعرها.

انصرفت من الجريدة عائدا إلى المعادى حوالى الساعة التاسعة مساء، قررت أن أسلك الطريق إلى العباسية ثم طريق صلاح سالم ومنه إلى المعادى لأن اللجان الشعبية يكون عددها أقل فى الطرق السريعة، وبعد حوالى ٧ أو ٨ لجان فقط وصلت إلى «صلاح سالم» وبعد كوبرى الفردوس، استوقفنى أحد المجندين فى الجيش وطلب منى بشكل مهذب أن اصطحب شابين وفتاة كانوا يقفون إلى جواره إلى أقرب مكان ممكن فى طريقى.

ركبوا جميعا وهم يشكروننى، لم تغفل أنفى رائحة العطر المميزة للفتاة التى جلست خلفى فى السيارة، مررنا بنقطة للجيش طلب فيها أحد المجندين الاطلاع على رخص القيادة، ويبدو أنه كان طيبا للغاية لأنه بعد أن قرأ أننى أعمل صحفيا وجدته يسمح لى بالمرور ويحيينى بصوت مرتفع «اتفضل يا باشا».

بعدها وجدت الفتاة تبادرنى بالسؤال عما إذا كان «الباشا ضابط شرطة ولا جيش» رددت موضحا أننى لا هذا ولا ذاك، وأننى فقط صحفى، لم تغفل أذنى أن الفتاة كانت هى الأكثر تحدثا من الشابين، اللذين عرفت أن أحدهما هو شقيقها والآخر صديقه، كما عرفت أيضا أنهم جميعا قادمون من ميدان التحرير، لكننى رغم ذلك لم أستطع أن أتعرف على ملامح الفتاة بشكل كامل.

أمام «القلعة» كانت هناك نقطة تفتيش مشتركة للجيش والشرطة، ظل رجل الشرطة يمعن النظر فى بطاقتى الشخصية ورخصتى القيادة والسيارة بشكل مبالغ فيه، عندئذ قالت صاحبتنا موجهة السؤال بسخرية.. « إنت كاتب الرخصة بأى لغة؟» قلت ضاحكا: «كاتبها بإيدى» فردت: «ابقى حسن خطك». لا أعرف ما إذا كان رجل الشرطة قد سمع الحوار أم لا، لكننى وجدته يطالب كل من معى فى السيارة ببطاقاتهم الشخصية، ردت هىّ عليه ببساطة قائلة إن بطاقتها ليست معها ثم أضافت «أنا نزلت من البيت بسرعة لميدان التحرير وما أخدتش شنطتى كلها».

لم أعرف ما هو مبرر الفتاة لذكر ميدان التحرير الآن، لكننى وجدت أن الشرطى يطلب منى بعدها الوقوف بالسيارة إلى جانب الطريق، وبعدها توالت الكوارث..

اتضح أن الشخص الجالس بجوارى، صديق شقيق الفتاة، فلسطينى الجنسية، وكان فى ميدان التحرير فى هذه الظروف، مع شاب وفتاة لا تحمل أى إثبات شخصية، نزلنا جميعا وتولى عدد كبير من رجال الجيش والشرطة تفتيش السيارة، بينما راح الضباط يسألوننا عن علاقتنا ببعضنا البعض وكيف اجتمعنا معا، وبعد قليل أحضر السادة المفتشون بضع نسخ من كتابى الذى يحمل اسم «لا ينشر» كانت معى فى حقيبة السيارة، بالإضافة إلى جميع متعلقاتى الأخرى التى شملت أوراقى التى أدون بها ما يشبه اليوميات منذ أول أيام الثورة حتى أمس، والتى أصبح مضمونها بين يديك حاليا.. وكانت هذه الأوراق فى حد ذاتها كافية!

تم اصطحابنا جميعا إلى مقر وحدة الشرطة العسكرية الموجودة فى الاتجاه المقابل، وأخذ أحد الجنود مفاتيح سيارتى وقام بنقلها إلى جوار الوحدة، أما صاحبتنا فقد راحت تسأل بحدة واستغراب عن سبب كل ما يحدث، وعندئذ رد عليها ضابط فى الجيش برتبة مقدم بهدوء قائلا «أنتم مقبوض عليكم»!

كانت الفتاة أيضا قد دخلت فى حوار طويل مع ضابط شرطة كبير، بدا كمن يحقق معها، حيث شرحت له بوضوح شديد موقفها السياسى المتمثل فى ضرورة رحيل مبارك بشكل فورى، وأن ذلك لن يؤدى إلى وقوع فوضى أو مشاكل. حاولت الفتاة إجراء اتصال من تليفونها المحمول، لكن أحد ضباط الجيش طلب منها بحزم عدم استخدام التليفون، بينما أخذ آخر منى تليفونى وراح يفحص ما به من رسائل وصور ومقاطع فيديو، فلم يجد شيئا له علاقة بالأحداث الجارية.

وبعد قليل وبعد أن تيقن الضباط أننا التقينا فى الطريق وأننا لم نكن معا من البداية، وجدت أحدهم يقول للشابين والفتاة.. «أنتم اتفضلوا تقدروا تمشوا» ، فقلت سريعا «يعنى المشكلة فىّ أنا .. ليه؟! »، قبل أن تتصرف الفتاة التفتت نحوى قائلة.. «أنت اسمك إيه؟»

هذه هى المرة الأولى التى أراها فيها بوضوح، ذات وجه أبيض صبوح، حسنة سوداء صغيرة تزين خدها، واضحة الجمال، ممشوقة القوام ولكن.. «الله يحرق ريحة العطر» .. . قلت لها اسمى وكانت قد عرفت أننى أعمل صحفيا فى «الأهرام» ، فردت قائلة «ما تقلقش».

وقفت مع السادة الضباط الذين راحوا يفحصون كتابى وأوراق يومياتى بعناية شديدة، بينما رحت أنا أهذى قائلا أننى صحفى ومهنتى هى الكتابة، لذا فإننى أسجل هذه اليوميات حتى أقوم بإعادة نشرها فيما بعد كحلقات، وأنها لا توجد بها أسرار أو خلافه.. ولكن بعد قليل.. كنت على موعد مع آخر المفاجآت، حيث وجدت أحد الجنود الذين كانوا لا يزالون يفتشون سيارتى يحضر منها كتابا صغيرا، مكتوبا باللغة العبرية!

# إنها الحرية

## صفوت الشريف يتحدث لأعضاء بمجلس الشورى

## قبل معركة ٢ فبراير: «فين أهلكم وناسكم؟!»

## السبت ٥ فبراير

«والآن توشك جمعة الرحيل على الرحيل».

على موقع «فيس بوك» كتبت هذه العبارة الصديقة دينا حاتم المعدة فى قناة النيل الثقافية الساعة الثامنة والنصف مساء أمس، ورحلت جمعة الرحيل بالفعل لكن مبارك لم يرحل.

أما أنا فقد رحلت اليوم إلى عالم «الميتين مؤقتا»، حيث نمت معظم ساعات اليوم!

ربما كنت أحاول الهروب لنسيان تلك المشاعر البغيضة، الرهيبة، التى انتابتنى عندما كنت «مقيد الحرية» أمس لمدة نصف ساعة كاملة!

لايمكننى نسيان ذلك اليوم، فقد تضافرت ضدى عوامل شتى جعلتنى فى لحظات موضع شبهة، كان آخر هذه العوامل هو ذلك الكتاب الصغير المنشور باللغة العبرية التى لا أعرف عنها شيئا، فمن أين جاء؟!

قبل أشهر كان قد تم تكليفى بتغطية فعاليات ندوة فى صالون ثقافى يقيمه رجل أعمال خليجى يحمل اسمه، وقبل انصرافى تم تحميلى بحوالى عشر نسخ من كتاب أصدره هذا المليونير بلغات مختلفة من بينها اللغة العبرية (!) تركت النسخ فى حقيبة سيارتى، ولم أتذكرها إلا عندما وجدت الجندى يحضر هذا الكتاب لضابط الجيش أمس، لا أدرى ماذا حدث بعد ذلك بالتحديد، لكن الضابط بعد أن أنهى فحص جميع أوراقى ومتعلقاتى قام بإجراء اتصال هاتفى، بقائده على مايبدو، وتوقعت أن يتم «ترحيلى» بعدها، إلى موضع للاحتجاز لكننى فوجئت به يسلمنى كل متعلقاتى ويسمح لى بالانصراف.

انصرفت بالفعل ولكن كان لابد من استعادة ذكريات الأمس بعد أن أفقت اليوم.. فما الذى جرى بالتحديد؟!

إنها الحرية!

آه من الحرية، وآه لأجلها!

لم يمسسنى أحد بسوء أمس، لكننى ببساطة لم يكن بوسعى الانصراف إذا أردت، كنت مقيد الإرادة، لا أستطيع التصرف وفقا لما أريد، إذن فقد كنت بلا حرية.. ومن هنا جاء الألم!

ألم؟!

أى ألم ذلك الذى تشكو منه؟

لاشك أن فقدان الحرية مدعاة للألم النفسى، وحولها ولأجلها دار جلُّ معارك الأرض، لكن آلاما أخرى ـ لآخرين ـ ينبغى تذكرها هنا إذا ما تحدثنا بجد، إنها آلام فقدان الكرامة الإنسانية، آلام انتهاك الجسد، عبر الضرب والركل والصفع والصعق، آلام التعذيب، والخوف منه أو توقعه، آلام فقدان الأمن وتوقع الاعتقال فى كل وقت، آلام التعرض للظلم والقهر والإذلال، آلام ترك الحبيب والقريب، ومغادرة رغد العيش، كل ذلك لأجل الدفاع عن فكرة أو مبدأ والاستعداد حتى للموت دونهما.. آلام وآلام ينبغى تذكرها، والوقوف أمامها وأمام كل من يحتملها ولايبالى بإكبار وإجلال وتوقير.

لم يمسسنى أحد بسوء أمس، وهأنذا أغرق اليوم فى سريرى لساعات حتى أنسى ما حدث، أو أهرب منه، لكن آخرين فى مثل سنى أو أصغر كانوا دوما على استعداد للمواجهة، وتحمل حياة الكرّ والفرّ مع الأمن وأجهزته، سعيا إلى حياة أخرى أفضل، لم يكن هناك مايشير إلى قرب بلوغها.

جميل أن ينشغل المرء بالأفكار ومناظرتها سعيا إلى الوصول إلى «إطار» يوجه الحياة ويجمّلها، لكن لابد أيضا من «العمل» لأجل تطبيق هذه الأفكار.. هل كانت نهى على حق حينما بادرت بالوقوف فى وجه الضباط دون أن تحمل إثبات شخصية لتعلن بوضوح أنها قادمة من ميدان التحرير؟!

نهى؟!.. لايزال شر البلية مضحكا أحيانا!

نهى سلامة.. صاحبة رائحة العطر المميزة.. رفيقة «الاعتقال» !

نُهى تعمل فى شركة للاستثمار العقارى، وهى تعرف زملاء لى من العاملين فى إدارة الإعلانات بـ «الأهـرام» ، بـادرت عقب انصرافها أمس بالاتصال بالزميل خالد الصغير وإخباره أننى قيد الاحتجاز، خالد لم يكن يعرف رقم هاتفى لكنه اتصل بالزميلة الصحفية هبة بشير زميلتى فى قسم الشئون العربية التى تمتُّ له بصلة قرابة، كما اتصل بصديقى سامى الجبالى المدير الإدارى فى الإعلانات، وهكذا وجدت الاتصالات تنهال عليّ أمس بعد وصولى إلى المنزل لمعرفة مصيرى، لكن آخر هذه الاتصالات كان من نهى نفسها التى طلبت رقم هاتفى من خالد..

تحدثنا سويا، وسخرنا معا من موقف احتجازنا، قلت لها ضاحكا إنه لم يكن هناك مبرر للتصريح بمسألة ميدان التحرير والآراء السياسية حول ضرورة رحيل مبارك الآن، لكننى وجدتها تقول لى «إحنا مش عايزين بقى يا أستاذ محمد نسكت تانى.. لازم نتكلم بصوت عالى» تحدثنا قليلا، ثم اتفقنا على التواصل، عبر موقع «فيس بوك».

مساء اليوم علمت أنه تم تعيين الدكتور حسام بدراوى أمينا عاما للحزب الوطنى خلفا لصفوت الشريف وأمينا للجنة السياسات خلفا لجمال مبارك، مع تقديم جميع أعضاء المكتب السياسى استقالاتهم.. هل هناك علاقة بين إقصاء الشريف وجمال فى هذا التوقيت ومسألة التخطيط لاقتحام ميدان التحرير بالخيول والجمال؟

مصدر موثوق فى مجلس الشورى قال لى أنه سمع صفوت الشريف قبل يوم الأربعاء الماضى ٢ فبراير يخاطب أعضاء فى المجلس قائلا لهم «فين أهلكم وناسكم ؟! » مطالبا إياهم بإحضارهم من الدوائر الانتخابية التى يمثلونها فى المدن والقرى للتعبير عن تأييد الحزب والرئيس.. هل لذلك علاقة أيضا بما حدث يوم الأربعاء؟

هل يمكن حقا أن يكون الشريف هو المخطط الرئيسى لما حدث؟

إن بداية تداول إسمه فى أوساط المتظاهرين على أنه يقف وراء تلك الأحداث لم يكن غريبا أو مفاجئا للرأى العام الذى لم يكن يستبعد أن تكون شخصية مثل شخصية صفوت الشريف هى من يقف وراء مثل هذه النوعية من

العمليات، لكننى بشكل شخصى عندما أستعيد مدى قسوة وبشاعة ماحدث فى ميدان التحرير يوم الأربعاء، أجدنى عاجزا عن فهم كل ذلك القدر من دماثة الخلق الذى يكسو تعاملات الرجل «الشخصية»، فهو فى هذا المضمار يبدو إنسانا مهذبا متحضرا، مضيافا وودودا إلى حد كبير، حريصا على التواصل مع الآخرين بلا استعلاء.

رأيته يقف وهو يرتدى «الشورت» ليتحدث ببساطة مع عامل يقوم بإصلاح بعض الأشياء فى حمام فيلا أبو سلطان، كما رأيته فى ختام إحدى حفلات الإفطار العائلى فى شهر رمضان فى نادى مدينة الإنتاج الإعلامى يمشى بمفرده ليقطع مسافة طويلة حتى يصل إلى الفرقة الموسيقية التى كانت تقدم بعض الأغانى ليطلب منهم بلطف الاكتفاء بهذا القدر، ويشكرهم بمصافحتهم فردا فردا، وكان يمكنه بإشارة صغيرة بيده لأحد مساعديه وهو فى مكانه أن يوقف نشاط الفرقة.

رأيته أيضا وهو يجلس على الأرض مستندا إلى ركبتيه ليقبل بحنان يد حلا ابنتي!

كيف يمكن أن يكون هذا الرجل هو نفسه «قاتل» المتظاهرين فى ميدان التحرير؟!

وقبل الانتقال إلى موضوع آخر أجد أنه من الضرورى التذكير بما سبق أن كتبته هنا حول مسألة التعليق على مايخص الشريف، حيث أننى أمتنع عن إصدار أى أحكام تاريخية (مع الرجل أوضده)، ولن أكتب كلاما يمكن أن يفسر على أنه (دفاع عنه أو هجوم عليه) فما أكتبه هنا عنه هو مجرد مشاهدات، مع ما كان يدور بداخلى وقتها من أفكار ومشاعر، وأظن أن السبب لهذا الموقف مفهوم ومقدر.. أقول هذا حتى لا أفاجأ يوما.. بمن يتهمنى بمحاولة الدفاع عنه وتصويره على أنه حمل وديع.. أو يصمنى بأننى قمت باستغلال العلاقة الخاصة به فى الهجوم عليه.. لأننى لست هذا ولاذاك!

مصطفى الفقى لفت الأنظار أيضا هذا المساء بإعلانه عن استقالته من الحزب الوطنى خلال لقاء له مع قناة «العربية» على الهواء مباشرة، الفقى قال إنه يعفى نفسه من عضوية الحزب مع كامل احترامه لقيادته، وأضاف أن انتخابات مجلس الشعب التى خاضها عام ٢٠٠٥ تركت فى نفسه جرحا كبيرا جعله يعيد حساباته فى علاقته بالحزب الوطني!

الآن فقط.. أعاد الفقى إذن حساباته حول الحزب الوطنى، أما تلك الانتخابات التى يتحدث عنها فكان قد خاضها أمام مرشح الإخوان المسلمين جمال حشمت فى دائرة بدمنهور «معقل حشمت» ونجح الفقى نجاحا عجيبا وباكتساح، وصدرت أحكام قضائية بإعادة الانتخابات فى الدائرة لوجود تلاعب فى الأصوات لكنه رد على محرر جريدة «الأسبوع» عندما سأله وقتها عن هذه الأحكام بقوله «أنا خلاص طلعت كارنيه المجلس» وتم نشر ذلك بالجريدة.

منذ فترة ليست طويلة اتصلت بالفقى بعد أن قرأت أنه كان فى زيارة للبنان وأن رئيس مجلس النواب اللبنانى نبيه برى حمله رسالة إلى الرئيس مبارك، اتصلت به بهدف نشر فحوى الرسالة ومعرفة تفاصيل الواقعة منه، لكنه فوجئ باتصالى به وقال لى ان ما يعرفه هو أن هناك قرارا بمنعه من النشر فى «الأهرام» ، استغربت ذلك وقلت له إننى لا أعرف عن ذلك شيئا، فردّ عليّ قائلا إنه استشف ذلك عندما توقفت «الأهرام» عن نشر مقالاته الأسبوعية.

أوضحت أنه ربما لم يتم تجديد التعاقد معه لأى سبب من الأسباب لكن لا توجد قرارات أعرفها بمنعه من النشر فى الجريدة، وقتها بدا الفقى سعيدا وتحدث معى حول واقعة نبيه برى ثم وجدته يقول لى بالنص «خذ لى صورة بقى مع الخبر وانشره كويس.. على فكرة الريس الكبير بيحبنى والريس الصغير جمال برضه»!

على مستوى الصحف.. نشرت «الأهرام» اليوم الخبر الذى كتبته عن عمرو موسى أعلى الصفحة الثالثة لكن دون إشارة له فى الصفحة الأولى أما «المصرى اليوم» فلم يكن مفاجئا بالنسبة لى أن تقوم بنشر صورتين لموسى فى ميدان التحرير، بالإضافة إلى تصريح أدلى به لراديو «اوروبا فرنسا ١» ردا على سؤال حول احتمال ترشحه فى الانتخابات الرئاسية حيث قال موسى: «ولماذا أقول لا؟ أنا فى تصرف بلدى بالتأكيد، لكننا سنتابع التطورات السياسية، أنا على استعداد للخدمة بصفتى مواطنا له الحق فى الترشح» وعنونت المصرى اليوم لذلك على صدر صفحتها الثالثة (الأولى مكرر) بأن موسى يدرس الترشح لخلافة مبارك.. ولم أكن بحاجة إلى من يلفت نظرى إلى أن نبرة موسى فى تصاعد واضح. فى جريدة «الشروق» تم نشر خبر نزول عمرو موسى إلى ميدان التحرير أيضا فى الصفحة الأولى، أما الكاتب الصحفى فهمى هويدى فقد عبرعن نفسه اليوم بشكل مختلف وغير معتاد فى الصحافة لدينا عندما ترك المساحة المخصصة لكتابة مقاله اليومى فارغة إلا من ٣ كلمات كتبت بخط-

كبير هى.. كلنا ميدان التحرير.. لكن هويدى نشر فى العدد نفسه حوارا مع الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل كان مما جاء فيه على لسان الأخير أن قرار سحب الشرطة يكتنفه الغموض وسيظل سؤالا معلقا فى التاريخ والضمير المصريين سيجيب عنه مستقبل الأيام، لكن ذلك ليس مفاجئا تماما لأنه تفكير مستلهم من خطط التأمين التى تتضمنها أدبيات الثورة المضادة المتداولة فى العالم الغربى، وللمخابرات الأمريكية تحديدا إسهاماتها فى هذا المجال.. وأن هناك قواسم مشتركة بين وقائع التعامل مع ثورة الشباب فى مصر وبين ما جرى من قبل فى إيران ضد ثورة مصدق وفى شيلى أيام بينوشيه، حيث ظهر فى هاتين التجربتين دور بارز للجماعات التى تعمد إلى ترويع الناس وإشاعة الخوف بينهم، لإقناعهم بأن الثورة تهدد استقرارهم وستجعل حياتهم جحيما.

كما نشرت «الشروق» أيضا تعليقا للأديب العالمى باولو كويلو على أحداث يوم الأربعاء فى مصر كتبه على موقع «تويتر» حيث قال : «مبارك أيها المريض، لقد كنت تعلم أن أبرياء مسالمين سيتم الإضرار بهم اليوم، عار عليك».

# ثورة ٣٠ فبراير المجنونة!

## شاب يسأل قبل استشهاده بلحظات

## فى ميدان التحرير: «هو احنا صح؟»

## الأحد ٦ فبراير

بعض الكتابة لا يكون مداده إلا دمعاً.. فما بالك بكتابة عن دم شهيد؟!

أحاط بى اليوم عبق الروائح الزكية لدماء شهداء الثورة.. ورحت أتنسمه فى عشق ووجل وخضوع من أول اليوم إلى آخره!

فى الصباح نشرت صحيفة «المصرى اليوم»، أعلى صفحتها الأولى صور ١١ شهيداً من شهداء ثورة يناير، وبالداخل تم نشر صفحة بديعة تضم صور عدد من الشهداء وأسماءهم والبيانات الرئيسية لهم وتاريخ قتل كل منهم، تحت عنوان «شهداء ثورة ٢٥ يناير.. الورد اللى فتح فى جناين مصر.. »

هم الورود بحق.. هم زهور الياسمين التى استنشقنا عبيرها فعرفنا روائح الحرية، عيونهم تلك المليئة بالحب والتحدى، المتربصة بالأمل، المصرة على انتزاع السعادة، أبت قبل أن ينطفئ بريقها للمرة الأخيرة إلا أن تضئ لنا طريقا طالما سمعنا عنه، وحلمنا به، ولم ندركه إلا على هدى أنوارها.

معظمهم فى العشرينيات من العمر، أكبرهم لايزيد عمره على ٣١ عاما.. لهم آباء مثل آبائنا، وإخوة مثل اخوتنا، وأبناء كأبنائنا.. بل هم أشرف وأطهر، فقد دفعوا الضريبة دما، وما أغلاها من ضريبة.

ارقدوا الآن آمنين.. غانمين.. خالدين، فقد كسرت أمواج بحر دمائكم الطاهرة حاجز الخوف داخلنا أخيرا.. وما نحن إياكم بمضيّعين.

ظهر اليوم عاد مدحت من التحرير.. (بماذا كنت سأشعر أو ستشعر أمه إذا كان قد أصابه مكروه ؟!) لم ينفذ ما وعدنى به، وذهب إلى ميدان التحرير يوم

الجمعة، ثم ذهب أيضا السبت وبات ليلته هناك حتى عاد اليوم.. اليوم ستعقد جلسة موسعة للحوار بين النظام والمعارضة، لكن «حوارا» آخر كان يجرى فى ميدان التحرير. الحشود مازالت كما هى، أقاموا لأنفسهم حياة خاصة جديدة وسط الميدان، فى المساء يمكنك - كما يقول مدحت - أن تفرض نفسك على أى مجموعة تكون قد جلست متحلقة حول جذوة نار صغيرة للتدفئة، لن يقول لك أحد «انت مين؟». فقط تقول «سلام عليكم» ثم تجلس، ويمكنك بعدها أن تناقشهم فى كل ما يجرى.

عملية مذهلة لتبادل الآراء والأفكار وصقل الخبرات تجرى فى الميدان. لن تكون وحيدا أو منبوذا إلا إذا مال رأيك نحو إضعاف الهمم عبر المطالبة بإنهاء الاعتصام، أو الاكتفاء بما تحقق، وعندئذ ستجد السؤال الفورى فى انتظارك.. «إذا كان ده رأيك طب ليه انت هنا دلوقتى؟».

وفى الصباح يقوم البعض بممارسة رياضة صباحية بشكل جماعى على أنغام موسيقى وطنية فى مشهد جميل.. «الناس حتفضل فى الميدان».. هكذا قال مدحت.

بعد الظهر أذاعت القنوات الفضائية صور لقاء نائب الرئيس عمر سليمان بقادة الأحزاب والمعارضة وممثلين عن جماعة الاخوان المسلمين هما سعد الكتاتنى ومحمد مرسى، بالإضافة التى لقاء خاص لسليمان مع ستة من الشباب المعتصمين فى ميدان التحرير.

اعتبرت أن اللقاءين كانا تاريخيين، كلٌ للسبب الخاص به، إذ أن النظام لم يجلس للحوار مع الإخوان المسلمين بشكل علنى منذ سنوات طويلة، ربما منذ الخمسينيات، بعد قرار حظر الجماعة عام ٥٤، أما بالنسبة للقاء الثانى فلعله لم يحدث أبدا أن جلس شباب مع مسئول كبير بحجم عمر سليمان لإجراء حوار حقيقى، ليس مرتبا أومتفقا عليه عبر أسئلة ملقّنة وإجابات محفوظة.

بدا المشهد غريبا فهؤلاء الشباب هم المعتصمون بالميدان الذين أسقطوا صلف النظام بالأمس وهذا المسئول الكبير (سليمان) يبدو فى اللقطات المسجلة وهو يتحدث معهم بحماس وينظر إلى كل منهم فى عينيه، كأنه يحاول أن يقنعهم بوسائل شتى، اللطيف أن الشباب قالوا لسليمان فى بداية اللقاء إنهم غير مفوضين من أحد وليسوا مفاوضين بإسم زملائهم وأنهم جاءوا فقط للاستماع.. فهى جلسة استماع كما سموها لاتفاوض.

ولا يفوتنى مشهد الفتاة الوحيدة التى حضرت الاجتماع حيث بدا كأنها تتحاشى التقاء كاميرات التصوير بعينيها الجادتين الحزينتين نوعا ما، وهى ترتدى ملابس يغلب عليها السواد، لعلها فقدت قريبا أو صديقا فى المظاهرات!

وفى بداية الاجتماعين طلب سليمان من الجميع أن يقفوا دقيقة حدادا على أرواح من سماهم بـ «شهداء الانتفاضة الشعبية»، وهو ما ساهم إلى حد كبير فى تخفيف حدة الاحتقان الذى بدأ به الاجتماعان.

وعقب الاجتماعين صدر بيان أكد اتخاذ عدد من الإجراءات والقرارات الإصلاحية أبرزها تشكيل لجنة لدراسة التعديلات الدستورية المقترحة ولجنة وطنية أخرى للمتابعة، والإفراج الفورى عن معتقلى الرأى، وتحرير وسائل الإعلام والاتصالات (لا أدرى كيف؟! ) وغيرها ، لكن السؤال ظل قائما .. هل يعنى كل هذا أن المعتصمين فى الميدان قد تنازلوا عن مطلب التنحى الفورى للرئيس مبارك؟ وهل سيعلنون عن فض اعتصامهم أخيرا بعد البيان الذى صدر فى أعقاب الحوار؟ النفى هو العنوان الرئيسى للإجابتين وما بدا واضحا هو أن المسارين سيستمران معا حتى إشعار آخر؛ الحوار والاعتصام. لاسيما أن النظام لايعرف مع من بالتحديد من المعتصمين يمكن التفاوض وصولا إلى فض الاعتصام.. فالمعتصمون أفراد وشباب لاتحكمهم جماعات سياسية محددة، هناك الإخوان المسلمون لكنهم ليسوا القوة الوحيدة وسط المتظاهرين، وليسوا مفوضين للتحدث باسم الكل، وهكذا استمر الوضع على ما هو عليه.

اليوم عاد معظم الناس إلى أعمالهم، ومن المفترض أن تعود الحياة إلى طبيعتها نوعا ما، فى المساء تبادلت الاتصالات الهاتفية مع أصدقائى أعضاء اللقاء الاسبوعى «فى قهوة الدقى» على مدى سنوات طويلة، وهم أحمد قدرى وأمجد حنفى ووائل فهمى وخالد سلامة، كان قد تم تعليق هذا اللقاء المعتاد حتى إشعار آخر بسبب الظروف التى تمر بها البلاد، لكننى عرفت منهم عبر الاتصالات الهاتفية اليوم أخبار كل منهم.

خالد سلامة مندوب الإعلانات بـ «الأهرام» قال لى إنه لايوجد عمل حقيقى لديه فمن الذى سيعلن فى هذه الظروف؟! بل أن بعض العملاء (المعلنين) مازالوا يلملمون أوراقهم ويعيدون إصلاح وترتيب أمورهم بعد ماحدث، فعميل كبير مثل «نايك nike » للأدوات الرياضية تمت سرقة وتكسير ٧ محال له فى المركزين التجاريين أركاديا وكارفور بالطريق الصحراوى.

وائل فهمى مندوب الإعلانات بـ «الأهـرام» أيضا هو فقط الذى كان قد بدأ عمله مبكرا نوعا ما فى الأسبوع الماضى لأنه يتولى نشر إعلانات لجنة الإغاثة باتحاد الأطباء العرب، أما أمجد حنفى الموظف بالتليفزيون فإن عمله لم يتوقف خلال الأسبوع الماضى، لكنه حذر من وجود أشخاص يعتدون على الصحفيين بجريدتى «الأهـرام» و«الأخبار» والعاملين بالتليفزيون قائلا إن أحد أصدقائه أصيب بكسور وإصابات مختلفة، حيث تم الاعتداء عليه، فقط لأنه يعمل بالتليفزيون، ولم أكن بحاجة للتحذير فمازلت أذكر واقعة ضرب زميلنا أحمد المصرى. عاد الناس إلى أعمالهم إذن، لكن البعض منهم لم يعد.. ومازالوا يقفون على أطراف أصابعهم ترقبا لما سيجرى!

أحمد قدرى كان من هؤلاء، أو على الأقل عبّر عن وجهة نظرهم قائلا ان الحرفيين يكسبون قوتهم يوما بيوم، «يعنى بيشتغلوا علشان يأكلوا» ، وبالتالى فإن مايحدث لا يُعد بالنسبة لهم «وقف حال» فقط، بل هوعملية تجويع حقيقية ويتساءل: «هم اللى فى الميدان عايزين إيه تاني؟ الراجل استجاب لكل طلباتهم، يبقى إيه المطلوب بقي؟ الحكاية بقت عملية تخريب مش مظاهرات ياعم الحاج».

ويقول قدرى أنه لابد أن تكون هناك وسيلة لإبعاد هؤلاء عن ميدان التحرير حتى تسير الحياة، وربما يكون الجيش هو الوسيلة أو أى شىء آخر، لكنه يحذر من أن استمرار الوضع على ماهو عليه سيجعل البديل هو أن يخرج الفقراء فى ثورة جديدة «مجنونة» ضد هؤلاء الشباب.

«ما تقوليش بقى ثورة ٢٥ يناير.. حتكون الثورة الجديدة ثورة ٣٠ فبراير.. مفيش حاجة اسمها ٣٠ فبراير.. وهى بقى حتكون فعلا ثورة مجنونة.. علشان نعيش ياعم الحاج! ».

قدرى لم يكن يوما من مؤيدى نظام مبارك، بل لعله كان دائم السخرية من أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية مقلوبة.. وعندما كنت أقوم بتوصيله فى نهاية أى لقاء لنا كنت أتولى قيادة السيارة، بينما يقوم هو بقراءة أخبار معينة فى الصحيفة بصوت مسموع ثم التعليق عليها بأسلوب ساخر.. لكن المشكلة كما قال قدرى هو أنه اليوم أصبح فى جيبه آخر خمسين جنيه متاحة. ولا يعرف كيف سيتصرف بعد ذلك، إذا تم «كحتها» على حد قوله!

فى المساء، نهاية اليوم، جلست مع مدحت بعد أن نام نوما طويلا نفض

خلاله عناء السهر ليلة كاملة فى ميدان التحرير.. مدحت قال إنه فى بعض الأحيان يشعر بالاضطراب ويتساءل بداخله عما إذا كان مايقوم به المتظاهرون هو الصحيح أم لا «هو ده الصح؟! »

تحدثت معه وقلت إن المسألة وجهات نظر، فالمتظاهرون يخشون أن ينقلب النظام عليهم إذا انسحبوا من الميدان، وأن يتنصل من كل ماوعد به، وأن يسترد قوته ليعود وحشا غاشما يبطش بالجميع، ويقولون أنه ليس لديهم ضمانات حقيقية تؤكد تغير الأوضاع السابقة فى حالة عودتهم إلى بيوتهم، وهذه وجهة نظر، لكن وجهة نظر أخرى تقول أن المكاسب التى حققها الشباب حتى الآن قد حصلنا عليها فعلا، وأن النظام قد سقط، ولاسبيل إلى عودته وحشا كاسرا أو حتى حملا وديعا، وأن استمرار التظاهر يأتى بالسلب على فئة كبيرة جدا من المصريين لا يجدون الآن ما يأكلون.. قلت إن وجهتى النظر لهما منطقهما، ولهما إيجابيات وسلبيات.

أبَى مدحت إلا أن يعيدنى إلى أجواء دماء الشهداء الزكية حيث قال لى إن منى الشاذلى فى برنامج «العاشرة مساء» استضافت اليوم أحد المتظاهرين واسمه الدكتور مصطفى، قال لها بألم إن ما لاينساه من مشاهد يوم الأربعاء الماضى الذى شهد هجوم مؤيدى النظام على المعتصمين بالخيل والجمال هو ذلك الشاب الصغير الذى كان إلى جواره ودار بينهما حديث حول مايدور فى مصر الآن، بدا الشاب بسيطا فى تفكيره وقال إنة شعر أن التظاهر هو الشىء «الصح» كى ينصلح الحال.

وبعد قليل بدأ تبادل الضرب وأبدى الشاب مخاوفه قائلا إنه يبدو أن الطرف الآخر يستخدم الرصاص الحى، قلل الدكتور مصطفى من مخاوفه قائلا إنهم يستخدمون الحجارة فقط للتخويف على مايبدو ولكن بعد قليل سقط الشاب صريعا إثر إصابته بطلق نارى فى الصدر، وبكلمات واهنة قال للدكتور مصطفى أخيرا «هو إحنا صح؟» رد عليه بدموعه قائلا «أيوه» ثم مات الشاب.. قالها مدحت وبكى.

# موعد مع الصدق

## وائل غنيم يقول لأهالى الشهداء بدموعه:

## «أنا آسف بس مش إحنا السبب»

## الاثنين ٧ فبراير

المخابرات المصرية هى التى نفذت عملية تفجير محطة الغاز الطبيعى فى العريش يوم السبت ٥ فبراير!

هذا ليس خبرا بالطبع لكنه تحليل [1].

هو تحليل سمعته من صديقى وائل فهمى مندوب الإعلانات بـ «الأهرام» ، وقد يرفضه البعض لأنه لا أدلة عليه إلا أنه لا يخلو من منطق. مصر أرادت أن تذكر أمريكا بأنه يمكن التلاعب بالمصالح الإسرائيلية فى غمضة عين، فالعملية وقعت فى الخط الرئيسى للغاز الذى يتفرع منه فرعان يتجه أحدهما للأردن والآخر إلى إسرائيل وأدت إلى تأثر ضخ الغاز للبلدين، أربعة ملثمون ذهبوا فى الساعات الأولى من صباح السبت ووضعوا عبوات ناسفة داخل المحطة وحولها، ثم طلبوا من سكان المنطقة مغادرة منازلهم وأبلغوهم بأن المحطة ستنفجر بعد قليل ولاذوا بالفرار، وبعد الحادث تولت القوات المسلحة السيطرة على آثار الحادث.

ولاحظت أن سطرا صغير نشرته صحيفة «المصرى اليوم» فى عدد الأمس ضمن تغطيتها للحادث جاء نصه: «وقال مصدر أمنى مطلع للصحيفة أن عناصر أمنية وراء التفجير! ».

---

(1) لا أدرى بالطبع مدى صمود هذا التحليل الآن بعد تفجير المحطة 15 مرة!

والأمر اللافت للنظر هو أن لهجة الإدارة الأمريكية تجاه ضرورة التسليم الفورى للسلطة فى مصر قد خفت إلى حد كبير بعد الحادث، حتى أن «الأهرام» ذكرت ذلك صراحة فى عدد اليوم ولكن دون ربط هذا التغير بالحادث بالطبع، حيث اعتبرت أن الموقف الأمريكى قد اعتراه تغيير مفاجئ من خلال تصريحات الرئيس الأمريكى ووزيرة خارجيته التى جاء فيها أن مصير مبارك ليس بيد واشنطن ولكن فى يد الشعب المصرى فقط وأن مبارك يحتاج إلى البقاء فى الحكم حتى يتم إجراء انتخابات رئاسية ناجحة وأن رحيله حاليا قد يزيد من تعقيدات إجراء انتخابات رئاسية فورية.. وهكذا.. ولا شك أن الفرق واضح بين هذه التصريحات والتصريحات السابقة التى كانت تقول إنه لابد من الرحيل.. الآن!

علمت من مصدر أمنى موثوق أن معركة بالأسلحة شارك فيها هذا المصدر دارت مساء الخميس الماضى بين أربعة أشخاص من جنسيات عربية وضباط معسكر كبير للأمن المركزى فى الجيزة، وكانت المخابرات العسكرية قد نقلت إلى قيادة المعسكر قبل الحادث اعتزام عدد من مواطنى إحدى الدول العربية اقتحام المعسكر للاستيلاء على أسلحته، وتمت المواجهة بالفعل مساء الخميس حيث قتل أحد المهاجمين وتم إلقاء القبض على الباقين وكان لافتا أنهم لم ينطقوا بكلمة واحدة أو يدلوا بأى معلومة رغم تعرضهم للضرب المبرح فى المعسكر حتى تم تسليمهم للقوات المسلحة، وعثر مع المهاجمين على أسلحة حديثة ومتطورة منها أسلحة تستخدم التصوير بالليزر غير موجود منها فى مصر.

لاشك أن وجود بعض العرب أو غيرهم فى مصر هذه الأيام ومحاولة استغلال الظروف الحالية للعمل المخابراتى وتحقيق مصالح خارجية لا يفاجئنى بل لعل العكس هو الذى كان سيفاجئنى. لكن ما الذى كان يريده هؤلاء العرب من مهاجمة معسكر للأمن المركزى؟ هل كانوا يستهدفون فقط الاستيلاء على الأسلحة منه؟ وأين كانوا سيذهبون بها؟ ترى ما الذى كانوا يريدونه بالتحديد؟ يارب الطف بهذا الوطن.. وفك أسرنا من قيد هذا الغموض المحيط الذى يحكم قبضته علينا.

فوجئت اليوم بنشر تقرير فى «الأهرام» للزميل علاء الدين سالم بعنوان «حملة لدعم ترشيح عمرو موسى على الفيس بوك» على الصفحة الرابعة التى حملت أيضا تغطية جلسة الحوار الوطنى التى أجراها عمر سليمان مع

الشباب والإخوان والقوى السياسية أمس، قرأت تقرير ترشيح موسى بدقة فلم أشعر بأنه موجه أو يهدف إلى نقل رسالة محددة «مع أو ضد ترشحه»، لكن مسألة نشر تقرير حول عمرو موسى وترشحه للرئاسة فى «الأهرام» كان أمرا لافتا وجديدا، يأتى هذا فى الوقت الذى نقلت فيه صحيفة «الشروق» الصادرة اليوم عن صحيفة «صنداى تليجراف» البريطانية أن نجم موسى بدأ يتصاعد، وهو ما ظهر خلال زيارته المفاجئة لميدان التحرير، كشخصية وسطية محتملة لقيادة المرحلة الانتقالية فى اتجاه الحكم الديمقراطى وقالت الصحيفة: «يرى البعض أنه يصلح قائدا للمرحلة الانتقالية فقط. وليس رئيسا لمصر باعتبار انه دبلوماسى وليس رجل سياسة».

أسامة سرايا كتب اليوم فى «الأهـرام» مقالا فى الصفحة الأولى تحت عنوان «عقل الثورة» أكد فيه أنه يجب الاعتراف بنبل الثورة وسلامة المقصد من قيامها، وقال إنه على الرغم من أنها عفوية لكنها ليست وليدة اللحظة وإنما جاءت نتيجة للتراكم وحركات إصلاحية واحتجاجية.. وتزامنت معها إصلاحات سياسية وإطلاق للحريات وحذر من أن يسطو على طموحات الشباب أى متربص أو أى قوة من موروثات الماضى على حد قوله، كما دعا إلى أن تدير العقول الناضجة الثورة حتى يصلوا بها إلى بر الأمان.. وقال إن الثوريين لا يريدون عادة وسطاء فالثورة تدفعهم إلى أن يجرفوا كل من أمامهم! (ووضع هو علامة تعجب).

سرايا دخل اليوم صالة التحرير وجلس على مائدة الدسك المركزى حوالى الثانية والنصف ظهرا وأجرى مناقشة مع بعض الحضور حول مقاله، وسمعته فى النهاية يقول انه لا يقفز من السيارة وإنه لن يعتذر عن مواقفه السابقة.. «مش حاعتذر عن شىء، أنا دافعت عن نظام معين ويغدين حصلت أخطاء لكن مش حاعتذر».

فى غضون ذلك علمت أن عددا من الزملاء الصحفيين فى «الأهرام» قد التقوا يوم أمس بالدكتور عبدالمنعم سعيد رئيس مجلس الإدارة وشكوا له سوء إدارة سرايا للجريدة وهبوط مستواها فى عصره إلى أدنى الحدود وطالبوه بتغيير سرايا أو ألا يكون المسئول عن التحرير على الأقل!

ربما يكون سرايا قد أراد أن يقول من خلال تأكيده أنه لن يعتذر أنه كان صادقا فيما يكتب.. ربما.. لكننى فى الحقيقة كنت على موعد آخر مع الصدق فى المساء بشكل ودرجة لم أتوقعها!

ظهر وائل غنيم أخيرا.

وائل (٣٠ سنة) مدير التسويق الإقليمى لشركة جوجل فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أحد أبرز الناشطين السياسيين وهو مدير صفحة (كلنا خالد سعيد) على «فيس بوك» كان قد اختفى مساء يوم الخميس ٢٧ يناير وبعد أن أعلن رئيس الوزراء أحمد شفيق أمس أنه سيفرج اليوم عن وائل تضاربت المعلومات فى هذا الشأن حتى الساعة العاشرة مساء، عندما ظهرت منى الشاذلى على قناة «دريم» وهى تقول إن وائل أفرج عنه بالفعل.. وأنه سيكون على الشاشة بعد قليل. هل أجلس للاستماع إلى ما يقول وائل أم أنصرف إلى كتابة تغطيتى لأحداث أخرى على مدار اليوم ويوم أمس؟

فضلت الاستماع إليه وكنت فى انتظار سماع ما تعرض له من انتهاكات خلال فترة اعتقاله فى مباحث أمن الدولة.. لكننى لم أسمع ذلك منه.. وائل قال كلاما مختلفا، قال إنه ليس بطلا وأنه كان نائما لمدة ١٢ يوما ولم يتعرض له أى إنسان بسوء، وكان الجميع يتعامل معه باحترام، وأضاف أن الأبطال هم الذين خرجوا فى المظاهرات والذين ماتوا، بكى وهو يقول إنه ليس خائنا وأنه فقط يحب بلده، بدا الصدق فى عينيه المجهدتين بسبب عدم نومه لمدة يومين لأسباب تخصه لا بسبب تعذيب، وقال انه كان يمكن أن يظل فى عمله بدبى ولديه هناك فيلا وحمام سباحة، وأموال تتراكم فى البنك كل شهر، لكنه جاء قبل موعد المظاهرة للاشتراك فيها لأنه يحب مصر.

وائل قال كلاما غير متوقع أيضا عندما صرح بأنه وجد فى مباحث أمن الدولة أناسا تحب مصر أيضا لكن بطريقتها وأسلوب تفكيرها حيث يخشون أن يكون هناك من يمول الشباب أو يرسم لهم مخططات للإضرار بمصر، وائل قال إنه ظل ١٢ يوما معصوب العينين وأنه حتى الأمس لم يكن يعلم ما الذى تحقق وما الذى حدث، كان يتكلم سريعا ولكن بأفكار مرتبة وشدد على فكرة محددة وهى أن الوقت الحالى ليس وقت «تصفية حسابات أو تقسيم التورتة أو نشر أيديولوجيات» وكررها أكثر من مرة.

تم عرض صور الشهداء على شاشة دريم فلم يتمالك نفسه وانهار فى بكاء مرير وسقطت دموعه الحارة أمام الملايين على الشاشة وهو يقول بصعوبة بالغة «عايز أقول لأهلهم أبائهم وأمهاتهم، أنا آسف، بس مش إحنا السبب، السبب هم اللى تمسكوا بالسلطة كل ده» . ولم يستطع الاستمرار وقال «أنا حأمشى» وانصرف بالفعل بينما قامت منى الشاذلى تجرى وراءه.

وكان من الأمور الملفتة التى شهدتها الحلقة أيضا هو ما قالته منى الشاذلى من آن حسام بدراوى الذى تم تعيينه أمينا عاما للحزب الوطنى علم بموضوع وائل غنيم من ابنته، وأضافت أن لديها معلومات بأن أبناء بعض كبار المسئولين فى البلاد نزلوا للتظاهر والتنديد بالنظام!

كنت سأحزن للغاية إذا كان قد فاتنى هذا الموعد مع الصدق، الذى التقيت فيه بالشاب الثائر العاقل وائل غنيم على الشاشة، لكن كل هذا الصدق دفعنى - فى الوقت نفسه - إلى تذكر ما قرأته اليوم لأنور الهوارى رئيس تحرير مجلة «الأهرام الاقتصادى» فى عموده اليومى بجريدة «الأهرام المسائى» حيث انتقد كلا من الشيخ يوسف القرضاوى والدكتور محمد البرادعى لأنهما طالبا الرئيس مبارك بأن يرحل من مصر، وقال ان الشيخ يستخدم شريعة الإسلام فى التحريض على مبارك وترحيله، والدكتور يستخدم الليبرالية فى إيقاع عقوبة غير دستورية وغير قانونية.. هى عقوبة النفى خارج الأوطان.

ووسط المقال قال الهوارى بالنص: «نبهنى أحد الزملاء إلى حقيقة غابت عن أذهان الجميع.. قال لى: الرئيس حسنى مبارك أثبت أنه شريك كامل فى ثورة الشباب التى انطلقت فى الخامس والعشرين من يناير.. حين استجاب لمطالبهم المشروعة. وقال: حسنى مبارك يعيد هذه الأيام بناء الدولة المصرية.. مثلما سبق له وأعاد بناء سلاح الطيران بعد نكسة ١٩٦٧».

تذكرت هذه الكلمات.. ووضعتها إلى جوار كلمات وائل غنيم.. ووقفت عاجزا عن التعليق.

# عن صحف تثور على قياداتها

## الكاتب فتحى محمود فى «الأهرام» :

## «رؤساء تحرير جدد فى يوليو المقبل»

**الثلاثاء ٨ فبراير**

عدستى اليوم ظلت مركزة رغما عنى على المشهد الصحفى الذى بدا أنه يتغير بسرعة مذهلة!

كنت على باب الجريدة حوالى الساعة الثانية ظهرا، لم يكن البهو الرئيسى كحاله كل يوم، فوجئت بأعداد كبيرة من البشر تحتشد فى البهو وسط هتافات وأصوات عالية، لعلها مظاهرة جديدة فى «الأهرام» ضد النظام.. ولكن فجأة.. من هذا؟

هوارى؟! أحمد هواى هو الذى يهتف ومن بعده تردد الجموع.. ثورى حتى النخاع هو إذن؟!

وسرعان ما فهمت طبيعة ما يحدث، فقد وجدت جميع زملائنا غير المعيّنين يقفون وكل منهم كتب على ورقة معلقة على صدره اسمه بالكامل وعدد سنوات عمله فى المؤسسة بلا تعيين، تراوحت المدد بين ٥ و٧ و٩ سنوات، بينما علمت أن زملاء يعملون فى إدارات أخرى غير إدارة التحرير مضت على فترة عملهم بعقود مؤقتة ١٥ عاما! .

ثورة ثورة فى كل مكان.. ضد الظلم والطغيان

يا مصر يا أم.. ولادك أهم

مش عايزين الملايين.. مش عايزين غير التعيين

عايزين نتعين يا كبير.. احنا تعبنا تعبنا كتير.

قادتنى هتافات الشباب والحمية التى كانوا يتحدثون بها إلى استعادة قضية التعيين فى المؤسسات الصحفية القومية.

الحقيقة أن جميع العاملين فى هذه المؤسسات سواء كانوا معينين أو غير معينين لم يدخلوا المؤسسة من الأصل إلا بناء على علاقات شخصية تربطهم أو معارفهم بكبار المسئولين فى المؤسسة، كلنا كنا كذلك، لا اختبارات تجرى أو مسابقات تقام لضم وجوه صحفية جديدة، فقط توجد العلاقات فى أغلب الأحوال، بالإضافة إلى أبناء العاملين فى المؤسسة، أو بعض المصادفات النادرة التى قد تنجح فى الزج بأحد منا إلى داخل المؤسسة، لكن العلاقات الشخصية هى الأصل، وبالنسبة لزملائنا غير المعينين «الثائرين» اليوم فقد شاء القدر بالنسبة لمعظمهم أن تكون بداية فترة تدريبهم فى المؤسسة فى أواخر عهد إبراهيم نافع رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير الأسبق، ورحل الرجل وجاء آخرون بعده لرئاسة مجلس الإدارة وحل أسامة سرايا رئيسا للتحرير، وكان طبيعيا أن يتمهل أى مسئول جديد قبل تعيين صحفيين جدد بأعداد كبيرة حتى يفهم طبيعة الأوضاع داخل الصحيفة، أضف إلى ذلك أن موازين القوى قد اختلفت وربما لم تعد علاقات الأمس كفيلة بتسيير الأمور اليوم، وفى النهاية كانت هذه هى النتيجة، شباب معظمهم متزوج ولديه أطفال يعيشون على مبلغ المكافأة الرمزية التى يحصلون عليها من الجريدة، لا فى بداية دخولهم المؤسسة بالطبع بل بعد أشهر أو سنوات من ذلك، مع العلم بأن الأمانة تقتضى أن أقول ان النسبة الأكبر من العمل داخل الصحيفة لا يقوم بها سوى هؤلاء الشباب، بل هم وقود العمل الصحفى وجذوته المشتعلة باستمرار، ونحن عادة ما نستمر على هذا النشاط حتى ننجح فى إدراك التعيين الرسمى فى الجريدة، وبعد الانتصار فى هذه المعركة الشرسة تكون طاقاتنا قد استنزف معظمها لنصبح فى حاجة إلى فترة نقاهة خالية من العمل الصحفى الشاق لالتقاط الأنفاس.

توقف هوارى عن الهتاف مؤقتا وحل محله زميل آخر ريثما يدخن سيجارة. وقفنا معا، هو وأنا قليلا، لم نتبادل سوى حوار قصير، بعد أن سلمت عليه بحرارة وربتّ على كتفه، ولاحظت أننى أحاول تحاشى التقاء أعيننا خلال الحوار.. عاد هو للهتاف وانصرفت داخلا إلى الجريدة.

اليوم صدر مع «الأهرام» ملحق عن الشباب فى ميدان التحرير بإسم «شباب التحرير» مكون من ٤ صفحات معظمها من الصور مع التعليق عليها، ويتصدره

صورة وائل غنيم كأحد أبطال الثورة، لاحظت بسهولة أن اتجاه النشر فى الملحق هو مع شباب الثورة بوضوح لا ضدهم، فى حين كانت تغطية الجريدة ذاتها للأحداث مازالت مرتبكة إلى حد كبير، شاهدت الملحق قبل أن أشاهد الجريدة، لكننى عندما وقعت عينى عليها لاحظت أيضا عدة أمور مهمة لابد من الإشارة إليها، فقد جاء العنوان الرئيسى لـ «الأهرام» على صدر الصفحة الأولى كالتالى: «محاولات لتشكيل ائتلاف ثورة ٢٥ يناير»، «الإفراج عن وائل غنيم.. والمتظاهرون يطالبون بمحاكمة الفاسدين» أما الصورة الرئيسية فى الصفحة الأولى فجاءت لأسامة الباز نقلا عن وكالة أسوشيتدبرس «مع كتابة تعليق: «أسامة الباز فى ميدان التحرير بعد غياب سنوات عن الأضواء».

لم يكن غريبا بالطبع أن يكون «المانشيت» الرئيسى للصحيفة عن أحداث الثورة لكن الجديد هو أن الخبر لم يكن يتضمن أى فعل أو قرار أو إجراء رسمى تم اتخاذه، كان الخبر صحفيا وحسب، ويقوم على معلومات صرح بها عدد من شباب الثورة فى ميدان التحرير لـ «الأهرام» وفقا لما كتب محرر الخبر زميلى سمير السيد، لم يكن واردا فى «الأهرام» فيما سبق أن يكون خبرها الرئيسى عن حدث أو إجراء قامت به المعارضة إلا إذا كان هناك رد فعل رسمى عليه مع إبراز رد الفعل والبدء به فى القصة الخبرية.

(سمعت بأذنى ذات مرة مدير التحرير حازم عبد الرحمن يرد على أحد الزملاء الذى طالبه بأن يكون خبر ما هو المانشيت الرئيسى قائلا «ماينفعش» موضحا أن هذا الخبر سلبى وبالتالى فهو لا يصلح لأن يكون القصة الخبرية الرئيسية فى «الأهرام» ).

تذكرت أن زميلى سمير السيد كان قد أطلعنى على مذكرة حررها قبل بداية الأحداث مقدمة لرئيس التحرير يطلب فيها إعفاءه من تغطية أخبار حزب الوفد وبعض الحركات الاحتجاجية التى يتابعها، مسببا ذلك بأن «الأهرام» لا يهتم بنشر هذه الأخبار، وتساءل سمير وقتها بغضب عن كيفية تمكنه من المحافظة على علاقاته بمصادره إذا كان لا يُنشر عنهم شىء، أو عندما يتم النشر فإنه يتم بشكل مقتضب أو موجه!

لا أعلم ما إذا كان سمير قد قدم الطلب لرئيس التحرير وقتها أم لا لكن ما أعلمه جيدا اليوم هو أن الثورة قد غيرت أشياء كثيرة فى هذا الوطن.

ولم ينته وقت العجب لدى، خاصة عندما قرأت خبرا صغيرا على عمودين

أعلى الصفحة الأولى بجوار «المانشيت».بعنوان «مبارك يعقد اجتماعين لبحث الأوضاع الداخلية وتنفيذ الإصلاحات السياسية» مع الاكتفاء بنشر صورتى الاجتماعين فى الصفحة رقم ١٢، إذن فقد تم اختيار خبر محاولات تشكيل ائتلاف الثورة مقدما على خبر نشاط الرئيس.. الذى كان يحتل صدر الصفحة الأولى بالطبع فى الأحوال العادية.

وتتوالى المفاجآت، على الصفحة الخامسة، حيث تم نشر حوار طويل مع نائب المرشد العام للإخوان المسلمين الدكتور رشاد البيومى على مساحة نصف صفحة مع ٩ عناوين من كلامه كان أبرزها: - ليس من حق أحد القفز على مكاسب الشباب- لم نحرق الأقسام ولم نسع لقلب نظام الحكم- لا خامنئى ولا أمريكا من حقهم التدخل- لا أقبل أن يتدخل أحد لعزل المرشد- من الوارد التفكير فى إنشاء حزب سياسى.

بالطبع.. كانت جميع أخبار الإخوان فيما مضى يتم نشرها بشكل موجه ومع الإشارة إلى الجماعة باسم «المحظورة».. لكن الأحوال تغيرت الآن وأصبح النظام - أو بقاياه - يتحاور علانية مع الإخوان، فلماذا لا تحاوره «الأهرام» صحفيا؟

عصر اليوم وردت للصحيفة أنباء مثيرة حول تظاهر العاملين بمؤسسة «روز اليوسف» للمطالبة بإقالة رئيس مجلس إدارتها كرم جبر، كما أن المتظاهرين قاموا بمنع عبدالله كمال رئيس تحرير الجريدة من دخول المؤسسة حتى أنه نتيجة لذلك لم يجد بدا من الانصراف فى النهاية.

هل امتدت الثورة لتلهب مشاعر الجماهير الغاضبة فى كل مؤسسة وموقع بما فى ذلك المؤسسات الصحفية التى كان يتم اختيار قياداتها بعناية من الموالين للنظام؟! يبدو أن الصحف والعاملين فيها على اختلاف فئاتهم قد ضاقوا جميعا بأوضاع فجة كان لابد لها من أن تتغير.. والحق أن الأمر لم يقتصر على ما حدث فى «روزاليوسف»، بل تعداه إلى حدود التعبير عن ذلك ونشره بشكل علنى فى ذات الصحف التى يرأس تحريرها هؤلاء الموالون؟! هل تصدق ذلك؟!

هل تصدق أن صحيفة يمكن أن تهاجم- ولو بشكل غير مباشر- رئيس تحريرها وتتحدث عن تغييره؟!

أنا شخصيا لم أكن لأصدق لولا أننى شاهدت بعينى-أو بالأحرى- قرأت. ففى عدد اليوم من «الأهرام» أيضا نشرت الزميلة سحر عبدالرحمن مقالا تشيد فيه بالثورة الجديدة وتلمح إلى ضرورة التغيير فى المشهد الصحفى والإعلامى فتقول:

«إننا لمنتظرون تغييرا لكل أشكال الحياة فى مصر سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وإعلاميا ونحن الصحفيين والإعلاميين فى أشد الحاجة إلى هذا التغيير وأنا أقول ذلك من خلال صحيفتى ومؤسستى العريقة التى أشرف بالانتماء إليها، إن الخطوة المقبلة هى تغيير المشهد الإعلامى بالجملة فليس هناك مجال لمن أفسدوا عقول الناس بالباطل وبالفساد».. هل تريد أوضح من ذلك؟! موافق.

أقرأ ما كتبه الكاتب الصحفى فتحى محمود فى عموده الأسبوعى «رؤى» اليوم بـ «الأهرام» .. لخص فتحى محمود المشهد السياسى فى مصر فى عدة نقاط قصيرة.. لكن أولها جاء كالتالى: حركة تعيينات جديدة لرؤساء تحرير الصحف القومية سيعلنها مجلس الشورى خلال شهر يوليو المقبل (معلوماته مؤكدة لمن يهمه الأمر).

هكذا كتب.

وفى غضون ذلك ومع هذه الانعطافات الصحفية الخطيرة بدا أن مشهد التظاهر فى ميدان التحرير بدأ يأخذ منعطفا جديدا هو الآخر، عندما قام المتظاهرون بمحاصرة مبنى مجلس الشورى والوصول إلى مبنى مجلس الوزراء، وعلمت من مصدر داخل مجلس الشورى أنه تم إغلاق أبواب المجلس بإحكام تحسبا لمحاولة المتظاهرين اقتحام المجلس، وبعد قليل ورد على وكالات الأنباء ما يفيد أن المظاهرة بجوار مجلسى الشورى والوزراء يقودها عصام شرف وزير النقل السابق الذى شاعت الأنباء حول تسبب الفساد فى الإطاحة به من الوزارة لأنه كان رجلا نظيفا.

أبرز مشاهد اليوم التى لفتت نظرى أيضا عدد من الصور بثتها وكالة «الأسوشيتدبرس» الأمريكية للقاء عقده الرئيس مبارك بوزير الخارجية الإماراتى ظهر اليوم إلا أن مصور الوكالة خصص عددا كبيرا من اللقطات لوجه الرئيس مبارك عن قرب شديد، وهو ما أظهر بشدة ملامح كبر السن على وجهه مع ظهور اللون الأبيض فى منابت شعر رأسه المصبوغ.. لاشك أن

الرجل لا وقت لديه حاليا كى يقوم بصباغة شعره.. هكذا علق أحد الزملاء.. لكن ألطف التعليقات اليوم كتبته الصديقة نهى سلامة رفيقتى فى جمعة الاعتقال على موقع «فيس بوك» حيث كتبت نكتة مفادها أن الرئيس مبارك قد مات وصعد للسماء حيث التقى بكل من جمال عبدالناصر وأنور السادات فسألاه عن كيفية وفاته قائلين: «سمّ ولا منصة؟!» رد عليهما قائلا: «فيس بوك».!

# خوف واحباط وتهديد

## وزير الخارجية أحمد أبو الغيط: «الجيش قد يضطر للتدخل إذا حاول المغامرون انتزاع السلطة»

## الأربعاء ٩ فبراير

اليوم انتابنى خوف حقيقى على الثورة!

لم تقع أحداث كثيرة على الأرض لكننى تعرضت لسماع تحليلات كثيرة أشعرتنى بالإحباط، وبأنه حتى الآن لم يتحقق شىء حقيقى يمكن الإمساك به بوضوح. ولكن قبل التعرض لذلك، فإن هناك قصة أخرى محبطة أيضا، تستحق أن تروى.

بالأمس التقيت فى الجريدة بالزميلين الشابين نادر محمود طمان محرر قسم التحقيقات ومحمود مكاوى المخرج الصحفى فى الكافيتريا، وكانا قد أشرفا على إصدار ملحق «شباب التحرير» الذى صدر مع عدد الأمس من الجريدة، داعبتهما قائلا: «انتم الاتنين عاملين شغل كويس وعلشان كده طبعا قاعدين مع بعض»، لكننى وجدتهما يردان بإحباط قائلين: «وعلشان كده طلبوا منا النهاردة إننا ما نشتغلش».

تساءلت عن معنى ذلك فأخبرانى بأن الملحق سوف يستمر فى الصدور لكنهما لن يعملا فيه، وفى أثناء ذلك وجدت محمد البرغوثى، صديقنا الذى يمثل «القلة المندسة فى الدسك المركزى» يأتى اليهما ويطلب منهما مشاركته فى العمل بالملحق، إلا أنهما لم يستجيبا.

تفسير ذلك قدمته لى دعاء خليفة التى كانت قد تابعت الأمر من بدايته فقالت لى ان المسئولين فى «الأهرام» كانوا يقومون بالتفكير فى عمل شىء ينقذ الصحيفة من حالة الارتباك وعدم القبول فى الشارع التى تمر بها، وأن أحد أعضاء مجلس الإدارة وكان من إدارة التوزيع اقترح عمل ملحق يومى يصدر مع الجريدة يكون مخصصا لتغطية أخبار ميدان التحرير، وذلك بهدف

رفع التوزيع، تلقف الدكتور عبدالمنعم سعيد رئيس مجلس الإدارة الفكرة وراح يبحث مع إدارة التحرير عمّن يمكن أن يشرف على تنفيذها، تم طرح اسم محمد البرغوثى، إلا أن بعض كبار الصحفيين حاولوا أن يكون ذلك من خلالهم وأن يكون لهم حق الإشراف على البرغوثى وما يقوم به، لكن هذا الأخير رفض، وطلب أن يعمل بشكل مستقل وإلا فلا داعى للعمل.

وفى غضون كل ذلك وبعيدا عن هذا المسار طرح الزميلان محمود مكاوى ونادر محمود طمان فكرة عمل ملحق عن ميدان التحرير على أسامة سرايا رئيس التحرير الذى بادر بالموافقة وقال لهم «اشتغلوا» دون أن يخبرهما بكل هذه المداولات التى تجرى والتى كان على علم بها بطبيعة الحال.

بدأ الزميلان نادر ومحمود العمل فورا وقاما بالفعل بإصدار العدد الأول من الملحق، وفى هذه الأثناء كان الأمر قد استقر على اسم البرغوثى مشرفا وحيدا على الملحق، فتم إخبار الزميلين بأن يعملا من خلال البرغوثى ومعه لكنهما رفضا واعتبرا أنه قد تمت سرقة الفكرة منهما، باعتبار أنهما لم يكونا على علم بكل المداولات التى كانت تدور قبل طرح فكرتهما والتى لم يتطوع سرايا بإطلاعهما عليها لماذا؟ لا أحد يعرف. فما الذى ترتب على ذلك؟!

حاول البرغوثى شرح الأمر للشابين وطلب منهما بصدق مشاركته فى العمل إلا أن حماس الشباب قادهما نحو الرفض كرد فعل يحفظان به كرامتهما من وجهة نظرهما. والحق أن ذلك كان محبطا للغاية. لأن النتيجة كانت هى أن خسر الملحق جهد الشابين الماهرين المهذبين، كما أنهما خسرا أيضا فكرتهما التى كانا أول من قام بتنفيذها وإخراجها إلى النور.

بإختصار جاءت النتيجة كالتالى: البرغوثى ونادر ومحمود، ثلاثة رجال شرفاء أكفاء مخلصون فى العمل من أجل الثورة، لكنهم لن يعملوا معا فى النهاية، ولن يكونوا فى قارب واحد.. «خسارة»!

كان هذا محبطا بالطبع لكن ما عزز الإحباط اليوم وأشعرنى بالخوف الحقيقى على الثورة كما قلت لك فى البداية هو تلك التحليلات التى تراقصت أمامى اليوم وهى تخرج ألسنتها الشريرة نحوي!

ربما أصبح فى حكم المستحيل أن يرشح مبارك أو نجله جمال نفسيهما فى الانتخابات المقبلة.. ولكن هل سيتم استبدال وجوه جديدة بأخرى قديمة فقط

بينما يستمر النظام على ماهو عليه؟ ذلك احتمال قائم مفاده أن يتم تسليم السلطة من مبارك إلى عمر سليمان مع العمل على ترميم بناء النظام وإخفاء عوراته لا إصلاحه بالكامل.

تذكرت كلمات عمر سليمان التى ذكرها فى حواره التليفزيونى مع عبداللطيف المناوى عندما قال بخصوص تعديل شروط الترشح للرئاسة المنصوص عليها فى المادة ٧٦ أنه لابد أن ينظر لمستقبل مصر ومَنْ سيترشح. ولابد أن ننظر إلى مَنْ سيقود مصر فى المستقبل وخلال السنوات الست القادمة وهذا هو الفيصل فالمهم ليس هو الشخص ولكن مَنْ هو ومَنْ يمثل. كنت قد عبرت عن قلقى بشأن هذه الكلمات التى قيلت يوم الخميس الماضى.. لكننى الآن أصبحت لدى مخاوف حقيقية حيث يبدو هذا النظام بالكامل كأنه لا يفهم حقيقة ما جرى وها هو يمارس دوره المستمر منذ عقود فى الوصاية على الشعب والادعاء بأنه إذا لم يكن هذا النظام فى حد ذاته موجودا فإن البديل هو الفوضى.

بشكل مباشر أتساءل.. هل يمكن أن يسمح عمر سليمان- وهو الرجل الغامض الذى طالما علمنا قوته- بأن يشغل شخص آخر مقعد الرئاسة بدلا منه مستقبلا؟ربما يكون النظام قد أدرك أخيرا أن مبارك أو نجله لم يعد لهما أى رصيد للحكم لذا فقد أقر النظام بعدم صلاحيتهما ليكون أى منهما قائدا فى المرحلة المقبلة.. لكن لماذا لا يكون البديل هو سليمان؟! لاسيما بعد أن قام النظام بعملية تطهير واسعة بإبعاد الأسماء التى طالما كرهها الشعب المصرى وإعادة طرح أسماء جديدة هم يعلمون أن لها نوعا من القبول فى الشارع؟!

لا أعتقد أن عقلية النظام يمكن أن تكون قد تغيرت بين عشية وضحاها.. لتصبح مقتنعة مثلا بأن يحكم البلاد رجل مدنى وأن يدعمه الجيش فى ذلك.. صحيح أنه تم الاتفاق بالفعل على تعديل المادة ٧٦، والمادة ٧٧، ولكن ربما يتم تخفيف القيود المفروضة على الترشح للرئاسة دون إزالتها كليا. فهل يمكن أن يسمح هذا النظام لأشخاص مثل محمد البرادعى أو عمرو موسى أو آخرين بالترشح والفوز أيضا؟!

كيف يمكن تصديق ذلك فى بلد مثل بلدنا إذا لم يتم هدم النظام من أساسه وإعادة بناء نظام جديد، أو كما يقول محمد سعد عبدالحفيظ الصحفى بجريدة الشروق فى لقاء مع قناة «الحرة».. «هل المطلوب منا هو الانتظار ١٢ أو ١٤ سنة أخرى من حكم عمر سليمان لفترتين لتتغير بعدها الأوضاع؟» لقد

كتبت فى هذه الأوراق من قبل أننى أعتبر أن الثورة قد حققت مكاسبها بالفعل وأنه يبقى فقط عنصر الزمن لإدراك هذا النجاح.. ولكن لا.. يبدو أن ذلك لم يكن صحيحا، فالنظام يبدو كمن يغير جلده وحسب.. كما أن مسألة الإشراف القضائى على الانتخابات حتى ولو أصبحت مضمونة فمن يضمن أن يقتنع النظام بأن تكون إرادة الشعب الحقيقية هى الفيصل؟

لقد نسب لعمر سليمان قوله أن الشعب المصرى مازال غير مؤهل للديمقراطية بعد، وهى ذات النظرة الفوقية التى ينظر بها الحكام ويقولون أن ما يفعلوه إنما هو للحفاظ على الوطن ومكتسباته. هل يمكن أن تكون النتيجة بعد دماء الشهداء التى سالت هى استبدال عمر سليمان بمبارك وحسب؟! هل تكون تلك هى النتيجة؟!

أفكار ومخاوف عديدة دارت فى رأسى ثم شاهدت على قناة «الجزيرة» حوارا أجراه الكاتب الصحفى فهمى هويدى مع الأستاذ محمد حسنين هيكل قال فيه الأخير أن الثورة نجحت بالفعل لكن النظام لم يتغير بعد مذكرا بأن الثورة الفرنسية قامت واستمرت تفاعلاتها الثورية لمدة ٧ سنوات حتى أمكن فهمها فى فرنسا.

واستكثر هويدى الفترة لكن هيكل قال ان الحال هنا لن يكون كذلك لكن الأنظمة لا تسقط هكذا فى يوم وليلة، إنه نظام ظل مسيطرا على الحكم لمدة ٣٠ عاما فلابد أن يصارع كثيرا قبل السقوط، وأشار إلى أن بعض الممارسات مثل اقتحام ميدان التحرير بالجمال وغيره أو استمرار عمليات الاعتقال رغم تغيير وزير الداخلية كل ذلك محاولات يقوم بها النظام للاستمرار قبل أن يسقط.

وقال إن التغيرات التاريخية لا تحدث بأن يقف أمامك طابور ثم تقول له انطلق فينطلق، ولا أن تطوى صفحة ثم تفتح بعدها صفحة أخرى مباشرة، إن عجلة التاريخ لا تسير بهذا الشكل وعبر هيكل عن ثقته فى الجيش والرباعى الذى يمسك بزمام السلطة حاليا (عمر سليمان وأحمد شفيق وحسين طنطاوى وسامى عنان) وقال إنه ينبغى أن يحمى الجيش الفترة الانتقالية.

ومما زاد من الملامح السيئة للصورة ذلك التصريح الذى نسب لأحمد أبو الغيط وزير الخارجية حيث قال إن الجيش ربما يضطر للتدخل لحماية الدستور والأمن القومى إذا ما حاول من سماهم بـ «المغامرين» انتزاع السلطة، وعندها نجد أنفسنا فى وضع غاية الخطورة.

وقع هذا التصريح فى نفسى فى موقع التهديد والتخويف، وقد شعرت بالخوف بالفعل على الثورة، لكننى شعرت أيضا بأن ما يتحدث عنه أبو الغيط هنا ربما يمكن أن يؤدى إلى انقسام فى صفوف الجيش الذى لن يقبل بسهولة أن يوجه سلاحه ضد المواطنين.. أعتقد ذلك.

# خميس الأمل

## أحد أفراد اللجان الشعبية في التحرير يسأل:

## «الأهرام» دى حزب وطنى؟

صورة وائل غنيم كأحد أبطال الثورة، لاحظت بسهولة أن اتجاه النشر فى الملحق هو مع شباب الثورة بوضوح لا ضدهم، فى حين كانت تغطية الجريدة ذاتها للأحداث مازالت مرتبكة إلى حد كبير، شاهدت الملحق قبل أن أشاهد الجريدة، لكننى عندما وقعت عينى عليها لاحظت أيضا عدة أمور مهمة لابد من الإشارة إليها، فقد جاء العنوان الرئيسى لـ «الأهرام» على صدر الصفحة الأولى كالتالى: «محاولات لتشكيل ائتلاف ثورة ٢٥ يناير»، «الإفراج عن وائل غنيم.. والمتظاهرون يطالبون بمحاكمة الفاسدين» أما الصورة الرئيسية فى الصفحة الأولى فجاءت لأسامة الباز نقلا عن وكالة أسوشيتدبرس «مع كتابة تعليق: «أسامة الباز فى ميدان التحرير بعد غياب سنوات عن الأضواء».

لم يكن غريبا بالطبع أن يكون «المانشيت» الرئيسى للصحيفة عن أحداث الثورة لكن الجديد هو أن الخبر لم يكن يتضمن أى فعل أو قرار أو إجراء رسمى تم اتخاذه، كان الخبر صحفيا وحسب، ويقوم على معلومات صرح بها عدد من شباب الثورة فى ميدان التحرير لـ «الأهرام» وفقا لما كتب محرر الخبر زميلى سمير السيد، لم يكن واردا فى «الأهرام» فيما سبق أن يكون خبرها الرئيسى عن حدث أو إجراء قامت به المعارضة إلا إذا كان هناك رد فعل رسمى عليه مع إبراز رد الفعل والبدء به فى القصة الخبرية.

(سمعت بأذنى ذات مرة مدير التحرير حازم عبد الرحمن يرد على أحد الزملاء الذى طالبه بأن يكون خبر ما هو المانشيت الرئيسى قائلا «ماينفعش» موضحا أن هذا الخبر سلبى وبالتالى فهو لا يصلح لأن يكون القصة الخبرية الرئيسية فى «الأهرام» ).

تذكرت أن زميلى سمير السيد كان قد أطلعنى على مذكرة حررها قبل بداية الأحداث مقدمة لرئيس التحرير يطلب فيها إعفاءه من تغطية أخبار حزب الوفد وبعض الحركات الاحتجاجية التى يتابعها، مسببا ذلك بأن «الأهرام» لا يهتم بنشر هذه الأخبار، وتساءل سمير وقتها بغضب عن كيفية تمكنه من المحافظة على علاقاته بمصادره إذا كان لا يُنشر عنهم شىء، أو عندما يتم النشر فإنه يتم بشكل مقتضب أو موجه!

لا أعلم ما إذا كان سمير قد قدم الطلب لرئيس التحرير وقتها أم لا لكن ما أعلمه جيدا اليوم هو أن الثورة قد غيرت أشياء كثيرة فى هذا الوطن.

ولم ينته وقت العجب لدى، خاصة عندما قرأت خبرا صغيرا على عمودين

أعلى الصفحة الأولى بجوار «المانشيت».بعنوان «مبارك يعقد اجتماعين لبحث الأوضاع الداخلية وتنفيذ الإصلاحات السياسية» مع الاكتفاء بنشر صورتى الاجتماعين فى الصفحة رقم ١٢، إذن فقد تم اختيار خبر محاولات تشكيل ائتلاف الثورة مقدما على خبر نشاط الرئيس.. الذى كان يحتل صدر الصفحة الأولى بالطبع فى الأحوال العادية.

وتتوالى المفاجآت، على الصفحة الخامسة، حيث تم نشر حوار طويل مع نائب المرشد العام للإخوان المسلمين الدكتور رشاد البيومى على مساحة نصف صفحة مع ٩ عناوين من كلامه كان أبرزها: - ليس من حق أحد القفز على مكاسب الشباب- لم نحرق الأقسام ولم نسع لقلب نظام الحكم- لا خامنئى ولا أمريكا من حقهم التدخل- لا أقبل أن يتدخل أحد لعزل المرشد- من الوارد التفكير فى إنشاء حزب سياسى.

بالطبع.. كانت جميع أخبار الإخوان فيما مضى يتم نشرها بشكل موجه ومع الإشارة إلى الجماعة بإسم «المحظورة».. لكن الأحوال تغيرت الآن وأصبح النظام - أو بقاياه - يتحاور علانية مع الإخوان، فلماذا لا تحاوره «الأهرام» صحفيا؟

عصر اليوم وردت للصحيفة أنباء مثيرة حول تظاهر العاملين بمؤسسة «روز اليوسف» للمطالبة بإقالة رئيس مجلس إدارتها كرم جبر، كما أن المتظاهرين قاموا بمنع عبدالله كمال رئيس تحرير الجريدة من دخول المؤسسة حتى أنه نتيجة لذلك لم يجد بدا من الانصراف فى النهاية.

هل امتدت الثورة لتلهب مشاعر الجماهير الغاضبة فى كل مؤسسة وموقع بما فى ذلك المؤسسات الصحفية التى كان يتم اختيار قياداتها بعناية من الموالين للنظام؟! يبدو أن الصحف والعاملين فيها على اختلاف فئاتهم قد ضاقوا جميعا بأوضاع فجة كان لابد لها من أن تتغير.. والحق أن الأمر لم يقتصر على ما حدث فى «روزاليوسف»، بل تعداه إلى حدود التعبير عن ذلك ونشره بشكل علنى فى ذات الصحف التى يرأس تحريرها هؤلاء الموالون؟! هل تصدق ذلك؟!

هل تصدق أن صحيفة يمكن أن تهاجم- ولو بشكل غير مباشر- رئيس تحريرها وتتحدث عن تغييره؟!

تعليقات عليها وسلمتها للنشر، البرغوثى قال بسعادة إنه سيجلس الآن لإعداد مادة العدد الذى سيصدر بعد غد، حتى يتفرغ للاحتفال مع الجماهير فى ميدان التحرير طوال الليل.. هذا إذا تنحى مبارك بالطبع.

جاءت الزميلة والصديقة علا مصطفى عامر لتسليم موضوع للبرغوثى، وكان حول وجود أخلاقيات جديدة استطاعت أن تلمسها فى ميدان التحرير، علا - المغرمة بالتفاصيل فى كتاباتها - قالت إنها فوجئت فى الميدان بوجود سلوكيات غير معتادة مثل أن يعتذر لها أحد إذا اصطدم بها رغما عنه، بالإضافة إلى عدم وجود مضايقات أو غيره، جلست علا تروى بحماس مشاهداتها التى كانت قد سجلتها فى الموضوع، ثم تركتنا وانصرفت الساعة السابعة مساء لتصل إلى منزلها فى الهرم قبل موعد الحظر فى الثامنة مساء.

جلسنا البرغوثى ودعاء خليفة وأنا، قال البرغوثى إنه أصر على أن يكون عنوان العدد الأول الذى يشرف عليه فى الملحق كالتالى: «٢٥ يناير ٢٠١١ يوم أن ولدت مصر من جديد». وربط استمراره فى العمل بنشر العنوان بهذه الصيغة تحديدا، وإلا فإنه سيترك العمل فى الملحق، البرغوثى فسر ذلك بأن أسامة سرايا كان قد كتب نفس هذه العبارة يوم الاحتفال بمولد حسنى مبارك، حيث ربط مولد مصر من جديد بمولد مبارك(!) ولذا فقد أصر البرغوثى على نشر نفس العبارة فى هذه المناسبة الجديدة «٢٥ يناير» وظل الزملاء الكبار يحاولون إقناع سرايا بذلك حتى تم نشر العنوان فعلا بالصيغة التى حددها البرغوثى، الذى واصل حديثه قائلا إنه لو كان هو شخصيا فى موقع رئيس التحرير وكانت مسألة الاحتفال بعيد ميلاد الرئيس مفروضة عليه، فإنه كان سيقوم بنشر عمودين صغيرين فى الصفحة الأولى للإشارة إلى ذلك، لا أن يقول أن مصر ولدت من جديد يوم مولده.

فكرت فيما بعد فى كلام البرغوثى لكننى وجدت أن الأمر ليس بهذه البساطة، ولا يمكن اختزاله فى هذه المناسبة، «عيد ميلاد الرئيس» وحسب، فإذا كان ممكنا أن يجد البرغوثى مخرجا من هذا الموقف كما يقول، فماذا كان سيفعل فى عشرات المواقف الأخرى؟! لابد من «الاختيار»، والوقوف فى أحد الصفين لا كليهما.

دقت عقارب الساعة لتشير إلى الثامنة مساء، ولم يحدث شىء، نزلنا دعاء وأنا، حيث أوصلتنى بسيارتها إلى ميدان عبدالمنعم رياض، ونزلت متجها إلى ميدان التحرير، وكنت قبلها قد علمت أن مدحت هناك مع أصدقائه فقررت

الذهاب إليه وحضور هذه اللحظات فى الميدان. استوقفنى أحد أفراد اللجان الشعبية الذين يفحصون بطاقات الداخلين إلى الميدان للتأكد من عدم وجود رجال شرطة، كالمعتاد. قال لى بعد الإطلاع على بطاقتى: «جريدة «الأهرام» دى حزب وطنى؟» ظننت أنه يداعبنى فرددت عليه بابتسامة قائلا: «ما إحنا بنحاول نغير بقى..» ولكن اتضح أنه كان جادا فى سؤاله عما إذا كانت «الأهرام» تابعة للحزب الوطنى أم لا، فوجدته يسأل زميلا له قائلا: «الحزب الوطنى يدخل؟» وعندئذ قلت له: «حزب وطنى إيه ياعم؟! انت بتهزر؟» وهنا كان زميله قد قرأ ما فى بطاقتى وقال له: «لا لا خليه يدخل»، اعتذر لى صاحبنا لكننى لم أرد عليه وأخذت البطاقة وانصرفت داخلا إلى الميدان.

حاولت شق طريقى وسط الحشود الضخمة، لكننى حملت فى نفسى هذه الواقعة التى آلمتنى، وأشعرتنى بأننى كما لو كنت غريبا عن الجموع، أو مندسا وسطهم، قطعت الميدان بصعوبة بالغة حتى وصلت إلى ميدان باب اللوق، وهناك التقيت بمدحت وأصدقائه حيث كانوا يجلسون على أحد المقاهى فى شارع منصور، دار بيننا حديث حول الخطاب المنتظر وأمور أخرى، وعرفت من أحدهم أن إحدى الجامعات الخاصة قامت بإرسال رسائل قصيرة لطلابها على هواتفهم المحمولة تدعوهم للمشاركة فى مظاهرات الغد «الجمعة».

الساعة بلغت العاشرة مساء ولم يحدث شىء، شعرت بالملل ومشاعر أخرى غير طيبة خاصة بعد واقعة الشاب الذى ظن أننى من الحزب الوطنى، قررت العودة إلى المنزل، ووجدت سيارة أجرة بالمصادفة، وافق قائدها على توصيلى إلى المعادى. وفى الطريق علق السائق مستغربا خلو الشارع من البشر فى القاهرة فى مثل هذا التوقيت، قلت له: «معظم الناس فى البيوت» لكنه رد على قائلا: «الناس كلها فى ميدان التحرير» وضحكنا، ثم وجدته يسأل أحد الجنود عند المحكمة الدستورية بابتسامة قائلا: «الراجل اتنحى ولا لسه؟!».

وصلت إلى المنزل وفى الساعة العاشرة و٤٥ دقيقة تماما ظهر مبارك أخيرا.. بداية كلامه غير مطمئنة فهو يتحدث عن المستقبل، ثم هاهو يشير إلى موعد نهاية فترته الرئاسية فى سبتمبر، وها هو يستخدم كلمة «أنا» كثيرا، ويبدو فى خطابه شىء من التهديد للشباب، وأخيرا أعلن أنه فوض صلاحياته لنائبه عمر سليمان.. وانتهى الخطاب.

حاولت التفكير فيما يمكن أن يكون عليه رد فعل الشباب فى الميدان لكن

لم يطل بى التفكير فقد سبقتنى الفضائيات لتعلن أن مجموعات من الشباب بدأت فى التحرك إلى مقر اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وقصر الرئاسة فى مصر الجديدة، وأن الثوار قد رفعوا أحذيتهم فى ميدان التحرير ضد مبارك!

# ١١ /٢ /٢٠١١ يوم الحلم

## حلا محمد شعير: «اصحى يا بابا.. موبالاك اتنحى»

وخطّها محمد المغربى أيضا بقلمه وهى. «انتصرنا»، وتم نشرها فوق صورة احتلت مساحة الصفحة كاملة لشاب يحمل علم مصر بين يديه ويقوم بتقبيله.

وحملت هذه الصفحة أيضا مقالا قصيرا، موقعا بإمضاء «المحرر»، وبمجرد قراءتى بدايته علمت فورا أن صاحب هذه الكلمات هو محمد البرغوثى، فهذا هو أسلوبه، وتلك هى كلماته، وهو صاحب هذه الروح الثورية الزاعقة الحادة فى الكتابة، ولكن لا تثريب اليوم عليك «ياعم برغوثى».. اكتب كما تشاء. كتب يقول:

**«بعد ١٨ يوما فقط لا غير من غضب الشعب.. تغير كل شىء فى حياة المصريين. بعد ١٨ يوما فقط من وقفة الشعب.. سقط نظام كان من أعتى وأقوى الأنظمة الأمنية القمعية. بعد ١٨ يوما فقط.. إنها لحظة تاريخية مهيبة فى حياة مصر والمصريين.. لحظة لا يمكن إدراك ما فيها من روعة وجمال وجلال ومهابة إلا بعد أسابيع وشهور من التأمل والقراءة والصمت البليغ.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .**

انتهى الدرس.. وبدأت حياة أخرى، حياة لا يعذب فيها ضابط شرطة مواطنا.. ولا يسرق فيها رجل أعمال الخصوبة من مزارعنا والطاقة من مصانعنا.. ولا يدمر فيها قرصان جاهل مدارسنا ومعاهد أبحاثنا ومستشفياتنا.. ولا يتحكم فيها الأجلاف والانتهازيون فى وسائل إعلامنا. لقد انفتحت كل النوافذ على اتساع الوطن. ولن يجرؤ كائن من كان على إغلاقها مرة أخرى، فليهنأ الشعب بالحرية.. وليذهب الطغيان والفساد والتلفيق إلى سراديب الحسرة والتحلل فى غياهب النسيان».

«يا سلام عليك يا عم برغوثى» إنها أجواء احتفالية خاصة جدا، نادرة جدا، لا بأس معها فى المبالغة فى الكتابة بهذا الشكل وهذه النبرة، عملا على ترسيخ الحدث فى نفوس المصريين واستلهام العبر والدروس منه، كى لا ننسى.

وفى نفس هذه الأجواء الحالمة بالحرية، الطامحة نحو الأفضل، جاء الموضوع الذى حدثتنا عنه زميلتنا علا مصطفى عامر يوم الخميس حول وجود روح وقيم جديدة لمستها فى ميدان التحرير، تم نشر موضوع علا اليوم مع لقطات أخرى لدعاء خليفة ولى على الصفحة الثالثة من الملحق. العنوان التمهيدى لموضوع علا كان: «ملامح أكثر جمالا لوطن ثائر»، وقالت فى مقدمة الموضوع:

**«منذ اليوم الأول لثورة ٢٥ يناير.. تحول ميدان التحرير إلى صورة**

مصغرة من الوطن الذى نحلم بـه.. لقد اختفت فجأة منظومة القيم السلبية التى تعودنا عليها خلال الثلاثين عاما الماضية.. وظهرت قيم إيجابية رائعة ترسم خريطة طريق واضحة لوطن أكثر جمالا.. ولشعب محب للحياة ومقبل على كل ما يفرح.. إنها واحة الحرية والعدالة والمساواة والمساندة والتكافل».

.. .. .. .. .. .. .. ..

بعد احتفالى بقراءة الصحف، ارتديت ملابسى وخرجت متوجها إلى «الأهرام» .. بدت القاهرة فى الصباح سعيدة لكن منهكة.. لا تزال الأعلام مرفوعة على السيارات، التى راح بعضها يطلق الأبواق أيضا لمواصلة التعبير عن البهجة والفرح.

فى الطريق.. تلقيت مكالمة من زوجتى إيناس، قالت لى إن عمرو موسى صرح قبل قليل بأنه سوف يتقدم باستقالته كأمين عام للجامعة العربية بانتهاء الفترة الحالية له، قلت لها إن فترته تنتهى فى شهر مايو المقبل، ولا شك أن هذه الخطوة من جانبه تعد تمهيدا للترشح لرئاسة مصر.

وعقدت العزم على تجديد محاولة الاتصال به للحصول على تصريح منه اليوم. وصلت لـ «الأهرام» قبل موعد اجتماع مجلس التحرير، وذاع خبر إعلان عمرو موسى أنه سيتقدم باستقالته إلى القمة العربية المقبلة التى ستعقد فى شهر مارس، ووجدت أن مسعود الحناوى رئيس القسم جاء اليوم إلى «الأهرام» رغم أن السبت هو إجازته الأسبوعية، فتوقعت أن يتصل هو بموسى وتراجعت عن فكرة محاولة الاتصال.

قبل بداية اجتماع مجلس التحرير أخذت لنفسى مكانا قريبا من مائدة الإجتماع لمتابعة ما سيجرى، ووجدت أن زملاء آخرين قد جلسوا أيضا يتابعون هذا الاجتماع «التاريخى».. كل شىء اليوم يبدو أنه تاريخى.. هذا هو الاجتماع الأول لمجلس تحرير «الأهرام» بعد سقوط نظام مبارك.. لم يحضر أسامة سرايا رئيس التحرير الاجتماع، وبدأ أسامة عبدالعزيز رئيس قسم الأخبار بطلب الوقوف دقيقة حدادا على أرواح شهداء الثورة، رد محمد السعدنى الرئيس السابق لقسم الأخبار الذى تم استبعاده بعد خلاف مع سرايا قائلا بصوت مرتفع.. «دلوقتى افتكرتم الشهداء؟!» لكن الجميع وقفوا بالفعل، ثم بدأ أسامة عرض

وفى ضوء تطورات الأمس ظهرت فى الأفق مخاوف من أن تكون هناك انقسامات فى القيادة العليا التى تدير البلاد، وأن يتحول ذلك إلى مواجهة بين الجيش الذى يعتقد أنه يطلب تسليم السلطة إليه لا إلى عمر سليمان، وبين الحرس الجمهورى الذى يتبع رئاسة الجمهورية تبعية مباشرة والذى ربما يدعم تفويض الأمر لسليمان، بدا المشهد ضبابيا لكنه ملبد بسحب وغيوم مقلقة للغاية.

لاحظت على الشاشات أن جنودا لم أتبين ما إذا كانوا من الحرس الجمهورى أو سلاح البحرية يقومون بتقديم زجاجات المياه المعدنية للمتظاهرين عند قصر رأس التين بالإسكندرية، وهو ما أشعرنى ببعض الاطمئنان، ثم أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة البيان رقم «٢» وحمل إشارات «مطمئنة» أيضا عندما أعلن ضمان تنفيذ عدد من الإجراءات الإصلاحية، شملت إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية، وإجراء التعديلات التشريعية اللازمة وإجراء انتخابات رئاسية حرة ونزيهة فى ضوء ما تقرر من تعديلات دستورية وغيرها.

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .

دخلت للنوم حوالى الساعة الرابعة عصرا، واستيقظت بعد زمن لم أحسبه، لأجد أن عصرا كاملا قد ولى.

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .

**«موبالاك اتنحى»**

**جاءت ابنتى حلا لتوقظنى وهى تهتف.. «اصحى يا بابا موبالاك اتنحى».. كنت بين النوم واليقظة، وداعب الحلم مخيلتى للحظات لكننى كنت أخشى أن أصدق حلا ثم يتضح أن الأمر كان مجرد خيالات نائم، لكننى صدقتها أخيرا، عندما حملت لى أذناى أصوات الزغاريد وأبواق السيارات المحتفلة القادمة من الشارع.. إذن فقد تنحى؟**

**فعلها؟**

**قمت أنفض آثار النوم من عينى، والحزن من قلبى، متوجها إلى التليفزيون..** وجدت إيناس تجلس وتقول لى بابتسامة هادئة.. «اتنحى».

كان عمر سليمان قد أنهى للتو بيانه التاريخى الذى تلاه فى تمام الساعة السادسة مساء اليوم الجمعة الحادى عشر من فبراير فى السنة الحادية عشرة بعد الألفين الميلادية. قال عمر سليمان بوجه شاحب متجهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها المواطنون.. فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد.. قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية.. وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد.. والله الموفق والمستعان»

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .

**هكذا إذن يمكن أن تتحقق الأحلام..**

**هكذا إذن يمكن أن يصبح الأمل واقعا.. والخيال حقيقة.. والسعادة ممكنة.**

**إذن فقد نجحت الثورة أخيرا..**

**سقط النظام.. وانتهى عصر مبارك.**

**حقق الشعب ما أراده من ثورته بحذافيره، لم تضع دماء الشهداء، ولم يخضع الثوار لأى محاولة للالتفاف حول مطالبهم، نجحوا حتى النهاية، كتبوا الدرس إلى آخر سطر فيه، وبدأوا صفحة جديدة بل كتابا جديدا فى حياة مصر، فهنيئا لهم ولنا.**

**جلست فى الشرفة فى لحظة تأمل.. تداعب أذنى أصوات السيارات المحتفلة، وزغاريد النساء المتصلة، وبعدها صعدت إلى أمى فى شقتها فوق شقتى فوجدتها تجلس أمام التليفزيون تبكى.. شقيقى ماجد أجرى اتصالين هاتفيين بى وبها من ألمانيا للتهنئة، ومشاركة أجواء الفرحة.**

**قررنا أن نخرج جميعا للاحتفال، جاءت شقيقتى مروة وزوجها باسم وطفليهما عمر ورنا، رنا راحت ترقص بسعادة دون أن تفهم الأسباب، الأطفال حازم وحلا وعمر ورنا استعدوا جميعا للاحتفال.**

**خرجنا إلى «التحرير»، الكل سعيد، الكل يحتفل، الأطفال يصعدون إلى أسطح الدبابات والأهالى يلتقطون لهم الصور.**

مدحت راح يشرح لأمى التى نزلت إلى ميدان التحرير للمرة الأولى فى هذه الظروف تفاصيل معركة يوم ٢٥ يناير مع الشرطة على أرض الواقع، الشباب أسقطوا سورا كان هنا يحيط بأرض فضاء بها أعمال حفر بين جامعة الدول العربية والمتحف المصرى وفندق النيل هيلتون، بعد أن أصبح ذلك هو المنفذ الوحيد لهم من هجوم الشرطة عليهم ليصلوا إلى الشارع الضيق المجاور للمتحف والحزب الوطنى، كى ينفذوا منه إلى طريق الكورنيش، هنا دارت عمليات الكر والفر، هنا سالت الدماء الزكية وسقط الأبرياء.

الشهداء لا يزالون فى الميدان، صور وجوههم الباسمة لا تزال تزين جنبات ميدان التحرير، تنشر النور فى الأجواء، وتبعث الأمل فى الأرجاء، هم المشاعل المنيرة التى بثت الضوء فى واقعنا الذى كان معتما، وسوف تضيئ لنا طريقنا نحو المستقبل، ارقدوا اليوم فى سلام يا أحبائى.. ارقدوا اليوم فى سلام.. فقد انتصرنا بفضلكم.

وللشهداء، أدى اللواء محسن الفنجرى التحية العسكرية، فى البيان الثالث للمجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى صدر اليوم بعد التنحى.. «أيها المواطنون: فى هذه اللحظة الفارقة فى تاريخ مصر، وبصدور قرار السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بالتخلى عن منصب رئيس الجمهورية، وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد.. .. .. .. . وسيصدر المجلس لاحقا بيانات تحدد الخطوات والإجراءات والتدابير التى ستتبع، مؤكدا فى الوقت نفسه أنه ليس بديلا عن الشرعية التى يرتضيها الشعب.. .. . ويتقدم المجلس بكل التحية والتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك على ما قدم فى مسيرة العمل الوطنى حربا وسلما.. .. . وفى هذا الصدد فإن المجلس يتوجه بكل التحية والإعزاز لأرواح الشهداء.. .. .. .«.

بعد العودة من الميدان.. توجهت إلى مقعدى الخاص بجوار نافذة الشرفة لأستمتع باستعادة أحداث يوم سعيد..

بعد التنحى مباشرة.. لم يكن هناك على الفضائيات سوى مشهد الجماهير المحتفلة فى ميدان التحرير، وأسفل الشاشة عبارة «عاجل: مبارك يتنحى عن رئاسة مصر» بخط كبير.

ثم بدأ بعد ذلك نقل مظاهر السعادة التى عمت الوطن العربى بعدما حدث فى مصر.. وكيف لا؟ مصر ليست صغيرة.. مصر هى مصر.. قد يغار الشقيق من شقيقه، ويتمنى لو يسبقه، لكنه أبدا لا يكرهه، الأنظمة وتوجهها نحو مصالحها الشخصية هى التى أفسدت علاقات الشعوب العربية ببعضها.

على الشاشات، الكل فخور بمصر، يهتفون، يهللون، يوزعون الحلوى ويطلقون أبواق الفرح.. . لكن من بين الهتافات علق بذهنى هتاف محدد نقلته الفضائيات من الشارع التونسى، وهم رفاق الثورة وأصحاب قصب السبق فيها.. «الشعب يريد تحرير فلسطين».. علق بذهنى هذا الهتاف ولم يمر على مرورا عاديا، لا شك أنه هتاف حماسى بالطبع جاء فى غمرة الفرحة، لكنه أيضا.. هتاف منطقى.. كيف؟

عندما فكرت فى الأمر بهدوء وجدت أن صاحب هذا الهتاف ربما يكون قد قفز بأحلامه – سريعا – إلى نهاية المطاف، لكن ذلك هو النهاية الطبيعية بالفعل والنتيجة المنطقية التى تترتب على تحرير الدول العربية من أنظمتها المستبدة، فإذا ما تمكن كل شعب من الشعوب العربية من حل «مشكلته الخاصة»، مع نظامه، بحيث تصبح إرادات هذه الشعوب هى الحاكمة، فإن ما يلى ذلك بالطبع، وبهدوء، وبلا انفعال، أو حماس هو التوجه إلى «المشكلة العامة» ، أو القضية الرئيسية، وهى تحرير فلسطين، وكيف لا؟!

لكننا على كل حال لانزال فى بداية الطريق. خلف نافذة شرفتى أيضا استعدت اتصالا هاتفيا جاءنى اليوم من صديقى سامى الجبالى المدير فى إدارة الإعلانات بـ «الأهرام» ، وقد استوقفنى الاتصال، لأننى وجدت أن سامى يقول لى أنه شعر بأننى واحد ممن يمكن أن توجه لهم التهنئة اليوم، لأننى كنت دوما لا أستبعد حدوث ذلك وأدعو اليه.. «الله يكرمك ياعم سامى».. ولكن متى حدث ذلك؟

إننى لم أتوقع الثورة، بل إننى كتبت يوما ما أصف حالة الحراك السياسى التى شهدتها مصر خلال العقد الأول من القرن الحادى والعشرين قائلا إن «أمواجا كثيفة تدافعت بين مختلف فئات المجتمع لتحدث فى النهاية حركة ملحوظة لا يستطيع منصف أن يتجاهلها أو ينكر وجودها لكنه أيضا لا يستطيع – فى رأينا – أن يبالغ باعتبار هذه الأمواج والتحركات مقدمة لشىء ما أكبر! » (كتاب لا ينشر، ص ١٠٧) كتبت هذه الكلمات للأسف الشديد، ولم أتوقع حدوث شىء!

فكرت فى كلمات سامى الذى لم يكن مجبرا بأى حال من الأحوال على تقديم هذه التهنئة لى، فوجدت أنه ربما يعنى أننى كنت دائما أدعو إلى استمرار المقاومة، مقاومة الظلم والفساد وشيوع ثقافة المصلحة لا القيمة، كل فى موقعه بقدر ما يستطيع، دون الانغماس فى هذه المنظومة الفاسدة ومحاولة التربح منها، ربما كان ذلك هو ما كان يعنيه سامى، لكننى أؤمن أن ذلك هو واجب كلٍ شريف، وهو رسالة كل مؤمن، فى صراع هذه الحياة، حتى لو لم يبدُ فى الأفق أن خيرا ما يمكن أن يأتى.

لم أتوقع الثورة.. لكننى أؤمن بالعمل المتواصل دون انقطاع من أجلها.. انطلاقا من فكرة أنه إذا قامت الساعة وفى يد أحدنا فسيلة فليغرسها، لماذا نغرسها ولأى هدف إذا كانت الساعة قد قامت والحياة انتهت بالفعل؟ الإجابة هى أن الغرس، أو العمل، واجب باستمرار، حتى لو لم يكن هناك ما يشير إلى إمكانية جنى ثماره، بل حتى لو كانت الحياة على وشك الانتهاء فعلا، ربما كان ذلك هو ما كافأنى سامى عليه باتصاله، على أى حال.. «الله يبارك فيك يا عم سامى».

قطعت ابنتى حلا التى لم تكمل عامها الخامس أفكارى، وجاءت لتجلس بجوارى كعادتها، لنناقش أمورها وأمورى وأحوال الحياة بشكل عام (! ) أو حتى «نقعد نتكلم» كما تقول هى.

وجدت أن من واجبى كأب يربى ابنته أن أعمل على غرس الحدث بداخلها حتى تتذكره ودار بيننا الحوار التالى:

- انتِ عارفة إحنا فرحانين ليه؟

- ايوه عسان موبالاك مسى.

- أيوه

- عسان هو مس كويس.

- أيوه، فاكرة؟

انتِ اللى قلتيلى انه مشى لما صحيتينى.. صح ؟

- أيوه.. قلتلك.. موبالاك اتنحى.

ثم صمتت قليلا وقالت:

- هو يعنى إيه اتنحى؟!

# «الشعب أسقط النظام»

## محمد البرغوثي يكتب

## على غلاف ملحق شباب التحرير: «انتصرنا»

## السبت ١٢ فبراير

**متى يمكن أن تحتفل الصحافة إذا لم تحتفل اليوم؟!**

حرصت على شراء الصحف منذ الصباح الباكر، حتى أتمكن من العثور عليها والاحتفاظ بها، من يصدق أن المرء يمكن أن يدفع - اليوم - جنيها واحدا فقط لكى يحصل على هذا العدد التاريخى من كل صحيفة؟

ترى.. كيف ستقدر قيمة هذه الأعداد من الصحف الصادرة صباح اليوم معنويا وماديا بعد سنوات؟

فى البداية.. فاجأتنى نسخة «الأهرام» التى اشتريتها، بخطوة تحريرية «تاريخية» بالفعل، إذ صدر عدد اليوم من «الأهرام» حاملا العنوان الرئيسى فى الصفحة الأولى «المانشيت» فوق «الترويسة» التى تحمل اسم الصحيفة، لا تحتها كالمعتاد!

لم يحدث هذا بالطبع على مدى سنوات عملى الخمسة عشر فى «الأهرام» ولا مرة واحدة، بل لعله لم يحدث فى تاريخ «الأهرام» إلا فى مرات نادرة، فى أحداث تاريخية استثنائية. وجاء العنوان الرئيسى للجريدة اليوم بسيطا وحاسما ودالا، حيث تكون من ثلاث كلمات فقط هى «الشعب أسقط النظام».

**ولم تستخدم حروف الطباعة المعتادة فى كتابة العنوان، بل تم نشره بخط اليد باللون الأحمر، حيث كتبه زميلنا محمد المغربى خطاط «الأهرام» والمخرج الفنى، ووقع بإسمه أسفل العنوان «المغربى» ليدخل هو الآخر التاريخ مع العنوان والعدد بكامله.**

وقد علمت أنه تم استدعاء المغربى أمس على عجل لكتابة المانشيت

بهذه الطريقة حتى أنه جاء إلى الجريدة مرتديا جلبابا، كما علمت أن حازم عبدالرحمن مدير التحرير كان هو صاحب هذه القرارات التحريرية التاريخية وصاحب صياغة المانشيت أيضا، ولا شك أنه قد استشار أسامة سرايا رئيس التحرير وحصل على موافقته على النشر بهذه الطريقة لكنه كان صاحب القرار منذ البداية، وقد سمع زملاؤنا الموجودون فى الجريدة يوم أمس «الأستاذ حازم» وهو يقول إن الهتاف الرئيسى للمتظاهرين طوال الفترة الماضية كان «الشعب يريد إسقاط النظام» لذا فقد اختار عنوانا بسيطا نابعا من هذا الهتاف ذاته وهو «الشعب أسقط النظام». وقيل إن زملاء آخرين كانوا هم أول من اقترح هذه الصيغة.

أستطيع أن أشعر بشعور «الأستاذ حازم» الداخلى وقت اختياره لهذا العنوان ونشر «المانشيت» بهذه الطريقة، لا شك أن فورة السعادة داخله بتحقيق الحرية قد فاضت، وفاقت أى اعتبارات أخرى لديه فجاءت قراراته بهذا الشكل الناجح.. أعرف كم هو محب للحرية!

جريدة «الشروق» اختارت أن يكون عنوانها الرئيسى هو «.. وانتصر الشعب»، أما «المصرى اليوم» فجاء «المانشيت» بها قريبا مما جاء فى «الأهرام» لكنه أقل بلاغة وجمالا منه، وهو «الشعب أراد وأسقط النظام»، لكن الصورة البانورامية لميدان التحرير التى نشرتها «المصرى اليوم» كانت أجمل من صورة «الأهرام» التى كانت من الميدان أيضا لكنها ركزت على شاب واحد يهتف رافعا يديه وهو محمول على الأعناق. كما أن «المصرى اليوم» اختارت أن تتصدر صفحتها الأولى صور ١١ شهيدا وضعت فوق علم مصر على شكل نصف دائرة، كتب داخلها بخط صغير «إن مت يا أمى ما تبكيش» ثم بخط أكبر «أموت علشان بلدى تعيش»، ولم يكن هذا سيئا ، أما جريدة «الأهرام المسائى» فقد جاء عنوانها الرئيسى باهتا - كما أظن - وصفحتها الأولى عادية، فالصفحة كاملة كانت عبارة عن صورة لشاب يحمل علم مصر، أما العنوان الذى على الصورة فكان «عهد جديد».

بعد استعراض الصفحات الأولى للصحف، عدت إلى ملحق «شباب التحرير» فى «الأهرام» ، وشعرت بالسعادة لأن هذا العدد التاريخى من الملحق حمل اسمى مرتين داخله من خلال قيامى بالتعليق على تلك الصور التى حصلت عليها من شقيقى مدحت، لكن الأهم من ذلك كان هو الصفحة الأولى فى الملحق، فقد تصدرتها كلمة واحدة فقط بحجم كبير كتبها محمدالبرغوثى

وخطّها محمد المغربى أيضا بقلمه وهى. «انتصرنا»، وتم نشرها فوق صورة احتلت مساحة الصفحة كاملة لشاب يحمل علم مصر بين يديه ويقوم بتقبيله.

وحملت هذه الصفحة أيضا مقالا قصيرا، موقعا بإمضاء «المحرر»، وبمجرد قراءتى بدايته علمت فورا أن صاحب هذه الكلمات هو محمد البرغوثى، فهذا هو أسلوبه، وتلك هى كلماته، وهو صاحب هذه الروح الثورية الزاعقة الحادة فى الكتابة، ولكن لا تثريب اليوم عليك «ياعم برغوثى».. اكتب كما تشاء. كتب يقول:

«بعد ١٨ يوما فقط لا غير من غضب الشعب.. تغير كل شىء فى حياة المصريين. بعد ١٨ يوما فقط من وقفة الشعب.. سقط نظام كان من أعتى وأقوى الأنظمة الأمنية القمعية. بعد ١٨ يوما فقط.. إنها لحظة تاريخية مهيبة فى حياة مصر والمصريين.. لحظة لا يمكن إدراك ما فيها من روعة وجمال وجلال ومهابة إلا بعد أسابيع وشهور من التأمل والقراءة والصمت البليغ.. ..
.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .

انتهى الدرس.. وبدأت حياة أخرى، حياة لا يعذب فيها ضابط شرطة مواطنا.. ولا يسرق فيها رجل أعمال الخصوبة من مزارعنا والطاقة من مصانعنا.. ولا يدمر فيها قرصان جاهل مدارسنا ومعاهد أبحاثنا ومستشفياتنا.. ولا يتحكم فيها الأجلاف والانتهازيون فى وسائل إعلامنا. لقد انفتحت كل النوافذ على اتساع الوطن. ولن يجرؤ كائن من كان على إغلاقها مرة أخرى، فليهنأ الشعب بالحرية.. وليذهب الطغيان والفساد والتلفيق إلى سراديب الحسرة والتحلل فى غياهب النسيان».

«يا سلام عليك يا عم برغوثى» إنها أجواء احتفالية خاصة جدا، نادرة جدا. لا بأس معها فى المبالغة فى الكتابة بهذا الشكل وهذه النبرة، عملا على ترسيخ الحدث فى نفوس المصريين واستلهام العبر والدروس منه، كى لا ننسى.

وفى نفس هذه الأجواء الحالمة بالحرية، الطامحة نحو الأفضل، جاء الموضوع الذى حدثتنا عنه زميلتنا علا مصطفى عامر يوم الخميس حول وجود روح وقيم جديدة لمستها فى ميدان التحرير، تم نشر موضوع علا اليوم مع لقطات أخرى لدعاء خليفة ولى على الصفحة الثالثة من الملحق. العنوان التمهيدى لموضوع علا كان: «ملامح أكثر جمالا لوطن ثائر»، وقالت فى مقدمة الموضوع:

«منذ اليوم الأول لثورة ٢٥ يناير.. تحول ميدان التحرير إلى صورة

مصغرة من الوطن الذى نحلم به.. لقد اختفت فجأة منظومة القيم السلبية التى تعودنا عليها خلال الثلاثين عاما الماضية.. وظهرت قيم إيجابية رائعة ترسم خريطة طريق واضحة لوطن أكثر جمالا.. ولشعب محب للحياة ومقبل على كل ما يفرح.. إنها واحة الحرية والعدالة والمساواة والمساندة والتكافل».

.. .. .. .. .. .. .. .. .. ..

بعد احتفالى بقراءة الصحف، ارتديت ملابسى وخرجت متوجها إلى «الأهرام» .. بدت القاهرة فى الصباح سعيدة لكن منهكة.. لا تزال الأعلام مرفوعة على السيارات، التى راح بعضها يطلق الأبواق أيضا لمواصلة التعبير عن البهجة والفرح.

فى الطريق.. تلقيت مكالمة من زوجتى إيناس، قالت لى إن عمرو موسى صرح قبل قليل بأنه سوف يتقدم باستقالته كأمين عام للجامعة العربية بانتهاء الفترة الحالية له، قلت لها إن فترته تنتهى فى شهر مايو المقبل، ولا شك أن هذه الخطوة من جانبه تعد تمهيدا للترشح لرئاسة مصر.

وعقدت العزم على تجديد محاولة الاتصال به للحصول على تصريح منه اليوم. وصلت لـ «الأهرام» قبل موعد اجتماع مجلس التحرير، وذاع خبر إعلان عمرو موسى أنه سيتقدم باستقالته إلى القمة العربية المقبلة التى ستعقد فى شهر مارس، ووجدت أن مسعود الحناوى رئيس القسم جاء اليوم إلى «الأهرام» رغم أن السبت هو إجازته الأسبوعية، فتوقعت أن يتصل هو بموسى وتراجعت عن فكرة محاولة الاتصال.

قبل بداية اجتماع مجلس التحرير أخذت لنفسى مكانا قريبا من مائدة الإجتماع لمتابعة ما سيجرى، ووجدت أن زملاء آخرين قد جلسوا أيضا يتابعون هذا الاجتماع «التاريخى».. كل شىء اليوم يبدو أنه تاريخى.. هذا هو الاجتماع الأول لمجلس تحرير «الأهرام» بعد سقوط نظام مبارك.. لم يحضر أسامة سرايا رئيس التحرير الاجتماع، وبدأ أسامة عبدالعزيز رئيس قسم الأخبار بطلب الوقوف دقيقة حدادا على أرواح شهداء الثورة، رد محمد السعدنى الرئيس السابق لقسم الأخبار الذى تم استبعاده بعد خلاف مع سرايا قائلا بصوت مرتفع.. «دلوقتى افتكرتم الشهداء؟!» لكن الجميع وقفوا بالفعل، ثم بدأ أسامة عرض

الأخبار التى لديه على المجلس.. بدا الكل فى الاجتماع سعداء، وقيلت اقتراحات وأفكار عديدة لكن أحدا لم يتحمس لفكرة أحد.

عبدالعظيم حماد[1] المشرف على الطبعة العربية للأهرام اقترح أن يتم نقل المساحة المخصصة لرأى «الأهرام» إلى الصفحة الأولى، كما اقترح أن يتبنى «الأهرام» حملة صحفية لصرف معاشات لأسر الشهداء، رد عبدالعظيم درويش مدير التحرير ضاحكا بقوله انه لا أحد منهم يحتاج هذه المعاشات، فى إشارة إلى أن نسبة كبيرة من الشهداء كانوا من شريحة عليا فى الطبقة المتوسطة، فرد حماد قائلا: «معلهش برضه».

وتحدث سامى متولى مستشار التحرير الذى كان مديرا لتحرير «الأهرام» وقت رئاسة إبراهيم نافع قائلا إنه لابد من أن نكون حذرين خلال الفترة المقبلة حتى تتضح الأمور، لكن الزميل جمال إسماعيل الذى يعمل فى الطبعة العربية رد قائلا: «مضى عهد الخوف يا أستاذ سامى».

واقترح مسعود الحناوى إجراء حوارات مع الشخصيات التى يمكن أن تكون مرشحة للرئاسة، مثل رئيس المحكمة الدستورية العليا أو عمرو موسى وغيرهما. لم يعترض أحد على كلام مسعود، لكن عبدالعظيم درويش رد قائلا «بس بلاش البرادعى وأيمن نور»، فقال حازم عبدالرحمن: «ليه؟ ده حكم تقييم لهم! انت عندك اتنين من زعامات القيادات الشبابية من ضمن حملة البرادعى، دى أسماء مطروحة».

وقدم ممدوح شعبان رئيس القسم العسكرى لحازم عبدالرحمن قائمة تضم أسماء محللين عسكريين يقترحها المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإجراء لقاءات معهم حول تحليل الموقف الحالى، فسأله حازم عما إذا كانت هذه القائمة «استرشادية أم إلزامية» لم يعط ممدوح ردا حاسما، إلا أن البعض علق ضاحكا: «إحنا خلصنا من أنس الفقى طلع لنا ممدوح شعبان» وضحك الجميع.

وخلال الاجتماع أيضا طالب البعض بعودة محمد حسنين هيكل وفهمى هويدى للكتابة فى «الأهرام» لكن أحدهم رد بصوت منخفض قائلا: «هيكل حيرفض يكتب طول ما أسامة سرايا رئيس التحرير»!.

---

(١) تم تعيينه رئيسا للتحرير فيما بعد

انتهى الاجتماع ومضى كل إلى عمله، والواقع أننا فى قسم الشئون العربية لم يكن لدينا عمل خلال هذه الأيام تقريبا، سوى تقديم موضوع واحد أو موضوعين حول ردود الفعل العربية على ما يحدث فى مصر، بالإضافة إلى أهم المهم مما يجرى فى الدول العربية. وقد ساعدنى هذا «الفراغ المهنى» على العمل بجد ونشاط فى ملحق «شباب التحرير» الذى بدا أن روحا مختلفة تسرى فيه، حيث فوجئت على غير المعتاد فى صحافتنا بالزملاء المشرفين على تحريره يطلبون منى الكتابة وتقديم الموضوعات، بل والمقالات والتعليقات على أحداث الثورة.

لأحد يطلب من أحد فى «الأهـرام» الكتابة عادة. بل لابد من حروب ضروس حتى يستطيع المرء أن ينشر خبرا، فما بالك بمقال رأى أو كتابة ذاتية؟

جلست بالفعل وكتبت.. كتبت محاولا استلهام شعور أم الشهيد يوم النصر، بعد إعلان مبارك التنحى.. وما إذا كانت ستفرح أم تحزن، ستضحك أم تبكى!

بعد ذلك علمت أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة أصدر بيانا أكد فيه التزام مصر بجميع الالتزامات والمعاهدات الإقليمية والدولية. وأكد المجلس ضمان الانتقال السلمى للسلطة فى إطار النظام الديمقراطى الحر الذى يسمح بتولى سلطة مدنية منتخبة حكم البلاد، وطالب المجلس الحكومة الحالية والمحافظين بتسيير الأعمال مؤقتا لحين تشكيل الحكومة الجديدة.

وظهرا وجدت «الأستاذ مسعود» ينصرف من الجريدة وتوقعت أنه لم يقم بالاتصال بعمرو موسى، لأنه لم يقدم للدسك المركزى أى تصريحات له. وعندئذ فكرت فى محاولة الحصول على التصريح، فاتصلت بدينا اسماعيل رئيسة المكتب الصحفى لموسى، لكنها لم ترد، كررت الاتصال ولم ترد، فغضبت وانصرفت!

# السكون غير مضمون

## «الأهرام» تتحدث عن نفسها:

## «سبحان مغير الأحوال»!

## الأحد ١٣ فبراير

«سطعت شمس الحرية وأصحاب الملايين يتساقطون»

كذلك جاء العنوان الرئيسى لجريدة «الجمهورية» الصادرة صباح اليوم، أما محمد على إبراهيم أحد أبرز المدافعين عن مبارك ونظامه فقد جاء فى مقاله على الصفحة الثالثة: «أكبر درس أفرزته الثورة الشبابية فى مصر أنها نجحت فى إنهاء المعاندة بين الحاكم والشعب.. العند سيصبح من الآن فصاعدا سلوكا مقيتا يذكر المحكومين بانتصار ثورة ٢٥ يناير فى مصر وينبه الحكام إلى أن أى عناد مع الشعب سينتهى بانكسار الحاكم».

وعلى الصفحة الثانية فى «الجمهورية» أيضا جاء العنوان الرئيسى «هل قدمت هند الفاسى رشوة مليون دولار لصفوت الشريف؟» «دور زكريا عزمى وأحمد عز فى تزوير انتخابات مجلس الشعب».. ونحن نقول.. سبحان مغير الأحوال!

أما «الأهرام» فكان لها طعم آخر لأسباب عديدة كما سترى..

أولا العنوان الرئيسى جاء دالا وحرفيا ودقيقا وكان «تنظيف مصر».. وتحته على ٦ أعمدة صورة لفتاة قعيدة على كرسى متحرك تقوم بطلاء أحد أرصفة ميدان التحرير، بعد أن غادره المعتصمون وقاموا بعملية تنظيف كاملة له، ونفس هذه الصورة نشرتها «المصرى اليوم» على صفحتها الأولى ولكن مع فارق أنها كانت لمصور من أبنائها وكتبت أسفلها اسمه، أما «الأهرام» فقد

نشرت الصورة نقلا عن وكالة «رويترز» ، هذا شيء يحسب لـ «المصرى اليوم» بالطبع، الذى ربما يكون قد تصادف وجود مصورها مع مصور الوكالة فى نفس التوقيت أمام الفتاة.. ربما!

أما أهم ما يحسب لـ«الأهرام» اليوم كان هو ما كتبه الزميل محمود مكاوى على الصفحة الثانية تحت عنوان «الأهرام» .. سبحان مغير الأحوال»، محمود كان هو صاحب فكرة ملحق «شباب التحرير» مع صديقنا نادر محمود طمان، كما ذكرت من قبل، ومحمود فى الأساس مخرج فنى، وهو بارع فى مهمة رسم الصفحات وإخراجها بالشكل الجمالى اللائق، وإبراز الصور وغيرها، إلا أن الثورة على مايبدو أخرجت ما بداخله من قدرات دفينة فأظهر قدرة صحفية بارعة على الكتابة والتقاط «البراويز الصحفية».

محمود مكاوى لم يفعل أكثر من أنه نقل تعليقات أعضاء صفحة «كلنا خالد سعيد» على موقع فيس بوك حول المانشيت التاريخى لـ«الأهرام».. «الشعب أسقط النظام».. وقد فعل ذلك بشكل غير موجه أو مخطط له بهدف إبراز وجهة نظر معينة.. فجاء ذلك بارعا.. مارس مكاوى عملية نقد ذاتى رائعة ونقل تعليقات القراء كالتالى:

«يا جماعة الإعلام كان مضغوط عليه.

فعلا عاش الملك مات الملك.

إيه ده.. بجد ده «الأهرام» !!!

سبحان الله أخيييييرا «الأهرام» تحررت..

أحلى مانشيت اتكتب».

أما هذه التعليقات جميعا فقد جاءت فى صفحة «كلنا خالد سعيد» تحت عنوان «سبحان مغير الأحوال» وصورة الصفحة الأولى للجريدة يوم السبت ١٢ فبراير.. وكان رائعا أن يختار محمود مكاوى العنوان نفسه مع إضافة كلمة «الأهرام» ليصبح «الأهرام» .. سبحان مغير الأحوال» وكأننا نحن من نتحدث عن أنفسنا!

أما ملحق «شباب التحرير» فقد صدر وعلى صفحته الأولى

صـورة عـلـى ثـمـانـيـة أعـمـدة لـسـيـارة تـضـع عـلـى زجـاجـهـا الـخـلـفـى صـفـحـة «الأهـــرام» الأولـــى الـتـى حـمـلـت مـانـشـيـت «الـشـعـب أسـقـط الـنـظـام» والـصـفـحـة الأولـى فـى الملـحـق يـومـهـا أيـضـا الـتـى حـمـلـت عـنـوان «انتصرنا».

وقد علمت أن موزعى «الأهرام» الذين جاءوا إلى المؤسسة مساء الجمعة لاستلام نسخ الجريدة قاموا ببيع معظم النسخ أمام بوابة «الأهرام» ذاتها قبل انصرافهم إلى نقاط التوزيع، حيث كان هناك إقبال كبير جدا على شراء الجريدة.

وكان لافتا ما أشارت اليه «المصرى اليوم» حول قيام الصحفيين فى «وكالة أنباء الشرق الأوسط» ومؤسسة «روز اليوسف» بالاعتصام احتجاجا على السياسات التحريرية المؤيدة للنظام السابق، ومطالبة الصحفيين بعزل عبدالله حسن رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الوكالة، وكرم جبر رئيس مجلس إدارة روز اليوسف، وعبدالله كمال رئيس تحريرها، وكلهم لا يحتاج المرء إلى التدليل على حجم مؤازرتهم للنظام السابق وتصديهم للدفاع عن كوارثه.

لكن أكثر ما لفت نظرى اليوم مقال صغير للصديقة علا مصطفى عامر، المتخصصة فى رصد دقائق الأمور، وجاء تحت عنوان «السكون.. غير مضمون»، وفيه كتبت تقول أن «خمود البركان سنوات لا يعنى أن جوفه أصبح خاليا من الحمم والنيران، وسكون الريح فصول ومواسم لا يؤكد أن حياتنا ستمضى ربيعا بلا إعصار، أما السيل فقد يغيب قرونا فننساه أو ينسانا ثم نفاجأ به يأتينا.. والشعوب قد تصمت طويلا، والمظلوم قد يصبر كثيرا.. ومع ذلك يظل السكون والصمت وطول الغياب أمورا غير مضمونة قد تستمر عمرا، وقد لا تصمد يوما» .. وكان أهم مالفت نظرى فى كلمات علا أننى شعرت كأنها تقرأ أفكارى.. أو تعبر عن شىء قريب جدا مما بداخلى حول.. «هدير الصمت»!

واليوم أيضا.. كانت لى مشاركة فى أفراح الثورة.. حيث نشر لى-ما كتبته أمس- فى الصفحة الأولى بملحق «شباب التحرير» تحت عنوان.. «يا أم الشهيد» .. وفيه قلت:

يا أم الشهيد..

«يا سيدتى»..

احترت فيما تشعرين به اليوم.. يوم النصر.. وليلة الفرحة!

لاشك أنك تفرحين.. لكنه فرح (بالبكا)!

لاشك أنك تشهدين.. كيف جاءت بدايتنا بعد المنتهى!

انتهى وليدك حقا.. برصاصة أو عصا أو سكين، لكننا بدأنا معه (وبه) طريقا جديدا لن تضعف فيه عزيمتنا أو تلين!

كنت تريدين أن تتصلى به اليوم وهو فى ميدان التحرير.. تقولين له «مبروك يا بطل خلى بالك من نفسك».. . لكنك لن تفعلى.. نحن سنفعل.. نحن المصريون.. سنبادر بالاتصال بك أنت.. لنقول: «مبروك يا أم البطل.. يا أم الشهيد.. نحن جميعا أبناؤك».

نبارك!

وسنضحك معا ثم نبكى..

نضحك بفرحة النصر.. ثم نبكى.. عندما تستعيد أنوفنا روائح الدماء الزكية.. تلك التى فتحت لنا طريق الحرية..

للحرية ضريبة يا أمنا.. لكنك كنت أكثر من دفع الضريبة.. ضريبة الدم.. وما أغلى الدم!

ونعدك بأن نعود لنفرح معا.. جميعا.. فقد عادت مصر إلينا.. يا أم الشهيد.. وأصبح لك ألف ألف ابن».

اليوم أصدر الجيش بيانه الخامس، وهو بيان مهم وموقع للمرة الأولى بإسم المشير محمد حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وفيه تعهد المجلس بأن يتولى إدارة شئون البلاد بصفة مؤقتة لمدة ٦ أشهر أو لحين انتهاء انتخابات مجلسى الشعب والشورى والرئاسة كما قرر تعطيل العمل بأحكام الدستور وتشكيل لجنة لتعديله، وحل مجلسى الشعب والشورى، وتكليف حكومة أحمد شفيق بمواصلة العمل لحين تشكيل حكومة جديدة.

فى المساء سهرت مع أحمد قدرى على مقهى الدقى وكان غير سعيد أو

غير واقف على أرض صلبة وقلت له كلاما مفاده أن الحصول على مكاسب والانتقال إلى وضع أفضل بشكل عام لابد أن يكون له ثمن وهناك من دفع الثمن دما، «تخيل شعور أم شهيد»، وأضفت قائلا أنك أنت الآن تدفع الثمن باختلال أوضاع العمل والأزمة المادية لكن ذلك مستمر لفترة ستنتهى بعد حين حتى لو كان ذلك عاما أو عامين «طب ما أنت بقالك ٣٠ سنة أوضاعك ملخبطة» ولم يكن يظهر فى الأفق أن الحال سيختلف، والآن الحال اختلف بالفعل وبقى فقط أن تستقر الأمور وتسير فى طريقها الصحيح بألا يكون هناك فساد أو.. أو.. وأن تعمل فتجد نتيجة عملك.

صمت أحمد ولم يرد، قلت له إننى مدرك تماما صعوبة المرحلة الحالية لكننا نسير للأفضل، طلب قدرى المرور على ميدان التحرير بعد فتحه لرؤيته ولم يكن هذا فى طريق عودتنا لكننى ذهبت، وظل يرقب فى هدوء مقر مبنى الحزب الوطنى المحترق الذى قال إنه يراه لأول مرة بعد الأزمة، وقال إنه شاهده وهو يحترق ولكن فى التليفزيون، جلس أحمد بجوارى فى السيارة بينما كنا نعبر ميدان التحرير يراقب، وكأنه لم يكن يتخيل أن الأمر كان بهذا الشكل، نقلت له كلمات علا مصطفى عامر حول وجود شكل مختلف للأخلاق فى ميدان التحرير، وبدا أن أحمد يهتم بسماع كلماتى، وقال ضاحكا فى النهاية عبارة «ياريتنى كنت معاهم».

# أجور الصغار.. وقصور الكبار

## مصطفى الفقى: «أنا من أول الناس اللى حذرت من تزاوج السلطة والثروة»!

## الاثنين ١٤ فبراير

فى الجريدة ظهر اليوم تم تعليق كشوف بأسماء الزملاء غير المعينين ومواعيد تعيين كل منهم وفقا لجدول زمنى حسب الفترة التى قضاها كل منهم فى المؤسسة.. رضخت الإدارة للضغط إذن.. وتم حل هذه المشكلة الأزلية أخيراً.. مجرد اعتصام فى البهو وبضع شعارات كتبها أحمد هوارى وزملاؤه وهتفت بها الجموع أدى إلى حل المشكلة.. والسؤال الخطير هو أنه طالما كان فى الإمكان حل هذه المشكلة فى أيام قليلة فلم كان التأخر كل هذه السنوات ؟! ألم يكن ممكناً اقتطاع ملايين قليلة من المكافآت الخيالية التى يحصل عليها الكبار لتوفير ميزانية لتعيين هؤلاء الصغار؟ والأخطر هو أن ماحدث أصبح يعكس واقعاً جديداً فى مصر عنوانه الرئيسى هو «إنما تؤخذ الدنيا غلاباً» أى بالمغالبة والقوة، وهو عنوان يبدو بالنسبة لى كحد السكين. كيف؟!

شعرة صغيرة تفصل بين المعنيين الإيجابى والسلبى لهذا العنوان.. فالإيجابى يشير إلى ضرورة التمسك بالحقوق والمطالبة بها بقوة وجهر وإصرار.. أما المعنى السلبى فإنه يتحقق إذا ما تخطى الأمر ذلك بشعرة واحدة لتصبح المطالبة بالحقوق (بالعنف) لا (بالقوة) أو أن تتم المطالبة بالقوة بما هو غير حق أصلاً، والفارق هنا هو كالفارق أيضاً بين الثورة والفوضى!

فالثورة حق وواجب لا خلاف عليه ، لكنها يمكن أيضاً – بسهولة شديدة – أن تتجاوز إلى الفوضى ، إذا ما بالغت فى التحطيم لتصل إلى ما لا ينبغى أن يحطم!

لم يكن ما حدث فى «الأهرام» على هذا الصعيد حدثاً فردياً أو عارضا، بل إن القاهرة وعواصم المحافظات شهدت حالة من الشلل نتيجة عشرات

الاعتصامات داخل المصانع الحكومية وبنوك القطاع العام والشركات والهيئات الاقتصادية بل وقوات الشرطة بعد ساعات من عودتها للانتشار، مثلما ذكرت «الأهرام» على صفحتها الأولى اليوم، وأضافت أن الاحتجاجات تركزت على المطالبة بتحسين الأجور وسد الفجوة الهائلة بين رواتب العاملين وفئة الإدارة العليا.

ربما تريد أن تقول لى الآن أن ما كتبه «الأهرام» هنا كان موجهاً بهدف محاصرة الثورة ومنع الموظفين من الاعتصام والمطالبة بحقوقهم، وهذا غير صحيح.. بل أن الجناح الثورى من «الأهرام» وهو ملحق «شباب التحرير» ذاته صدر هذا اليوم أيضا تحت عنوان دال ومهم وهو «الثورة تحت حصار المطالب الفئوية» ، وأنا لا أشك فى أهداف وتوجهات كاتب هذا العنوان أو نواياه حول الثورة، فقد كتب محمد البرغوثى تحت هذا العنوان الذى جاء بتوقيع «المحرر»

«إن الثورة العظيمة التى أنجزها الشعب المصرى فى حاجة ماسة إلى التقاط الأنفاس وترتيب الأولويات والتريث فى قراءة كل الملفات.. فلننتظر شهرا كاملاً على الأقل حتى لا تحجب المطالب الفئوية العجولة شمس الثورة عن أرضنا الطيبة.. وحتى لا يختنق المولود الرائع بحصار مطالب لا يقدر عليها إلا شاب يافع».

على كل حال.. تم الإعلان أخيراً عن تعيين المتدربين فى «الأهرام» ، وجميعهم أحبائى وأصدقائى، أمير هزاع ومحمد فودة ومحمد شرابى وغيرهم كثيرون، وكنت أستمع من قبل لمشاكلهم بعجز رهيب وإحساس بعدم القدرة على فعل شىء.. ولذا فقد سعدت بتعيينهم سعادة كبيرة. بحثت عن اسم أحمد هوارى فى كشوف الأسماء، فوجدت أنه قد تقرر تعيينه فى أول نوفمبر المقبل ، اختلطت داخلى مشاعر السعادة والحزن، واعتبرت أن تعيينه بعد أكثر من ثمانية أشهر أمر جيد لكنه بعيد ، لم يكن هوارى قد جاء اليوم إلى «الأهرام» لأن الاثنين هو يوم أجازته الأسبوعية، لم أستطع التنبؤ بمشاعره عندما يعرف الخبر.. هل سيسعد أم سيحزن ؟ لم أعرف ولم أتصل به، لكننى بعد قليل فوجئت به أمامى فى «الأهرام» .. وكان متهللا من الفرحة.. فهنأته.. وقلت لنفسى.. كم هم بسطاء طيبون!

جريدة «الشروق» صدرت اليوم بعنوان رئيسى حول بيان المجلس العسكرى الذى أصدره أمس، وجاء كالتالى: «الجيش ينتصر للشعب» ثم عناوين تالية

أولها «عودة الحكم المدنى بعد ٦ أشهر أو عقب الانتهاء من الانتخابات النيابية والرئاسية» وربما كان ذلك أكثر دقة من عنوان «الأهرام» الذى تناول هذه النقطة وجاء كالتالى: «المجلس العسكرى يدير شئون البلاد مؤقتاً ٦ أشهر» . ومالفت نظرى فى «الشروق» اليوم هو تصريح للدكتور مصطفى الفقى (صاحبنا الذى يحبه الرئيس الكبير والرئيس الصغير جمال)، وكان حول جمال نفسه، حيث نقلت الجريدة عن الفقى قوله فى برنامج «الحياة اليوم» مساء أمس الأول أن أصحاب جمال مبارك حكموا مصر فى آخر ١٠ سنوات وأن هذه الفترة كانت مليئة بالسلبيات والفقر فى ظل وجود أشخاص حققوا ثروات طائلة. وأضاف قائلا بنفسه عن نفسه: «أنا من أول الناس اللى حذرت من تزاوج السلطة والثروة» !

وحول السلطة والثروة كانت هناك مادة صحفية وفيرة نشرتها «الأهرام» اليوم، حيث نقلت عن جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن تقديرات ثروة الرئيس السابق مبارك تتراوح بين مليارين و٣ مليارات دولار، بعكس ما نشرته «الجارديان» البريطانية قبل أيام من أن ثروته تقدر بحوالى ٧٠ مليار دولار.

كما كتب الزميل فكرى عبد السلام مراسل «الأهرام» فى الإسكندرية تقريرا خطيرا تحت عنوان «مارينا تبوح بأسرارها» عن حصول رجال الرئيس السابقين زكريا عزمى وصفوت الشريف وحبيب العادلى وابراهيم سليمان وزهير جرانة وحاتم الجبلى على قصور وقطع أراضى بالتخصيص بالأمر المباشر، وبعضها لم يدفع ثمنه، بالإضافة إلى حصول هايدى مجدى راسخ زوجة علاء مبارك على أكبر قصرين فى مارينا بالتخصيص بالأمر المباشر على أنهما أرض فضاء بسعر زهيد، رغم أنهما قصران كاملا التشطيب الفاخر.

وبالنسبة لما يخص صفوت الشريف فقد كان حصوله على قصرين بالأمر المباشر فى مارينا بالمنطقتين ٢٢و٢٤ وقد كتب الزميل فكرى عبد السلام فى تقريره الصحفى المميز الذى تم نشر تفاصيله كاملة على الصفحة السابعة أنه حصل على هذه المعلومات من واقع سجلات وملفات هيئة المجتمعات العمرانية وبنك التعمير والإسكان.

على مستوى عائلة زوجتى أظن أنه لم يكن هناك كثيرون يعرفون بمسألة امتلاك الشريف قصرا أو فيلات فى مارينا، أظن أنهم فوجئوا بما نشرته «الأهرام» اليوم. الكل كان يعلم بفيلا أبو سلطان فى لسان الوزراء هناك، وشاليه سيدى كرير، وقد حضرت أكثر من مرة تجمعات عائلية فى أبو سلطان

فى مناسبات مختلفة منذ أن كنت خطيباً لزوجتى، لا سيما فى مناسبات شم النسيم، وكم كان الأقارب يحذرون الشريف وقتها من الإفراط فى تناول «الرنجة المملحة» لمرضه بالضغط، لكنه كان يقوم بالتهامها مع الفجل الأخضر بنهم شديد، فى صور لا يستطيع ذهنى نسيانها لاختلافها تماما مع الصور البروتوكولية والرسمية التى اعتدنا عليها لصفوت الشريف.

وفى شاليه سيدى كرير زرته مرة واحدة فى إحدى أمسيات الصيف وكانت معى زوجتى وحماتى، بينما كان يجلس هناك مع حرمه التى يذهب إليها فى الأجازة الأسبوعية غالباً خلال فصل الصيف. دارت أحاديث عادية يومها، قال خلالها أن أراضى الساحل الشمالى معروفة بأنها تنتج أفضل نوعية من (التين)، وأنه يفضل اللبن (نصف الدسم) لأن (خالى الدسم) يكون لاطعم له، كما أن (كامل الدسم) يمكن أن يكون ضارا لصحته.

ووسط الحوارات أشاد بقرار إدراة قرية «سيدى كرير» بمنع السير بالموتوسيكلات الرباعية (جيت سكى) فى المدينة وقال إن هذا القرار جاء بعد حادث اصطدام أحدها بسور فى القرية مما أدى إلى هدمه، وكان يقودها ابن.. ثم صمت للحظات قال بعدها.. ابن رجل أعمال.. ولاحظت أنه تراجع بذكاء وشكل غير واضح عن ذكر اسم الرجل.

لاحظت أيضاً أن لديه هاتفين محمولين متشابهين تماما ولم يكونا من الأنواع الفاخرة للغاية، كما أنه يضع على أحد حوائط الشاليه فى الداخل صورة كبيرة له لكنها ليست حديثة، وتظهر كثيراً من الشعر الأبيض فى رأسه قبل أن يبدأ بصباغته، وتذكرت أن هذه الصورة ذاتها ربما يكون من غير المحبذ نشرها فى الصحف لأنها صورة قديمة له وهناك ما هو أحدث منها بسنوات.

وأذكر أن ما كان يحرجنى خلال الزيارة هو تلك الحركة الدائبة لابنى حازم، وكان لايزال صغيراً، حيث كان يصر على المرور راكضاً بجوار الكرسى الذى يجلس عليه الرجل مما يؤدى إلى اصطدامه بقدمه أكثر من مرة، وأخيراً وقف حازم بجوار حوض سباحة جلدى غير مملوء بالماء فى حديقة الشاليه ثم توجه لى بالسؤال فى ذهول «بابا إيه ده؟!»

# عزمى والشريف يكذّبان «الأهرام»

## فتحى محمود: «نظيف يحتفظ بخمس سيارات حكومية إحداها بـ ١٢ مليون جنيه»

**الثلاثاء ١٥ فبراير**

خبران صغيران نشرا اليوم فى الصفحة الأولى لـ «الأهرام»، كل منهما على مساحة عمود واحد، لكنهما كانا الأكثر قراءة من وجهة نظرى.

الأول كان بعنوان «الشرطة فى خدمة الزبادى! »

وكتبه الزميل ناصر جويدة مراسل «الأهرام» فى الإسكندرية حيث نقل عن ضباط شاركوا فى مظاهرة بالإسكندرية قولهم أنهم كانوا يقومون بنقل (الزبادى) يوميا من ميدان لبنان بالجيزة إلى مسئول كبير كان يصطاف مع أسرته فى (مارينا) مع أوامر مشددة بتأمين الزبادى وتكييف السيارة التى تنقله طيلة الرحلة من القاهرة إلى مارينا. ولم يكن أحد بحاجة إلى معرفة أن المسئول المقصود هو حبيب العادلى وزير الداخلية السابق، الذى يقيم بالفعل فى ميدان لبنان.. وقد ورد إسم العادلى أيضا فى خبر آخر مجاور أشار إلى أن ضباط الشرطة يطالبون بإعدامه، وأنهم يطلبون (الصفح) عنهم والجماهير تتحفظ، وذلك خلال مظاهرة لهم أمس أمام مقر الوزارة شارك فيها حوالى ١٠آلاف ضابط، على حد ذكر «الأهرام» .

أما الخبر الثانى البارز فى الصفحة الأولى فله قصة.. مضمونها أنه بعد نشر تقرير الأمس حول مارينا وممتلكات المسئولين السابقين فيها، ورد لـ «الأهرام» نفى لصحة هذه المعلومات من كل من زكريا عزمى وصفوت الشريف، فعادت إدارة الصحيفة إلى الزميل فكرى عبد السلام فى الإسكندرية فأكد أن معلوماته صحيحة وموثقة بالمستندات لكن يبدو أنه كان قد اطلع بنفسه على هذه المستندات إلا أنه لم يكن يحتفظ بصور منها، على كل حال جاء قرار

الجريدة بنشر النفى على خبر عمود فى الصفحة الأولى فى صورة تصريح لزكريا عزمى يقول فيه انه يمتلك شاليها فى المنطقة ١٥ فى مارينا حصل عليه طبقا للنظام المعمول به بالتقسيط فى بنك التعمير والإسكان، وآنه ينفى حصوله على أربع فيلات فى المنطقة ٢٢ فى مارينا. وفى نفس الخبر فى الفقرة التالية أكد صفوت الشريف عدم ملكيته لأى عقارات فى مارينا.

وكتب «أستاذنا» فتحى محمود فى عموده الأسبوعى «رؤى» عددا من التعليقات المنفصلة، أولها قال فيه إن خمس سيارات مملوكة للدولة يحتفظ بها رئيس الوزراء السابق أحمد نظيف وأسرته حتى الآن منها سيارة مصفحة سوداء قيمتها ١٢ مليون جنيه. وتعليق أخر له : « من دمر مصر لايصلح لأن يبنيها » وأخيرا .. » إذا لم تستح فاكتب ماشئت». بالإضافة إلى تعليقات أخرى.

وكان لافتا اليوم انفراد جريدة «الشروق» بنشر تشكيل اللجنة المكلفة بتعديل الدستور برئاسة الكاتب والفقيه القانونى البارز المستشار طارق البشرى، صاحب الاتجاه الإسلامى المعتدل ، وكان من بين الأعضاء المحامى صبحى صالح وهو نائب سابق فى مجلس الشعب عن الإخوان، وهو ما أثار بعض اعتراضات من جانب المخالفين لهما فى الاتجاه الفكرى.

وعرض التليفزيون اليوم لقطات من لقاء تم بين المجلس العسكرى ورؤساء تحرير الصحف، وبدا أسامة سرايا «مقطبا»، وهى نفس الهيئة التى أصبح يظهر عليها معظم الوقت فى الفترة الأخيرة، وقد ظهر اليوم فى صالة التحرير مساء ربما للمرة الأولى بعد تنحى مبارك، حيث قام بتسليم تغطية اللقاء مع المجلس العسكرى للقائمين على العمل فى الجريدة.. وانصرف.

أما أبرز ما جاء فى تصريحات المجلس برئاسة طنطاوى لرؤساء التحرير فكان يدور حول أنه لاعودة لأوضاع ما قبل ٢٥ يناير، وأن المجلس يعمل بقوة على تسليم السلطة لرئيس منتخب قبل انتهاء فترة الأشهر الستة، وأن الموقف الاقتصادى صعب واستمرار الخسائر قد يؤدى إلى الانهيار وأن هناك قيودا صارمة على تحركات الطائرات الخاصة، وأن المجلس يرى أن مبارك رحل ولذا فإنه ينبغى عدم اختلاق الحكايات والتشهير برجل له تاريخ من الإنجازات العسكرية والمدنية وله دور عظيم، كما أن له أخطاءه، والتنحى أمر يحسب له، كما أن البقاء فى مصر أمر يحسب له.

# الصحف القومية تعود إلى ملاكها

«ما أجمل الثورة.. نفكر ونكتب..

ثم ينشر لنا ما نكتبه بسهولة!»

## الأربعاء ١٦ فبراير

لا يزال صاروخ جريدة «الأخبار» صاعداً إلى عنان سماء الوسط الصحفى، دون أن يستطيع إيقافه أحد!

لكن ذلك أيضاً له قصة ينبغى أن تروى! ذكرت جريدة «الأخبار» اليوم نقلاً عن مصادر وصفتها بأنها مقربة من مبارك أنه غادر مصر عصر أمس إلى مدينة تبوك السعودية للعلاج بعد تدهور حالته الصحية بشكل خطير، وأضافت أنه ربما يؤدى العمرة رغم سوء حالته ثم يعود إلى مصر، وأشارت إلى أنه أوصى بأن يدفن فى مصر بجوار حفيده محمد علاء مبارك. لم يكن هذا هو السبق الصحفى الأول لـ «الأخبار»على صعيد التطورات المحيطة بمبارك وعائلته هذه الأيام، ولاشك أن القارئ العادى شغوف بمعرفة ومتابعة كيف يعيش الرئيس السابق الآن وحالته وما يقوله، ووضع زوجته ونجليه، وما إلى ذلك.

ففى يوم الأحد الماضى كانت «الأخبار» قد انفردت أيضاً بخبر نشوب مشاجرة بين علاء وجمال مبارك بعد إلقاء والدهما بيانه الأخير، كادت تصل إلى حد الاعتداء بالأيدى، رغم تدخل البعض، حيث اتهم علاء شقيقه وأصدقاءه بالمسئولية عن كل ما حدث، مما أدى إلى خروج مبارك من الحكم بهذا الشكل.

ما الذى حدث؟

كيف تحولت «الأخبار» إلى جريدة تنقل عنها كل وكالات الأنباء ما تنشره؟ ماذا أصابهم؟

العنوان الرئيسى للإجابة هو.. ياسر رزق!

يوم الثلاثاء ١٨ يناير الماضى، قبل اندلاع المظاهرات بأسبوع واحد، أصدر مجلس الشورى برئاسة صفوت الشريف قرارات بتعيينات صحفية جديدة، كان من بينها تعيين ياسر رزق رئيساً لتحرير جريدة «الأخبار» ، فى الوقت الذى تم فيه أيضاً تعيين الكاتب الصحفى محمد بركات رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة «أخبار اليوم». ياسر رزق صحفى حقيقى.. نابه.. لا مجرد موظف بدرجة صحفى.. وهو يجيد فن استخراج العناوين المثيرة الجاذبة لقراءة الخبر، وإبرازها بشكل جيد، لكنه لم يكن أبداً معارضاً لنظام مبارك!

ياسر عمل سنوات طويلة مندوباً لجريدة «الأخبار» فى رئاسة الجمهورية، (وهذا لا يعيبه)، كما أنه كان مشغولاً بالعمل النقابى، حيث رشح نفسه عدة مرات فى انتخابات مجلس نقابة الصحفيين وفاز فيها، وكان عضواً شبه دائم فى مجلس النقابة، وهو يتمتع بالذكاء وترتيب الأفكار وإجادة التعبير عن نفسه.

هو لا يعرفنى بشكل شخصى، لكنه قال لى ذات مرة باعتبارى أحد الناخبين وفى إطار إحدى حملاته الانتخابية، أنه خلال فترة عمله فى الرئاسة تمتع بعلاقات جيدة مع المسئولين فيها، وأنه جلس مع مبارك شخصياً بمفردهما تماماً ثلاث مرات، لاستيضاح بعض الأمور (وهذا أيضاً لايعيبه).

ويبدو أن ياسر بلباقته وحسن سمته قد اقترب بالفعل من المطبخ السياسى بشكل كبير، ونال إعجاب كبار «الطاهين» فيه، لذا فقد صدر القرار منذ عدة سنوات بتعيينه رئيساً لتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» ، وأصبح من يومها عضواً فى فريق رؤساء تحرير الصحف القومية الذى يرافق الرئيس مبارك فى رحلاته وجولاته الخارجية، وأصبحت مقالات ياسر فى المجلة تنحو بالطبع نفس المنحى المعتاد لكتابات «الجوقة الصحفية» الخادمة للرئيس، التى تدور دوماً فى فلك.. «التهليل أو التبرير».. ولا شك أن هذا يحسب عليه، إلا أن كان يفعله بحرفية وبلا فجاجة كبيرة!

قبل أسبوع واحد فقط من ثورة ٢٥ يناير، اعتلى ياسر كرسى رئاسة التحرير فى صحيفته الرئيسية «الأخبار». تقدم ياسر إذن خطوة - بل خطوات - على طريق كتبة النظام الرئيسيين. إنها جريدة «الأخبار» بتاريخها ومجدها الصحفى المعروف.

وفى عدد الجريدة الصادر يوم ٢٦ يناير، فى اليوم التالى لاندلاع المظاهرات،

كان العنوان الرئيسى «المانشيت» للصحيفة فى الطبعة الأولى منها مكوناً من كلمتين فقط هما .. «قلة مندسة».. فقد اختار ياسر رزق التعبير عن المظاهرات الحاشدة للثوار بهاتين الكلمتين، إلا أن بعض العاملين فى مؤسسة «أخبار اليوم» - كما روت لى المصادر - سارعوا بالاتصال برئيس مجلس الإدارة محمد بركات مساءً بعد صدور الطبعة الأولى، وطلبوا منه التدخل لتغيير «المانشيت» لأنه بهذه الطريقة سيكون شديد الاستفزاز لمشاعر المتظاهرين، وأنه ربما يحدث للمؤسسة ما لا تحمد عقباه.

تمت الاستجابة للمطلب وتغير «المانشيت» ليصبح هادئاً غير مثير وكان مضمونه أن آلافا خرجوا فى مظاهرات لميدان التحرير.

ياسر بذكائه المعتاد قام بعد ذلك بمراقبة المشهد السياسى فى البلاد بهدوء، وإعادة تقييم ودراسة الأوضاع سريعاً، لاستكمال أجزاء الصورة ومعرفة أى الاتجاهات يمكن أن تسير إليها الأمور.. متسلحاً فى كل ذلك بمهارة وحرفية صحفية كبيرتين.. وعندما وقعت واقعة التنحى.. انطلق ياسر رزق لايلوى على شىء. سقطت الأسقف القريبة.. وانهارت الجدران العالية.. وأصبح فى مقدور كل صحفى أن يعبر عن نفسه كما يريد، كل وكفاءته.. ولم تكن الكفاءة بعيدة عن ياسر أبدا، لذا فقد بادر بتغيير ثوب «الأخبار» تماما، واقترب بها أكثر وأكثر من طبيعة «الصحيفة الشعبية» التى تعنى بالخبر المثير وتبرزه، والصورة وتفرد لها المساحة الكبيرة. وأصبحت الصفحة الأولى من «الأخبار» مخصصة بالكامل للعناوين فقط، بهدف الجذب، بحيث يجد كل قارئ ما يريده فى الصفحة الأولى، ثم يتجه إلى قراءة التفاصيل بعد ذلك داخل الجريدة.

ولم ينس رئيس التحرير الجديد وسط كل ذلك حرفة الكتابة ذاتها، فأفرد صفحتين كاملتين لمقالات الرأى، وخصص الجزء الأكبر منهما للصحفيين الشباب، كل يكتب ما يريد، ممهوراً باسمه وصورته.. وأنت وكفاءتك.. عبّر عن نفسك.. فقد تصبح بسرعة كبيرة.. كاتباً صحفياً، مما أسهم فى ايجاد بيئة خصبة صالحة لإنتاج كتّاب صحفيين جدد.

وهكذا انطلق صاروخ «الأخبار» صاعداً إلى عنان السماء، دون أن يستطيع إيقافه أحد، بفضل رئيس التحرير الجديد ياسر رزق، ونسى الجميع الاعتبارات الماضية، أو لعلهم لم يجدوا وقتاً لتذكرها، بعد أن أصبحوا مشغولين بمتابعة الإبداع الصحفى الجديد لجريدة «الأخبار» ولكن.. ترى هل تنسى ذاكرة الشعوب حقا؟!

ذلك هو السؤال الذى أصبح يشغلنى هذه الأيام منذ تنحى مبارك وتحول جميع الصحف القومية إلى مؤازرة الثورة ومناصرتها.. ترى كيف ينظر القارئ إلينا؟ وهل يقتنع بما نكتبه الآن؟ هل يصدقنا؟ حاولت تحليل المسألة – مع نفسى – حتى وصلت إلى «قناعة» عبرت عنها بالفعل من خلال مقال نشره لى ملحق «شباب التحرير» اليوم.

ما أجمل الثورة.. نفكر ونكتب.. ثم ينشر لنا ما نكتبه بسهولة!

كم هو حلم جميل بدأ فى التحقق!

وما أسعدنى هو أن عدداً من الزملاء قد أشادوا اليوم بما كتبت، ولم تسعدنى الإشادة بقدر ما أسعدنى ما قرأته فى أعينهم وما قالوه من أنهم كانوا يفكرون أيضاً فى الأمر، وجاءت كلماتي لتقنعهم.

كان عنوان المقال هو «الشعب يسترد صحافته» لكنه نشر بإضافة حرف «سين» ليصبح «الشعب سيسترد صحافته» ولم أعلم ما إذا كان ذلك خطأ مطبعياً أم أن الزميل الذى قام بمراجعة الموضوع هو الذى أضاف حرف السين.. على كل حال.. لابأس.. لم يبتعد العنوان عن الفكرة كثيراً.. «إحنا كنا فين وبقينا فين؟!» ولتوضيح فكرتى فقد كتبت أقول:

« سيدى القارئ.. .

أنت لاتزال غاضبا بعض الشىء من الصحف القومية.. الأهرام والأخبار والجمهورية وغيرها.. لاتزال محتارا فى تفسير انقلابها الأخير وتحولها إلى مؤازرة الثورة.. لا بأس.. أنا أتفهم.. ولكن تعال نتناقش.

تفسيرات عديدة قد تصل إليها لفهم هذا الموقف.. أولها أن هذه الصحف تعمل بنظام ( مات الملك.. عاش الملك)، أى أنها قامت بمناصرة الثورة بعد أن نجحت بالفعل.

هذا حقك.. ولكن تعال نتناقش.

أولا لابد من التأكيد أن العاملين فى هذه الصحف كغيرهم من ملايين المصريين كان معظمهم يؤيد الثورة ويناصرها، بعد أن وصلت أحوال البلاد إلى ما وصلت إليه مما نعلمه جميعا من فساد وتدهور سياسى واقتصادى واجتماعى، وعلى جميع المستويات.

إذن فأين المشكلة؟! ولماذا لم ينعكس هذا الموقف على تغطية هذه الصحف؟!

هنا لابد من الإشارة إلى أن الرقيب الذى حدثنا التاريخ عن وجوده فى الصحف فى الستينيات من القرن العشرين قد اختفى بالفعل من الصحافة المصرية، لكنه لم يرحل تماما، بل جاء ليستقر داخل الصحفيين الكبار، وأصبح الصحفى النابه هو الذى يستطيع أن يكتب شيئا يمكن نشره، أن يقفز الحواجز ويتفادى الخطوط الحمراء، وإلا فإن ما يكتبه سيواجه ببساطة شديدة المصير المحتوم المتمثل فى عدم النشر.

**وهذا لا ينفى وجود حرس خاص من بعض القيادات الصحفية الذين يعملون على حماية هذه القواعد والدفاع عنها.**

**سيدى القارئ..**

**هنا وصفة سحرية يمكنك من خلالها فرز وتمييز المواقف..**

عد إلى أعمدة ومقالات الرأى.. افحصها جيدا قبل وبعد الثورة.. لا تحكم على الصحيفة القومية ككل، لا تركز على طريقة صياغة الأخبار والتقارير فذلك كله كان يسيطر عليه الرقيب الذى سبقت الإشارة إليه، أما أعمدة ومقالات الرأى فهى التى ستكون كاشفة! وسوف تصل إلى نتائج مذهلة!

والسبب ببساطة هو أن الصحفى الشريف قد يضطر إلى تلوين الأخبار وفقا لسياسة صحيفته، لكنه فى كل الأحوال لن يجد من يمسك يده ويجبره على كتابة المديح للنظام. فالرأى هنا اتجاه شخصى واختيار فردى.. وربما كان جائزا أن يتم رفض نشر مقالات معينة لأسباب معينة، لكن فى جميع الأحوال، لن تتم كتابة مقالات الإشادة موقعة باسم الكاتب إلا بإرادته وموافقته.

مقالات الرأى سوف تقودك إلى فهم الكثير من المواقف وتحليل أبعادها..

والآن، فإن ما يبقى هو أن نقول إن زلزال ثورة مصر قد أحدث تغيرات هائلة فى بنية البلاد الاجتماعية والثقافية، لذا فإن شباب الصحفيين أصبحوا يصرون الآن على عدم عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الثورة.

باختصار.. فإنه مثلما عادت مصر لأبنائها.. فإن الصحف القومية عادت لملاكها الحقيقيين وهم أبناء الشعب.. لذا فإن الموضوعية ستكون هى معيار نشر الأخبار والتقارير لا مساندة النظام أو معارضته.. .

سيدى القارئ.. لقد تسبب النظام السابق فى إفساد العديد من مناحى الحياة، ومجالاتها، ومنها الصحافة فى مصر، لذا فإن إصلاح ذلك سيتطلب وقتا وجهدا، وربما ثورات جديدة داخل الصحف، حتى تثبت ملكيتها فى يد أصحابها الحقيقيين، ويتم تسجيلها فى الشهر العقارى بأسمائهم، وسوف يكون الصحفيون الشرفاء هم حراس هذه القواعد الثورية الجديدة، والتى تتلخص جميعا فى كلمة اسمها.. الصدق

سيدى القارئ.. . هل اقتنعت؟ أرجو ذلك! »

انتهى المقال.. وكانت تلك هى قناعتى بالفعل.. حتى ذلك الحين!

# لماذا لم تستقلْ.. لتستقلّ؟!

## فهمى هويدى: «حين كتبت الصحيفة العريقة «انتصرنا» قلت إذن فقد هُزمنا نحن وانتكسنا»

**الخميس ١٧ فبراير**

اليوم نشرت جريدة «الشرق الأوسط» حوارا مع عمرو موسى على صفحة كاملة!

قال موسى أنه يعقد لقاءات مع مجموعات من الشباب ويستمع إليهم، لكنه ذكر أنه لن يتحدث الآن عن ترشحه لرئاسة الجمهورية، وأن القرار سيتم فى حينه. لم يعلن موسى عن جديد فى الحوار، ولم يقل كلاما شديد الأهمية، لكنه وصف جريدة «الشرق الأوسط» أثناء الحوار بأنها جريدته المحببة!

انتابنى نوع من الغيرة الشديدة بعد قراءتى هذا الوصف واطّلاعى على الحوار بشكل عام، لاسيما أننى كنت قد أرسلت إلى أختنا دينا اسماعيل - التى لاشك أنك قد حفظت اسمها - رسالة بالبريد الإلكترونى أمس، أطلب فيها عمل حوار طويل مع موسى يجريه رئيسى مسعود الحناوى وأنا، ولم تردّ دينا كالعادة، واليوم وبعد قراءتى لجريدة «الشرق الأوسط» قررت ألا أطلب منها ذلك مرة أخرى.

**آه.. لو كان معى رقم هاتفه!**

قلت لنفسى أنه ليس غريبا بالطبع أن تكون «الشرق الأوسط» هى الجريدة المحببة لدى عمرو موسى.. ولم لا؟ فهى صحيفة ناجحة بالفعل، صاحبة السبق والانفراد بالمعلومات دوما، هى من أنجح إن لم تكن أنجح الصحف فى الوطن العربى، أنا شخصيا أحبها وأتابعها وأستفيد منها كثيرا، وفضلا عن ذلك فإنها تنشر تحركات موسى وحواراته بدقة وكفاءة، وعلى مساحات صحفية محترمة، فكيف لايحبها؟!

حاولت الغوص فى أعماق نفسى، لأفهم طبيعة مشاعرى بدقة، فوجدت

أن غيرتى مزدوجة، أولا غيرة من «الشرق الأوسط» وتفوقها الواضح على «الأهرام» ، وثانيا غيرة أخرى دفينة.. لعلى أصرح بها هنا للمرة الأولى.. إنها غيرة على عمرو موسى نفسه.. نعم.. إننى أحبه.

أحب عمرو موسى..

والأكثر من ذلك.. هو أننى كنت فى بعض الأحيان.. فى أثناء مؤتمراته الصحفية.. أسرح خلال حديثه.. لا أسمع مايقول.. بل أظل أتفرس فى ملامحه وحركاته.. على وقع نبرات صوته ذى الإيقاع الخاص، وبداخلى أسئلة وأسئلة.. كنت أتمنى أن يجيبنى عنها..

لغة القلوب بداخلى كانت تلحّ على كى أحبه.. ولم يكن لى فى ذلك اختيار..

لكنها لم تنجح أبدا فى أن تسكت صوت العقل لديّ.. الذى كان يصرّ هو الآخر على طرح الأسئلة بشأن موسى.. وتاريخه.. وحياته.

كان السؤال الرئيسى لديّ الذى طالما حلمت بأن أطرحه عليه هو.. لماذا لم تستقل؟وبإمكانك هنا أن تكتفى بوضع السكون على حرف اللام الأخير فى الكلمة ليصبح السؤال عن سبب عدم «استقالته» من منصبه.. لكن بإمكانك أيضا أن تزيد فتضع «شدة»على حرف اللام، ليصبح السؤال عن سبب عدم «استقلاله» وهو المعنى الأوسع.. والأشمل..

فإذا كانت أفكار موسى التى تنطق بها كلماته دوما، تأتى منطلقة من خندق الشارع والرجل البسيط، الباحث عن الحرية والعدالة والعيش الكريم.. فإن السؤال الذى لابد أن يفرض نفسه.. هو.. كيف استطاع موسى أن يعيش بهذه الأفكار عمرا كاملا وسط منظومة سياسية.. سواء فى مصر أو العالم العربى.. هى بعيدة كل البعد عن ذلك؟

لماذا لم تختمر هذه الأفكار داخل ذهنه لتصل إلى درجة الثورة على النفس فإذا به يقدم استقالته ليخرج متطهرا من كل هذا الدنس السياسى فى مصر والعالم العربى؟

لو كان قد فعلها.

لدىّ إجابة عن هذه الأسئلة من واقع معايشتى للمقربين من الرجل.. لكنها

ليست مقنعة بالنسبة لى!

عمرو موسى.. لايمكن أن يكون بلا عمل.. فى أحد الأيام.. توجه موسى فى العاشرة صباحا إلى مقر رئاسة الجمهورية لحضور مقابلة مع الرئيس المخلوع حسنى مبارك، وبعدها ذهب إلى المطار حيث غادر القاهرة إلى بيروت لحضور عدة اجتماعات هناك، وعاد فى نفس اليوم.. وكان يفترض أن يخلد هذا «الشيخ السبعينى» إلى الراحة فى ختام يوم شاق.. لكنه فاجأ مساعديه قبل مغادرته مكتبه فى العاشرة مساء بطلب تحضير حذاء المشى له.. كى يذهب إلى نادى الجزيرة لممارسة رياضة المشى المفضلة لديه!

تلك هى حياته، وذلك ماعايشته بنفسى فى رحلة العراق الأخيرة، عندما أجرى ثلاثين مقابلة رسمية فى ثلاثة أيام. لم يكن ممكنا أن يتوقف عن العمل.. والحركة.

لو استقال.. لمات فى اليوم التالى مباشرة!

تلك إجابة السؤال.. وهى مطروحة أمامك.. ومن حقك أن تقتنع بها.. أولا تقتنع.. أما أنا.. فهى لم تقنعنى.. لأنها إجابة نابعة من معطيات شخصية ونفسية، بالنسبة لعمرو موسى الإنسان، وهى فى تقديرى ليست كافية لتبرير عدم الإقدام على خطوة كان من شأنها أن تحقق التوافق بين ما يقول أنه يؤمن به فى داخله وما يفعله فى الواقع.. ليتك استقلت!

اليوم على ما يبدو.. هو يوم الغيرة!

شعرت بالغيرة لأجل «الأهرام» أيضا عندما قرأت مقال فهمى هويدى فى جريدة «الشروق»، وكتب أستاذنا تحت عنوان «خيانة المثقفين» كلاما موجعا لـ «الأهرام» وأهله.. حيث استهل مقاله بقوله:

«أستاذ التاريخ الذى امتدح السلطان فى الكتاب المدرسى الحكومى، ثم ذمَّه بعد خلعه فى مقالة منشورة، لايختلف عن الصحفى الذى ظل يلعق حذاء السلطان طول الوقت، وما إن تمت الإطاحه به حتى هتف صائحا «انتصرنا» وحدثنا بعد ذلك عن «تنظيف مصر» من بقايا النظام الفاسد».

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يعلق فيها هويدى على عنوان «انتصرنا» الذى تصدر ملحق «شباب التحرير» فى اليوم التالى لتنحى مبارك. فقد كتب

أيضا فى مقال الأمس كلاما أكثر إيلاما حيث قال:

«حين وجدت أن الصحيفة القومية العريقة نشرت صورة للمظاهرات على صفحة كاملة وفوقها كلمة واحدة هى «انتصرنا»، انقبض قلبى على الفور وقلت:

إذن نحن هزمنا وانتكسنا، ونجحت غارة الخيول والجمال والبغال فى تحقيق هدفها، لكننى اكتشفت بعد لحظات أن الكلمة تحدثت عنا وليس عنهم، وأن الذين كتبوها ونشروها انضموا إلينا وتقدموا «الثوار» ليس ذلك فحسب، وإنما اعتلوا المنصات وراحوا يزايدون على الجميع فى التنديد بزمن الطغيان وفضح جرائم رموزه» .

آلمنى بحق كلام «أستاذى فهمى هويدى»، وتذكرت على الفور صاحب كلمة «انتصرنا» ومحررها الوحيد، وهو محمد البرغوثى، فطلبت منه أن يقرأ مقالى فهمى هويدى أمس واليوم فى «الشروق» وأن يحاول الرد عليه «لكن بهدوء» لتوضيح الصورة، مع الوضع فى الاعتبار أنه «موجوع» من «الأهرام» . ولم يكن بالطبع خافيا على أحد ما فعلته إدارة «الأهرام» بقيادة أسامة سرايا مع فهمى هويدى، عندما تم توجيه رسالة له بأنه غير مرغوب فيه فى «الأهرام»، ليتوقف بذلك مقال الثلاثاء الشهير، الذى كان يرفع توزيع الجريدة فى ذلك اليوم.

لم يعمل البرغوثى بنصيحتى، بعد أن جرفه زحام العمل، لإصدار أربع صفحات كاملة يوميا، وكان هذا تحديا كبيرا فى حد ذاته. على أى حال.. ظللت وحيدا أتجرع الألم من مقالى الأستاذ الكبير.. لم أكن غاضباً منه.. لكننى فقط شعرت بشىء من الظلم.. حيث أن الفكرة الثابتة لديّ كانت هى أن محرر الأمس فى «الصحيفة القومية العريقة» لم يعد هو محرر اليوم، وأن المحررين الوطنيين الحقيقيين فى هذه الصحيفة قد استردوا صحيفتهم بالفعل وأصبحوا يكتبون ما يشاءون.

ما كتبه «الأستاذ هويدى» أشعرنى أيضا بالإحباط، بعد أن نسب ببساطة شديدة كل هذا المجهود «الصادق» الذى نحاول القيام به هذه الأيام إلى نفس المحرر القديم الذى كان يكتب مقالات المدح والإشادة بالسلطان.. قلت لنفسى.. لابأس.. لكن لاشك أننا سنحتاج وقتا طويلا حتى نثبت للجميع صحة فكرتنا.. وأن ما نكتبه اليوم ليس تعبيرا عن «تحول» إدارة الصحيفة من رأى إلى رأى بل هو «زفرة» ألم تمكنت من أن تخرج أخيرا من داخل الصدور

الحزينة المكبوتة إلى العالم الخارجى، ولذا فإنه لم يكن ممكنا أن تمنعها أى إدارة تحرير على الأرض!

تلك هى قناعتى حتى الآن!

اليوم الخميس هو أول يوم يحضر فيه أسامة سرايا اجتماع مجلس التحرير الصباحى منذ تنحى مبارك.. وقد علمت أن اثنين من الزملاء فى الصحيفة كانا قد التقيا به يوم أمسٍ فى صالة التحرير وقالا له بشكل واضح ومباشر ولا لبس فيه.. لماذا لم تستقل؟!

« بالسكون» فقط على حرف اللام وبدون أى «شدة» هذه المرة.. حيث كانت قد مضت بالنسبة له بالطبع إمكانية «الاستقلال» ولم يتبق له سوى «الاستقالة»!

# مفاجأة فى المقهى

«آخرون تخنقهم حبال الألم ويكويهم عذاب الأسئلة
عما إذا كانوا سيجدون ما يأكلون اليوم أم لا ! »

## الجمعة ١٨ فبراير

اليوم هو الجمعة الأولى بعد سقوط حسنى مبارك.

لذا فقد كان طبيعيا أن تحتشد الجماهير فى ميدان التحرير، وأمام مسجد القائد إبراهيم فى الإسكندرية ، وفى مختلف محافظات مصر ، فيما أطلق عليها «جمعة النصر» ، احتفالا بانتصار ثورة ٢٥ يناير ، وتأكيد الاستمرار فى المطالبة بإسقاط بقايا النظام وتطهير البلاد.

وكان مثيرا أن يعود الشيخ الفقيه الدكتور يوسف القرضاوى للظهور على شاشة التليفزيون المصرى بعد سنوات طويلة ، حيث قام بإلقاء خطبة الجمعة فى ميدان التحرير ، وكان من بين ما قاله إنه طالب الشباب بالحفاظ على ثورتهم والاستمرار فيها وألا يسمحوا لأحد بسرقتها منهم ، كما قال «أنا مؤمن بالجيش المصرى ، لأنه ليس أقل وطنية من جيش تونس وإنه لن يخون الشعب المصرى لمصلحة شخص بمفرده ».

وفى التوقيت ذاته.. وعلى أصعدة أخرى عديدة.. كانت المظاهرات قد أخذت فى الامتداد إلى مختلف أرجاء الوطن العربى .

فى البحرين.. خرج عشرات الآلاف لتشييع جنازات أربعة من الضحايا الستة الذين سقطوا خلال مواجهات بين الشرطة والمعتصمين فى منطقة دوار اللؤلؤة من الشيعة المطالبين بإصلاحات تضمن لهم حقوقهم، وهتف المشيعون قائلين «لا سنية ولا شيعية» و«بالروح بالدم نفديك يا بحرين ».

والمشكلة فى البحرين أن الأسرة الحاكمة هى من الطائفة السنية ، أما غالبية البحرينيين فهم من الطائفة الشيعية ، وهم يشكون من انتقاص حقوقهم السياسية.

وفى ليبيا .. خرج آلاف المحتجين إلى شوارع مدينة بنغازى، بعد مصادمات عنيفة وقعت مع قوات الأمن وأسفرت عن مصرع ٢٤ شخصا.

وفى اليمن ارتفعت حصيلة المصادمات بين الشرطة والمتظاهرين المناهضين للنظام إلى ثلاثة قتلى وأصيب ١٩ آخرون.

وفى عمان.. بدأت شرارة احتجاجات مصغرة بخروج ٣٠٠ متظاهر فى مسقط مطالبين بإصلاح سياسى واجتماعى.

وفى المغرب.. دعا نشطاء على موقع «فيس بوك» إلى تنظيم مسيرات فى عدد من المدن غدا للمطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية أيضا.

فى مقهى الدقى.. كان اليوم هو موعد عودة اللقاء الأسبوعى لمجموعة الأصدقاء وائل وأمجد وخالد وقدرى وأنا بعد أن منعت الأحداث خلال الفترة السابقة لقاءنا.

بالنسبة لى.. ذهبت إلى اللقاء سعيداً بما تحقق ، وكان اللقاء أشبه عندى باحتفالية ، لكننى دخلت فى حوارات عديدة فاجأتنى، وأخرجتنى من هذه الأجواء الاحتفالية، وأجبرتنى على استرجاع ما حدث وإعادة تقييمه. بعد أن وجدت نفسى وجها لوجه مع وجهة نظر أخرى لم أتوقعها أبدا.

خالد الريّس.. «شاب زى الفل» تعرفَتْ عليه مجموعتنا عن طريق أحمد قدرى، فأحببناه وتعلقنا به أكثر من قدرى نفسه.. «لا مؤاخذة يا بو حميد».. هو إنسان محترم شريف « ابن بلد » يعمل فى مجال المقاولات مع عمه ، ويقيم فى القليوبية، وفى لقاء اليوم فوجئت به يقول لى أنه عندما يتم التحفظ على المصانع والشركات التى يملكها الفاسدون فإن هناك عشرات الألوف من العمال سوف تسوء أوضاعهم، لأنهم سيصبحون بلا عمل ، قلت له إن التحفظ لا يعنى توقف العمل والمصانع لأن النائب العام يمكن أن يقوم بتعيين من يديرها وهى تحت التحفظ .

خالد قال أيضا أن مبارك لا شك أنه لا يزال يمارس الحكم فى الخفاء من مقر إقامته فى شرم الشيخ ، وأن الجميع يقومون باستشارته والرجوع إليه فى كل شىء، لأنه لا يمكن تخيل انفصال الجيش وقيادته عن مبارك بعد كل هذه السنوات من العلاقة الممتدة بين الجانبين.. ثم طرح سؤالا آخر قائلا: «إيه اللى هيحصل لو الجيش أخذ الحكم لنفسه ؟»

قلت له إن هذا غير ممكن ، لأن الشعب أظهر قوته وقدرته على التظاهر والتجمع والخروج ضد الحاكم .

خالد عاد ليقول إن تعامل الجيش لن يكون مثل تعامل الشرطة، فالجيش سينفذ ما يريد، قلت إن الجيش لا يمكن أن يرتكب مذبحة، لا سيما فى ظل تطورات الأوضاع الدولية حاليا، والعيون المفتوحة على مصر والمنطقة، لكن خالد رد قائلا: «لأ ممكن» !

لم يستمر الحوار طويلا بينى وبين خالد ، لكنه فأجانى ، فقد كان الأقرب إلى فهمى هو أن شابا يافعا مثل خالد كان لابد أن يكون فى طليعة مؤيدى الثورة والثوار ، هو إنسان شريف ولم يكن يوما من مؤيدى النظام السابق أو المنتفعين باستمرار وجوده ، فلماذا كل هذا التشكيك فيما هو قائم.. وما هو قادم ؟!

هل يمكن أن يكون الجيش حقا متواطئا مع مبارك ونظامه ؟

وهل يمكن أن يكون قد قام بعملية خداع كبرى للشعب سرعان ما يعود بعدها للاستيلاء على الحكم لنفسه ؟ لا أظن.. لا دلائل تشير إلى ذلك.. لو كان الجيش يريد فعل ذلك لفعله من البداية وانحاز إلى جانب مبارك بإعتبار أنه كان لا يزال يمثل الشرعية السياسية وقتها ، لكن الجيش كان له رأى آخر وهو الانحياز لما أراده الشعب وحماية الثورة والثوار ، فهل يعقل أن يعود بعد ذلك للانقلاب على ما فعله بنفسه ليعود الوطن بأكمله إلى النقطة صفر؟!

الواقع أننى أستطيع أن أفهم شكوك خالد الريس ومن هم مثله ، خالد رجل أعمال شاب، وهو يريد الاستقرار السياسى حتى يستطيع أن يعمل ويتقدم اقتصاديا ..ولا شك أن الأوضاع الجديدة من شأنها أن تضفى رؤية ضبابية حول المستقبل واحتمالات التقدم والنمو الاقتصادى خلاله.. وبالنسبة لى فإن الرد على ذلك هو أن الفترة الحالية هى فترة انتقالية مهما طالت، وليس أمامنا إلا التحمل انتظارا لما ستسفر عنه من مستقبل جديد، يأتى حاملا الخير الوفير للجميع فى مختلف مجالات الحياة وأولها السياسة والاقتصاد.. ولكن.

وسط كل هذا التفاؤل فإن هناك ـ خلاف خالد الريس وأنا ـ آخرين يستيقظون كل صباح تكاد تخنقهم حبال الألم، ويكويهم عذاب الأسئلة.. عمّا إذا كانوا سيجدون ما يأكلون اليوم أم لا!

أحمد قدرى قال لصاحبة شقة الحوامدية التى يقيم فيها عندما جاءت تطالبه بالإيجار الشهرى.. «انتِ شايفة الحال واقف ومفيش شغل ربنا يفرجها علينا وعليكِ» .

# متحــولــون!

## «أخبار اليوم» تدافع عن نفسها:

## «هاجمنا الحكومة والمسئولين ودافعنا عن الغلابة»

## السبت ١٩ فبراير

تعرضت أفكارى اليوم إلى صدمة شديدة!

قمت بشراء جريدة «أخبار اليوم».. وكانت لى معها وقفة طالت قليلاً!

ممتاز القط لا يزال هو رئيس تحرير الجريدة، وغنيٌّ عن البيان أن القط كان هو أحد أبرز أبواق نظام مبارك، بشكل فج، واضح ومباشر، لا لبس فيه، حتى أنه كتب يوماً عن شعوره بالإشفاق على الرئيس مبارك لأن طبيعة حياته المليئة بالمسئوليات لا تسمح له بالاستمتاع بكثير من أمور الحياة اليومية البسيطة والعادية، قائلا إنه ليس فى مقدوره على سبيل المثال أن يشم فى منزله رائحة «طشة الملوخية» التى تهيم بها الأنوف عشقاً فى مختلف البيوت المصرية. وهو ما وصم القط رئيس تحرير جريدة «أخبار اليوم» بأنه رئيس تحرير «طشة الملوخية» .

أما اليوم.. فقد صدرت الصحيفة وقد نشر أعلاها عنوان «بدء الحساب العسير لكل المتهمين بالفساد» ، وبجواره صور كل من حبيب العادلى وأحمد المغربى وزهير جرانة وأحمد عز، أما العنوان الرئيسى للصحيفة «المانشيت» فقد جاء من خطبة الشيخ القرضاوى التى ألقاها أمس ونصه: «القرضاوى فى ميدان التحرير: الثورة لايمكن أن تؤخر مصر اقتصاديا»..

«مانشيت أخبار اليوم من كلام الشيخ القرضاوى؟! سبحان مغير الأحوال! »

وما صدمنى حقا كان هو عبارة قصيرة موقعة باسم «ممتاز» تحت عنوان «مسد كول» جاءت كالتالى:

«هناك كثيرون يحاولون ركوب الموجة لذلك أعتقد أنه من الضرورى أن

يصدر إعلان رسمى يحظر ركوب التيوس عليها لأنها ممكن تقع.. وطبعاً تيوس جمع تيس.. عارفينه ولا لأ!»

ولا أعرف مَن بالتحديد الذين كان ممتاز القط يعنيهم بوصف التيوس، لكن ما لفت نظرى أيضاً هو محاولة «أخبار اليوم» تبرئة نفسها مما فات، فقد نشرت على صفحة كاملة تحقيقاً بعنوان «هذه هى أخبار اليوم» ثم «صاحبة الجلالة ومنبر الشعب منذ عشرات السنين» و «هاجمت الحكومة والمسئولين ودافعت عن الغلابة فى كل مكان» ، وقد استعرض التحقيق مقتطفات من مقالات وموضوعات سابقة تم الهجوم فيها على الحكومة، مع نشر صور لقصاصات هذه المقالات، وكانت لممتاز القط وآخرين، وصورة لرسم كاريكاتيرى يسخر من حكومة نظيف. وأبرز عناوين هذه القصاصات كانت «حكومة استنفدت مرات الرسوب» و«إقالة الحكومة» و«انت فين يا حكومة؟! » وغيرها.

وأظن هنا أننى لست بحاجة إلى توضيح أن مهاجمة – أى حكومة – فى زمن حكم مبارك لم يكن من قبيل الشجاعة أو النقد الجرىء الذى يمكن أن يفخر به صاحبه كثيراً، إذ أن الحكومات المصرية أو سياساتها عموماً لم تكن من بين المحظورات التى يعرف كل صحفى فى الصحف القومية أنه ليس بمقدوره الاقتراب منها.

على أى حال.. صدمتنى اليوم.. «أخبار اليوم» كثيراً ! لماذا؟

ضبطت نفسى متلبساً بالشعور بالاشمئزاز الشديد من الشكل الجديد لـ«أخبار اليوم» ، حيث أننى مع قراءة كل خبر أو موضوع مؤيد للثورة لم أكن أستطيع منع نفسى من استحضار صورة ممتاز القط نفسه ومواقفه المعروفة سابقا، حتى لو لم يكن هو محرر الخبر أو الموضوع، لكنه رئيس التحرير.. لذا فمن الطبيعى أن يكون دوره مؤثراً فى كل كلمة تكتب فى الجريدة!

لم أستطع الهروب من هذا الشعور.. وهو ما أجبرنى على أن أطبق نفس «أسلوب القراءة» على مضمون صحيفتى؛ «الأهرام» ، وهنا كانت الصدمة.. فقد وجدت أن من حق قارئ «الأهرام» الذى لا يعرف ما يدور داخل الجريدة أن يشعر هو أيضاً بالاشمئزاز من هذا التحول فى الخط العام للجريدة.

ومن حق هذا القارئ أيضاً أن يتذكر صورة أسامة سرايا رئيس تحرير «الأهرام» ومواقفه المعروفة سابقاً عندما يقرأ أى مادة صحفية مؤيدة للثورة.. ولم لا؟ فالقارئ العادى لا يُعرف بالطبع أن سرايا أصبح لا يتدخل فى سير

العمل إلا نـادراً، كما أنه - أى القارئ - لايعرف أيضاً الاتجاهات والآراء الحقيقية لمحررى «الأهرام» الذين كتبت عنهم فى مقال الأربعاء الماضى وقلت إنهم قد استردوا حريتهم بعد الثورة وأصبحوا يكتبون ما يؤمنون به فعلاً.

القارئ لا يعرف كل ذلك، لذا فإن من حقه أن يشعر بالتقزز أيضاً معتبراً أن أى تغيير فى وجهة الجريدة إنما يرجع سببه فى الأساس إلى «تحول» رئيس تحريرها أسامة سرايا وتغير اتجاهه هو شخصيا!

اليوم عندما اطلعت على «أخبار اليوم» حاولت أن أطبق فكرتى التى عبرت عنها يوم الأربعاء حول الصحف القومية، وحاولت اعتبار المواد الصحفية المؤيدة للثورة انعكاساً لاسترداد محررى «أخبار اليوم» حريتهم، كما حدث فى «الأهرام» لكننى فشلت.

كنت أرى «ممتاز القط» وراء كل خبر وتحقيق وصورة، والنتيجة أننى لم أصدق الصحيفة فى تأييدها للثورة. لماذا لم أستطع تطبيق نفس الفكرة على «أخبار اليوم»؟

قرأت فى الصحيفة أيضاً خبراً صغيراً فى الصفحة الأولى كان يمكن أن يساعدنى كثيراً على الاقتناع بفكرة أن تغيير اتجاه الجريدة إنما هو نتيجة استرداد محرريها حريتهم لا تحول رئيس تحريرهم. جاء فى الخبر أن ممتاز القط تقدم ببلاغ للنائب العام وشكوى إلى محمد بركات رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم للتحقيق مع مروِّج بيان تم توزيعه فى المؤسسة وفى نقابة الصحفيين يتهم القط بالحصول على كسب غير مشروع وممارسة تصرفات غير قانونية.

هذا الخبر فى حد ذاته كان يمكن أن يكشف لى عن وجود حراك داخل مؤسسة «أخبار اليوم» رفضاً لسياسات ممتاز القط، وهو ما قد يعنى أن الاتجاه الجديد للصحيفة إنما هو انعكاس لاتجاهات محرريها لا تحول رئيس التحرير.. لكن كل ذلك لم يفلح فى منعى من الاشمئزاز من تحول «أخبار اليوم».

إذن.. لماذا ألوم فهمى هويدى على اشمئزازه من تحول «الأهرام»؟

ذلك أمر طبيعى إذن.. طالما أن رؤساء التحرير الموجودين حالياً هم أنفسهم الذين تمرغوا فى تراب عشق النظام من قبل.. أى مجهود يقوم به المحررون لإعلان آرائهم وأفكارهم التى طالما حبسوها داخلهم محكوم عليه بأنه من قبيل

«التحول المنافق» وموصوم «بالتلون الممجوج» .

يا الله..

ما العمل إذن؟

الحل هو أن يرحل سرايا والقط وكل رؤساء التحرير حتى نكون قد استعدنا حريتنا بحق.. لكن كيف؟ كيف؟

هذا هو السؤال!

# الشرطة العسكرية فى الدور الرابع

## «لماذا أصبحت لا أطيق وضع حزام الأمان

## أثناء القيادة بعد الثورة؟! »

## الأحد ٢٠ فبراير

كتبت فى أوراقى الخاصة العبارة التالية: «بطاقة انتخابية.. صورة بطاقة الرقم القومى.. والتوجه للقسم».

لاشك أن أبسط «المتغيرات الشخصية» بعد الثورة هو أن يكون لديّ بطاقة انتخابية، كيف يمكن لى أن أكتب كلمة واحدة تدعو الناس للجد والعمل والمشاركة فى توجيه مسيرة الوطن عبر الانتخابات وغيرها، دون أن تكون لدىّ بطاقة انتخابية؟

لم يعد الأمر كما كان، وأصبحت المشاركة من أوجب الواجبات. لكن.. وفى ذات الإطار المتعلق «بالمتغيرات الشخصية» .. تضايقت من نفسى كثيراً، لأن إحدى هذه المتغيرات بعد الثورة تمثلت فى أننى أصبحت لا أضع حزام الأمان أثناء قيادة السيارة.. جربت الأمر على استحياء فى أيام اندلاع الثورة، وبعد التنحى فى ١١ فبراير تماديت فيه، وأصبح وضع الحزام الآن أمراً ضاغطا على أعصابى، رغم أنه كان قد أصبح من قبل أمرا معتاداً بالنسبة لى، ما الذى حدث؟

لست أنا من يستغل الظروف المحيطة لكسر القانون.. حتى لو كانت الأقاويل والشائعات قد ترددت حول خلفيات مسألة استحداث ضرورة وضع حزام الأمان، واستفادة البعض من استيراده وقتها، حتى لو كان الأمر كذلك فالحزام مفيد بالفعل، وقد أصبح قانونا، فماذا حدث لى؟.. لقد أصبحت لا أطيق وضع حزام الأمان أثناء القيادة بالمرة!

أتلك هى أخلاقيات الثوار الباحثين عن الحرية؟ أيكونون هم أول من يخالف القانون؟

المفترض هو أن نكون أول الملتزمين بالقوانين.. أم أننا نلتزم بالقانون خوفا من العقاب؟ وعندما تغيب احتمالات العقوبة فإننا لا نلتزم؟

قد يبدو الأمر بسيطا.. لكنه مؤشر على كل حال.

لاشك أنه لايزال أمامنا الكثير لتغيير أخلاقياتنا وثقافتنا.. حتى بعد قيام الثورة.

تحدثت هاتفيا مع قدرى ظهر اليوم، وكان فى إحدى حالاته النفسية الخاصة التى لاتعرف لها سببا مفهوما، كان منتشيا ، ويستمع فى خلفية مكالمتنا إلى موسيقى هادئة حالمة، وقال لى إنه فوجئ للغاية بحجم كل هذا الفساد الذى تكشف، وكان مايشغله هو سؤال محدد.. ماذا لو عادت هذه المليارات المنهوبة إلى البلد؟ كيف يمكن أن يستفيد الناس منها بشكل مباشر؟

حاولت أن أجيبه بشكل عام مشيرا إلى الانتعاش الاقتصادى الذى ستشهده البلاد إذا عادت هذه الأموال بالفعل، وضرورة انعكاس ذلك على مستوى دخل وحياة المواطن.

هذه الإجابات النظرية العامة لم تكن مما يريد قدرى سماعه، لكنه كان يتمنى أن يعرف الفائدة الشخصية المباشرة التى يمكن أن تعود عليه إذا عادت هذه الأموال.. باختصار.. كان قدرى يتمنى أن يقول له أحد أنك ستحصل على مبلغ كذا، وكان هذا بالطبع مطلبا عجيبا بعيد المنال.

دار بيننا حوار ضاحك وعرفت أن صاحبة الشقة التى يقيم فيها فى منطقة الحوامدية زادت على طلبها الإيجار الشهرى قولها أنها تريد استعادة الشقة لأنها تريد تخزين متعلقات ابنتها بها، وكان ذلك خبرا صاعقا بالنسبة لقدرى، الذى علق فى نهاية حوارنا على مدى تدهور أوضاعه المالية بقوله إنه أصبح قريبا جدا من خلع آخر قطعة من ملابسه!

عرفت اليوم من مصدر فى مجلس الشورى أنه تم سحب السيارات المرسيدس السوداء من رئيس المجلس السابق صفوت الشريف، وأن سكرتيرته قامت على مدى ساعتين بجمع عدد كبير من الأوراق والمستندات من مكتبه ونقلتها إلى منزله، وهو الأمر الذى صدر بعده قرار داخلى من حرس مجلس الشورى بألا يخرج أى شىء من المجلس إلا بعد تفتيشه.

شىء شبيه بذلك حدث أيضا فى «الأهرام» فقد قام بعض الزملاء بالتحفظ على بعض الكراتين التى حاول بعض العاملين فى مكتب أسامة سرايا إخراجها مساءً، إلا أن الزملاء منعوهم وتحفظوا على الكراتين، وتم الاتصال بالجيش وتسليمها له، لكن الجميع فوجئ صباح اليوم فى «الأهرام» برجال الشرطة العسكرية ينتشرون داخل الدور الرابع الذى يضم صالة التحرير الرئيسية ويعتبر هو فى حد ذاته الطابق الرئيسى للجريدة.

لم أذهب اليوم لـ «الأهرام» لكننى استطلعت شهادات عدد من الزملاء حول أسباب وجود الجنود والضباط فى الجريدة، ربما للمرة الأولى فى تاريخها، لكن أحدا لم يقدم لى إجابة شافية، وتضاربت الروايات حيث قيل أن أسامة سرايا هو الذى طلب حضور الشرطة العسكرية لحمايته من المحررين، وقيل أيضا أن ذلك كان إجراءً ضروريا لاستكمال عملية التحفظ على الكراتين بشكل قانونى، وقيل كلام كثير غير محدد، وقالت لى الزميلة آمال عويضة التى أسميها «بالمحررة الثورية» أنه كان مشهدا مفاجئا للغاية عندما دخلت من باب الطابق الرابع لتجد أمامها جنديا من جنود القوات المسلحة يدخن سيجارة، وهو يقف على باب القاعة المستديرة، سألته آمال عن سبب وجوده وزملائه فلم يقدم لها جوابا محددا، فقالت له إنه على المستوى الشخصى مُرّحب به، فى «الأهرام» ، ولكن كجندى يؤدى مهمة داخل المبنى، فهو مرفوض تماما!

**أيا كان الأمر.. فقد بدا أن العلاقة بين المحررين ورئيس التحرير قد ذهبت فى طريق بلاعودة.**

# الجزء الثاني

# فبراير - مارس - أبريل ٢٠١١

# «الأهــرام» الجـديـدة

## صحفيون كبار ينتقدون ملحق «شباب التحرير»:

## «ماحدش عارف بيعملوا إيه بالضبط! »

أين اختفت دعاء خليفة؟

دعاء - ببساطة - كانت تعمل، تواصل الليل بالنهار، لتكتب، وتقدم الجديد دائما عن مجتمع ما بعد الثورة، فى الصباح هى دائما فى الشارع، تلتقى بالبشر، الناس العاديين، تسألهم وتستمع إليهم، ثم تعود لتكتب ما رأت وسمعت، وتحليلها لذلك بأمانة، ثم ينشر فى اليوم التالى بملحق «شباب التحرير».

وفى غمار ذلك كانت تتذكر أن قرار نقلها رسميا للعمل فى «الأهرام» من جريدة «الأهرام إبدو» لم يصدر بعد من رئيس مجلس الإدارة، لكن سرعة الأحداث المتلاحقة لم تكن تسمح لها بالتفكير فى الأمر كثيرا، وما كان يشغل بالها حقا هو كل هذه العشوائية واللامهنية التى تجتاح أسلوب العمل فى الجريدة، وكنت أقول لها إن عليها أن تنسى العمل «فى الخليج»، فى إشارة إلى «الأهرام إبدو»، وأن أسلوب العمل الذى يسير عليه ملحق «شباب التحرير» الذى نعمل فيه سويا ربما يكون هو الأكثر تنظيما بالنسبة لما يحدث فى الجريدة ذاتها، وكانت عبارتى هذه تصعقها.

فاطمة عمارة أيضا زوجة صديقى وائل فهمى، تفجرت لديها طاقات الكتابة مع بزوغ فجر الثورة، وكانت تمارس دورها فى منطقة خاصة لها أهميتها، وهى الانترنت، فقد كانت تنقل - عبر الصفحة الثانية فى «الأهرام» التى يشرف عليها أستاذنا فتحى محمود - خلاصة مناقشات الشباب على موقع «فيس بوك» حول الثورة والأحلام الجديدة والأخلاقيات التى ينبغى أن تسود المجتمع حتى نبنى مصر الجديدة.

تفجرت طاقات كبرى فى «الأهرام» ، وأسهم ملحق «شباب التحرير» فى تقديم أسماء صحفيين مبدعين، عملوا سنوات طويلة فى «الأهرام» ، لكنهم

كانوا مجهولين.. «مركونين».. لايلتفت إليهم أحد، ولا يوجههم مسئول أو يطلب منهم عملاً، ظهر إبراهيم السخاوى بموضوعاته المهمة مع أهالى الشهداء والمصابين، ونسرين مهران بحواراتها الرصينة مع المثقفين المصريين والعرب ورؤاهم حول الثورة المصرية، وما يحمله الغد، وهبة عبدالستار التى عملت سنوات فى قسم المكتبة (! ) انطلقت هى الأخرى فى مجال الكتابة، ونشرت بالمستندات وقائع فساد داخل وزارة الخارجية، «بجلالة قدرها»، وقد منحها محمد البرغوثى أكثر من نصف الصفحة الأولى فى الملحق، وردّت وزارة الخارجية على تقريرها بعنف، وجاءت هى عندئذ لتسألنى ببراءة «مخضوضة».. «أعمل إيه؟».

.. ومحمد القزاز ومحمود حلمى وأحمد عبدالمقصود وهانى عزت وهانى فتحى ونهاد سمير وهاجر صلاح وآخرون وآخرون، عملوا جميعا، ونشرت أعمالهم، مبرزة، على مساحات صحفية محترمة، وبعناوين مثيرة، فشجعهم هذا على مواصلة الإبداع والعمل والتألق.

ولعل فى قصة الزميل كرم سعيد أبو شعبان دلالة واضحة على أسلوب سير العمل فى ملحق «شباب التحرير».. فالزميل كرم لم يشرف الكثيرون منا فى الجريدة بمعرفته شخصيا من قبل، حيث أنه يعمل فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ولم يكن له اختلاط بمحررى الجريدة، كما أظن أنه لم ينشر له شىء من قبل.

ماذا فعل كرم؟ كتب موضوعا صحفيا طويلا وأرسله إلى محمد البرغوثى، دون أن يلتقى به أو يعرف أى منهما الآخر من قبل، قرأ البرغوثى الموضوع فأعجب به للغاية، وقام بنشره على مساحة كبيرة موقعا باسم كرم سعيد أبو شعبان بالطبع.

لا شك أن كرم قد نال منه الاستغراب ما نال بعد نشر الموضوع بكل هذه البساطة، لكنه كرر المحاولة مرة ومرتين وثلاثا، وكان فى كل مرة ينشر له الموضوع بشكل رائع وفى الصفحة الأولى للملحق فى بعض الأحيان، وفى أحد الأيام فوجئ البرغوثى بشخص يأتى إليه ويحييه شاكرا على ما يفعله معه. وعرفه بنفسه قائلا إنه كرم سعيد أبو شعبان.

ضحك البرغوثى بشدة قائلا له: «أهلا يا كرم سعيد أبو شعبان.. أنت بقى كرم سعيد أبو شعبان؟! أنت موهوب جدا.. وكاتب حقيقى.. موضوعاتك ومقالاتك

رائعة.. وطبيعى إنها تنشر فورا.. استمر! ».

انتهت القصة.. واذا كنت لم تستغرب.. فسأشرح لك!

أنت لا تعرف الوسط الصحفى.. لكن الحقيقة هى أن قصة الزميل كرم مع النشر على يد البرغوثى بهذه الطريقة هى شىء خيالى، لا يحدث عادة فى «الأهرام» ، أو غيرها، فكرم لم يكن بحاجة إلى التودد للبرغوثى أو حتى تعريفه بنفسه حتى «يحبه» الأخير وينشر له، وفقا لما هو متبع، وكرم لم يقف على باب البرغوثى «مسئول الملحق» متذللاً أكثر من مرة طالبا نشر ما يكتب قائلا «معلهش عشان خاطرى»! .

وفى المقابل فإن البرغوثى عندما قرأ الموضوع الأول لكرم، لم يزمّ شفتيه باستياء قائلا «مين كرم سعيد أبو شعبان ده؟ بيعمل إيه يعنى ؟! »، مثلما يحدث عادة، لكنه تعامل مع الموضوع وما تلاه من موضوعات ومقالات كنصوص صحفية، وقام بتقييمها بأمانة، ونشرها على هذا الأساس.

لم يتعامل البرغوثى بتلك «النفسنة» المعتادة لدى معظم مسئولى التحرير، ولم يخشَ ظهور ولمعان نجم أحد مرءوسيه، كما هو متبع، ليتم بعد ذلك دفن هذا النجم فى سابع أرض، بل اعتبر أن كل خبر صغير ناجح فى الملحق هو إضافة لـ «الأهرام» ولإسمه هو بشكل شخصى، وليس انتقاصا منه. ومع ذلك فإنه - أى البرغوثى - كان يناقش المحررين حول أفكار موضوعاتهم ليقبلها فى النهاية أو يرفضها، لكن ذلك كان يجرى على أسس مهنية موضوعية، لذلك لم يغضب أحد، وكان الجميع سعيدا فى كل الأحوال بالمنتج النهائى للتجربة، وهو ذلك المولود الصغير «الثورى» حتى النخاع المسمى.. بملحق «شباب التحرير».

كل هذا لا ينفى أن الاستياء والتعليقات الساخرة كانا ينالان الملحق فى أوقات كثيرة من جانب بعض الكبار فى الجريدة، الذين كانوا يقولون بذات «النفسنة» المعتادة عن الملحق وأهله.. «ماحدش عارف هم بيعملوا إيه بالضبط»!

وفى سياق آخر.. فإن الأمانة تقتضى قول أن الجريدة ذاتها كانت تسير وتعلو بسرعة كبيرة، عبر موضوعات صحفية متميزة، أبسط ما يمكن أن يقال عنها بلغة الصحافة إنها «خبطات صحفية».

يوم الثلاثاء ٢٢ فبراير، تمت إعادة الاعتبار لزميلنا فكرى عبدالسلام مراسل «الأهرام» فى الإسكندرية صاحب «خبطة لسان الوزراء فى مارينا»

التى تم نشر تكذيب صفوت الشريف وزكريا عزمى لما ورد بها فى اليوم التالى.

نشرت الجريدة على أربعة أعمدة فى الصفحة الأولى، بالإضافة إلى الصفحة الثالثة كاملة تفاصيل مستند رسمى مهم حول قرارات التخصيص الصادرة لأبناء كبار المسئولين فى مارينا، بالمخالفة للقانون وبأسعار زهيدة، وهو المستند الذى لم يكن بحوزة زميلنا وقت نشر القضية فى المرة الأولى لكنه كان قد اطلع عليه، وتيقّن من صحته، إلا أن عدم وجود المستند وقتها أتاح نشر نفى الشريف وعزمى امتلاكهما أى شىء فى مارينا.. أما الآن فقد تم نشر صورة الوثيقة على ٦ أعمدة كاملة فى الصفحة الثالثة، وجاءت أسماء أبناء صفوت الشريف وحبيب العادلى وزكريا عزمى ومحمد إبراهيم سليمان وحاتم الجبلى وغيرهم واضحة فى المستند، مقترنة بأرقام الوحدات وأماكنها وأسعارها وتاريخ تخصيصها وغيرها، وأكد التقرير الصحفى الذى نشره فكرى عبدالسلام أن مبلغ ثلاثة مليارات جنيه قد ضاعت على الدولة كفروق أسعار لهذه الفيلات والوحدات التى حصل عليها الكبار بأثمان بخسة.

باختصار.. تفجرت طاقاتنا جميعا، وبالنسبة لى، فقد أصبحت أشعر فى بعض الأحيان - عندما كنت أدوّن هذه اليوميات بشكل منتظم مع مشاركتى المستمرة فى عمل الموضوعات الصحفية بالملحق - كأننى فى سباق طويل، لا أدرى متى يمكن أن تطلق فيه صافرة النهاية!

وهكذا.. تواصل دوران عجلة العمل الصحفى فى «الأهرام» بأقصى سرعة ممكنة، وبدت الجريدة كمن يحاول إنجاز وتعويض ما فاته فى سنوات الصمت والقهر والكبت ولكن.. ترى هل يصدقنا القارئ فى ظل استمرار نفس الوجوه القديمة؟! أقسم أننا صادقون.. ولكن هل يصدقنا القارئ؟!

# الثورة.. والسعودية!

## إعلان للتهنئة بشفاء الملك عبد الله:

## «يا وجه الخير.. شعبك بخير.. مادمت بخير»

لكل صحيفة نقطة سوداء، أو بالأحرى دائرة سوداء، ممنوع الاقتراب مما بداخلها، وهذه الدائرة عادة ما ترتبط بمالك الجريدة أو ممولها. وكلما ضاقت مساحة هذه الدائرة، كلما أصبحت الصحيفة أكثر موضوعية ومصداقية.

تلك حقيقة واقعة، تسرى وتنطبق على كل وسائل الإعلام لا الصحف فقط، لكن الثورات والأحداث الكبرى عادة ما تؤدى إلى إجراء عمليات فرز مهمة، بحيث يسهل معها التمييز بين أمور كثيرة.

تلك مقدمة لابد منها.. لا سيما إذا كان الحديث يتناول صحيفة مهمة مثل صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية!

مع نهايات شهر فبراير وأوائل شهر مارس، كانت المظاهرات والاحتجاجات قد تصاعدت فى المنطقة العربية، فى ليبيا والبحرين واليمن. وفيما يتعلق بليبيا بالتحديد اجتاحت المظاهرات طرابلس وسقط الشهداء بالآلاف، وبدا أن نظام العقيد معمر القذافى أصبح يترنح.

فى هذه الأثناء.. عاد الملك عبدالله بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية إلى بلاده بعد رحلة علاج استغرقت ثلاثة أشهر فى نيويورك، ولم تكن أجواء الاحتفالات الأسطورية التى تم تنظيمها عادية أو بسيطة، فقد عرضت قناة «الاخبارية» السعودية يوم عودته برنامجا مفتوحا قدمه مذيع ومذيعة، ظهرا وهما يبتسمان فرحين ويرتديان العلم السعودى، مع عرض لقطات لطابور بشرى طويل قيل ان طوله ٣٥ كيلو مترا لزفاف الملك من المطار إلى قصره.

أما صحيفة «الشرق الأوسط» الرصينة فكان من بين عناوينها يوم الخميس ٢٤ فبراير: «السعوديون يراقبون المشهد الأول لعودة ملكهم بشوق ولهفة» وعنوان تال هو: «خرجوا من أعمالهم وتركوا مواعيدهم وارتباطاتهم لمتابعة

وصول خادم الحرمين عبر التليفزيون».

وفى يوم السبت ٢٦ فبراير:

«السياحة والآثار تطلق معرضا يضم مائتى صورة لخادم الحرمين» و«طيار سعودى سابق يحلق مع ابنته ابتهاجا بعودة الملك عبدالله».

وبينما توالت إعلانات التهانى على مدى أيام فى الصحيفة، فقد جاءت الصفحة الثالثة يوم الأربعاء ٢ مارس كالتالى:

عنوان الصفحة هو «ثورة ليبيا»، وأسفله إعلان بعرض الصفحة يحمل صورة الملك عبدالله مبتسما، وبجواره عبارة: «يا وجه الخير.. شعبك بخير.. مادمت بخير» ثم اسم الشركة التجارية المهنئة. وأسفل الإعلان تم نشر متابعة أخبار الثورة الليبية الدامية.

وفى هذه الأثناء.. وفى ذات التوقيت.. أطلق ٤٦ كاتبا وصحفيا سعوديا إصلاحيا بيانا وقع عليه نحو ألفا شخص باسم «بيان ٢٣ فبراير» موجها للملك عبدالله يطالبونه فيه بإصلاحات سياسية واسعة، بينما أنشأ شباب سعوديون صفحتين على الموقع الالكترونى «فيس بوك» باسمى «الشعب يريد إصلاح النظام» و«إعادة الملكية الدستورية». ( نشر هذا بجريدة «روز اليوسف» يوم الاثنين ٢٨ فبراير، ولاشك أن معظم الصحف السعودية بما فيها «الشرق الأوسط» لم تشِر إليه).

عشت فى السعودية سنوات طوال بين عامى ١٩٧٨ و١٩٨٨، وأستطيع أن أقول أننى خبرت المجتمع السعودى جيدا، أضف إلى ذلك أن مقر إقامة والدىّ هناك كان فى المنطقة الشرقية التى ينتشر فيها أبناء الشيعة، والقريبة جغرافيا نوعا ما من إيران. ولا شك أن هناك الكثير ليقال عن هذا المجتمع.

إنه مجتمع عجيب حقا، ظاهره ليس كباطنه، ومعلنه غير مستوره، هو مجتمع شديد العجب، قضيت وسط أهله مرحلتى الطفولة والصبا، حيث عدت إلى مصر بعد انتهاء العام الدراسى فى الصف الأول الثانوى، وقبل ذلك كله كنت هناك.. وعلى سبيل المثال، كانت العلاقات الجنسية الشاذة بين الذكور منتشرة للغاية، وكنت أشاهد بعينى عمليات تحرش حقيقية بين الطلاب فى المدارس، أحد أصدقائى من المصريين ظل ملاحقا فترة طويلة من جانب أحد زملائنا السعوديين، لأن هذا الأخير كان «يحبه»، ويتمنى مواقعته،

واستمرت مضايقاته حتى اضطر صديقى إلى إخبار والده، الذى سارع على الفور بنقله إلى مدرسة أخرى.

كان هناك طلاب سعوديون كثيرون يتمتعون بالاحترام، ولا تختلف تربيتهم عن تربيتنا. بل إنهم كانوا ينافسون الطلاب المصريين فى التفوق الدراسى والحصول على لقب «الأول» على الفصل فى نهاية العام، وفى أغلب الأحيان كنا نحن من يفوز بالصدارة ويأتون هم تالين لنا، حتى علمنا أن قرارا أو تعليمات صدرت فى وزارة التربية والتعليم بضرورة أن يكون الأوائل من السعوديين، فكان يتم رفعهم درجات قليلة حتى يتخطونا، ويكونون هم الأوائل ونحن التالين لهم!

كان هناك طلاب محترمون، لكن كان هناك كثيرون أيضا ممن يقبلون على تلك العلاقات الجنسية الشاذة سواء كفاعل إيجابى أو سلبى، وكان من المعروف للجميع أن أشخاصا بأعينهم يمارسون هذا العمل، كمفعول به، ولم يكونوا منبوذين اجتماعيا، مثلما هو الحال فى مصر مثلا بالنسبة لمن يعملون ذلك.

كل هذا يحدث فى بلد تضم أراضيه أطهر الأماكن المقدسة بالنسبة لنا نحن المسلمين، وفضلا عن ذلك فإن حكامه يفتخرون دوما بأنهم البلد الوحيد الذى يطبق الشريعة الإسلامية، مع أن هذه المسألة بالتحديد هناك الكثير مما يمكن أن يقال بشأنها، فالواقع هو أن السعودية تطبق الحدود الشرعية فقط، أى قطع الرأس واليد وغير ذلك من الحدود المعروفة، لكنها مثلا لا تطبق القواعد الشرعية فى السياسة، فإحدى أهم هذه القواعد هى قاعدة «وأمرهم شورى بينهم»، وليس من بينها بالطبع على الإطلاق أن تستأثر (عائلة) واحدة بالحكم فى أرض ما، بل أن تسمى هذه الأرض التى تحكمها باسمها، مثلما فعلت أسرة (آل سعود)!

كيف يمكن أن يكون الحكم موافقا للشريعة الإسلامية إذا كان يتجاهل تطبيق شورى حقيقية لا شكلية أو مصطنعة؟!

**«آه يا مشروعى القديم.. الدين والسياسة».. أنّى لك أن تتحقق، بينما جرفتنى أحداث الثورة، ومتابعة شلالها اليومى الهادر؟.**

على أى حال، وبالعودة إلى سياقنا، فإن موقف السعودية من الثورة فى مصر لم يكن واضحا، وكان ما نعلمه ويعلمه الجميع هو أن وزير الخارجية السعودى المخضرم سعود الفيصل زار مصر مرتين فى فترة قصيرة التقى خلالها بالمشير

حسين طنطاوى. ولا يعلم أحد ما دار بينهما بالطبع خلال هذه اللقاءات.

وفى الوقت نفسه.. فإن جريدة «الأخبار» و«رزقها» .. أى رئيس التحرير ياسر رزق.. كانا يواصلان الانفرادات الصحفية حول أكثر من زيارة قالت الصحفية أن مبارك قام بها للسعودية خلال هذه الأيام حيث نشرت «المانشيت» الرئيسى لها يوم الأربعاء ١٦ فبراير بعنوان «مبارك فى السعودية وصحته غير مستقرة» كتبه محمد على خير. كما أن الرئيس السابق - الذى كان النائب العام المستشار عبدالمجيد محمود قد أصدر قرارا بالتحفظ على أمواله ومنعه من السفر خارج البلاد - سافر أيضا إلى السعودية مرة أخرى، وفقا لما ورد فى «مانشيت الأخبار» أيضا يوم ٢ مارس بقلم أحمد مجدى، حيث قال أن مبارك رغم قرار منعه من السفر سافر إلى قاعدة تبوك الجوية فى السعودية، وأنه يخضع لجلسة علاج كيماوى لمدة ساعة كل خمسة أيام للعلاج من سرطان القولون والبنكرياس.

وعندما أصدر النائب العام فى اليوم التالى بيانا نفى فيه صحة ما نشرته «الأخبار» عادت الجريدة لتنشر النفى يوم ٤ مارس كالتالى: «النائب العام: مبارك حاليا فى شرم الشيخ.. والأخبار تؤكد: الرئيس السابق كان فى السعودية».

«الله الله الله.. إيه الشغل الصحفى العالى ده؟! الله ينوّر».

لكن.. أين المجلس العسكرى من كل ذلك؟! بدا المجلس وكأنه غير موجود.. ولم يصدر عنه أى تعليق حول الموضوع.. وربما كان أهم ما ذكره المجلس قبل ذلك عن مبارك هو قوله خلال لقاء بالصحفيين والكتاب يوم ٢١ فبراير انه لا «شرم الشيخ» ولا غيرها تؤثر على عمل المجلس الأعلى وقراراته، وكان ذلك بمثابة رد على الكلام الخطير الذى ذكره محمد حسنين هيكل فى برنامج «مصر النهادرة» على التليفزيون المصرى حيث قال إن بقاء مبارك فى شرم الشيخ يمكن أن يشكل مركزا مناوئا للثورة وأضاف قائلا إن مبارك لا يزال يتلقى اتصالات من كل مكان، وأنّ الاتصالات بين القاهرة وشرم الشيخ لا تتوقف، ولذا فإننا أمام بؤرة خطر لابد من إزالتها لضمان نجاح الثورة.

هل يمكن أن يكون ذلك حقيقيا؟ اتصالات مستمرة بين القاهرة وشرم الشيخ؟ هل من المعقول أن يحدث هذا؟ كانت فكرتى الواضحة بالنسبة لى هى أن الجيش أو بالأحرى المجلس العسكرى قد اختار من البداية الانحياز للثورة

وحمايتها، فهل يمكن أن تتسرب الشكوك إلى هذه الفكرة؟ وأن يكون كل ذلك تمثيلية كبرى؟!

يارب احمِ هذه الثورة.

# الدين والسياسة.. رؤية ما

«باحث أم صحفى؟!»

ماذا حدث فى تلك الليلة بالتحديد؟!

إنه مساء الأحد ٢٧ فبراير، المتصل بفجر الاثنين آخر أيام الشهر. أكان ذلك إلهاما جاءنى من السماء.. أم كشفا نورانيا خاصا؟!

لقد تعدلت أفكارى فى تلك الليلة كثيرا، وعرفت أن الأحلام الكبرى يمكن لها أن تتحقق إذا ما وضعناها فى إطارها السليم.

شعرت أن ضوءاً قادماً من بعيد قد أنار لى الطريق.. ووضعنى وأحلامى أخيرا فى الاتجاه الصحيح!

بفضل الثورة.. تفجرت ينابيع السياسة فى مصر.. وانفتحت أبوابها على مصاريعها أمام الجميع.. بمن فيهم الإسلاميون.. وكانت أولى بوادر ذلك صدور حكم المحكمة الإدارية العليا بالموافقة على تأسيس حزب الوسط بعد ١٥ عاما كاملة من المحاولات التى قام بها أمينه العام المهندس أبو العلا ماضى، وجاء أول تصريح له نشر فى «الأهرام» ليؤكد فيه قائلا إن «خلفيتنا دينية معتدلة ونؤمن بحقوق المسيحيين فى الترشح لجميع المواقع».

وفى الوقت نفسه أعلنت جماعة «الإخوان المسلمون» عن تأسيس حزب سياسى باسم «الحرية والعدالة»، كما صرح قادة تنظيم الجماعة الإسلامية بأنهم سيحسمون خلال أيام مسألة إنشاء حزب سياسى لهم.

ما الذى يعنيه ذلك؟!

إن أبسط النتائج التى يمكن أن نتوقعها لهذه الحالة السياسية الجديدة فى المجتمع هو أن تطفو العلاقة بين الإسلام والسياسة لتحتل مكانة بارزة بين أهم

الموضوعات التى تشغل الرأى العام فى مصر.. فكيف وإلى أى اتجاه يمكن أن يسير الحوار المجتمعى بشأن العلاقة بين الدين والسياسة خلال الفترة المقبلة؟

ما حدث لى مساء الأحد ٢٧ فبراير لم يكن مجرد أننى قررت أن أكتب موضوعا صحفيا حول هذه الفكرة.. لكن ما حدث كان هو أن المسارين الرئيسيين فى حياتى قد أمكن الجمع بينهما أخيرا فى مسار واحد؛ مسار «التفكير» فى العلاقة بين الدين والسياسة من جهة، ومسار «العمل» كصحفى وامتهانى هذه المهنة التى أحبها من جهة أخرى، فقد أصبح ممكنا أن أكتب موضوعا «صحفيا» عن العلاقة بين «الدين والسياسة»، وهذا فى حد ذاته شىء جديد ومهم، حدث بفعل الثورة، لكنه فى الحقيقة لم يكن الأهم بالنسبة لى.

الأهم الذى تكشف لى فى تلك الليلة، وعدّل أفكارا احتلت رأسى سنوات طوال، هو أننى ببساطة.. صحفى لا باحث.. وأنه ربما يمكننى التعبير بالكتابة الصحفية عن بعض الرؤى والأفكار النظرية حول علاقة الإسلام بالسياسة، لإثارة الجدل الإيجابى حولها وإطلاق حوار مجتمعى بشأنها من خلال مسارات محددة، لكى يدلى المتخصصون بدلائهم المختلفة فى القضية. كل ذلك ممكن ومناسب ومقدور عليه بالنسبة للصحفى، أما ما هو غير ممكن وغير واقعى فهو أن تصل أحلام «الصحفى» فى قضية كهذه إلى حد محاولة وضع نظريات سياسية جديدة وإقامة أبنية فكرية متكاملة، لاسيما إذا كان هذا الصحفى غير متخصص بشكل كامل سواء فى الدراسات الدينية أو السياسية، وغنيٌّ عن القول أنه حتى لو تمكن صاحبنا من إدراك ذلك فإن أبسط أسلحة معارضيه والمختلفين معه سوف تتمثل فى قذفه بعدم التخصص، وسيكون ذلك فى محله بلا شك.

وفى المقابل من هذا، فإن الصحفى يمكنه أو بالأحرى ينبغى عليه، أن يثقف ذاته كيفما شاء فى قضية بعينها من القضايا - وقد اخترت أنا قضية الدين والسياسة - ليبدأ بعد ذلك استخدام أدواته الخاصة المرتبطة بالحرفية المهنية فى الصحافة، عبر جودة الأسلوب، وعرض الأفكار بتسلسل منطقى يسير، يقدّره المتخصص ويحترمه، كما يفهمه غير المتخصص ويلفت نظره، مع إجادة فن استخراج العناوين الجذابة، وغيرها من وسائل الإجادة الصحفية، ليصل فى النهاية إلى تقديم «رؤية ما» للقضية، يكون من شأنها - إذا كانت متماسكة - أن تقدم «شيئا جديدا» يعمل عليه الآخرون من «الباحثين» العلميين المتخصصين كى يطوروه، أو ينقدوه أو غير ذلك.. فهذا عملهم لا عمل الصحفى، الذى

يكون بذلك قد أدى مهمته الأساسية، ويبقى له بعد ذلك أن يتابع ردود أفعال ما أثاره، وأن يواصل عملية المعرفة وتطوير أفكاره فى القضية، للبناء عليها، فى إطار «صحفى» أيضا لا «بحثى»، وهكذا.

والصحفى بشكل عام يرتبط دوره أيضا بلا شك «بالمعلومة»، فهو الأقدر على الوصول إليها والأسرع فى إدراكها، عبر اتصاله المستمر - الذى تتيحه مهنته - بمصادر المعلومات المختلفة، لاسيما المصادر الحية منها، من المسئولين وصانعى القرار والمفكرين وغيرهم، وهو مالا يتاح للباحث الذى ينصبّ عمله على المعلومات النظرية، أو ما يقدمه الصحفى له من معلومات من مصادر حية، كى يتولى - أى الباحث - بعد ذلك ممارسة دوره بإعمال أدواته «البحثية» على هذه المعلومات، للتحليل والتنظير.

وهكذا، ووفقا لهذه الرؤية فإننى أصبحت أرى الصحفى يحتل مرتبة وسيطة بين المفكر ورجل الشارع، أولا، كما يحتل نفس المرتبة، ثانيا، بين مصادر المعلومات المختلفة ومختلف المتلقين من مفكرين وباحثين وأشخاص عاديين، وهو فى جميع هذه الأحوال لا يقوم أبدا بدور الباحث العلمى.. كيف؟

أولا: الصحفى كوسيط بين المفكر ورجل الشارع:

الصحفى هنا يقوم بدور مزدوج فهو ينقل فكر المفكر إلى رجل الشارع بعد تبسيط هذا الفكر وشرحه وتقديمه فى «قوالب صحفية» تتيح للرجل البسيط الفهم والتفاعل مع الفكر قبولا أو رفضا. والصحفى أيضا يقوم بنقل صورة الواقع المعاش لدى رجل الشارع إلى المفكر، وهو ما يتيح للأخير الاطلاع على الواقع والاقتراب منه، لأخذه فى الاعتبار، بينما يتولى التنظير والتعبير عن أفكاره.

ثانيا: الصحفى كوسيط بين مصادر المعلومات وجمهور المتلقين على اتساعهم:

والصحفى هنا يقوم بأكثر من دور على أكثر من محور، فهو ينقل المعلومات من المصادر إلى رجل الشارع البسيط، «لإعلامه»، وهو أيضا ينبغى أن يقدم تحليله ورؤيته الخاصة حول هذه المعلومات «لإفهام» المتلقى. كما أنه ينبغى أن ينقل ردود أفعال هذا المتلقى إلى المصادر وصانعى القرار، كى يأخذوها فى الحسبان، وقت صياغة قراراتهم. هذا محور، ومحور آخر هو الوساطة بين مصدر المعلومات، والمفكر أو صاحب الرأى، فينقل المعلومة من الأول للثانى

«لإعلام» الأخير، وينقل الفكر والرأى من الثانى للأول للمساهمة فى توسيع مدارك الأول، ومعاونته على إصدار القرار السليم وهكذا..

وغنيٌّ عن البيان أن الصحفى وهو يقوم بكل هذه الأدوار المتداخلة، فإنه لابد أن يكون منحازا إلى الحق، وما يرضى ضميره، فلا يكون بوقا لأى طرف من الأطراف على حساب ما يرى هو أنه حق، كما أن الصحفى خلال ممارسته كل هذه الأدوار أيضا، لا يفعل ذلك كمجرد وعاء فارغ تنقل من خلاله المعلومات أو الآراء من هنا إلى هناك فقط، بل يفعل هذا فى ضوء ثقافته الخاصة، وفكره، فيضيف رؤيته لكل ما ينقله من معلومات أو آراء، موضحا الفارق بين ما ينبع من رؤيته الخاصة، وبين المعلومة أو الرأى الذى ينقله منسوبا إلى صاحبه.

وهكذا، وفى جميع الأحوال، ووسط كل هذه الأدوار، فإننا لا نجد للصحفى أبدا دورا كباحث علمى، يستخدم أدوات البحث العلمى المعروفة لتحليل فكرة ما أو واقع معين، إنه ليس دوره، وليس عمله.. بل إن له أعمالا أخرى. ليته [illegible] على القيام بها بأمانة وموضوعية. من خلال رؤية واسعة، وثقافة محتر[illegible]

هكذا أصبحت أفكر.

لقد عشت سنوات طوال، محملا نفسى بعبء ثقيل للغاية. لم أكن يوما مؤهلا له أو قادرا عليه، كنت دائما ألوم نفسى وأوجه الانتقاد والتوبيخ لها. لأننى لم أبدأ بعد «مشروعى البحثى» الكبير حول علاقة الدين بالسياسة. وكانت كومات الكتب والأبحاث ومواد الانترنت والعشرات من قصاصات الصحف وأوراق تعليقاتى تقف جميعا أمام عينى كجبل شاهق الارتفاع ينبغى تسلقه. ولا أقدر، ولا شك أننى استفدت كثيرا من القراءة المستمرة حول نفس القضية، لكن ذلك كله أصبح ممكنا أن أقوم بالتعبير عنه صحفيا بعد وقوع الثورة ومن خلال ملحق «شباب التحرير». أوحتى إذا ما قررت إصدار كتاب. لكنه لن يكون سوى كتاب يضم عددا من «المقالات الصحفية» التى أرجو وقتها أن تقدم شيئا مفيدا، للمتخصصين وغير المتخصصين معا.

شعرت بأن قيودا كثيرة قد انفكّت من حولى، فانطلقت سريعا بحب وأمل إلى كتبى وأوراقى، دون أن أخشاها هذه المرة، أخرجتها وجعلت أرتب أفكارى بشكل هادئ، دون ضغوط وأطلقت العنان لقلمى لأكتب للمرة الأولى بعد سنوات طويلة حول هذه القضية، كتابة صحفية أنتظر نشرها، ربما غدا أو بعد غد! .

ظللت أكتب وأكتب وأكتب حتى بزغ ضوء الشمس وطلع النهار، بعدها لملمت أوراقى وارتديت ملابسى، واتجهت إلى «الأهرام» ، بشعور داخلى عنوانه الرئيسى أننى مقبل على امتحان عسير!

فى «الأهرام» التقيت بدعاء خليفة، التى كانت تشجعنى دوما على بدء العمل فى مشروعى، رويت لها ما حدث سريعا، ثم قمت بتسليم «الموضوع الصحفى» إلى الزملاء القائمين على الملحق، ولم يكن محمد البرغوثى قد وصل بعد.

اختلطت - على وجهى - ملامح إرهاق عدم النوم، بمشاعر القلق مما سيجرى للموضوع، حتى أن دعاء قالت لى إنها المرة الأولى التى ترانى فيها قلقا إلى هذا الحد بسبب أحد موضوعاتى، قلت لها إنها المرة الأولى بالفعل التى أكتب فيها حول هذا الموضوع وأرجو ألا يصطدم نشره بأى عوائق مما اعتدناه فى العمل الصحفى عموما لأن ذلك سيكون مؤلما للغاية بالنسبة لى.

لم يأت البرغوثى صباح الاثنين، ولم ينشر الموضوع يوم الثلاثاء، كما لم ينشر الأربعاء، وأخيرا وصل الموضوع إلى يد البرغوثى، جلست بجواره وهو يقرأه بينما يكاد قلبى يتوقف من فرط الخوف، كنت أعلم أن الآراء السياسية للبرغوثى تميل إلى اليسار، ولا تفضل الإسلاميين، ومع ذلك فقد أعجب بالموضوع، ولم يعدل فيه سوى كلمة هنا، أو عبارة هناك، بلا أى تأثير فى مضمونه أو فكرته، قال لى ببساطة شديدة بعدها «هناخده صباح الجمعة»! .

وظهر الخميس، كنت أقف بنفسى خلف جهاز الكمبيوتر، الذى يتم من خلاله تنفيذ الصفحة التى سينشر بها موضوعى، كانت وجهة نظر البرغوثى التى يعلنها دوما أن أفضل من يعتنى بأى موضوع صحفى فى المراحل المختلفة حتى يخرج إلى النور بالنشر فى الجريدة هو كاتب الموضوع نفسه وليس أى شخص آخر، وبالطبع فإن هذه الرؤية كانت تتناقض تماما مع الفكرة الشائعة التى يتم تطبيقها أغلب الوقت فى الصحف، ومفادها أن المحرر إذا ما قام بتسليم موضوعه للجريدة، فإنه ينبغى أن تنقطع به صلته تماما، حتى لا يضمن لنفسه أى مزايا تذكر فى طريقة النشر، إما بتكبير العناوين أو اسمه أو رفض الاختصار، وغير ذلك مما يقوم على أساس «تخوين» المحرر، الذى ينبغى ألا يختلى بموضوعه قبل النشر!

تم رسم الموضوع على الصفحة، الموجودة على شاشة الكمبيوتر مرفقا بصورة ضخمة للمظاهرات فى ميدان التحرير، بالإضافة إلى صور كل من الدكتور يوسف القرضاوى والأديب الكبيرنجيب محفوظ، وكان يفترض أن يتم نشر صورة للإمام محمد عبده، إلا أننا لم نعثر على صورة له فى الأرشيف، وعندئذ وجدت البرغوثى يلتفت نحوى بعصبية قائلا «الأهرام مفيهاش صورة محمد عبده»، وبدا كمن يطلب منى تسجيل ذلك فى الذاكرة وللتاريخ، إلا أننا فى الحقيقة عثرنا على الصورة بعد ذلك فى وقت متأخر بعد تنفيذ الصفحة بالفعل.

وشاء القدر أن يتلاعب بأعصابى فى اللحظات الأخيرة قبل إرسال الصفحة للطبع، حيث اقترب من شاشة الكمبيوتر أثناء تنفيذ الصفحة أحد مسئولى التحرير ممن كانوا يهاجمون الملحق والعاملين فيه دوما ، وراح يلقى نظرة على الموضوع، لكنه لم يعلق، والأخطر من هذا حدث عندما كنت أقوم بمراجعة «البروفة» الورقية النهائية للصفحة، حيث جاءنى من الخلف صوت جهورى أعرفه جيدا قائلا «القرضاوى بيقول إيه؟!». إنه الأستاذ حازم عبدالرحمن مدير التحرير، وهو الذى يصب كثيرًا من آرائه الشخصية فى خانة فصل الدين عن السياسة، «أستر يارب» عبارة تردد صداها بشدة داخلى بينما كان قلبى يوشك على التوقف. على أى حال وقفت وأجبت عن سؤال الأستاذ حازم، الذى عاد ليسألنى عن رأى نجيب محفوظ، أجبته أيضا، ولاحظت أن ملامح ابتسامة مرهقة ترتسم على وجهه فى ختام يوم عمل طويل، لم يعترض الأستاذ حازم وظل صامتا فى هدوء، وهو ما شجعنى بعد أن اطمأننت إلى نشر الموضوع على أن أقول له بابتسامة متوددة إننى يهمنى بشكل شخصى أن أعرف رأيه فى الموضوع بعد نشره غدا.. فهز رأسه بالإيجاب.

نشر الموضوع أخيرا.. وكان شعورى به صباح يوم الجمعة، مشابها لمشاعرى يوم نشر أول موضوع صحفى لى موقعا باسمى، منذ سنوات، وكيف لا؟ فهو أول ثمار شجرة انتقالى من إطار البحث النظرى إلى ساحة العمل الصحفى، أو من التفكير إلى التعبير، أو من النظرى إلى الحركى، سمها كما تشاء فى هذا الإطار.

كنت أتمنى أن أسير فى الشوارع طالبا من الناس أن تقرأ ما كتبت وتقول رأيها فيه، بل إننى قمت بإرسال رسائل قصيرة عبر الهاتف المحمول والبريد الإلكترونى لأكثر من ٢٠ شخصية من الكتاب والمفكرين والصحفيين، معظمهم لا يعرفوننى، طالبا منهم قراءة الموضوع والحوار بشأنه.

وكان من أبرز من راسلت فهمى هويدى وصلاح فضل وحسن نافعه ومحمد سليم العوا ومحمود خليل وبلال فضل وعمر طاهر وعمرو الشوبكى وجلال عامر ويسرى فودة وأحمد المسلمانى ومنتصر الزيات وعلاء الغطريفى ومحمد أمين وأحمد الصاوى وعماد الدين حسين ووائل قنديل ومدير مكتب الشيخ يوسف القرضاوى وغيرهم، ولا أنسى الباحثة الرصينة الدكتورة هبة رءوف عزت مدرسة العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، التى رحّبت بقراءة الموضوع، وعندما سألتها عن رأيها بعد ذلك، أسعدنى ردها كثيرا عندما قالت فى رسالة قصيرة على الهاتف المحمول «أحتاج أفكر كى أطوّر وجهة نظر» وكان هذا هو لُب المطلوب وأساسه.

والآن اسمح لى يا سيدى أن أعرض عليك أنت أيضا فكرتى، من خلال هذا الموضوع الصحفى الذى نشر يوم ٤ مارس، لكننى سأنقله لك هنا من واقع ما كتبت بقلمى، قبل إجراء بعض التعديلات البسيطة فيه، وكم سيسعدنى أن تحتاج أنت أيضا، بل نحن جميعا، إلى أن نفكر كى نصل إلى وجهة نظر، لاسيما بعد وقوع الثورة المباركة، التى سمحت لنا بكل ذلك، والتى لاشك أنها ستلعب دورا واضحا فى مسألة تشكيل نظرتنا للعلاقة بين الإسلام والسياسة.

وأخشى أن يكون إسهابى الطويل هنا حول فكرة الموضوع وظروف كتابته عاملا سلبيا عند قراءتك لنصه، لكنه فى جميع الأحوال مجرد موضوع صحفى، ربما يعرض «رؤية ما»، تنتظر من يطورها أو يبنى عليها بموضوعية، وليتنا نتشارك فى ذلك جميعا.

# (شباب التحرير) يطلق مبادرة لحوار وطنى هادئ حول علاقة الدين بالسياسة

# - ثورة ٢٥ يناير أخرجت الأحزاب الإسلامية إلى النور بعد سنوات من الحظر والإقصاء

# - الحرية وضوابطها وحدودها تحديات كبيرة تواجه الإسلاميين الجدد

# - نجيب محفوظ: الحياة المتطهرة المنشودة لا تفرض بقرار على الآخرين دون رضا واقتناع

# - ماذا كتب الإمام محمد عبده فى برنامج الحزب الوطنى المصرى عام ١٨٨١؟!

أنهار من الدم وبحور من الدموع.. تفجرت وسالت على مر التاريخ فى محاولة البحث عن إجابة السؤال.

الإسلام والسياسة.. ماهى العلاقة بينهما؟! أو.. هل هناك علاقة من الأصل بينهما أم لا؟

وإن وجدت هذه العلاقة.. فما كونها؟! وما طبيعتها؟!

ما هى الحدود الفاصلة بين الإثنين؟! أين تبدأ مناطق نفوذ كل منهما وأين تنتهى؟!

المطلق والنسبى.. هل يمكن الجمع بينهما؟! وإن أمكن.. فكيف؟ كيف يتداخلان؟! كيف يتجاوران؟! بل كيف يتحاوران؟! استفهامات عديدة.. وتساؤلات عميقة.. تولد كلها من رحم السؤال الرئيسى حول.. العلاقة بين الإسلام والسياسة؟!

وسواء كنت من المؤيدين أو الرافضين لمسألة وجود علاقة بين الإسلام والسياسة فإن وقائع الأحداث وتطورات الأمور التى أعقبت ثورة الخامس والعشرين من يناير لاشك أن من شأنها أن تضع السؤال - حول هذه العلاقة - فى موقع مهم وخاص من المشهد، بحيث يكون مرشحا لأن يقفز ليطفو على سطح الأحداث خلال الفترة المقبلة، لاسيما بعد أن خرج أخيرا حزب الوسط (الإسلامى) الذى يرأسه أبوالعلا ماضى إلى النور بموجب حكم المحكمة الإدارية العليا، وما أعلنه الإخوان المسلمون حول تأسيسهم حزبا باسم (الحرية والعدالة)، فضلا عما صرح به قادة تنظيم (الجماعة الإسلامية) من أنه سيتم خلال أيام البت نهائيا فى مسألة إنشاء حزب للجماعة أم لا.

وهكذا.. فإن واقع الحال يشير إلى إمكانية وجود أكثر من حزب ذى

لذا.. فإن ملحق «شباب التحرير» بجريدة «الأهرام» يبادر هنا إلى إطلاق الدعوة إلى حوار وطنى مجتمعى.. عقلانى.. هادئ.. حول العلاقة بين الإسلام والسياسة.

هى دعوة (للعاقلين) فقط على الجانبين المؤيد والرافض لهذه العلاقة، دعوة للمصارحة.. ووضع كل الآراء والأفكار فى هذا الصدد على طاولة الحوار لبحثها.. فى هدوء.. دون تشنجات.. وبلا تكفير أو تخوين! فهل هذا ممكن؟!

إن رياح الحرية، ونسائم المحبة، التى هبت على مصر يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ تجعلنا نقول بوضوح.. نعم، إنه أصبح ممكنا أن ندير حوارا إيجابيا فى هذا المجال، يجمع ولا يفرق.. يبنى ولا يهدم.. يدفع عربة الوطن إلى فضاء من الأمل، لتنطلق تاركة وراءها إرث سنوات طوال من الألم!

إن أهمية هذه المبادرة تنبع من أنها تأتى بعد سنوات عجاف من الرفض والقمع والحظر والإقصاء، الذى مارسه النظام السابق ضد التيارات الإسلامية على اختلاف ألوانها (ملحوظة:البرغوثى عدّل كلمة الاسلامية إلى السياسية)، وساهمت فيه وروجت له صحف كانت فى السابق أبواقا للنظام ثم أراد لها القدر أن تسترد كرامتها، وحريتها، لذا فإنه لم يعد غريبا أن تبادر واحدة من أهم هذه الصحف وهى «الأهرام» إلى إطلاق مثل هذه الدعوة.

ونحن هنا من جانبنا سوف نبادر إلى بدء الحوار عبر تسليط الضوء على بعض العناصر لتكون معالم منيرة فى طريقنا.

فى البداية لابد من الإشارة إلى أنه من السهل على الباحث أن يلحظ ما يمكن أن يسمى بـ (قلة التنظير) لدى الحركات الإسلامية المختلفة، حيث تزيد كثيرا نسبة ما هو (حركى) على ماهو (نظرى) لدى هذه الحركات.

وهو ما يعبر عنه هشام جعفر رئيس تحرير الموقع الإلكترونى (أون إسلام) ورئيس التحرير السابق لموقع (إسلام أون لاين) الشهير بقوله أن (الممارسة الواقعية) فى الحركات الإسلامية عادة ما تسبق (التنظير) أو وضوح الرؤية الكلية، فالرؤية لا تسبق العمل، وهذا يجعل من (العملية) الواضحة - التى قد تصل إلى حد البراجماتية - هى السمة المميزة لتحولات الحركات الإسلامية

(إسلاميون وديمقراطيون، المحرر د. عمرو الشوبكى، ص٨٠).

لكن هذا التوجه نحو ما هو (عملى) بنسبة أكبر بالمقارنة بما هو (نظرى) له أسباب لدى البعض يعبر عنها طلعت رميح فى كتابه (الوسط والإخوان) بقوله: إن الفكر المطروح فى الغالب كان (فكر أزمة) له ظروفه وملابساته ووسائله وأدواته. وهو يصنف معظم الإسهامات الفكرية أو الأدبيات للمشروع الإسلامى الحركى فى إطار كونها فكرا دفاعيا، بمعنى أن أعداءه أخذوا يلقون إليه بالمشكلات والاتهامات والقضايا مما جعل نشاطه مجرد ردود أفعال، ويضيف رميح إلى ذلك انشغال أصحاب المشروع الحركى بالمواجهة وشئون الضبط والربط والتنظيم على الطريقة الحزبية المعاصرة مما لم يدع فرصة كافية للتأمل والتنظير والتقويم والمراجعة. (نقلا عن كتاب «فى النظام السياسى للدولة الإسلامية» لمحمد سليم العوا، ص٣٢٢).

وأيا كانت أسباب هذا الميل نحو (الحركى) لا (النظرى) فإنه يظل واجبا على أرباب الفكر السياسى الإسلامى وضع أطر نظرية محددة يمكن من خلالها التعامل مع قضايا العصر الحديث، على المستوى السياسى، وجميع المستويات الأخرى. وهو ما من شأنه أيضا أن يختصر مسافات طويلة عند إجراء حوارات مع أرباب التيارات الفكرية الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الموقف من الحرية يعد العنصر الرئيسى فى مساحة الخلاف بين الإسلاميين وغيرهم، إذ تشير الأدبيات الإسلامية بوضوح إلى أن الحرية مقيدة بالشرع. فالدكتور سليم العوا مثلا يرى أن الحرية التى يقررها الإسلام للعقل البشرى.. (يحدها قيد واحد هو التزام حدود الشريعة الإسلامية فلا يجوز أن يكون الرأى الذى يبديه المسلم - إعمالا لهذه الحرية - طعنا فى الدين أو خروجا عليه، فذلك مخالف للنظام العام فى الدولة الإسلامية يحجر لذلك على صاحبه، وقد يجوز - إذا توفرت شروط معينة - أن يعاقب عليه) (فى النظام السياسى للدولة الإسلامية ص ٢١١).

كما أن الدكتور العوا يقول إنه يوجد قيدان يجب التقيد بهما فيما يتعلق بمسألة الشورى، حيث يشير إلى أن جميع الشئون العامة للأمة المسلمة يمكن أو يجب أن تكون محلا للشورى، إلا أن الشورى لا تكون فى أى مسألة ورد فيها نص تفصيلى قطعى الدلالة فى القرآن الكريم أو السُنّة التى تعد تشريعا عاما فهذه الأمور خارجة بالضرورة عن نطاق الشورى.. أما القيد الثانى فهو أنه

حين تعرض مسألة ما على الشورى فإنه لا يجوز أن ينتهى رأى المستشارين إلى نتيجة تخالف نصا من النصوص التشريعية الواردة فى القرآن أو السنة.. إذ أن مثل هذه المخالفة تمنع الأخذ بالرأى الذى تنتهى إليه الشورى وتجعلها بالتالى لا قيمة لها (المرجع السابق ص ١٨٢).

والدكتور سليم العوا الذى نُجلّه ونحترمه كثيرا ليس بدعا فى هذا الرأى بل أن ذلك يعد هو الرأى العام السائد فى الخطاب السياسى الإسلامى، فالدكتور يوسف القرضاوى - الذى نُجلّه أيضا بكل تأكيد - يقارن بين دولة الإسلام وبين الديمقراطيات الغربية فيقول إن الأخيرة لا تحكمها أصول تقيدها ولا قيم تضبط سيرها فتستطيع أن تلغى الفضائل وأن تقرر الرذائل وأن تقنن المظالم وأن تحلل الحرام وأن تحرم الحلال.. أما نظام الشورى الذى تقوم عليه الدولة المسلمة فيمتاز بأن للشورى حدودا لا تتعداها، ويضيف موضحا أن عقائد الإسلام الإيمانية وأركانه العملية وأسسه الأخلاقية وأحكامه القطعية لا مجال فيها لشورى ولا يملك برلمان ولا حكومة إلغاء شىء منها، لأن ما أثبته الله لا ينفيه الإنسان وما نفاه الله لا يثبته الإنسان (من فقه الدولة فى الإسلام، ص ٣٦).

ونحن نرى أن هذا الرأى السائد الذى يجعل الشورى أو الديمقراطية مقيدة بحدود الشرع يحتاج إلى مراجعة ونقاش.

وننطلق فى هذا من قياس أحوال المجتمع على الفرد، كالتالى: إن الفرد فى المنظور الإسلامى يتمتع بكامل الحرية فى الاعتقاد والتصرف، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهذه الحرية الكاملة فى الاختيار هى الأساس الذى يقوم عليه حساب الله للإنسان، فإذا لم يكن الفرد حرا فى اختياره بين الخير والشر فكيف يمكن لله - وهو العدل - أن يحاسبه على عمله؟!

كذلك المجتمع كما الفرد، حر فى اختياراته تمام الحرية، وما يحدد هذا الاختيار أو ذاك إنما هى الأغلبية، فإذا ما اختارت الأغلبية اختيارا ما وجب تطبيقه وإن كان مخالفا للشرع.. أليس من حق المجتمع - كما الفرد - أن يختار بين الخير والشر؟! فقد يختار مجتمع ما اختيارا ينحاز إلى رذيلة من الرذائل، لا بأس فالمجتمع حر، ويصبح لزاما على أعضاء هذا المجتمع الالتزام بتطبيق القانون العام مع العمل على تغييره سلميا، وذلك بأن يعمل كل فصيل نحو توسيع رقعة أنصاره عبر الإقناع واتباع الأساليب السلمية العقلانية حتى يمكن أن تصبح له الأغلبية يوما فيحدد هو طريق المجتمع كما يريد.

لا مناص من أن يرتضى الإسلاميون ذلك حتى يمكن لهم المشاركة فى حكم المجتمع، وإذا لم تكن لهم الأغلبية وجب عليهم الالتزام بقانون المجتمع، فالأقليات المسلمة فى المجتمعات الغربية على سبيل المثال يجب عليها الالتزام بقوانين هذه المجتمعات مع الحفاظ على عقيدتهم، وليعتبر الإسلاميون أنفسهم - فى حالة فقدان الأغلبية - أقلية فى مجتمع اختار سبيلا آخر غير سبيلهم.

والأكثر من ذلك مما يجب أن يرتضيه ويتعهد به الإسلاميون هو أنهم إذا تمتعوا بالأغلبية ووصلوا بالفعل إلى الحكم فى المجتمع ثم عادوا وفقدوا هذه الأغلبية فإن عليهم أن يسلموا السلطة طواعية للآخرين ممن يختلفون معهم فى الرأى والتوجه، وهو ما ينفى الاتهام الموجه دائما للإسلاميين بأنهم يسعون إلى تطبيق الديمقراطية مرة واحدة يصلون فيها للحكم وبعدها يتم تعطيلها.

إن القوة السياسية التى تستطيع أن تحصل على الأغلبية فى المجتمع عبر انتخابات حرة وشفافة يكون من حقها أن توجه اختيار المجتمع كما تريد، ولو كان فى غير طريق تطبيق أحكام الإسلام.

كما أن الإسلاميين ينبغى أن يدركوا أنه لا يوجد فى الإسلام سياسة واحدة، بل سياسات، بمعنى أنه لا يوجد فى الغالب موقف سياسى يكون فيه أحد الأفعال السياسية وحده دون غيره متفقا مع أحكام الإسلام، بمعنى أن يكون هذا الفعل مقدسا وما دونه حراما، بل أن إعمال قواعد الفقة الإسلامى الرحبة واسعة النطاق تجيز وتسمح بتطبيق أكثر من فعل فى الموقف السياسى الواحد.

نقول هذا حتى لا يعتبر الإسلاميون - فى أى زمان أو مكان - أنفسهم محتكرين للحقيقة، وأن اتجاههم هو الحق دون غيرهم.

تلك تحديات عديدة تفرض ذاتها على الإسلاميين، وتجبرهم على العودة إلى التنظير والبحث فى قواعد الفقه الإسلامى وتطبيق الأحكام الإسلامية على ما يستجد من وقائع.. فالفضيلة لا يمكن أن تفرض لكنها ينبغى أن تنبع من المجتمع ذاته فيفرضها هو على نفسه وتصبح قانونا له، ثم دستورا، وهكذا.

وها هو أستاذ الأجيال نجيب محفوظ يشيد فى عام ١٩٨٥ فى «الأهرام» بالثورة فى السودان ضد الحكم الشمولى الذى كان قائما والذى اتخذ قرارا فوقيا بتطبيق الشريعة لكن محفوظ يعود ويقول فى النهاية: (نرجو لمن يتطلعون إلى حياة إسلامية متطهرة جديرة بتحدى الفساد والانحلال أن يستوصوا

بالصبر والتأنى والشورى وأن يوقنوا أن تلك الحياة المنشودة لا تخلق بقرار ولا تفرض على الآخرين بدون رضا وإقناع ولكنها تولد على مهل بعد تربية ونضال. حقا لقد وهب السودان أمته العربية ثورة ودرسا فليهنأ بثورته ولننتفع بدرسه) (حول الدين والديمقراطية، نجيب محفوظ ص ٢١١).

وليس هناك ما هو أفضل من كلام الشيخ الإمام محمد عبده فى هذا الإطار ليكون مسكا للختام.. يقول الشيخ الإمام:

ليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر و .. . لكن الإسلام دين وشرع فقد وضع حدودا ورسم حقوقا.. .. فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصون نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير فلابد أن تكون فى واحد، وهو السلطان أو الخليفة.. . فالأمة أو نائب الأمة هو الذى ينصبه والأمة هى صاحبة الحق فى السيطرة عليه، وهى التى تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه. (الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم الدكتور محمد عمارة ص ١٠٦ الجزء الأول)

وعندما اشترك الشيخ الإمام فى حزب سياسى هو الحزب الوطنى المصرى عام ١٨٨١ صاغ برنامجه بنفسه وكتب مادته الخامسة (المرجع السابق ص ١٠٩) قائلا: (الحزب الوطنى حزب سياسى لا دينى، فإنه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليه، لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات، ويعلم أن الجميع إخوان، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية، وهذا مُسلّم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء وتعتبر الناس فى المعاملة سواء.. .. ).

# الشرعية.. لمن؟

## مدير التحرير بحسم: «أنا ما بحبش عمرو موسى»

صباح الاربعاء ٢ مارس كنت جالساً فى قسم «الشئون العربية» الذى يجاور المائدة الرئيسية للدسك المركزى فى «الأهـرام». سمعت رئيس التحرير أسامة سرايا يتحدث بغضب شديد عن ملحق «شباب التحرير» وهو يمسك بيده ورقة تبيّن أنها خطاب ورد إليه من الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء الأسبق ورئيس مجلس إدارة المصرف العربى الدولى حالياً وكان الملحق قد نشر على صفحته الأولى اليوم تحقيقاً كبيراً تحت عنوان «المصرف العربى مغارة عاطف عبيد» وجاء فى التحقيق أن وثائق المصرف لا تخضع لقوانين الرقابة والتفتيش القضائى والإدارى والمحاسبى وأن حسابات المودعين لا يجوز الحجز عليها قضائيا، وأن رئيس وأعضاء مجلس إدارة المصرف والموظفين فيه يتمتعون بحصانة ضد الإجراءات القانونية ، وطالب التحقيق النائب العام المستشار عبدالمجيد محمود بفتح ملف الودائع السرية فى المصرف.

فهمت أن عاطف عبيد أرسل ردًا على ما نشر لأسامة سرايا، الذى سمعته يقول بغضب عن الملحق «دول مش فاهمين نظام عمل المصرف ولا فاهمين حاجة» ثم التفت إلى مدير التحرير حازم عبدالرحمن وقال له بحسم «النهار ده آخر يوم للملحق ده.. خلاص» هز الأستاذ حازم رأسه بالإيجاب ولم يتكلم، أما أنا فقد سقطت كلمات سرايا فوق رأسى كالصاعقة.

سارعت بالاتصال بمحمد البرغوثى فى القاعة الدائرية بالدور الرابع حيث مقر عمل المشرفين على الملحق لأخبره بما جرى، واقترحت أن يبادر البرغوثى بالتحدث مع سرايا وتهدئته «بكلمتين» إلا أن رده على جاء صاعقاً لى بصورة أكبر حيث وجدت البرغوثى يقول متوعداً «والله العظيم ده أنا أضربه.» قلت له : «يعنى إيه؟ إحنا عايزين نهدى الأمور معاه.. ده بيقول آخر يوم للملحق! » رد علىّ البرغوثى بلا اهتمام كبير قائلاً : «سيبك منه»!

في الحقيقة لم أفهم ما يجرى لكننى عدت لأفهم أكثر فى اليوم التالى وما بعده. عندما تواصل صدور الملحق بشكل طبيعى وكأن شيئا لم يكن، ودون أن يتحدث سرايا أو حازم عبدالرحمن مع البرغوثى بعدها فى أى شىء يتصل بالملحق أو موضوع عاطف عبيد!

إذن فقد كان «الأستاذ حازم» عندما هز رأسه لسرايا يعلم أن كلام الأخير مجرد ثورة غضب انفعالية لا توابع لها، لاشك أنه أصبح يفهمه بعد هذه السنوات من العمل بينهما.

بعد هذه الواقعة بيومين أى صباح الجمعة ٤ مارس كان حازم عبدالرحمن يقف وسط المحررين فى صالة التحرير يتابع عبر التليفزيونات بإعجاب مشهد الدكتور عصام شرف فى ميدان التحرير وسط المتظاهرين عقب أن تم تكليفه بتشكيل الحكومة الجديدة خلفاً لأحمد شفيق. كان مشهدًا مهيبًا شارك الأستاذ حازم المحررين فى الاستمتاع به، بل إنه قال بصوته الجهورى المعتاد وهو ينظر إلى التليفزيون «ده أول رئيس وزراء ينزل للناس فى الشارع من خمسين سنة» ولم أعرف فى الحقيقة الواقعة المشابهة التى يفترض إنها حدثت من خمسين عامًا مثلما قال الأستاذ حازم.

وبعدها دخل مكتبه ثم وجدناه يخرج بعد قليل مرة أخرى بعد أن ألقى عصام شرف كلمته فى الميدان وقال الأستاذ حازم متهللاً وكأنه يزف بشرى.. «ده بيقول لهم.. أستمد شرعيتى منكم.. خلاص هو ده المانشيت». وصدر «الأهرام» بالفعل فى اليوم التالى وعلى صدر صفحته الأولى باللون الأحمر عنوان «أستمد شرعيتى منكم» بينما جاءت بداية التقرير المنشور كالتالى.. «فى سابقة هى الأولى من نوعها فى تاريخ مصر الحديث بدأ الدكتور عصام شرف بزيارة ميدان التحرير قلب ثورة ٢٥ يناير» وخلا التقرير من مسألة الخمسين سنة!

بعد ذلك بأيام وبالتحديد يوم الخميس ١٠ مارس كانت لى شخصيا جولة خاصة مع الأستاذ حازم.. ففى اجتماع مجلس التحرير الصباحى سمعت أسامة سرايا ينتقد عدم وجود تغطية كافية فى «الأهرام» لأنشطة عمرو موسى ولقاءاته التى يعقدها حاليا كسياسى مصرى بارز يحتمل أن يرشح نفسه للرئاسة لا كأمين عام لجامعة الدول العربية.

وكان ما دفع سرايا لقول ذلك هو أن أعداد يوم الخميس من معظم الصحف

قد حفلت بتغطيات لأول لقاء شعبى يعقده موسى وكان فى ساقية الصاوى ونشر الزميلان وليد دياب ونادر غازى فى جريدة «الأخبار» ما يقرب من صفحة كاملة كتغطية اللقاء وكذلك فعلت الزميلة سنية محمود فى «الشروق» وجميع هؤلاء الزملاء هم أنفسهم من يتولون معى تغطية أخبار الجامعة العربية، لذا فقد كان من الطبيعى أن يقوموا أيضاً بتغطية أنشطة عمرو موسى الجديدة كسياسى مصرى.. وكان يفترض أن أقوم أنا أيضاً بالدور نفسه باعتبار أننى أحد من يتولون تغطية الجامعة فى «الأهرام» لكننى فى الحقيقة لم أفعل!

كنت أعلم بموعد عقد الندوة ونزلت من «الأهرام» بالفعل كى أتجه إلى مكان انعقادها لكننى نزلت بإحباط ربما لأننى لم أستطع الوصول حتى الآن إلى تصريح خاص من موسى بينما راح يدلى بحوارات مطولة لصحف أخرى كان آخرها «المصرى اليوم» التى نشرت حواره على جزءين يومى ١ و ٢ مارس، وربما لأن اصدقاء موسى فى «الأهرام» وهم الأكثر اقترابا منه لم يفكروا فى عمل حوار معه أو حتى دعمى لإجراء مثل هذا الحوار، وربما لأننى لست واثقا من إمكانية نشر تغطية أنشطته الجديدة بشكل لائق، فى ضوء عدم وضوح الرؤية فى «الأهرام» بعد، وربما لأن أحداً فى الجريدة لم يطلب أصلا متابعة تصريحات موسى الجديدة، وربما لأننى قصّرت (! ) على أى حال.. وجدت نفسى يومها بدلا من التوجه إلى ساقية الصاوى استوقف «ميكروباص حلوان» للعودة إلى منزلى فى المعادى.

ويوم الخميس - عندما تم نشر التغطية فى مختلف الصحف إلا «الأهرام» - سمعت سرايا ينتقد عدم الاهتمام بموسى ويطلب ضرورة متابعة تصريحاته، والحق إننى سعدت للغاية بهذه الكلمات رغم أنها يمكن أن تحمل لى لوماً بعد ذلك على لسان حازم مثلا، لكننى اعتبرت أن كلام سرايا هو بمثابة إشارة البدء للانطلاق نحو متابعة كل كلمة يقولها عمرو موسى هذه الأيام، لاسيما أننى تلقيت اليوم أيضاً بياناً أصدره موسى تعليقاً على أحداث الفتنة الطائفية فى أطفيح قال فيه أن ما يحدث من محاولات لإحياء الفتنة يدعو إلى الشك فى أن جهات خفية قد نشطت لإجهاض الثورة، وأن هناك من لا يزال يعشش فى أزقة الفساد والمؤامرة.

وهكذا.. وبعد كلام رئيس التحرير.. فقد ضمنت نشر تفاصيل هذا التصريح وكل ما سيلى ذلك من تصريحات لموسى فيما بعد.

بعد اجتماع مجلس التحرير.. أخذت التصريح وتوجهت إلى مكتب حازم

عبدالرحمن.. دخلت المكتب بثقة وابتسامة لأقدم الخبر، حتى يقوم مدير التحرير بتوجيهه إلى الصفحة المناسبة، وما إذا كان يريد نشر جزء منه فى الصفحة الأولى.

الرد الأول للأستاذ حازم لم يكن مبشراً.. «إيه ده يا بيه؟» قالها بصوته الجهورى المعتاد فتسلل شىء من الخوف إلى نفسى، لكننى شرحت مضمون التصريح بينما كان فى يده يقرأ العنوان وعندئذ وجدته يقول لى بشكل حاسم «أنا ما بحبش عمرو موسى.. إحنا كده حنبص نلاقى نفسنا إحنا اللى عملناه رئيس جمهورية.. وأنا ما بحبش عمرو موسى» . أسقط فى يدى وتلعثمت الكلمات على لسانى بينما كان موجودًا بالمصادفة الزميل المشرف على صفحة متابعة أحداث الفتنة فى أطفيح، فالتفت إليه الأستاذ حازم قائلا «ما تاخدشى عمرو موسى». تأهبت للانصراف لكننى وجدت الأستاذ حازم يعود فيقول لى «خذه عندك فى صفحة الشئون العربية»!

وبالطبع فإنه سيكون من قبيل «النكتة» أن نقوم بنشر تصريح لموسى عن أحداث أطفيح فى صفحة الشئون السياسية العربية، لمجرد أن موسى هو الأمين العام للجامعة العربية !

خرجت من المكتب، محتقناً، عاجزًا عن الفهم، وانتهى الأمر عند هذا الحد!

فى اليوم التالى أيضا الجمعة ١١ مارس تلقيت بياناً صحفيا من مكتب عمرو موسى يشير إلى أنه التقى بثلاثين مثقفاً وكاتباً وأدار معهم حوارا مطولاً، وكان من بين ما قاله أنه سيصوت ضد التعديلات الدستورية التى تم إجراؤها مؤكدا رفضه لها وأن الدستور الحالى تم تجاوزه وليس من الصالح الاستناد إليه أو تعديله.

وبينما كنت لاأزال أقرأ البيان ، وجدت الأستاذ حازم يأتى إلى قائلاً : «عم موسى قابل مثقفين» رددت بالإيجاب قائلاً إن البيان الذى أصدره ورد رد قائلا: «عايزين نعرف مين هم المثقفين دول» قلت: «حاضر حاسأل وأقو لحضرتك» وبعد ثوان قليلة وجدته يعود ليقول « لأ خلاص مش مهم»!

لم أفهم بالطبع كالعادة ، لكننى فى الحقيقة لم أكن بحاجة إلى الفهم، فقد أ ب البيان وتوجهت ركضاً إلى القاعة الدائرية ، تلك القاعة التى أصبحت أحبها، ح توجد إدارة ملحق «شباب التحرير»، وحيث تتوفر إمكانية النشر وشرعيته.

وتم نشر مضمون البيان المهم فى الملحق فى اليوم التالى بالفعل، على مساحة محترمة، مع صور عمرو موسى وإبراهيم أصلان وإبراهيم عبدالمجيد وصلاح عيسى.

بقى فى النهاية أن أقول.. إن أختنا دينا اسماعيل رئيسة المكتب الصحفى لموسى، التى جفّ حلقى فى مطالبتها بعمل حوار معه. ولم تكن ترد على اتصالاتى، اتصلت بى يوم الجمعة ٣ مرات ولم أردّ أنا هذه المرة. وفى النهاية أرسلت لى رسالة على الهاتف المحمول، هذا نصها.. «أستاذ محمد ازيك؟ أنا بعتلك خبر مهم جداً على الإيميل والفاكس.. أرجو أن ينزل فى عدد غداً. وشكرا. دينا إسماعيل».

لماذا تذكرتنى دينا الآن؟ أستطيع أن أخمّن الإجابة بنسبة ٩٠٪.. إنه عمرو موسى نفسه.. لاشك إنه سألها عن سبب عدم نشر تغطية ندوة ساقية الصاوى فى «الأهرام» رغم إفراد الصفحات لها فى الصحف الأخرى.. لذلك اتصلت بى دينا بلا شك.

# الثوار يهزون العروش العربية

## رسالة إلى عمرو موسى: «بين هذا وذاك تجدنا مترددين»

فى اليوم التالى لسقوط حكومة أحمد شفيق.. وقعت فتنة حرائق مقار أفرع جهاز أمن الدولة.. كان هذا التتالى المباشر غريباً ومريباً. أمى لم تكن من مؤيدى رحيل شفيق لكن بعد ما وقعت هذه الأحداث قالت إنه لاشك أن وجوده كان يحمى أشخاصا أو أشياء، حاول البعض التعتيم عليهم وعليها بهذه الحرائق.

ومن الأمور العجيبة أيضا ما علمته من ضابط شرطة حول مسألة اقتحام مقر أمن الدولة «العتيد» فى مدينة نصر وهو أن أبواب هذا المقر مدرعة ولا يمكن بأى حال من الأحوال فتحها من الخارج، وهو ما يعنى أنها تم فتحها من الداخل.. فكيف تم هذا؟ ولماذا؟ ولمصلحة مَن؟

أحد التحليلات ذهبت إلى أنه ربما يكون الجيش هو من سمح بذلك، للعمل على القضاء نهائياً على أسطورة وزارة الداخلية وكسر إطار الرعب الكبير الذى كانت تبثه وسط المواطنين عبر ذراعها «أمن الدولة» ليبقى هو فى النهاية القوة الوحيدة الموجودة على الأرض فى مصر، ولقطع أى ذيول متبقية لوزارة الداخلية ربما تحاول مقاومة الثورة.

على أى حال.. سيظل هناك العديد من الأسئلة المعلقة على ذمة التاريخ حول هذه الثورة وتداعياتها ولكن بدا خلال هذه الإيام أن عورات نظام فاسد قد ظهرت واضحة للعيان، بعد أن سقطت سواتر وأقنعة وتكشفت حقائق ومعلومات، وأصبحت تقارير أمن الدولة الرهيبة فى يد الصغير قبل الكبير فى الشارع، وما كان يقال فى السر حول وزراء ومسئولين وجد طريقه إلى صفحات الصحف، وأعلن الكاتب الصحفى بلال فضل فى برنامج «العاشرة مساء» على قناة «دريم» عن حصوله على تقارير لأمن الدولة تشير إلى أسماء قضاة أبدوا استعدادهم «للتعاون مع النظام» بشأن الانتخابات وغيرها وغيرهم الكثير والكثير.

وفى هذه الأثناء كتب صديقى الشاب الثائر أحمد هوارى يوم ٦ مارس على

صفحته على موقع «فيس بوك» كلمات مؤثرة خطها قلمه بإبداع وتألق حول فتنة أمن الدولة، حيث كتب يقول:

«هولوكوست النخبة المفضوحة

يا رموز الوزة المدبوحة

وحادى يا بادى يا سر فسادى

أمن الدولة من الناحيا دى

يحرق نفسه وكل مباحثه

.. . وكل معفن غيّر لبسه

وشاف الدنيا جديد فى جديد

وقال أنا ثاير بعد العيد»

هوارى نجح خلال هذه الفترة بكلامه معى فى إقناعى بأن وجود اسم أسامة سرايا على صدر الصفحة الأولى لـ «الأهرام» يؤدى إلى ضياع كل مجهوداتنا التى نبذلها كى نصبح أخيراً مع جموع القراء وفى خدمتهم، لأنهم ببساطة لا يصدقوننا، ويعتبرون أننا مجرد متحولين طالما أنه لايزال موجوداً، لذا فلابد من رحيله.

والواقع أن كلام هوارى كان يتفق مع ما شعرت به شخصياً عندما اطّلعت على جريدة «أخبار اليوم» فى ظل استمرار ممتاز القط رئيسا لتحريرها.. لذا فلابد أن يرحل كل هؤلاء، حتى نبدأ - مجرد بدء - تغيير صورتنا لدى القارئ ولكن.. كيف؟ يا للعجز والإحباط!

إن الشىء الذى لا يمكن إنكاره هو أن استمرار وجود سرايا رئيسا لتحرير «الأهرام» لم يعد يمنعنا من كتابة كل ما نريد، بل إن بعضاً مما يكتب الآن لم يكن ممكناً أن يرى النور من قبل، ليس فقط بالنسبة لنظام مبارك الذى زال وسقط، بل بالنسبة لأنظمة أخرى لا تزال قائمة، لم يكن ممكنا أن نتعرض لها أونتعامل معها فى السابق بهذا الشكل الجديد .

صباح يوم الجمعة ١١ مارس نشرت لى «الأهرام» صفحة كاملة فى ملحق

الجمعة الاسبوعى عن الثورات العربية، وبمجرد دخولى مقر الجريدة وجدت هوارى يقول لى ضاحكاً ومشيداً فى الوقت نفسه : «الصفحة دى كان لازم تتمنع كلها». وكانت هذه العبارة بالفعل ذات معنى ودلالة، فقد أطلقت لنفسى عنان حرية الكتابة عن الثورات العربية وتوصيفها، بعيدًا عن المحظورات المعتادة التى حفظناها عن ظهر قلب فيما يتعلق بالأنظمة السياسية القريبة من نظام مبارك، ولكن إذا كان هذا الأخير ذاته قد زال وسقط بالفعل، فلماذا الحذر إذن؟

بل إننى غامرت وكتبت مهاجماً النظام السعودى نفسه، وكان ذلك من أكبر المحاذير، لسبب إضافى، إذ كنا قد حفظنا عبارة مفادها أن «السعوديين حساسون» وبالتالى فإن أى كلمة تكتب على غير هواهم قد تتسبب فى منع دخول الجريدة للأراضى السعودية من الأصل، وتلك خسارة مادية ومعنوية كبيرة للمؤسسة، ولك أن تتخيل عندئذ موقف المحرر «الغلبان» الذى يكون موضوعه قد أدى إلى حدوث ذلك!

لكننى فى الحقيقة تجرأت وكتبت معلقاً على الاجتماع الأخير لوزراء الخارجية العرب، الذى جاء أقرب إلى الاحتفالية، التى تبارى فيها الوزراء فى الإشادة بانطلاق شرارة الثورات العربية، وكان من بين ما كتبت تحت عنوان «الثوار يهزون العروش العربية»:

« .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. ..

ويظل السؤال مطروحا :هل كان الجميع سعداء حقا بانطلاق شرارة الثورة؟ وهل كانت الحرية بالنسبة لهم «نسائم» حانية تداعب الوجوه أم «ريحا» عاتية تهز عروشهم وتهددهم بالاقتلاع؟!

أيا كانت حقيقة المشاعر فالأمر المؤكد هو أن عدوى الثورة قد أصابت الجميع، وأن مياها كثيرة قد جرت فى القنوات الراكدة على مدى سنوات وسنوات!

المظاهرات أو الاضطرابات سمّها كما شئت وفقا لرؤيتك، أصبحت تمتد من المحيط إلى الخليج، فى المغرب واليمن وعمان والجزائر والأردن والبحرين بل وفى السعودية ولا تختلف كثيرا وسائل المواجهة الرسمية بدءا من القمع ووصولا إلى تقديم التنازلات الواحد تلو الآخر، لكن أغرب وسائل المواجهة

(الرسمية) هى تلك الفتوى التى أصدرتها هيئة كبار العلماء بالسعودية يوم الأحد الماضى بتحريم المظاهرات!

الفتوى التى أصدرتها الهيئة برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ نصت على أن الاصلاح والنصيحة لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التى تثير الفتن وتفرق الجماعة مؤكدة أن هذا هو ما قرره علماء هذه البلاد قديما وحديثا من تحريمها والتحذير منها، كما حذرت الهيئة مما سمته الارتباطات الفكرية والحزبية المنحرفة، إذ أن الأمة فى هذه البلاد جماعة واحدة!

انتهى بيان الهيئة السعودية لكن المظاهرات فى مختلف أرجاء الوطن العربى لن تنتهى وستستمر المطالبة بالحقوق الشرعية التى نص عليها الإسلام، وفى مقدمتها الحرية.. قاتل الله الطغاة! »

كان ذلك هو ماكتبته عن الحكم السعودى، كما كان لى أيضا مع السوريين نصيب، أو بالأحرى مع أكبر رأس فيهم.. بشار الأسد نفسه.. الذى قلت عنه أنه تولى الحكم لمجرد أنه «ابن أبيه».. وكانت المظاهرات قد بدأت تخرج فى بعض المدن السورية على استحياء بينما اندلعت شرارة ثورة الغضب الشاملة بعد ذلك بأيام فى ١٥ مارس وكان من بين ما كتبته هنا:

«على أى حال يمكن للسوريين بشكل أو بآخر أن يفخروا بقيادتهم لمحور المقاومين للسياسات الغربية فى المنطقة لا بأس.. ولكن عندما يحين دور الحديث عن الثورات والتحرر الوطنى، فلاشك أنه يكون لزاما عليهم أن يتواروا قليلا.. حتى إشعار آخر!

فى الاجتماع الأخير لمجلس جامعة الدول العربية ألقى مندوب سوريا فى الجامعة السفير يوسف أحمد كلمة مرتجلة قال فيها إنه ينبغى استيعاب الدرس البليغ الذى يمكن الخروج به بعد قيام الثورات العربية الحالية، وهو أنه قد ثبت ببساطة إن (المتغطى) بأمريكا والغرب عريان..

والحق أن المندوب السورى قد نجح بالفعل فى استخلاص درس مهم ينبغى على كل حاكم أن يعيه، إلا أنه فشل فى الوقت نفسه فى استيعاب دروس أخرى على درجة كبيرة من الأهمية أيضا.

إذ لاخلاف على أن الدعم الخارجى لأى حاكم لا يمكن أن يكون سندا له إلى الأبد، ولا يستطيع أن يحميه أو يبقى عليه فى موقعه على الدوام،

لا خلاف على ذلك ولكن فى المقابل لابد من الإشارة أيضا إلى أن الدولة البوليسية والأنظمة القمعية التسلطية لا يمكن لها أن تظل على الدوام حصنا يضمن البقاء لقادتها. فلا (المتغطى) بأمريكا باق، ولا المحتمى بالحديد والنار أيضا.

وغنىٌّ عن البيان أن الحاكم ليس من حقه أصلا اعتلاء عرشه لمجرد أنه (ابن أبيه).. الذى كان حاكما.. ولا ينسى التاريخ - ولن ينسى - تلك الصورة الهزلية التى بدا عليها مجلس الشعب السورى عندما اجتمع بعد وفاة الرئيس السابق حافظ الأسد ليقر فى دقائق معدودة تعديل الدستور السورى ليكون سن الرئيس المنصوص عليه فيه على مقاس السيد بشار.. ابن أبيه!

إن الدرس الأهم الذى ينبغى استخلاصه هو إنه مهما طال عهد الظلم والطغيان فإن يوما ما لابد أن يأتى ليهب فيه الراقدون على غير انتظار ويقفوا عراة الصدور أمام طلقات الرصاص وجحافل المدرعات غير مبالين بالموت فى سبيل الحرية.

ربما لم تصل هذه الرسالة بوضوح إلى السفير السورى يوسف احمد أو لعله تجاهلها ومرّ عليها مرور الكرام.. لا بأس، لكن لاشك لدينا أن الشعب السورى العظيم أبناء الشام بناة الحضارة قد تلقوا الرسالة وفهموها جيدا ويبقى فقط أن يضعوها موضع التنفيذ.. ربما غدا.. أو بعد غد»

كان ذلك هو ما كتبته عن حكم الأسد يومها.. واندلعت الثورة الشاملة بالفعل بعد ذلك بأربعة أيام.. يوم ١٥ مارس!

أقول كل ما سبق.. على سبيل استعراض العضلات.. نعم.. ولكن ليس عضلاتى أنا بل «الأهرام»، فقد أصبح ممكنا أن نكتب ما نريد فى هذه الجريدة العريقة، وأن نفخر به وأن نهاجم أنظمة ونهز عروشا وتلك هى الصحافة التى ينبغى أن تمارس.. كرسالة.. وبأمانة.. وحرفية.. وإذا كنا نستطيع فعل ذلك الآن فى ظل وجود أسامة سرايا رئيسا للتحرير فلا شك أن وصول صحفى ثورى جديد إلى هذا المنصب سوف يكون فارقا فى تاريخ هذه الصحيفة الكبيرة.. بيتنا.. «الأهرام».

بقى أن أقول.. إننى عدت بعد ذلك بأيام لأهاجم عمرو موسى نفسه..

الذى أحبه.. فنشرت كلمات كنت قد توقفت أمامها طويلاً، ولم يكن ممكناً إغفالها، فى ظل كون الصحافة رسالة، حتى وإن أفسدت هذه الكلمات علاقتى بموسى، لكن الحق أننى أحببت هذه الكلمات، وما فيها من موضوعية حباً أكبر من حبى لعمرو موسى.

وجاء العنوان والنص كالتالى:

## رسالة إلى عمرو موسى:

## بين هذا وذاك تجدنا مترددين!

بعض الكلمات تجدها تنطق بالصدق دون الحاجة إلى دليل!

وبينما يصر البعض على التأييد الكامل أو الرفض التام لشخص ما تأتى بعض الآراء لتعبر عن موضوعية حقيقية بعيدا عن التحزب والميول الفردية، فعلى الموقع الالكترونى لجريدة «الأهرام» كتب أحد القراء الذى سمى نفسه باسم (عصىّ الدمع) تعليقا على التقرير الذى نشره ملحق (شباب التحرير) يوم أمس حول لقاء الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى بعدد من المثقفين. وجاء التعليق ليلخص بكلمات قصيرة رؤية قطاع من الشباب لمسألة ترشح عمرو موسى للرئاسة، وليعبر عن بعض الهواجس والتساؤلات التى لايزال موسى فى حاجة للتعامل معها والرد عليها خلال الفترة المقبلة، ونحن هنا ننشر نص التعليق دون تدخل من جانبنا.

كتب (عصى الدمع) يقول: **ما بين مواقفك الوطنية إبان شغلك مقعد وزارة الخارجية وتحيات شعبولا لك نيابة عن الشعب المصرى، وما بين آرائك شديدة المطاطية فى الحراك والعراك السياسى خلال العامين الأخيرين من فترة حكم مبارك تجدنا نقف فى منتصف المسافة، فأنت لم تبدِ رأيا قاطعا أو نقدا لاذعا لنظام حكم مبارك الظالم، كنت تكتفى بتصريحات مقتضبة هى أقرب للهروب من عينة «أنك أمين عام للدول العربية» ثم تعود لتقول «لو ترشح مبارك فلن أترشح»، كل ذلك خلق مشاعر سلبية فى داخلى وداخل غيرى.. لم نقصيك تماما من المعادلة بعد ولكننا نبحث عن الأفضل فى الآخرين أيضا». انتهى نص الرسالة ويبقى أن نقول أن القارئ اختار عنوانا لها هو.. (بين هذا وذاك تجدنا مترددين).**

# طائر فى السحاب

## الإذاعى الكبير أحمد سعيد:

## «هل كنت تتصور أن الجيش يقدر يضرب؟»

عندما تستقل الطائرة فإنك لا يمكن أن تشعر بمقدار السرعة الهائلة التى تسير بها. وإذا نظرت من النافذة الصغيرة المجاورة لك، فإنك سترى صورة السماء ثابتة لا حركة فيها ولا دليل على أن الطائرة تتحرك أصلاً إلا فى حالة واحدة.. وهى أن تمر الطائرة، فى أثناء صعودها أو هبوطها، داخل سحابة، عندئذ يمكنك أن تشعر على نحو ما بجزء من سرعتها، لأن حركتها عندئذ تكون داخل شىء ثابت.

فى المرات العديدة التى سافرت فيها إلى السعودية ومنها لم يحدث هذا سوى مرتين أو ثلاث على الاكثر، تمكنت خلالها من إدراك السرعة الهائلة التى تنتقل بها الطائرة من مكان إلى مكان.. ومن حال إلى حال.

وفى هذه الأيام، فإننى أشعر كما لو كنت أطير بسرعة داخل السحاب، فأرى بأم عينى حجم التغيرات التى تعترينى، والتطورات التى تطرأ على شخصيتى، حتى أننى أكاد أحدد أياماً وليالى بعينها مثلت بالنسبة لى نقاطاً فاصلة تغيرت أفكارى وآرائى بعدها.

مساء الأربعاء ١٦ مارس استيقظت من نومى.. فوجدتنى مختلفاً.. لم تنجح القهوة المعتادة فى فك إسارى.. ولم تتبدد تلك الغيوم الضبابية التى تحاصر النفس والعين من جراء الاستغراق فى نوم طويل.

كنت قد ذهبت إلى الجريدة فى الصباح.. وسار اليوم اعتيادياً.. عدت عصراً.. تناولت الغذاء.. ودخلت إلى السرير.. ثم استيقظت.. لكننى كنت مختلفاً.. ما الذى اعتمل بداخلى أو تحرك؟ لا أدرى.. لكننى تذكرت ما علمته اليوم من أن شباب حركة ٦ أبريل قد جاءوا للتظاهر أمام باب «الأهرام»

طالبين تغيير رئيس التحرير.. وبعدها وجدتنى أجلس خلف شاشة الكمبيوتر.. لأكتب على صفحتى على موقع «فيسبوك» السطور التالية:

## أفيدونا يرحمكم الله

«شعرت بالخزى عندما علمت أن شباب ٦ أبريل جاءوا يطلبون لنا التغيير فى «الأهـرام» ونحن لا نفعل شيئا، وفى الوقت نفسه أنا أرفض ممارسات بعض الزملاء فى اتباع سياسة الاحتكاك المباشر برئيسى التحرير ومجلس الإدارة، ولكن لابد من عمل شىء بديل وعدم الانتظار حتى يتم الاختيار من بين الأسماء الورقية المطروحة حاليا.. أصارحكم : مشكلتى الشخصية أننى لم أتعود على العمل (الحركى) بل ظللت دوما أتعامل مع الأفكار النظرية لتحديد ما ينبغى عمله أولا ثم الدعوة إليه ويأتى التنفيذ بعد ذلك.. وفى ظل الاستبداد الماضى قبل الثورة لم يكن يأتى هذا التنفيذ أبدا.. هل كنت نظريا أكثر مما ينبغى؟ هل كنت مهادنا؟ ربما وربما.. والآن أقول لزملائى من (الحركيين) الذين اعتادوا ممارسة الثورة على الأرض، ولهم منى الاحترام والتقدير، أقول لهم دعونا نبحث عن شىء يمكن فعله وليكن وقفة احتجاجية صامتة أمام باب «الأهـرام» نحمل فيها لافتات مهذبة تطلب أن يرحل الرجلان فورا وأن يتم تعيين شخصية مهنية توافقية محترمة تكون جديرة بقيادة «الأهرام».. كيف يتم تنظيم ذلك ومتى؟ وأسئلة أخرى كثيرة أرجو أن تساعدونا فى الإجابة عنها وسأكون أول (الحركيين) هذه المرة».

كتبت هذه الكلمات ثم أغلقت جهاز الكمبيوتر.

ربما أكون قد أحسست بشىء من الراحة بعد الكتابة، لكن المؤكد هو أن مشاعر شتى قد انتابتنى بعد ذلك عندما عدت إلى «فيس بوك» بعد ساعات لأجد رد الفعل على ما كتبت.

وجدت أن صديقى هوارى قام بنسخ ما كتبت ووضعه على صفحات أخرى أنشأها زملاؤنا فى «الأهـرام»، مثل «اتحاد شباب صحفيى «الأهـرام»» التى بادر زميلنا الشاب على محمد على بإنشائها منذ فترة قصيرة ، وصفحة «جبهة إنقاذ «الأهـرام»» التى أنشأتها الزميلة صباح حمامو.

وهنا وهناك كانت تتم مناقشة مشاكل الجريدة ومشاغلها.. وهنا وهناك قرأت ردوداً كثيرة للشباب على ما كتبت، وكأنهم تلقفوا شيئا ذا قيمة، فراحوا يتحلقون حوله محتفين به، رغم أن ما كتبت لم يكن سوى «زفرة نفسية

شخصية»، ولم أكن فى الواقع أمد يدى بشىء لأحد، بل لعلى كنت أبسط يداً ضعيفة طالبة العون من زملائى «الحركيين».. من الشباب الذين اعتادوا ممارسة الثورة على الأرض، متمنياً أن يجذبونى إليهم، بل يعلمونى كيف تكون الحركة أصلا.

لكن ما حدث فاجأنى.. وهزّنى.. وأسعدنى.. ورحت أتأمل ملامح ذلك الواقع الجديد.. داخل «الأهرام» وخارجها أيضا.. إنهم شباب مسكونون بالحلم.. مفعمون بالأمل.. قادرون على التحرك فى كل وقت لكنهم مع ذلك طالبون للخبرة.. غير متعالين على التعلم أو الانقياد.. طالما وثقوا وأحسنوا الظن بمن يمكن أن يعلم أو يقود.

ولكن من ذا الذى يمكن أن يقودهم أو يعلمهم؟ أنا ؟!

ومن أنا فى هذا المضمار؟!

وما الذى أملكه كى أمنحهم أياه.. وأنا من لم يخرج فى مظاهرة سياسية يوما؟!

لكن..

هل يُشترط؟!

أفلا يمكن الاستفادة من هذه الطاقات الجبارة بشىء من التنظيم وترتيب الأولويات والأفكار؟ ألا يمكن؟

يا الله !

ها هو طائر الوطن يحلق بنا فى السحاب، فنستطيع - ونحن جميعاً على جناحيه - أن ندرك سرعة تطورنا، وأن نرى بأعيننا حجم ما يعترينا جميعاً من تغيرات.

على أى حال.. مثلما كان هناك مستغرقون فى «النظر» مثلى، فإن هناك أيضاً غارقين فى العمل واصلين «بالحركية» التى منتهاها.. مثل نهى.. ألا زلت تذكرها؟!

إنها نهى سلامة.. فتاة العطر رفيقة الاعتقال فى جمعة ٤ فبراير.. التى أصبحت صديقة على «فيس بوك».. فقد كتبت هى الأخرى تعليقا على ما كتبته على صفحتى قالت فيه:

«عزيزى محمد شعير.. بعد التحية، هؤلاء الأشخاص - تقصد المسئولين

فى «الأهرام» - لا يعرفون معنى الكرامة والاحترام حتى تتحدث معهم بأسلوب مهذب. إذا كانوا يفهمون معنى الأدب كانوا رحلوا منذ رحيل مبارك لأنهم أعوانه ومن ساعدوه، وتم تضليل الشعب من خلالهم. نصيحتى لكم أن تتوجهوا إلى عمال مطابع «الأهرام» وتدعوهم لاعتصام مفتوح. وأوقفوا العمل نهائيا على أن يكون ذلك من بداية الأسبوع حتى تريكوهم قبل صدور نسخة الجمعة الأكثر مبيعا. التجارب تقول أن الضرب اقتصاديا يكون أفضل الضربات المؤلمة. حاولوا أن تلحقوا بقطار الحرية قبل أن يدور دورته ويدهس من لم يلحقوا به».

يوم الاثنين ٢١ مارس.. كان أيضاً أحد الأيام التى استطعت خلالها أن ألمح - عبر نافذة طائرتى- درجة سرعةِ تغير أفكارى.. لكن ذلك كان فى المساء.. أما صباحا فكنت لا أزال قادراً على التحليق بهدوء واتزان وسعادة أيضاً.. ففى هذا اليوم.. نشر لى فى ملحق «شباب التحرير» على صفحة كاملة تغطية لندوة أقامها المفكر الدكتور جلال أمين فى مكتبة «الكتب خان» بالمعادى وأدارتها الصديقة كرم يوسف مديرة المكتبة، وأعتقد أننى نجحت من خلال هذه التغطية فى تحقيق أحد الأهداف التى تخدم مشروعى حول الدين والسياسة فى قالبه «الصحفى» الجديد لا «البحثى»، ويتمثل هذا الهدف فى عرض أفكار «العقلاء الهادئين» من مختلف التياراتِ الفكرية حول العلاقةِ بين الدين والسياسة. وقد قال الدكتور جلال أمين كلاماً مهماً للغاية وبسيطاً فى الوقت نفسه فى هذا المضمار خلالِ الندوة، مما دفع محمد البرغوثى إلى اختيار العنوان الرئيسى للموضوع نقلاً عن لسان الدكتور أمين كالتالى :

«الأقباط شاركوا فى وضع المادة الثانية من الدستور عام ١٩٢٣»

وجاء ما قاله فى هذا الإطار رداً على سؤال تلقاه فى الندوة حول رأيه فى المادة الثانيةِ من الدستور الخاصة بالشريعة الإسلامية حيث قال : «أنا رأيى واضح جداً وهو أن هذه المادة لابد أن تظل موجودة «لازم تفضل.. لازم تفضل» لأن الغاءها «أو اللعب» فيها خطأ كبير جدا، فالأقباط على العين والرأس، لكننا دولة الغالبية العظمى فيها مسلمون، وتأثير الثقافة الاسلامية فى ثقافتنا هو الأهم، مع وجود الثقافة القبطية بالطبع، ولا أستطيع أن أرفض أن تكون الشريعة الإسلامية مصدرا أساسيا للتشريع فى دولة أغلبيتها من المسلمين وثقافتها إسلامية».

ثم يوجه الدكتور جلال كلامه للسائل قائلا :

عندى أكثر من تفرع من الموضوع ربما تقنعك وهى أولاً أن هذه المادة كانت موجودة فى دستور سنة ١٩٢٣ وأن الأقباط كانوا أعضاء فى اللجنة التى وضعتها وعندما كانت العلاقة بين المسلمين والأقباط جيدة لم يكن أحد يثير هذه النقطة ولم تتم إثارتها إلا عندما بدأ التوتر يصيب العلاقة بين الجانبين.

وثانيا أن مكرم عبيد «الله يرحمه» كانت له كلمة بديعة وهى «أنا قبطى دينا ومسلم وطنا» فماذا تعنى «مسلم وطنا»؟ أى أنه ينتمى إلى دولة ثقافتها الأساسية مستمدة من الإسلام.

وثالثا أن هناك قصة رواها لى شخصيا أحمد بهاء الدين الذى نحبه جميعا ونحترمه وهى أنه كان فى زيارة لقريب له فى أحد المستشفيات وعلم بوجود المرشد العام للإخوان المسلمين أو نائبه فى نفس المستشفى، فذهب إليه، والتقى به ودار بينهما حوار حول تطبيق الشريعة الاسلامية حيث قال بهاء الدين إنه ليس لديه أى مانع من تطبيق الشريعة الاسلامية «لكن قل لى من الذى سيطبقها؟»

ويضيف جلال أمين أن أحمد بهاء الدين الذى قال ذلك هو شخص عقله مضىء جدا وهو علمانى وكان متزوجا من مسيحية ورغم كل هذا فقد قال هذه المقولة: «قل لى من سيطبقها».. «هو ده الكلام» فالشريعة الإسلامية شريعة مضيئة جدا والقانونيون الفرنسيون يعتبرونها من أعظم النظم القانونية فى العالم، ولكن من الممكن أن تعطى هذه الشريعة إلى شخص «ظلامى فيقلبها ظلمة»، وبالطبع لابد أن يكون لدينا دولة مدنية، لا خلاف على ذلك، فالدولة الدينية مرفوضة تماما ، ففى هذه الأخيرة يكون الحكم بإسم الدين أى إنك عندما تحكم تقول أنا وضعت هذا القانون لأن «ربنا بيقول كده»، هذا مرفوض، ولابد أن نقول إننى وضعت قانونا ما لأن العمل والمصلحة الاجتماعية تقتضى هذا.

ولذلك – يواصل الدكتور جلال – فالمهم هو إنك «ستعطى الشريعة لمن كى يفسرها؟» وكل شىء [1] فى القوانين يمكن أن يقول قائل أن الشريعة تمنعه بينما يقول آخر أن الشريعة تسمح به. ففوائد البنوك مثلا نجد أن الشيخ محمود شلتوت وغيره قالوا إنها «مفيهاش حاجة» وآخرون يرفضونها وهكذا.

وفى موضع آخر.. يضيف الدكتور جلال أمين قائلا أنه يعرف أشخاصا

---

(١) لابد أن أعترض هنا بالطبع على التعميم الوارد فى كلمة كل.

وثيقى الصلة بالإخوان «متنورين جدا» وليس معنى أن شخصا ما من الاخوان أنه «ظلامى»، فمثلا هناك الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح آراؤه نيرة جدا وهو يؤيد الدولة المدنية بالفعل لا الدولة الدينية، وهذا هو ما نريده وهو ألا يكون الحكم باسم نص دينى أو قرآنى ولكن باسم المنطق والمصلحة العامة وهذا لا ينفى أن الشريعة ستظل تهدينا فى بعض المبادئ العامة التى تكلمت هى عنها.

سعدت للغاية بنقل حديث الدكتور جلال أمين، لكن ذلك كان هو حديث الصباح يوم ٢١مارس، كما قلت لك، أما فى المساء، فقد كان لى شأن آخر.

فى السابعة مساء اصطحبت زميلتى المصورة «الثورية» أميرة عبدالمنعم، فراشة ميدان التحرير، التى كانت تتركنا - دعاء خليفة وأنا - لتقفز من موقع لآخر يوم ٢ فبراير فى الميدان. وذهبنا معاً إلى حى الزمالك الراقى للقاء الإذاعى المخضرم أحمد سعيد، وحتى أصدقك القول. فإننى ذهبت بلا حماس كبير، وبدافع الاستجابة لطلب محمد البرغوثى الذى كان «سعيد» قد اتصل به، وسبب شعورى هذا هو إننى كنت حتى تلك اللحظة أعتبر أحمد سعيد أحد رموز التضليل الإعلامى لقيامه بإذاعة البيانات الكاذبة للقوات المسلحة عام ١٩٦٧ حول إسقاط طائرات العدو الإسرائيلى، لكن ما حدث لى على يديه هذه الليلة كان شيئاً كبيراً!

فى الموعد المحدد، كنا - أميرة وأنا -على باب شقة الرجل الذى استقبلنا بترحاب ثم سرعان ما دارت عجلة الحوار بيننا.

وخلال الحوار اكتشفت أن هذا الرجل الثمانينى مفعم بالثورية، ربما أكثر من أولئك الشباب الذين وقفوا فى ميدان التحرير أنفسهم، ويضاف إلى هذه الثورية الشابة خبرة السنين وعمق التجربة وسعة الاطلاع، لكنه فى الحقيقة فاجأنى.. وصدمنى.. وأحبطنى.. وقاد طائرتى التى كانت تحلق بهدوء وثقة وسط سماء الأمل، إلى سحب، بل غيوم سوداء، فأدركت بعينى حجم ما اعترانى من تغير، وانتقال من حال مطمئنة.. إلى وضع قلق مضطرب.. غير مطمئن على الثورة.

فعل الرجل معى كل ذلك، بمنطق هادئ، وتحليل متماسك، لكن كلماته جاءت بمثابة.. عصف فكرى شديد برأسى!

وكان مما جرى بيننا ما يلى:

قال «الأستاذ» أحمد سعيد أن المجلس العسكرى لايزال حتى الآن رافضاً لممارسة شرعية الثورة وهو يتحرك فى هذا الإطار «من تحت ضرسه»، وأضاف: «دى مش ثورة.. الثورة حتى الآن فى الميادين فقط لكن مفيش ثورة عند الجيش.. الجيش حتى الآن مش ثورى.. عشان كده بقولهم ثوروا». صرخ وهو يقولها «ثوروا» ثم أضاف: «اللى بيحصل الآن هو أن أجندة حسنى مبارك فى خطابه الأخير بيتم تنفيذها، هو اتكلم عن تعديل الدستور.. وهو ده اللى بيحصل دلوقتى»

وكانت صحف الصباح قد أعلنت أن ٧٧،٢٪ من أصوات المصريين اختارت الموافقة على تعديل الدستور، و ٢٢،٨٪ فقط رفضوا التعديلات واختاروا إسقاط الدستور كلية، وذلك فى الاستفتاء الذى تم على التعديلات الدستورية.

وتساءل «الأستاذ» قائلاً: «لماذا لا يعترف المجلس العسكرى بشرعية الثورة كاملة حتى الآن ويمارس الحكم من هذا المنطلق؟ محتفظ بالدستور القديم ليه؟ ولما انت عايز تعدل الدستور ليه قصرت التعديلات على مواد إجرائية مش صلب الدستور؟ وليه صلاحيات رئيس الجمهورية زى ما هى بما فيها حل مجلس الشعب؟»

قلت له: لماذا لا يمارس المجلس العسكرى الثورة حتى الآن من وجهة نظرك؟

قال إن هناك ثلاثة احتمالات لذلك، أولها هو أن أعضاء هذا المجلس هم رجال النظام، «زيهم زى شفيق ومفيد شهاب وفتحى سرور وغيرهم»، لأنه لا يتم تعيين قائد عسكرى لأى سلاح إلا بموافقة ثلاثة أجهزة هى المخابرات العسكرية ومباحث أمن الدولة والمخابرات العامة ، لتقييم ولائه وانضباطه، وفحص علاقاته وغيرها، «دى مناصب حساسة، ولازم يكونوا من المرضى عنهم من مجاميعه.. من جانب زكريا عزمى والشلة كلها، يعنى باختصار أعضاء المجلس دول منهم فيهم».

أما الاحتمال الثانى من وجهة نظر أحمد سعيد فهو إنه ربما يكون أعضاء المجلس «ملطوطين فى وقائع فساد أو صفقات سلاح وبالتالى فهم خايفين إن الثورة تتسع وتشملهم».

والاحتمال الثالث هو أن تكون هناك ضغوط أمريكية على المجلس العسكرى لضمان إقامة نظام ديمقراطى لكن فى حدود تأمين المصالح الأمريكية. لأن «أمريكا يهمها مصالحها، وهم تركوا مبارك يحاول تمرير إبنه، لكن وجدوا إنه

مش قادر ولما قامت الثورة ضحوا به، لأن المهم عندهم مصالحهم».

قلت: ومن يؤمن هذه المصالح؟

قال: «الجيش جزء من اللعبة إذا لم يثبت حسن نواياه، وما أعرفش تحليل غير كده، مفيش أنصاف حلول»

وسألت: يعنى بيخططوا لإيه؟

قال: بقاء النظام القديم لكن بأسماء جديدة، وأن تكون هناك ديمقراطية.. نعم.. لكن مع الحفاظ على المصالح الأمريكية أيضاً

قلت: هل الجيش يخطط لإعادة النظام مرة أخرى؟

قال : «أقدر أشك لكن لا أتيقن».. هناك مخطط للحفاظ على السياسة المصرية موالية لأمريكا ومريحة لإسرائيل.. «خذها كده، مش مطلوب ناصر آخر، مصر لها ثقلها وتأثيرها، ولو اتلفتت العالم العربى كله يتحرك، مصر بالنسبة لأمريكا الدرة فى كل البلاد العربية».

قلت بإحباط: «لكن الجيش حمى الثورة »..

ردّ قائلاً: «حماها فى إيه ؟الثورة كانت واقفة على رجليها لحد ما بدأ اللعب بها بعد انقلاب الجيش»

قلت: لم يقم بإبادة ميدان التحرير مثلاً!

فردّ قائلا : «هل كنت تتصور أن الجيش يقدر يضرب؟ طب ياريته كان ضرب.. كانت بقت ثورة بجد»!

وتساءلت : «مايقدرش ليه؟»

قال: «لأن تقارير مخابراته قالت له إن تنفيذ الضباط أوامر الضرب فى الناس لو صدرت لهم مسألة مش مضمونة، وده معناه أن الجيش ينقسم على نفسه، ما هو الجيش ده هو من الشباب برضه وأولادنا وإخواتنا»

ثم أضاف: «لكن لو تقاريره قالت له إن الضباط حيضربوا وينفذوا الأوامر كان ضرب»!

زادت درجة إحباطى بشدة فصارحته بها قائلاً : «كلامك يؤدى إلى الإحباط.. فهل هناك مخرج؟»

رد: «لا تحبط لأن الصراع هو سنة الحياة.. أنا بس اللى يقلقنى حاجة واحدة.. وهى إنه مش سهل أن الشعوب تثور كل يوم.. ومش سهل إنه تتكرر الأسباب اللى دفعت إلى الثورة دى بعد ٢٠ أو ٣٠سنة.. وبعدين إحنا قدمنا.. ضحايا.. شهداء» بالإضافة إلى ثمن سنشعر به فى المستقبل وهو الثمن الاقتصادى، فجريدة «الإيكونوميست» البريطانية تقول أن مصر تفقد الآن ما بين ٨٠٠ مليون ومليار جنيه يومياً.

ثم وجدته يرتدى ثوب الأب الحانى وينظر الىّ محدقًا ليقول : دى ثورة يا محمد ولازم ندفع الثمن.

عندئذ.. وجدتنى أيضاً أغوص فى ثياب الإبن الحائر مشتت الأفكار لأتساءل بضعف.. «طب نعمل إيه؟»

رد هو قائلا: «حالة الإحباط اللى عندك قالقانى، أنا مش محبط زيك، ويجب أن تحليلك للأمر ما يوصلكش للإحباط.. لأننا كده فُل الفُل.. بشرط إننا نكمل، وكل واحد يعرف دوره عشان تتكامل النوتة الموسيقية.. والإعلام عليه الدور الأكبر».

ثم أوضح: «الإعلام هو اللى صنع الثورة من خلال مشهد العربية اللى بترش المياه على المصلين فى التحرير، والمدرعة اللى بتحاول تعقب المتظاهرين على رصيف الكوبرى، ومشاهد الخيل والجمال فى الميدان، لأن الصور دى هى اللى دفعت الآلاف للنزول للوقوف مع الشباب المتظاهرين».

وأضاف: «الشباب دول مش حيقدروا يعملوا أكثر من اللى عملوه.. دلوقتى جاء دوركم.. أجهزة الإعلام عليها الدور الأول والأخير فى الفترة اللى جاية.. وأنا بأحملكم المسئولية فى كل موقع.. عايز الجرائد المصرية تطقطق بالثورية.. كلمة هنا وصورة هناك.. المهم نحافظ على الحالة الثورية فى المجتمع.. بأيدكم تقودوا الثورة إلى بر الأمان أو تضيعوها.. «الأهرام» وملحق شباب التحرير عليهم دور كبير.. إحنا فى لحظة فارقة فى تاريخ مصر، ولو حققتم الدور ده حتكونوا عملتم خدمة تاريخية كبيرة.. وأنا فى حياتى اللى زادت على ثمانين سنة ماشفتش لحظة زى اللى عايشينها دلوقتى.. وحأكون حزين جداً لو ما حصلش التطور المنتظر من الثورة دى.. وحيكون ده أكثر قسوة

علىّ أنا شخصياً من هزيمة ٦٧ نفسها!»

هزيمة ٦٧ ؟ أنّى لى أن أسأل هذا الشيخ الوقور الآن عن هزيمة ٦٧ وما يقال عن دوره خلالها ؟

المهنية تحتم علىّ أن أسأله هذا السؤال لأعرف رده، لكننى على ما يبدو كنت قد فقدت اتزانى المهنى خلال الحوار إلى حد كبير، وتحولت إلى مستمع صغير، فى فصل دراسى عن حاضر ومستقبل هذا الوطن وثورته، بما لم يدع لى قدرة على العودة إلى التاريخ عند هذه النقطة الزمنية تحديدًا عام ١٩٦٧ لأننى أعلم أن ذلك -على أقل تقدير- لن يسعد أستاذى.. أحمد سعيد.

خرجت من عنده شارد الذهن إلى حد كبير، أستعيد تحليلاته ووصاياه للإعلام، وتحذيراته ، لا سيما ما ذكره فى ثنايا الحوار حول معلومات لديه بشأن قيام أعضاء سابقين فى الحزب الوطنى بإعادة تنظيم صفوفهم حالياً لإنشاء حزب جديد، وما نقله لى عن جريدة (الإيكونوميست) من أن هناك ما بين مائتين وثلاثمائة ألف مواطن مصرى يملك كل منهم عشرة ملايين دولار يقومون حالياً بعمل تجمعات تستعد لخوض الإنتخابات المقبلة، للدفاع عن مصالحهم، ووضع القوانين التى تحمى رءوس أموالهم، فضلاً عما ذكره بشأن المجلس العسكرى، وكان فى هذا وحده الكفاية.

المجلس العسكرى.. لماذا كنت مطمئناً إلى هذا الحد بشأنه؟!

«الجيش حمى الثورة.. الجيش حمى الثورة»..

لقد أصبحت هذه العبارة بمثابة المضغة التى نلوكها بألسنتنا ليل نهار حتى أصبحت حقيقة واقعة.. رغماً عنا.

كيف تولدت لدىّ كل هذه الثقة فى المجلس العسكرى؟ ألم أشُك من قبل فى ذلك «الحياد الرهيب» من جانب الجيش يوم موقعة الجمل؟ ماذا حدث إذن؟ هل أخذتنى الفرحة برحيل مبارك؟ كان ذلك نتيجة كبرى لهذه الثورة بالفعل لكن لا يزال هناك الكثير.. كان ذلك مطلبا بعيد المنال ثم حدث.. نعم.. لكن لايزال للنظام ذيول، وللخوف على الثورة ألف مبرر ومبرر.. فما الداعى لكل هذه الثقة فى المجلس العسكرى من جانبى؟ وما مصدرها؟ أم إننى أخشى مجرد التفكير فى وجود مبررات للمواجهة بين الشعب والجيش؟

أرجو ألا يكون ذلك فصلاً جديداً من فصول «المهادنة» فى شخصيتى؟!

تلك الشخصية لابد لها أن تتغير!

يارب الطف بعبدك الضعيف.. وبهذه الثورة

# الثورة فى بطن البقرة!

## «كيف يدخل فتحى سرور مبنى
## مجلس الشعب حتى الآن وبأى صفة؟»

**هل يمكن أن يكون الرئيس السابق مبارك قادراً على مواصلة حياته فى ظل هذه الظروف بشكل معتاد إلى درجة استمراره فى مزاولة عادة صباغة شعره؟!**

وردت لى معلومات تسربت من داخل قصر مبارك فى شرم الشيخ مفادها أنه يتحدث هذه الأيام مع المقربين منه قائلاً أنه على يقين من أن مصر سوف تسوء أحوالها بدرجة كبيرة جداً خلال الفترة المقبلة، وأنه يتوقع أسوأ السيناريوهات لها وأن تعصف بها الفتن وأن «الأزمة مش حتعدى على خير».

نشرت هذه المعلومات فى ملحق «شباب التحرير» يوم ١٧ مارس وأضفت إليها أيضاً ما علمته من أن الرئيس السابق يعيش مع زوجته حياة عادية إلى حد كبير فى شرم الشيخ لم تختلف عما كانت عليه من قبل سوى فى رفع درجة الحراسة الأمنية بشكل ملحوظ بل إنه لايزال يواظب على صباغة شعره كالمعتاد!

لو كنت مسئول التحرير المنوط به نشر هذا الخبر أو التقرير لنشرته كموضوع رئيسى فى الصفحة الأولى للملحق، حتى لو كانت مادته لا تزيد على ثلاث أو أربع فقرات، وقد فعل ياسر رزق رئيس تحرير «الأخبار» شيئا أكبر من ذلك عندما نشر مؤخرا «المانشيت» الرئيسى للصحيفة كتصريح على لسان مبارك، وكان ذلك نقلاً عن محام مغمور قال أن الرئيس السابق وكله للدفاع عنه فى قضيته وذهب المحامى يروى ما قال ان مبارك ذكره له خلال لقائهما ونقلت «الأخبار» ذلك على لسان مبارك مباشرة.

لم يعجبنى هذا ولم يكن مهنياً بدرجة كبيرة، لكن «الأخبار» فعلت هذا، أما نحن فى «الأهرام» فقد تعثر لدينا الخبر الذى قدمته بما ورد لى من معلومات

من شرم الشيخ لمدة يومين، ولم يكن محمد البرغوثى متحمساً له، وفى النهاية نشره على عمودين فقط أسفل الصفحة الأولى للملحق.. وتلك هى الصحافة دوماً، وجهات نظر.

على أى حال.. وعلى الرغم من كل ذلك..فإننى أعود وأكرر أن ملحق «شباب التحرير» والثورة بشكل عام أتاحا لنا ممارسة الصحافة الحقيقية التى كنا نتمنى أن نمارسها يوماً. وقد حدث ذلك أيضاً مع هذا الخبر الذى نشر لى عن مبارك ورؤيته للأوضاع المقبلة فى مصر، واستمرار قيامه بصبغ شعره.

فقد وردت لى عدة رسائل عبر البريد الالكترونى بعد نشر الخبر ، حمل بعضها لى سباباً، بينما احتوى الآخر على انتقاد فقط، لأننا نقلنا كلمات مبارك حول توقعه أسوأ السيناريوهات لمصر خلال الفترة المقبلة، ولأننا اهتممنا بشىء تافه وهو ما إذا كان مبارك لا يزال يصبغ شعره أم لا.

جمعت هذه الرسائل وقمت بالتعليق عليها، موضحاً الرسالة الخفية التى حملها الخبر بين السطور والهدف منها وكتبت ذلك فى تقرير صغير آخر نشر يوم الأربعاء ٢٣ مارس فى الملحق اختتمته بما يلى:

.. ولاشك ان لون شعر الرئيس السابق..أو شعر أى رئيس أمر لا أهمية له بالمرة، ولا يعنى أحدا ان يكون شعر مبارك قد عاد إلى بياضه أو حتى قد مال إلى «الاصفرار» لكن المعلومة هنا «أنه مازال يصبغ شعره» كاشفة لنفسية الرجل وشخصيته ومثيرة فى الوقت نفسه للغيظ والغضب.

باختصار.. كنا نقصد بالفعل أن نثير غضب القارئ الكريم ضد حسنى مبارك ..حتى تكون هذه الرؤية «الخائبة» التى قالها بشأن مستقبل الأوضاع فى مصر حافزا لنا جميعا على العمل ضدها ومنع حدوثها ولو على جثثنا، وأخيرا فقد تحقق ما كنا نصبو إليه وشعر القارئ بالغضب فعلا ، لكن الغضب زاد قليلا، حتى طال محرر الخبر نفسه ، ولا بأس!»

أين ومتى كان يمكن أن نمارس الصحافة بهذا الشكل إذا لم تقم الثورة، وإذا لم يكن هناك ملحق «شباب التحرير»؟ خبر ثم ردود من القراء ثم تعليق على الردود!

أين ومتى كان يمكن أن نكتب تقريراً ثم يهاجمنا القراء ثم نعود لمناقشتهم والرد عليهم بهدوء فى تقرير آخر؟ تلك هى الصحافة!

ليس ذلك وحسب بل إننى استخدمت تلك التسريبات التى وردت لى، لنفى معلومات ملفقة كانت جريدة «صوت الأمة» قد نشرتها يوم السبت ١٢مارس مفادها أن مبارك يطلق لحيته ويجلس «بالبيجاما» وأنه توقف عن صباغة شعره مع نشر صورة متخيلة بالكمبيوتر له بهذه الأوصاف.

أيضا تلك هى الصحافة، بمعنى المنافسة بين الصحف المختلفة حول كشف الحقائق، وتبادل السبق والانفراد والتكذيب والتوضيح وغيرها.

«أين صفوت الشريف وماذا يفعل الآن؟!».

لم أجد غضاضة فى نشر هذا العنوان نقلاً عن المفكر الدكتور جلال أمين ضمن تغطيتى لندوته التى أشرت إليها من قبل ونشرت يوم الاثنين ٢١مارس

وما حدث فى الندوة هو أن سؤالاً ورد من الحاضرين للدكتور جلال حول الموقف الحالى بالنسبة لكل من زكريا عزمى وصفوت الشريف.وعندها رد متسائلاً: «هو فين صفوت الشريف؟!» ضحك الحاضرون لكنه استكمل قائلاً: «صحيح هو فين؟! وبيعمل إيه دلوقتى؟! دى من الحاجات المقلقة جداً..الرجل ده قوى جداً..قوى جداً..هو أحد أعمدة النظام وأعتقد أنه مسئول أكثر من حسنى مبارك نفسه، والأهم من محاسبته عن الماضى هو منعه من أى تصرفات فى المستقبل، مفيش شك أن وضعه ووضع زكريا عزمى من التساؤلات اللى لازم البت فيها بسرعة!»

وبعد نشر هذه التغطية وجدت أحد الظرفاء المتطفلين من زملائنا يبادر بالتحدث معى مشيداً بجرأتى فى نقل هذه الكلمات فى ظل العلاقة الخاصة لزوجتى بأسرة الشريف. أجبته بأن الدكتور جلال أمين «هو اللى قال» وضحكت، لكن صاحبنا عاد ليعاجلنى بسؤال قصير هو: «صحيح قصرين فى باريس؟!».

فهمت على الفور ما يقصده، وكان يدور بالطبع حول ممتلكات الشريف والأقاويل والشائعات التى أصبحت تدور هنا وهناك حول ثروات رجال مبارك، وكانت «صوت الأمة» فى نفس عددها الذى أشرت إليه قبل قليل قد ذكرت يوم

١٢ مارس أن الشريف يملك ١٤ قصراً، ونشرت الجريدة صوراً لعقود بعض هذه القصور باسمه وأسماء أبنائه، وكان من بين ما ذكرته امتلاكه «قصرًا عملاقاً فى لسان الوزراء فى فايد»، وهو المكان الذى سبق أن ذهبت إليه مرتين، والحق أنه لا يمكن أن يسمى «قصراً عملاقًا» لكنه عبارة عن فيلا من طابقين ولها حديقة واسعة بها حمام سباحة وجزء صغير من شاطئ خاص، فقط!

أما حكاية القصرين فى باريس فالحق إننى لم أسمع عنهما بل سمعت شائعات أيضاً عن وجود شقة فاخرة فى باريس أو لندن ! ولم يكن هذا الأمر يعنينى بأى حال من الأحوال!

ربما ما كان يعنينى فى هذه الفترة هو أن أتمكن من الوصول إلى صفوت الشريف نفسه وأن أحصل منه على تصريح أو حوار طويل أتمكن من نشره فى الصحافة. وقد كانت معرفة الرجل بى سلاحاً ذا حدين فهى يمكن أن تجعلنى أكثر قدرة على الوصول إليه ، لكن خصوصية هذه العلاقة «العائلية» فى الوقت نفسه كان من شأنها أن تثنينى عن أى محاولة أقوم بها بنفسى للاتصال به. إذ كيف سأواجهه شخصياً بعد أن تعاملت معه لفترة باعتباره أحد كبراء عائلة زوجتى!

هل كانت محاولتى الاتصال به ستبدو تشفياً أو رغبة فى كسره نفسياً أو سعياً للاصطياد فى الماء العكر؟

لا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى، وغنىٌّ عن الذكر أن ذلك مستحيل بالنسبة لزوجتى أيضاً لنفس الاعتبارات، فما العمل؟

وصلت إلى صيغة وسطى.. وهى أن أعطى رقم هاتفه المنزلى لزميلة لى هى الأخت والصديقة ليلى مصطفى المحررة العسكرية لتبادر هى بالاتصال به كصحفية تعرض عليه إجراء حوار لـ «الأهرام» وفى حالة موافقته، فإنها كانت ستخبره بأننى سأذهب معها، وبالفعل وافقت ليلى وفعلت ذلك، وفى أول اتصال سألتها سيدة ردت عليها حول شخصيتها، وعندما أخبرتها بأنها صحفية قالت إنه غير موجود، وفى الاتصال التالى قيل لها إن «النمرة غلط» وبعد ذلك لم يعد يرد أحد على الهاتف. وكان هذا منطقياً إلى حد كبير!

هذا بالنسبة لصفوت الشريف.. لكن ماذا عن فتحى سرور رئيس مجلس الشعب السابق؟ سرور كانت له قصة أخرى.. ترى أين هو الآن؟!

السؤال هنا لى أما الإجابة فقد جاءت من أكثر من مصدر لكن أسوأ الإجابات جاءت من خلال جريدة «المصرى اليوم» التى انفردت بإجراء حوار طويل معه أجراه الزميل محمود مسلم ونشرته الجريدة على ثلاث حلقات أيام ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ مارس، وفى الحوار بدا سرور حملا وديعا، عصبف به الكبار أيام مبارك، وعلى رأسهم أحمد عز.

لا بأس عزيزى القارئ.. حاول الاحتفاظ بهدوء أعصابك.

وهنا بالطبع لى وجهة نظر لابد من الإشارة إليها، وهى إننى كصحفى لا يمكن أن أرفض إجراء حوار مع فتحى سرور فى هذا التوقيت. أقول ذلك لأن البعض من الزملاء فى الأهرام كتبوا منتقدين مبدأ إجراء حوار مع الرجل، وهذا خاطئ من وجهة نظرى، لكن السؤال هو.. كيف يتم إجراء الحوار؟! تلك هى القضية.

إذ لابد فى حالة الحصول على موافقة الرجل على إجراء الحوار أن يتم إجراء محاكمة له ومواجهة معه، بحيث يلعب الصحفى فى الحوار دور رجل الشارع العادى الذى يفترض أنه أتيح له مقابلة فتحى سرور فى هذا التوقيت.. ما الذى كان سيقوله له؟ وبم سيردّ هو؟ هذا هو دور الصحفى هنا. لكن ما حدث كان نوعاً من محاولة «تبييض» وجه الرجل أو «الطبطبة عليه» وهذا مرفوض.

وكانت «المصرى اليوم» قد نشرت أيضاً يوم ٧ مارس مقالاً للوزير رشيد محمد رشيد قال فيه إنه يؤيد الثورة وأنه حاول الإصلاح مراراً قبل ذلك، وهنا فإننى أيضاً لا أعترض على نشر مقال كهذا، بشرط أن تنشر الصحيفة أو أحد كتابها رداً قوياً على المقال يتضمن مناقشة أفكاره وتفنيدها الواحدة تلو الأخرى، وهو ما لم تقم به «المصرى اليوم» ، إلا إذا كانت الصحيفة تؤيد بالفعل الفكرة الواردة فى المقال. وهذا موضوع آخر!

على أى حال وبالنسبة للدكتور سرور، فكنت قد حاولت أيضا أن أصل إليه قبل ذلك، وكان هذا من خلال الزميلة ليلى مصطفى أيضاً، التى فشلت معها

فى الوصول إلى صفوت الشريف، حيث أخبرتنى إنها تعرف سكرتيرته جيدًا، وقالت إنه يمكن الإتصال بها والترتيب معها لإجراء حوار نقوم به معا.. هى وأنا.. وافقت على الفور بالطبع.. واتصلت ليلى بالسكرتيرة، وكانت المفاجأة أنها لم تعترض على المبدأ، إلا أن المفاجأة الأكبر كانت هى أن السكرتيرة طلبت من ليلى الإتصال بها يوم الأحد فى مجلس الشعب، لأن الدكتور سرور سيكون موجوداً فى المجلس!

ماذا يفعل الدكتور سرور فى مجلس الشعب بعد أن تم حل المجلس وبالتالى فإنه لم يعد حتى نائباً به.. لا رئيساً له؟! كيف يدخل سرور المجلس الآن.. بل ويجلس فى مكتب الرئيس؟ وبأى صفة ؟!

كلمات السكرتيرة كانت صاعقة بالنسبة لى، ولم أفهم ما يجرى بالتحديد، لكن زميلى وصديقى المحرر البرلمانى بهاء مباشر أخبرنى بشىء جديد يتسق مع هذه الكلمات أيضاً، ويكملها، حيث قال لى إن سرور أراد الرد على شىء نشر بشأنه فى «الأهرام» خلال هذه الأيام، فأرسل الرد من خلال مكتب رئيس مجلس الشعب، ومطبوعاً على أوراق المجلس!

وقد نشرت «الأهرام» هذه «المفارقة» بالفعل، لكن ذلك فى الحقيقة كان بالنسبة لى مقلقاً إلى أقصى حد، وشعرت بأننى عاجز عن الفهم، أو كأننى بالأحرى خائف من أن أفهم، ورافض لتقبل الدلالات الخطيرة التى تشير إليها هذه الوقائع.. فما الذى يفعله سرور فى المجلس يوم الأحد أو أى يوم آخر؟ وكيف يظل حتى الآن قادرًا على التعامل وإرسال الأوراق والردود من مكتبه السابق كرئيس للمجلس؟

أين هى الثورة؟

وما الذى يفعله هؤلاء بالتحديد هذه الأيام؟

هل نحن بصدد تمثيلية كبرى؟

هل يمكن أن يكون كل ما جرى خدعة رهيبة تعرضنا لها؟

أين الجيش؟ وماذا يفعل المجلس العسكرى الذى يقول إنه حمى الثورة؟

هل يعرف ذلك؟

لابد أنه يعرف..لاشك أنه يعرف!

ظلت هذه المخاوف والشكوك بداخلى، حتى بعد أن أخبرتنى ليلى مصطفى بأنها إتصلت بالسكرتيرة فى الموعد المحدد لكن هذه الأخيرة لم ترد عليها، لم يقلل ذلك من قلقى وظل تفكيرى معلقاً بالبحث عن إجابة السؤال حول «الكبار»..أين هم الآن؟ وماذا يفعلون بالتحديد؟

أما دعاء خليفة فقد كان لها إتجاه آخر تماماً..حيث وجهت عملها وبحثها إلى الإتجاه المعاكس.. إلى القاع.. إلى «بطن البقرة»..تخيل!

«بطن البقرة» هو اسم مكان موجود بالفعل فى منطقة مصر القديمة خلف جامع عمرو بن العاص، «إلا أن الانتقال إليها يشعرك أنك فى عالم آخر» كما كتبت دعاء يوم ٢٠مارس فى الملحق. ذهبت دعاء إلى هناك تبحث عن أثر الثورة فى حياة أشخاص، هم من بنى البشر، إلا أنهم يحيون «فى عالم أقرب إلى الموت منه إلى الحياة». أو كما كتبت عنهم قائلة:

«هنا يعيش الأحياء مع الحيوانات فى كنف جميع أشكال التلوث، فالمكان اسم على مسمى، كأنك ولجت إلى أحشاء البقرة ، حجرات أقرب إلى المقابر، تأوى مطلقات وأرامل وكثيرا من الأطفال ورجالا أرزقية يعيشون اليوم بيومه».

كان لى رأى فى ذلك بالطبع، وهو أن الثورة لا يمكنها إصلاح حياة البشر بين عشية وضحاها، وأن الأمر لا يزال بحاجة إلى جهود جبارة، لكننى مع ذلك كنت شديد الإعجاب بموضوع دعاء ، لأنه يلقى الضوء على واقع مؤلم، يعيشه مصريون، فى زمن اندلاع ثورة تطالب «بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية». هؤلاء هم من يفتقدون «العيش» إذن. وهؤلاء هم أول من قامت الثورة لأجلهم، لذا فلابد أن نسمع أيضاً صوتهم الآن، ووسط كل المطالبات «الشريفة» بالحرية والديمقراطية، وفى ظل الإختلاف حول تعديل بعض مواد الدستور أو تغييره كلية، لابد أن نعرف أيضاً ما يقوله هؤلاء الآن، فالإنسان هو المحور الذى توضع لأجله الدساتير، وتدور حوله أنظمة الحكم المختلفة، بحثاً عن سعادته وتوفير حياة كريمة له، ذلك هو ما ينبغى أن يكون. لذلك فقد كان مهماً للغاية أن تنقل دعاء ومعها زميلنا المصور الفنان السيد عبدالقادر واقع حياة هؤلاء البشر،

ورؤيتهم للثورة، فى هذا التوقيت.

كتبت تقول :

«هنا أكثر من ٣٦٠٠ أسرة لا يشغلهم تغيير الدستور أو تعديله، أو أن تسبق الانتخابات الرئاسية البرلمانية أو العكس، فالثورة بالنسبة لهم، أن تتحسن أحوالهم اللا آدمية، وأن يدخل الصرف الصحى إلى منطقتهم، وأن يجدوا قوت يومهم. ورئيس مصر القادم هو من يشعر بالغلابة فى العشوائيات، ويعيدهم إلى عالم الأحياء من جديد».

**وعلى صفحة كاملة فى الملحق نشر محمد البرغوثى الموضوع لدعاء والسيد تحت عنوان «الثورة فى بطن البقرة». وعلى مساحات كبيرة تم نشر ست صور من داخل المنطقة، وجاءت العناوين مهمة وموحية ومعبرة عن رؤية هؤلاء البشر للثورة كالتالى:**

**«عايزين ريس يحس بينا.حرام نعيش كده»**

**«الشباب استشهدوا بس الحاجة مارخصتش»**

**«الثورة مشوار حلو.. وعليها الاهتمام بالعشوائيات»**

**«هى الثورة مش ح تنظف لنا المنطقة؟»**

**وتم حسم الأمر فى برواز صغير داخل الموضوع، جاء عنوانه كتصريح على لسان سيد على رئيس جمعية «طيور السلام» وهى الجمعية الأهلية الوحيدة فى «بطن البقرة» كالتالى:**

**«كيف أمنع من لا تملك قوت أبنائها من أن تبيع صوتها؟»!**

**من المفترض أن تكون دعاء خليفة سعيدة بما ينشر لها هذه الأيام، وقد كانت بالفعل كذلك «نسبيا».. أو قل إن ذلك هو ما كان يخفف عنها «ألمها» ..لماذا؟**

**دعاء رغم كل ما تنشره فى الجريدة لم تكن قد حصلت على موافقة رسمية واضحة، بانتقالها من جريدة «الأهرام ابدو**

**» إلى «الأهرام»، ولم تكن تلك هى المشكلة، إلا أن المأساة هى أن رئيس**

قد أشّر على طلب نقلها تأشيرة «غير واضحة»، فهمها مدير مكتبه على أنها موافقة على النقل، وبشّر دعاء بذلك فعلاً، إلا أن إدارة شئون العاملين بالمؤسسة عندما تلقت الطلب عجزت عن فهم تأشيرة رئيس مجلس الادارة، فاعتبرت أنه أشّر بالرفض وتم حفظ الطلب.

أعرف ما تريد قوله..

نعم.. هذا يحدث فى «الأهرام»!

دعاء الحائرة بين التفسيرين المتضاربين للتأشيرة ، عادت إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة لتستجد به، وبعد أخذ وردّ، بين المكتب وشئون العاملين على مدى عدة أيام، كان لزاماً على دعاء أن تحصل على تأشيرة جديدة «واضحة» من عبدالمنعم سعيد، لكن هذا الأخير لا يأتى بشكل يومى، فى الظروف الحالية التى تمر بها البلاد، و.. و... وهكذا ظل موضوع دعاء معلقاً، وظلت هى متوترة مترددة، لا تعرف ما يمكن فعله، وكانت تقول لى: «أنا طول الوقت بأحاول أحل مشاكل الناس بس مش عارفة أحل مشكلتى..أعمل إيه؟» كانت تقولها بألم ومرارة شديدين.

# أربعاء الغضب فى «الأهرام»!

## أسامة سرايا: «أنا مش ح أستقيل»

أحمد قدرى .. حاله ليس كحال أولئك الذين كتبت عنهم دعاء خليفة فى «بطن البقرة»، لكنه على ما يبدو آخذ فى الانحدار!

تعددت مطالبات صاحبة شقة الحوامدية التى يقيم فيها باسترداد الشقة لحاجتها إليها، فلم يجد صاحبنا بداً من البحث عن شقة جديدة، لكن أنّى له ذلك فى ظل تآكل دخله الشهرى بشكل كبير بعد الثورة؟

أخيراً وجد قدرى «غرفة» فى بولاق الدكرور بإيجار ١٥٠ جنيها شهريا.. كان ذلك هو المبلغ الذى يستطيع أن يلتزم نوعاً ما بدفعه كل شهر ليس أكثر.

وعلى رصيف مقهى الدقى الذى يجمعنا جلس قدرى مسندا ظهره إلى الكرسى وعاقدا يديه خلف رأسه، مراقباً الحركة فى الشارع فى ختام يوم طويل قام خلاله بنقل متعلقاته من شقة الحوامدية إلى غرفة بولاق..كانت تلك هى المرة الأولى التى أجد فيها قدرى يرتدى «شبشب حمام» فى المقهى.. ربما حاول إراحة قدميه من الحذاء الذى ظل يرتديه طوال هذا اليوم المجهد، لكن لم تكن هذه عادته أبدًا. بدا متعباً، أو غير قادر على ممارسة عادته فى السخرية والهزل.

هنأته على إتمام عملية الانتقال إلى مسكن جديد، بعد أن كان مهدداً بالمبيت فى الشارع ، وعندئذ راح يصف لى غرفته الجديدة.

هى غرفة فى شقة صغيرة، ويقيم معه شخص آخر فى غرفة مجاورة، لديه حمام بلدى مشترك ، بلا باب ، ومع ضخامة «جثة» قدرى فإنه يضطر إلى دخوله بجانبه.أما الغرفة نفسها فهى على «المحارة» غير «مبلطة»، بها شباك خشبى ، والمسافة بين أرضية الغرفة وأسفل بابها الخشبى تكفى ببساطة لأن يؤنس قدرى وحدته بمختلف أنواع الكائنات الحية!

استمر قدرى فى جلسته مستلقياً على الكرسى، مراقباً ما يجرى حوله، ثم رفع يديه من خلف رأسه لتقليب الشاى، وهو يقول بزفرة عميقة..الحمد لله.

دعاء خليفة. تمكنت أخيراً من الوصول إلى حل لمشكلة وجودها فى «الأهرام»، وما إذا كانت تتبع اداريا جريدتها الأولى «الأهرام إبدو» أم إنها انتقلت إلى الجريدة اليومية .. «الأهرام».

لم يتم التوصل إلى هذا الحل بشكل مؤسسى أو منظم ، فكل ما حدث هو أن محمد البرغوثى طلب منها كتابة طلب جديد للنقل، وقام هو بنفسه بالتوجه به إلى رئيس مجلس الإدارة الدكتور عبدالمنعم سعيد صاحب التأشيرة السابقة غير الواضحة، الذى قام هذه المرة بالتوقيع على الطلب بالموافقة بشكل مفهوم، فتمت عملية النقل وانتهى الأمر.

لكن هذا الوضع الغريب الذى استمر لفترة أصاب دعاء باحتقان شديد، وأضافته هى إلى مختلف الأوضاع الشاذة الغريبة غير المهنية الأخرى التى كانت عيناها تقعان عليها فى «الأهرام» يومياً، لترسم فى النهاية على وجهها ملامح محبطة حزينة، لم يكن كثيرون فى «الأهرام» يفهمونها، لاسيما فى ظل التألق الصحفى لدعاء ، والنشر المتوالى لموضوعاتها الناجحة. لكنها على الرغم من كل ذلك كانت تتهمنى دائماً بأننى السبب فيما آلت إليه، لأننى أقنعتها بضرورة انتقالها إلى الجريدة اليومية، حتى يكون لموضوعاتها صدى وأثر، بدلاً من أن يتم نشرها باللغة الفرنسية لقارئ لا نعرفه ولا يعرفنا فى أغلب الأحوال.

وعندما كنت أكرر لها ذلك مؤكداً أهمية ما تقوم به الآن، كانت تثور فى وجهى متسائلة: «انت لسه بتحاول تقنعنى؟!» .هذا فضلاً عن سؤالها الآخر الذى أصبح معتاداً بالنسبة لى.. «معقول ده بيحصل فى «الأهرام»؟ ثم صرختها التى تلى ذلك عادةً.. «دى «الأهرام»!»

لكن «الأهرام» بدأت تتغير بالفعل!

ربما كانت دعاء تقارن الأوضاع الحالية بما تربّت عليه فى «الأهرام ابدو»، التى كان العمل فيها يجرى وفقاً لنسق محترم ، مهنى حقيقى، لا شخصى، لكن لابد أيضاً من إجراء مقارنة أخرى بين «الأهرام» ذاتها قبل الثورة، وبعدها؛ سواء بالنسبة للمنتج النهائى المتمثل فى الجريدة التى تصدر كل يوم، أو بالنسبة للأوضاع وطبيعة العلاقات داخل الصحيفة والمؤسسة، والنتيجة المؤكدة لإجراء

هذه المقارنة هو أن «الأهرام» تتغير، ونحن أيضاً نتغير، مثلما تغيرت مصر كلها وبدأت طريقاً جديداً بعد ٢٥ يناير.ولعل أولى الدلائل على ذلك تمثلت فيما جرى يوم «أربعاء الغضب» فى «الأهرام»..كما سيأتيك بيانه.

إنه الأربعاء ٢٣ مارس..لقد كان يوماً مشهوداً بحق.

بلغ السيل الزبى بصحفيى «الأهرام» من رئيس التحرير أسامة سرايا.. وتوالت الدعوات على صفحات موقع «فيس بوك» الأهرامية لتنظيم وقفة احتجاجية للمطالبة برحيل سرايا.. تفاعلت الرغبات المحمومة داخل صدور الشباب لعمل شىء يشير إلى أن ثورة يناير قد وصلت إلى «الأهرام» ولم تقف خجلى عند أبوابه، فتم أخيراً الاتفاق على تنظيم وقفة صامتة فى الطابق الرابع أمام مكتب رئيس التحرير يوم الثلاثاء ٢٢ مارس، وفى الموعد المحدد وقفنا بالفعل، كنا ستة أفراد فقط، وقفنا حاملين لوحات ورقية كتب عليها «ارحل يا سرايا».

كانت التجربة بالنسبة لى جديدة تماماً كما أنها كانت جديدة أيضاً بالنسبة لـ «الأهرام»، فتلك الأجيال الممتدة التى تربّت أو عاشت أو حتى لحقت بعهد إبراهيم نافع فى «الأهـرام» لم يكن ممكناً أن تعى بسهولة أن يقف نفر من الشباب داخل المؤسسة مطالبين برحيل رئيس التحرير!

لا أقول هذا على سبيل الفخر بمن فعلوا ذلك، ولا أدعى البطولة لأحد، لكننى فقط أرصد حقائق واقعة خبرناها جيداً على مدى سنوات فى «الأهرام»، وإذا كانت هناك من بطولة يمكن الحديث عنها فإن الثورة وحدها هى التى ستستأثر بها، فهى التى سمحت بكل ذلك.

وقفنا حوالى ساعة من الثانية إلى الثالثة ظهرًا، وبعدها انصرفنا عاقدين العزم على تكرار التجربة فى اليوم التالى.

لم نكن متأكدين تماماً من جدوى ما نفعل، أو إمكانية وجود ردود أفعال إيجابية له، لكننا فقط أردنا أن نفعل شيئاً، وألا نظل ضعفاء صامتين.

وجاءتنا ردود الأفعال سريعاً بعد انصرافنا، عندما قرأنا فى عيون كثيرة نظرات الازدراء ، أو على الأقل عدم الترحيب بما فعلنا، وكان العنوان الرئيسى

لوجهات النظر الرافضة لنا هو أن ذلك لا يليق بـ «الأهرام» وبرئيس تحريره ، وأنه لا ينبغى الالتفات إلى مطالبات بضعة شباب اختاروا شق وحدة الصف فى الجريدة.

على المستوى الشخصى أستطيع أن أقول.. بعد هذه التجربة الصغيرة الجديدة علىّ.. إنه ليس من السهل «نفسياً» أن يشعر الفرد وسط الجماعة بأنه – فى نظر أعضائها – مخالف أو منشق أو مخرب أو مثير للاضطرابات والقلاقل..المسميات كثيرة.. لكنها جميعاً مؤلمة ..أو على الأقل غير مريحة.. وبالتالى فإن المرء لابد أن يكون مؤمناً بحق بما يفعل وما يخالف فيه جماعته حتى يستطيع الاستمرار، والدفاع عن صحة موقفه.

وجاء اليوم التالى.. الأربعاء ٢٣ مارس.. وجدّدنا وقفتنا، لكننا اليوم أصبحنا أكثر من يوم أمس كثيراً، تضاعفنا عدة مرات ، جاء زملاء كثيرون، بدأنا نشعر بالقوة، وبأننا لسنا وحدنا. والأهم من ذلك هو أننا بدأنا نشعر بأهمية هذه الوقفة الصامتة. عندما جاءنا زميلان من القدامى فى «الأهرام» ، رجل وسيدة، طالبين التحدث أو بالأحرى التفاوض!

طلب الزميلان التهدئة وإنهاء الوقفة ، وعرضا علينا الدخول إلى رئيس التحرير للتحدث معه فى مكتبه، «بس بلاش الوقفات دى» مثلما قالا .

وكان ذلك هو المطلوب من جانبنا، ليس أكثر، وهو أن نتيقن إن وقفتنا تزعجهم، هذه الوقفة الصامتة ذات الشعارات «المهذبة» المطالبة برحيل رئيس التحرير، بلا أى هتاف أو سباب أو هجوم شخصى على أحد، أصبحت تضايقهم وتقضّ مضاجعهم، وهذا هو المطلوب.

تداول الشباب فيما بينهم سريعاً فيما يمكن فعله رداً على مطالبة الزميلين بالدخول إلى مكتب رئيس التحرير، خشينا أن يحدث أى تراشق لفظى أو ما شابه داخل مكتبه ليقال بعد ذلك أننا تهجمنا عليه داخل مكتبه، وكان الحل البديل أن يأتى هو إلينا، وقلنا إننا سنجلس لمدة خمس دقائق فى القاعة الدائرية بالدور الرابع انتظارا له، وإذا لم يأت فإننا سنعاود الوقوف.

وكأن تلك القاعة الدائرية التى يعمل فيها فريق العمل الخاص بملحق «شباب التحرير» أصبحت مقرًا رسميًا للثوار.

ماذا سنقول له إذا جاء؟ تم الاتفاق على عدم التحدث معه فى شىء، وأن نجلس فقط فى القاعة لسماعه إذا أراد التحدث بينما يرفع كل منا لوحة كتب عليها «إرحل»!

لم أقتنع بهذا الحل، إذ كان لابد من أن نوصل إليه صوتنا بشكل مباشر ومهذب، وأن نطالبه بوضوح بالاستقالة، حتى لا يقول بعد ذلك إننى طلبت التحدث معهم ورفضوا.

حاولت التنبيه على الشباب بضرورة ألا يستبد الغضب بأحدهم خلال اللقاء فيدفعه إلى قول ما لا ينبغى أن يقال، حتى لا نضع أنفسنا فى خانة المخطئين.

وفى لحظات دخل «الأستاذ» أسامة سرايا القاعة الدائرية أخيراً، كان مقطباً بوضوح، وبمجرد دخوله قال بعصبية إنه لن يتحدث فى شىء إلا بعد رفع الملصقات التى كنا قد وضعنا بعضها على المائدة المستديرة فى مكان جلوسه، بينما كنت قد وضعت أحد الملصقات أمامى على الحافة الداخلية للمائدة المستديرة المفرغة من الداخل ، حتى تكون كلمة «إرحل» مواجهة له تماماً ، وعندئذ قمت برفع الورقة وأنا أقول بعصبية أيضاً: «حاضر..حاضر»، لكننى رفعتها ثم قمت بإلصاقها فورا على صدرى!

قال سرايا إنه يريد أن يستمع إلينا ليعرف «فيه إيه؟!».. مرّ برأسه على وجوه الزملاء المتحلقين حول المائدة المستديرة ، منتظراً ان يتحدث أحد، لكنهم لم يتكلموا انطلاقا مما اتفقنا عليه قبل اللقاء، مرت لحظات صمت عصيبة.. ترقب..توتر..قلق..لحظات دارت فيها الدنيا ..«الأهرام» ..والثورة..والقاعة.. والزملاء الحاضرون ممن ينتمى معظمهم إلى الجيل التالى لجيلى..وقبل أن يصل سرايا برأسه إلى وجهى وجدتنى أنطق أخيراً بعد صمت طويل.

قلت بحسم :

«يا أستاذ أسامة، دلوقتى حضرتك كنت بتؤيد النظام السابق، لكن حصلت ثورة وزال هذا النظام، بسبب خطأ فى الحسابات أو بسبب أى أخطاء تانية، المهم أن النظام سقط، وعشان كده وانطلاقاً من حرصنا وحبنا كلنا للكيان ده..«الأهرام»..إحنا بنطلب من حضرتك مع كامل الإحترام لشخصك إنك تستقيل».

التفت سرايا برأسه وقال: «ها إيه تانى؟!» وتوالى تحدث الزملاء مطالبين إياه بالرحيل كما طالبه الزميل محسن عبدالعزيز بالتوقف- على الأقل - عن الكتابة وقال: «حضرتك دلوقتى بتكتب أكثر من الأول وده استفزاز للناس» فردّ عليه قائلاً: «إنت عايز تمنعنى من ممارسة المهنة؟!»

وبعد تحدث عدد من الزملاء سريعاً قال سرايا: «أنا مش ح استقيل أنا مفوض من المجلس العسكرى خلال الفترة دى لإدارة الجريدة، وأى حد مكانى كان حيعمل زى ما عملت، «الأهرام» لازم تكون مع الدولة والكلام ده من أيام هيكل». رددت عليه سريعًا بالقول إن «حضرتك كده بتخلط بين الدولة والنظام.. لو كانت «الأهرام» مع الدولة يبقى كان المفروض تعبر عن كل الاتجاهات فى الدولة مش النظام بس».

وعاد ليقول أن «الأهرام» خلال الفترة الحالية هى صاحبة أعلى توزيع بين الصحف المصرية، فردّ عليه الزميل والصديق عمرو على الفار المحرر بقسم الحوادث متسائلا بعصبية «يعنى «الأهرام» دلوقتى يا أستاذ أسامة ما بتخسرش؟ خلال شهر فبراير «الأهرام» ما حققتش خساير؟!».

وقال سرايا كلاماً كثيراً بعصبية ، عبر خلاله أيضاً عن غضبه من مسألة الوقوف احتجاجاً أمام مكتبه، وكان ذلك شيئاً إيجابيا للغاية بالنسبة لنا ، لكنه أنهى الاجتماع بتأكيده أنه لن يستقيل!

انتهى الاجتماع، وبدا للجميع أن المواجهة مع رئيس التحرير لن تنتهى بسهولة، وعلمنا من الزميلة فاطمة الدسوقى عضو الجمعية العمومية لـ «الاهرام» «بالانتخاب» أن اجتماعاً ستعقده الجمعية مساء اليوم فى الطابق الثانى عشر، فتم الاتفاق على تنظيم وقفة احتجاجية خارج مقر الاجتماع لإعلان المطالبة برحيل سرايا، كما طالب الشباب فاطمة وزملاءنا المنتخبين فى الجمعية أن يعلنوا خلال الاجتماع المطالبة برحيل رئيس التحرير كمطلب للصحفيين فى الجريدة.

وأيدت فاطمة الدسوقى ذلك، والأكثر أنها أعطتنى صورة ضوئية من مستند صادر عن إدارة الشئون المالية بـ «الأهرام» يشير إلى وجود عجز فى دخل المؤسسة من الإعلانات والتوزيع وغيرها خلال شهر فبراير ٢٠١١ قيمته

٤٨,٣ مليون جنيه بالمقارنة بالدخل خلال شهر فبراير ٢٠١٠ ، حيث حققت الجريدة فى فبراير ٢٠١٠ ما قيمته ٧٨,١ مليون جنيه، فى حين حققت فى فبراير ٢٠١١ ما قيمته ٢٩,٨ مليون جنيه فقط ، علماً بأن الرقم المستهدف كان يقدر بـ ٨٧,١ مليون جنيه.

وأكدت لنا هذه البيانات أن كلام سرايا عن ارتفاع توزيع الجريدة ما هو إلا محض خيال.

وفى هذه الأثناء عرض علىّ الزميل نادر محمود طمان صيغة لخبر صحفى سوف يتم إرساله إلى الصحف والمواقع الالكترونية المختلفة لكشف حقيقة ما يجرى داخل «الأهرام». والحق أننى قد تناولت الخبر وقمت بإعادة صياغته بشكل يعبر عن تصاعد الغضب داخل الجريدة ووصوله إلى مواجهة ساخنة بين الصحفيين ورئيس التحرير، وأعطيت الخبر بصيغته الجديدة لنادر، فقرأه وقال بحماس «هو ده الكلام»، ثم قام بإرساله إلى الصحف.

ومما تجدر الإشارة إليه ، هو أن بعض الزملاء حاولوا خلال لقائنا برئيس التحرير فى القاعة الدائرية تحريضه علينا، حيث قال إسماعيل العوامى المخرج الصحفى: «دول ٢٠ أو ٣٠ واحد أوقفهم عن العمل وخلاص» ، بينما حاول عبد الناصر سلامة الذى كان سرايا قد عينه قبل فترة قصيرة رئيساً لقسم المحافظات الاحتكاك بأحد الزملاء دفاعاً عن رئيس التحرير.

على أى حال ..فى المساء تم عقد الجمعية العمومية، ووقفنا على باب الاجتماع باللافتات لمطالبة جميع الأعضاء وهم يدخلون برحيل رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة أيضاً الدكتورعبدالمنعم سعيد، وكان من بين الحضور «الأستاذ» حازم عبدالرحمن مدير التحرير بصفته أحد أعضاء الجمعية العمومية «بالتعيين»، وهزّ رأسه لنا مبتسماً.

لكننا فوجئنا بأن الدكتور علىّ الدين هلال مسئول أمانة التدريب فى الحزب الوطنى السابق هو أحد أعضاء الجمعية العمومية «بالتعيين» أيضا، وظهر أمامنا هلال وهو يدخل الاجتماع بابتسامته المعتادة، وكأن شيئاً لم يكن فى البلاد ، وكان من قبيل «الكوميديا المأساوية» بالطبع أن طالبه بعض الزملاء

برحيل عبدالمنعم سعيد وأسامة سرايا باعتبار أنهما كانا يدافعان عن النظام السابق.وفى المقابل فقد ابتسم هو لنا أيضاً، وهزّ رأسه!

وبعد الاجتماع أخبرتنى أختنا فاطمة الدسوقى بأن الزميل عماد حجاب عضو الجمعية «بالانتخاب» طالب سرايا خلال الاجتماع بالإستقالة وقال له ٣ مرات: «يا أستاذ أسامة لو سمحت استقيل»، لكن سرايا ردّ عليه قائلاً «أنا مش حاستقيل»، فعاد حجاب لسؤاله قائلاً: «طيب لو الصحفيين جمعوا توقيعات لمطالبتك بالاستقالة؟». قال سرايا أيضاً: «خليهم يجمعوا توقيعات.. أنا معّين من مجلس الشورى.. وعندى تفويض من المجلس العسكرى لإدارة الجريدة فى الفترة دى».

وهكذا انتهى هذا اليوم العاصف، بعد أن تمت مواجهة سرايا بالرغبة العارمة فى رحيله ، وإعلانه فى المقابل أنه لن يستقيل.

لكن أصداء ما حدث فى «أربعاء الغضب» فى «الأهرام» ترددت ووصلت إلى مختلف المواقع الأخبارية، التى اعتبرت أن الخبر الصحفى الذى تمت صياغته بمثابة بيان عن اتحاد شباب صحفيى «الأهرام»، وتم نشره بصيغ مختلفة جاءت فى مجملها قريبة جدا من صياغتى، واختار منها هنا نص الخبر الذى نشره موقع «البديل» الذى يرأس تحريره زميلنا العزيز خالد البلشى.حيث كتب سلامة عبد الحميد:

«تصاعدت المواجهة اليوم الأربعاء داخل مؤسسة «الأهرام» الصحفية بين رئيس التحرير أسامة سرايا والصحفيين المطالبين باستقالته، حيث التقى سرايا بالصحفيين وبدا غاضبا من قيامهم بتنفيذ وقفة سلمية أمام مكتبه وأكد أنه لن يستقيل، وزعم أن «الأهرام» فى عهده قد ارتفع مستواها وتطورت للأفضل.

وقال اتحاد شباب الصحفيين نقلا عن سرايا أن جميع رؤساء التحرير السابقين بدءاً من محمد حسنين هيكل وكل من جاءوا بعده كانوا مساندين للدولة، وأنه لا يمكن لأحد فى موقعه أن يقوم بغير هذا الدور، وتجاهل اعتراض الصحفيين على خلطه بين الدولة والنظام.

كان الصحفيون قد قاموا ظهر اليوم بعمل وقفة احتجاجية صامتة أمام مكتب

رئيس التحرير لمطالبته بالرحيل ورفع اسمه من ترويسة الصحيفة، وأمام إصرار الصحفيين على مطلبهم الأوحد برحيل سرايا، قام الأخير بطلب التحدث مع المحتجين فى مكتبه ورفضوا مبدأ الحديث معه فى البداية وبعدها طلب الجلوس معهم فى قاعة الاجتماعات بالدور الرابع ووافقوا على الجلوس معه، وطالبوه بموضوعية بما أنه كان يكرس السياسة التحريرية للجريدة لخدمة النظام السابق وبما أن هذا النظام سقط ورحل عن الدولة فبالتبعية عليه الرحيل، ولعدة أسباب أخرى أهمها تدنى المهنية والموضوعية فى المادة التحريرية المنشورة فى الجريدة، وتدنى التوزيع ومطالبة المعلنين برفع اسم سرايا من الترويسة لكى يعودوا للإعلان مرة أخرى، وهو ما طالب به صحفيو «الأهرام» رئيس تحريرهم.

ورفض سرايا تقديم استقالته فى الوقت الحالى بحجة أنه مرتبط بالدولة وليس بالجريدة على حد تعبيره، وادعى أن الجريدة في الوقت الحالى تحقق أعلى نسبة توزيع وإعلانات بين الصحف المختلفة خلافاً للحقيقة.

وبدا سرايا غاضبا منذ بداية الاجتماع وطلب رفع اللافتات التى تطالبه بالرحيل قبل الحديث وقال إنه يعتبر أن مطالب الصحفيين تعد تجاوزا فى حقه لا يقبله، وأنه لا يمكن أن يقبل هذا الأسلوب مهددا إياهم بالتصعيد، بينما حاول بعض مناصرى أسامة الاحتكاك بالصحفيين وحرضوه علنا على فصل المحتجين أو وقفهم عن العمل. واعتبر أسامة أن وقوف الصحفيين فى وقفة سلمية صامتة ومطالبته بالرحيل يعد إعاقة للعمل لن يوافق عليه.»

# الإسلامى الجديد.. بعد الثورة

## حسن العشماوى: «التسليم بالوجود الالهى

## ..والإيمان بالحرية الفردية..معاً»

بعد أربعاء الغضب فى «الأهرام» طلب الزميل خالد بركات الصحفى فى مجلة الشباب التابعة لمؤسسة «الأهرام» مقابلتى، خالد هو زميل دراسة فى كلية الإعلام، وكان قد خاض انتخابات مجلس نقابة الصحفيين ممثلاً لـ«الإخوان المسلمون» وحصل على نسب تصويت مرتفعة للغاية لكنه لم يحالفه الحظ بالفوز.

قبل لقاء خالد شرعت فى تأمل ما يمكن أن يكون سبباً للقاء. تذكرت انتماء خالد الإسلامى وتساءلت حول ما إذا كان «الإخوان المسلمون» قد قرأوا المبادرة التى كتبت عنها فى ملحق «شباب التحرير» لإطلاق حوار حول الدين والسياسة، واحتمال أن يكون لهم رد فعل ما على ما كتبت، أو أنهم يريدوننى واحدًا منهم ، أو.. أو... وفى النهاية قررت ألا أستبق الحدث.

جاء خالد وجلسنا، وتحاورنا، لكن العنوان الرئيسى لمقابلتنا كان يتمثل فى أن خالداً الذى كان قد شهد جزءاً من الوقفة الاحتجاجية عند باب اجتماع الجمعية العمومية لـ «الأهرام»، أراد معاتبتى أو تأنيبى، لماذا؟

خالد لاحظ على ما يبدو أننى خلال «الوقفة» لم أكن «القائد» ، ولم أكن الشخص الذى يوجه الأمور والأحداث على الرغم من أننى أنتمى إلى جيل يسبق جيل معظم الموجودين من الشباب.

خالد الذى مارس العمل السياسى «الحركى» من خلال الترشح لانتخابات النقابة، وإعلانه عن انتمائه لتيار سياسى محدد، قال لى بوضوح إننى يمكن أن أكون «كادراً» جيداً، لكن «بصراحة محتاج يكون صوتك أعلى من كده شوية»، كما قال لى هو.

والحق أننى لم أفكر يوماً ما أو أعمل من أجل أن أكون «كادراً».. بل لعلى لا أستطيع أن أضع تعريفاً محددًا للكلمة..فمن هو «الكادر»؟ وماذا يفعل بالتحديد؟ لا أدرى.

على أى حال..كان هذا هو رأى خالد الذى ربما يكون صحيحا فى بعض جوانبه..لكننى فى المقابل وجدت واحداً مثل أحمد هوارى يقول لى فى اليوم التالى ليوم الأربعاء الشهير..«أنا كنت فرحان بك جداً جداً»، كما وجدت زميلى إبراهيم سنجاب الصحفى فى قسم المحافظات يشيد بـ «محمد المعروف بأنه مؤدب»، لأننى قمت برفع لوحة «ارحل» من أمام أسامة سرايا فى الاجتماع ثم أعدت تثبيتها بعصبية على صدرى!

أيا كان الأمر..وسواء كنت مرتفع الصوت أو خفيضه، فى العمل «الحركى» الجديد، الذى بدأت ممارسته، أو قل تعلمه، فإننى لم أنس أبداً العمل «النظرى»، الأثير إلى قلبى، المتمثل فى مشروع بحث العلاقة بين الدين والسياسة الذى ظننت أن خالد بركات جاء ليحدثنى بشأنه.

وفى إطار تحولى الكبير وعودتى من مضمار البحث العلمى إلى الصحافة، كما أسلفت، أصبحت إحدى الركائز للتعبير عن أفكارى بشأن العلاقة بين الدين والسياسة هى أن أقوم بالتعليق على ما يستجد من أحداث المجتمع، لاسيما ممارسات القوى السياسية الإسلامية فيه، ومناظرة ذلك ومقارنته بالفكرة النظرية الأساسية، القائمة على إمكانية الجمع بين المقدس والبشرى، على أرضية الإيمان بالحرية المطلقة للمجتمع فى اختيار طريقه، انطلاقا من الحرية المطلقة التى أقرها الإسلام للفرد فى أن يؤمن أو يكفر أصلاً.

وكان الاستفتاء على التعديلات الدستورية قد شهد قيام معظم القوى السياسية الإسلامية بتوجيه المواطنين إلى التصويت بالموافقة عليها لترميم الدستور القديم، لا رفضها لإقامة دستور جديد، وكان هذا الموقف من وجهة نظرى يحتاج إلى المراجعة، سواء بالنسبة للإسلاميين الذين أعلن كثيرون منهم أن الموافقة على الدستور واجب دينى، أو الآخرين الذين لم يفصحوا عن ذلك لكنهم اختاروا هذا الطريق لأنه الأقرب إلى مصلحتهم السياسية لأنه يفضى إلى قرب إجراء الانتخابات المحتمل فوزهم فيها بنسب كبيرة..وهو ما يعنى تغليب مصلحتهم الحزبية على المصلحة العامة.

على أى حال.. بدا أن سؤالاً كبيراً يبرز على سطح المجتمع وهو..أليس هناك من سبيل يمكن أن يمارس الإسلاميون من خلاله السياسة باعتبارها عملاً دنيوياً ؟ وكانت تلك هى فرصتى للتعبير عن آرائى ورؤيتى حول الشكل الجديد للممارسة السياسية الذى ينبغى على الإسلامى الجديد بعد الثورة اتباعه فى إطار تغليب المصلحة العامة على الخاصة، فسارعت بإحضار أوراقى وأقلامى ورحت أكتب وأروى ما حدث فقلت:

فتحى شاب ريفى متدين غير متعلم، يعمل كحارس عقار فى أحد أحياء القاهرة، خرج صباح يوم الاستفتاء على التعديلات الدستورية متوجها إلى أقرب لجنة انتخابية عاقدا العزم على أن يقول لا للتعديلات لماذا؟(عايزين نعمل قواعد جديدة للبلد) فتحى عبر بكلماته الخاصة تلك عن الرغبة فى وضع «دستور جديد» للبلاد لا مجرد تعديل الدستور القائم لكن ما حدث هو أنه عندما وصل إلى اللجنة وجد أحد الأشخاص خارجها يتحدث معه وبعد حوار قصير دخل فتحى اللجنة وأدلى بصوته معلنا موافقته على التعديلات بعد أن اقتنع تماما بضرورة أن يقول نعم .(عشان المسيحيين ما يغيروش المادة بتاعة الدين)!

حالة هذا الشاب البسيط لم تكن مجرد حالة خاصة أو استثناء عما حدث يوم الاستفتاء..لاسيما فى «الأرياف». مصدر قضائى ممن شاركوا فى الإشراف على عملية التصويت قال لملحق (شباب التحرير) أن كثيرين من أبناء القرى والنجوع الذين أدلوا بأصواتهم صوتوا بالموافقة على التعديلات باعتبار أن ذلك واجب دينى وأكد بعضهم أنه اختار الدائرة الخضراء (التى تعنى الموافقة) حتى يدخل الجنة أو حتى لا يدخل النار فى حين عبر البعض الآخر عن نفس الموقف ولكن بكلمات مختلفة مثل أنهم اختاروا الدائرة التى على اليمين (الموافقة) حتى يجعلهم الله من أهل اليمين وهكذا.

ولا يقتصر الأمر على القرى أو أبنائها من البسطاء إذ أن الواضح أن عملية منظمة للإقناع بضرورة التصويت بالموافقة قد تم إجراؤها على مستويات عدة ووسط شرائح اجتماعية مختلفة يؤكد ذلك ما ذكره لنا موظف كبير بإحدى الجهات العاملة فى مجال البترول حيث قال إن شخصا ملتحيا توجه إلى تلك الجهة «صبيحة» يوم الاستفتاء والتقى بالعاملين فيها وتحدث معهم حول عملية التصويت داعيا إياهم إلى قبول التعديلات.

ويضيف الموظف الكبير قائلاً: إنه قد تم إجراء ما يشبه عملية (غسيل مخ) له ولزملائه حيث اقتنعوا جميعا بضرورة التصويت (بنعم) وهكذا فعلوا!

لماذا جرى كل ذلك؟ ومَنْ خطط له؟ ولأى هدف؟ تساؤلات عديدة سنحاول مناقشة إجاباتها خلال السطور المقبلة لكن لابد فى البداية من التأكيد على نقاط ثلاث أولها ضرورة احترام رأى الأغلبية وعدم التقليل من شأنه أيا كان الأمر وتلك مقتضيات الديمقراطية وثانيا أنه ليس كل من صوت بالموافقة على التعديلات كان ينطلق من اعتبارات دينية بل إن الكثيرين اختاروا هذا الطريق سعيا وراء الاستقرار والعمل على تقصير الفترة الانتقالية التى نعيشها الآن قدر الإمكان أما النقطة الثالثة فيما نود الإشارة إليه فهى أن البعض من فريق النخبة التى صوتت برفض التعديلات اتخذ مما حدث يوم الاستفتاء وسيلة لتأكيد صحة ما ذهبوا إليه من قبل من أنه لا يمكن للإسلاميين أن يمارسوا السياسة بشكلها المعتاد لأنهم يحولونها إلى عمل مقدس ويفرضون اتجاههم فرضا فهل هذا صحيح؟! أو بالأحرى أليس هناك من سبيل يمكن أن يمارس الإسلاميون من خلاله السياسة باعتبارها عملا دنيويا؟

على مستوى الواقع العملى وما حدث على الأرض فى الاستفتاء يمكن التمييز بين موقفين رئيسيين (معلنين) للتيارات الإسلامية المختلفة، أولها - وهو الأسهل فى المناقشة - ما ذهب اليه سلفيون قبل الاستفتاء من أن التصويت (بنعم) واجب شرعى و بعد الاستفتاء بوصف ما جرى على إنه انتصار فى (غزوة الصناديق) وأن من قالوا (لا) قد عرفوا قدرهم ومقامهم فى مقابل قدر الدين!

والحق أن منبع السهولة فى مناقشة هذا الرأى هو أنه لا مناقشة معه من الأساس، فأربابه لا يتحاورون ولا يعرفون أصلاً كيف يمارسون عملا سياسيا لأنهم اعتادوا فى الغالب على أن يخوضوا حروبا كما تدل على ذلك كلمة (غزوة)!

أما الموقف الثانى المعلن لأصحاب التوجه الإسلامى فقد تمثل فى تبني الموافقة على التعديلات الدستورية دون ربط ذلك بالدين أى باعتباره اختياراً سياسياً لا دينياً، وهو ما عبر عنه موقف جماعة (الإخوان المسلمون) على

سبيل المثال باعتبارها الفصيل الأكبر فى هذا المضمار لكن لابد من الإشارة فى الوقت نفسه إلى إنه تم رصد عملية حشد وتجييش منظمة للإدلاء بالأصوات والموافقة على التعديلات وهو ما عكس إصرارا شديدا على تحقيق هذا الاختيار وليس مجرد الدعوة إلى المشاركة فلماذا اعتبر الإخوان الأمر بمثابة معركة سياسية ينبغى الفوز فيها؟! وهل وجدوا فى الأمر مصلحة سياسية (قريبة) حيث تتيح الموافقة على التعديلات سرعة إجراء الانتخابات بما يضمن لهم الفوز فى ظل عدم بروز أى قوى سياسية أخرى على الساحة بعد؟ وما الذى تم تلقينه لأعضاء الجماعة التى تقوم على السمع والطاعة لحشد الأصوات؟ وهل تم اعتبار التصويت (بنعم) مجرد مصلحة سياسية وفقا لما هو معلن أم واجبا دينيا بشكل أو بآخر؟!

تساؤلات عديدة لا شك أن من شأنها أن تفرض نفسها على ذهن المراقب لما جرى لكن هذه التساؤلات قد تتحول إلى مخاوف لدى المتشككين أصلا فى نوايا الإسلاميين ومدى إيمان هؤلاء بالديمقراطية ليصبح السؤال هو.هل الإسلاميون جادون بالفعل فى دخول مضمار السياسة باعتبارها سياسة لا دينا؟! وما هى نسبة المقدس إلى البشرى فى ممارستهم؟وما الذى تعنيه أصلا المرجعية الإسلامية لبعض القوى والأحزاب؟

وتجدر الإشادة هنا إلى أن ملحق (شباب التحرير) كان قد أطلق يوم الرابع من مارس الجارى مبادرة لإقامة حوار وطنى حول علاقة الدين بالسياسة لاسيما بعد أن أتاحت ثورة ٢٥ يناير للأحزاب الإسلامية أن تخرج أخيرا إلى النور بعد سنوات من الحظر والإقصاء وقلنا آنذاك أنه ينبغى على الإسلاميين أن يدركوا أنه لا يوجد فى الإسلام سياسة واحدة بل سياسات عديدة بمعنى إنه لا يوجد فى الغالب موقف سياسى يكون فيه أحد الأفعال السياسية وحده دون غيره متفقا مع أحكام الإسلام بمعنى أن يكون هذا الفعل مقدسا وما دونه حراما بل أن إعمال قواعد الفقه الإسلامى الرحبة تجيز وتسمح بتطبيق أكثر من فعل فى الموقف السياسى الواحد.

وجاءت ملابسات مشاركة الإسلاميين فى الاستفتاء الأخير لتجدد هذه الدعوة للحوار ليقوم على أسس فكرية نظرية، تعود بالأمور إلى أصولها، لا معايير حركية تعنى بتحقيق مصلحة سياسية فى ظروف ما .فكيف ينبغى أن

يمارس الإسلامى الجديد السياسة فى عصر ما بعد الثورة؟

الحق أن المرء كثيرًا ما يتعجب عندما يجد اجتهادات فكرية شديدة الأهمية فى هذا الإطار إلا أنها لم تحظ بالرواج الإعلامى الواجب لها لما تحمله من بعد نظر وسعة أفق.

حسن العشماوى هو اسم لا يعرفه الكثيرون لكن صاحبه يعد من أهم أصحاب الرؤى التقدمية على صعيد الفكر السياسى الإسلامى، ويقول عنه الدكتور محمد سليم العوا فى كتابه الذى يحمل عنوان (فى النظام السياسى للدولة الإسلامية) إنه قدم تفرقة جريئة بين الإلهى والبشرى فى الفكر السياسى الإسلامى، فالإلهى هو النواميس الكونية وأحكام الشريعة، والبشرى هو التطبيق عن طريق الاختيار من بين الحلول المتعددة التى تتيحها الثوابت الدينية .و(الحاكمية لله) لا تعنى سوى سيادة نواميسه تعالى وهى قائمة على كل حال أما الحكم فهو شأن من شئون الناس تقيدهم فيه الشريعة الموحاة ثم يختارون لأنفسهم من النظم والأشخاص ما يشاءون.

لكن العشماوى يقول أن الأحكام التشريعية ما أقلها فى شئون الدنيا وأن الرسول «صلى الله عليه وسلم» كان ينهى عن الاستكثار منها لأن الخالق جل وعلا لا يريد أن يتدخل فى رسم تفاصيل سبيل أهل الارض إنما جعل لهم فى العقل والضمير ما يكفيهم.

وتقوم نظرة العشماوى إلى مشكلة الحكم على ركيزتين أساسيتين متكاملتين متجاوبتين هما التسليم بالوجود الإلهى والإيمان بالحرية الفردية. ويرى أن الحكم يكون ناجحا إذا استطاع الناس المواءمة بين الاثنين.

وهو يتساءل قائلا:هل دلونا ما المقصود بحاكمية الله فى أرضه؟ هل أراد الله أن تحكم الأرض على شكل معين؟ هل رسم لها صورة للحكم؟ لا ..أقولها بكل ثقة وأتحدى من يقول غير هذا أن يأتينى بدليل.

أما الفقه الإسلامى - كما يرى العشماوى - فإنه اجتهاد من سبقونا فى فهم الشريعة وفى تطبيق الصالح من الأحكام على شئون الناس وهو يستحق أن يجمع ليقرأه الراغبون فى فهم الشريعة لكنه لا يلزم أحداً من أهل الاجتهاد الآن.

ومساء الأحد وبينما كنت سعيداً بنشر موضوعى تذكرت لقائى العابر بالأستاذ حازم يوم أمس عندما قرأت على صفحة اتحاد شباب صحفيى «الأهرام» فى موقع «فيس بوك» الخبر الصاعقة..

حازم عبدالرحمن طلب من أسامة سرايا إعفاءه من منصبه كمدير للتحرير ورئيس للدسك المركزى!

# سرايا والقراء «معا».. يومين فقط

## برلمانى سورى يخاطب الأسد: «مو كفاية عليك المنطقة العربية لقيادتها أنت تحتاج العالم كله لتتزعمه»!

فى الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم الأربعاء ٣٠ مارس كنت أنا وزوجتى إيناس فى بهو «الأهـرام» فى انتظار وصول أحد المصاعد، عندما علمنا أن الثورة قد وصلت أخيرا إلى المؤسسة!

أصدر اليوم رئيس الوزراء الدكتور عصام شرف بناء على موافقة المجلس العسكرى قرارا بتعيين الكاتب الصحفى لبيب السباعى رئيسا لمجلس إدارة «الأهـرام» وعبدالعظيم حماد رئيسا للتحرير، خلفا للدكتورعبدالمنعم سعيد وأسامة سرايا، بالإضافة إلى تعيين رؤساء مجالس إدارة ورؤساء تحرير جدد لمختلف المؤسسات والصحف القومية، التى كانت تعج هى الأخرى بالرفض لرؤسائها السابقين.

تم التغيير إذن، وبلغت أصوات الصحفيين أسماع مسئولى المجلس العسكري، أسبوع واحد فقط بين أربعاء الغضب فى «الأهرام» الذى تظاهرنا فيه ضد سرايا، وأربعاء ٣٠ مارس الذى تم فيه التغيير.

عبدالعظيم حماد..جيد.

كان يتولى مسئولية الإشراف على الطبعة العربية للأهرام، تلك التى تصل إلى الدول العربية، والتى تختلف كثيرا فى تحريرها وموضوعاتها عن الجريدة التى توزع فى مصر، لكننا كنا نسميها الطبعة السرية، لأنها دائما بعيدة عن الأضواء، ولا يراها القارئ فى مصر أبدا على الرغم من الجهد التحريرى الواضح فيها.

عبدالعظيم حماد..كان أحد الأسماء التى رشحتها الشائعات لخلافة أسامة سرايا، لكن الأهم أنه كان - بشكل أو بآخر - رئيس التحرير المنتخب!

خلال الفترة الماضية نظم عدد من الزملاء ما يشبه الانتخابات لترشيح اسم صحفى يخلف سرايا كرئيس للتحرير، لكنها كانت انتخابات ذات طابع خاص نوعا ما، فقد كانت انتخابات بلا مرشحين حيث كان من حق كل صحفى أن يدلى بصوته فى الصندوق ليرشح من يشاء من الصحفيين، وجرى التصويت على عدة أيام، كان زملاؤنا خلالها يدفعوننا إلى النزول إلى الطابق الأول للإدلاء بأصواتنا.

زميلتنا الصحفية الثورية أمال عويضة طلبت منى ذلك بإلحاح، فقلت لها مداعبا أننى أريد فهمى هويدى رئيسا لتحرير «الأهرام»، فقالت على الفور: «اكتب اسمه»، لكننى فى الحقيقة لم أهتم بالنزول للتصويت، مثلما لم يهتم آخرون غيرى.

كنا نشعر بصدق نوايا منظمى هذه الانتخابات التى تخلو من المرشحين، لكننا لم نأخذ الأمر على محمل الجد كثيرا، وفى النهاية علمنا أن عبدالعظيم حماد هو من حصل على أعلى الأصوات، فى هذه الانتخابات الخاصة، وشاع اسمه فى أوساط الصحفيين، كمرشح منتخب، بشكل أو بآخر.

على أى حال..يكفى أنه رئيس التحرير الذى جاءت به ثورة ٢٥ يناير..فأى شرف هذا؟!

مشاعر مختلطة، عنوانها الرئيسى الفرح لحدوث التغيير، سيطرت على نفسي، حتى وقف المصعد فى الطابق الرابع، فتحت باب صالة التحرير، فوجدت حشود الزملاء تتحلق حول مائدة الدسك المركزى الرئيسية فى الصالة، وكانت لحظة تسليم وتسلم السلطة بين سرايا وحماد!

يا لها من لحظة خاصة..مضى عهد سرايا أخيرا..انتهى ذلك التفويض الذى قال أنه حصل عليه من المجلس العسكرى لإدارة الجريدة، انتهى الأمر، وجاءت الثورة برجالها فى النهاية، لتطوى صفحة طويلة من التبعية للسلطة ونفاق النظام، وليبدأ فصل جديد فى كتاب الصحافة التى يملكها الوطن لا النظام، والشعب لا الحكام.

بدا سرايا طبيعيا، وهو يقدم التهنئة لحماد ، ثم تحدث هذا الأخير قائلا أنه كان من الطبيعى أن تنعكس التغييرات السياسية فى البلاد على «الأهرام» دون أن يكون فى ذلك إساءة لأسامة سرايا، وأضاف قائلا إنه يبلغ من العمر ٦١ عاما وبالتالى فإن الفترة التى سيقضيها كرئيس للتحرير تعد فترة مؤقتة لاسيما فى ظل التغييرات الكبيرة التى ستحدث فى أجهزة الدولة ومنها مجلس الشورى الذى يعين رؤساء تحرير الصحف القومية، وقال أنه سيعمل على أن تمارس «الأهرام» دورها كسلطة رابعة حقيقية فى الدولة، خلال الفترة المقبلة.

وكان أبرز ما لفت الأنظار فى لقاء تسليم وتسلم السلطة هو «الأستاذ حازم عبدالرحمن» الذى طلب إعفاءه من منصب مدير التحرير قبل أربعة أيام فقط.

بدا المشهد فى أغلبه كأنه حفل لوداع «الأستاذ حازم»، الذى قال عنه حماد أنه «شال الجريدة على رأسه فى أيام وظروف صعبة»، وراح الزملاء يصفقون بحرارة لشكر ووداع الأستاذ حازم، بينما غابت عن وجهه تلك الابتسامة المرهقة المعتادة من جراء العمل، وحلت محلها ابتسامة مهذبة، متواضعة، خجلى، ممتنة للتكريم ناظرا بعينيه الضيقتين إلى أسفل، ودون أن ينبس بكلمة.

لاحظت أننى لا أصفق، كما لاحظت عن بعد ظهور الرئيس السورى بشار الأسد على شاشات التليفزيون المعلقة فى آخر صالة التحرير، حيث كان قد بدأ فى إلقاء أول خطاب له بعد اندلاع المظاهرات العارمة فى سوريا يوم ١٥ مارس وبعد سقوط ٦٠ شهيدا على الأقل فى المظاهرات برصاص أجهزة الأمن، وفى هذا الخطاب الذى تم إلقاؤه فى مجلس الشعب السورى قال الأسد أن هناك مؤامرة كبيرة لضرب استقرار سوريا، مؤكدا أن تزايد الدور السورى بمبادئه يقلق الأعداء، لكنه اعترف فى الوقت نفسه بأن بعض السوريين الذين تظاهروا ضد حكمه لهم مطالب مشروعة. وفى هذا الخطاب أيضا قام أحد أعضاء مجلس الشعب السورى محييا الأسد قائلا: «يا سيادة الرئيس أنت مو كفاية عليك المنطقة العربية لقيادتها أنت تحتاج العالم كله لتتزعمه»!.

فى ختام حفل استقبال عبدالعظيم حماد رئيس التحرير الجديد، كانت السعادة بالتغيير هى سيدة الموقف التى سيطرت على الجميع، لكننى فوجئت بالأخت والصديقة فاطمة الدسوقى عضو الجمعية العمومية للأهرام ورفيقة قسم الحوادث سابقا تقدم لى التهنئة بشكل خاص، باعتبارى أحد الثوار فى

«الأهرام»، ربما يكون ذلك قد أسعدنى، لكنه أيضا فاجأنى.

انصرفت بعد ذلك إلى القاء نظرة على الصفحة الأولى لـ «الأهرام» فى هذا اليوم التاريخي..وكان من بين العناوين..

– أسر شهداء الثورة تتسلم معاشاتها.

– ٥٠ ألف جنيه للورثة الشرعيين..والباب مفتوح لمن تنطبق عليهم الشروط.

– الإعلان الدستورى اليوم.

– محاكمة العادلى ومساعديه بتهمة قتل المتظاهرين ٢٤ إبريل المقبل.

– نبيل العربى وزير الخارجية: اتصالات لإعادة المصريين المحاصرين فى مصراتة.

– ٤٠ دولة تبحث انتقال السلطة فى ليبيا.

– استقالة عبدالمنعم أبو الفتوح من جماعة الإخوان.

(وهو الخبر الذى كتبه زميلى وصديقى الشاب هانى عزت إلا أنه تم حذفه فى الطبعة الثانية للجريدة)

وداخل الجريدة فى صفحة الشئون العربية الخاصة بقسمى:

– انضمام صهر على عبد الله صالح للثورة اليمنية.

– مجلس النواب البحرينى يقبل استقالة ١١ نائبا شيعيا.

– الحكومة السورية تقدم استقالتها والأسد يلقى خطابا مهما.

لكن ما لفت أنظار الجميع فى عدد الجريدة اليوم – قراء ومحررين – هو ظهور صورة أسامة سرايا فى الصفحة الأولى تحت عنوان:

«معا» عمود يومى للأستاذ أسامة سرايا ص٢٢

وقفزت عشرات علامات التعجب فى أذهاننا جراء ذلك!

عمود يومى لسرايا؟! الآن؟ فى نفس يوم رحيله؟ كيف ولماذا؟

ومن المفارقات أن مكان نشر العمود جاء فى الصفحة الأخيرة للجريدة

يمين الإعلان الذى يتصدرها عادة، أى فى نفس المساحة التى كان يكتب فيها الأستاذ الراحل أحمد بهاء الدين!

وكان رئيس مجلس الإدارة - الذى أصبح سابقا - عبدالمنعم سعيد قد حجز لنفسه «بذكاء» منذ فترة كافية مساحة لعمود يومى أيضا فى صفحة الرأى بعنوان «من القاهرة» فى نفس المساحة التى كان يشغلها أستاذنا سلامة أحمد سلامة. إلا أن ما فعله سرايا باتخاذه قرار الكتابة يوميا، قبل رحيله بيوم واحد، جاء شديد الغرابة، أو قل «التهور».

والمؤسف هو أن سرايا لم يتمكن من البقاء هو وقراء «الأهرام» «معا» سوى يومين فقط، ٣٠ و٣١ مارس، وبعدها اختفى العمود إلى الأبد!

وقال لى أحد قدامى الصحفيين فى الجريدة أن سبب إلغاء العمود جاء ليزيد من مأساوية رحيل سرايا، حيث ذكر أن إدارة الإعلانات فى الجريدة اعترضت على نشر العمود فى هذه المساحة بالتحديد بجوار الإعلان اليومى الضخم الذى يحتل صدر الصفحة الأخيرة لـ «الأهرام»، لأن وجود اسم سرايا بجوار الإعلان سيؤثر على المعلنين، بما يجعلهم يحجمون عن طلب الإعلان فى هذه المساحة. ولذا فقد تم رفع العمود من مكانه والغاؤه نهائيا.

والأنكى أن «الأستاذ سرايا» اكتشف أيضا بعد رحيله أنه لم يجهز لنفسه غرفة جديدة لمكتبه كرئيس تحرير سابق للجريدة، وعندئذ تم إنقاذ الموقف سريعا والبحث عن مكتب له!

فى المقابل. فإن التغييرات الصحفية لم تطل اسم ياسر رزق رئيس تحرير الأخبار، الذى كان قد تولى منصبه قبل أسبوع واحد من وقوع ثورة ٢٥ يناير، وهو ما ساعده على إعادة ضبط (بوصلته) سريعا، لتتوافق مع اتجاهات الثورة والثوار، بذكاء وحرفية صحفية، لا يفتقدهما. وهذا هو حال الدنيا.

وشملت التغييرات أيضا تعيين الزميل علاء ثابت رئيسا لتحرير جريدة «الأهرام المسائى»، وكان اسم محمد البرغوثى قد تردد وسط الترشيحات لرئاسة تحرير هذه الجريدة، بعد بزوغ نجمه فى عالم ما بعد الثورة فى مصر، من خلال ملحق «شباب التحرير»، وبشكل شخصى حاولت استطلاع مشاعر البرغوثى الداخلية إزاء هذا الترشيح قبل صدور القرار، فشعرت بأنه كان

يتمنى ذلك، لكن الزميل علاء ثابت هو من نال قصب السبق، لاسيما أنه عمل طويلا كمحرر مختص بتغطية شئون التعليم، فى الوقت الذى علمنا فيه أن من تولى اتخاذ القرار فى ملف التغييرات الصحفية هو الوزير الدكتور عمرو عزت سلامة وزير التعليم العالى سابقا، ولذا فلم يكن غريبا أيضا أن يحصل الأستاذ لبيب السباعى المحرر التعليمى المخضرم على منصب رئيس مجلس إدارة «الأهرام».

على أى حال.. استقرت القيادات الصحفية الجديدة فى مواقعها، وكتب رئيس التحرير الجديد عبدالعظيم حماد أول مقال له يوم الجمعة ١ إبريل بعنوان ثابت هو «تحت القَسَم» وعنوان «القارئ..المهنة..الوطن» فى الصفحة الأولى لـ «الأهرام»، التى حفلت هذا اليوم أيضا بنشر خبر بارز بعنوان «هيكل يهنئ السباعى وحماد بقيادة «الأهرام» مع صورة كبيرة للأستاذ محمد حسنين هيكل، الذى كان قد ابتعد تماما فى السنوات الأخيرة عن صفحات «الأهرام».

وإذا ما اعتبرنا أن «مصائب قوم عند قوم فوائد»، فقد جاء المانشيت الرئيسى للجريدة فى هذا اليوم الجمعة باللون الأحمر، بعنوان «منع سرور والشريف وعزمى وزوجاتهم من السفر»، وهو خبر جماهيرى بلاشك ومن شأنه أن يرضى الذوق العام للقراء فى هذا «التوقيت الثورى»، وتصادف أن يكون ذلك مع أول يوم تحمل فيه «الأهرام» على صدرها اسمى، لبيب السباعى وعبدالعظيم حماد.

وجاءت أولى توجيهات حماد للأستاذ مسعود الحناوى رئيس قسم الشئون العربية بطلب إجراء حوار مع السفير السعودى فى القاهرة أحمد عبدالعزيز قطان حول طبيعة العلاقات بين مصر والسعودية، بعد الثورة وما ينشر حول زيارات مبارك للسعودية ودعمها له. وأخبرنى مسعود أنه اختارنى للذهاب معه إلى السفير لإجراء الحوار.

فوجئت بالأمر نوعا ما، وتذكرت هجومى السابق على النظام السعودى قبل فترة قصيرة فى «الأهرام» عقب فتوى تحريم المظاهرات فى السعودية، والدعاء الذى ختمت به تقريرى وقتها قائلا: «قاتل الله الطغاة».

تذكرت ذلك، بينما كنا، الأستاذ مسعود وأنا، نجلس فى غرفة فسيحة

ملحقة بمكتب السفير فى انتظار خروجه لنا، وفى لحظات الانتظار أطلقت لخيالى العنان للتفكير بسخرية من ذاتى، باعتبارى مجرد صحفى صغير، لا كاتبا مشهورا له آراؤه المعروفة، وتخيلت خروج السفير السعودى لنا بين لحظة وآخرى، لأجده يشير إلىّ بحسم وغضب معلنا أنه يرفض اشتراكى فى إجراء الحوار معه، لأننى سبق أن هاجمت نظام الحكم فى بلاده و...و...

وهو ما لم يحدث بالطبع، ربما لأننى لست كاتبا مشهورا، أو ربما لأن الصحفيين عموما وما يكتبون ليسوا مهمين إلى هذه الدرجة عند السياسيين.. اختر ما شئت .

على أى حال.. فقد شرعت فى التأمل فى وجه السفير بدقة وهو يجيب عن أسئلتنا، حول ما إذا كانت هناك علاقة بين مبارك والسلطة السعودية حاليا، وما إذا كان وزير الخارجية السعودى سعود الفيصل قد هدد المشير طنطاوى بسحب الاستثمارات السعودية من مصر وطرد العمال المصريين من بلاده إذا تمت محاكمة مبارك، أو ما إذا كان مبارك قد دخل السعودية خلال الفترة الماضية من عدمه.

جلست أتفحص ملامح وجه السفير بدقة وهو ينفى كل ذلك جملة وتفصيلا، ويصفه بأنه كذب وهراء وافتراء وكلام سخيف لا يستحق الرد عليه، بل ويؤكد أنه لا توجد أى علاقة للسلطة السعودية «بالرئيس السابق مبارك» وأنه حتى لا توجد أى اتصالات معه وأن بلاده لم تعرض استضافته!

وبعد انصرافنا، وفى أثناء عودتنا فى سيارة «الأهرام» إلى مقر الجريدة، لم أستطع منع نفسى من الشرود والتأمل، لمحاولة استطلاع طبيعة تفكير السياسيين، ودقائق مشاعرهم الداخلية ، وتبريراتهم لذواتهم، عندما يدلون بتصريحات صحفية، يؤكدون فيها أو ينفون بشكل قاطع أمورا معينة، فى الوقت الذى ربما تكون فيه هناك «مسافة ما» بين ما يقولون وبين الحقيقة والواقع!

قطع الأستاذ مسعود تفكيرى بالحديث عن عمرو موسى، وحملته الانتخابية المبكرة، ونشاطه السياسى الملحوظ للغاية عقب الثورة وسقوط نظام مبارك، وفوجئت به يقول لى بأسى إنه كان فى السابق - قبل عهد سرايا أو فى

بداياته - يقوم بإجراء حوارات مطولة مع عمرو موسي تنقلها وكالات الأنباء بعد ذلك عن «الأهـرام»، إلا أن ما دفعه إلى التوقف عن ذلك كان هو سرايا نفسه وتعليقاته غير اللطيفة وعدم تحمسه لموسى أو للبعد العربى بشكل عام.

وكأن الأستاذ مسعود بذلك قد أراد الرد على ما لم أساله بشأنه حول سبب عدم استغلاله علاقته القوية والمباشرة بعمرو موسى لإجراء حوارات معه أو الحصول على تصريحات منه خلال هذه الفترة المهمة، وهو الأمر الذى كانت قدماى قد حفيتا لمحاولة الوصول إليه، ولكن بلا جدوى، فقط لأننى ليس معى «رقم موبايل عمرو بك».

# رأيت صحيفة تموت!

## محمد البرغوثي: «لهذا نستأذنكم الاحتجاب»

بدا القطب الإخوانى البارز الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح محطا للأنظار فى بدايات شهر إبريل، بعد إعلان استقالته من جماعة «الإخوان المسلمون»، لمخالفته قرارها بعدم الترشح لرئاسة الجمهورية، وإصراره على خوض الانتخابات.

بدأت أخطط لإجراء حوار صحفى طويل مع أبو الفتوح، ولم يكن هدفى من الحوار بالطبع الاكتفاء بمناقشة مسألة خلافه مع الإخوان، بل فكرت فى أنه يمكننى أن أعرّج بالحوار مع الدكتور عبدالمنعم على مناطق «غير مأهولة بالأفكار الواضحة» فى الفكر السياسى الإسلامي، وتطبيقاته على واقعنا المعاصر بعد الثورة، لاسيما الخلاف الفكرى - لا السياسى فقط - حول مسألة وجود المصلحة - أو عدمها - فى ترشح الإسلاميين لرئاسة الجمهورية فى أول انتخابات بعد الثورة.

حلمت بالصعود مع أبو الفتوح إلى جبال، والنزول به إلى وهاد وأودية، ثم الدخول فى زوايا ومنعطفات، خلال الحوار، لاستخراج كل طاقاته الفكرية والسياسية، وعرضها أمام القارئ.

حصلت على رقم تليفونه المحمول من الزميل الأستاذ هشام جعفر رئيس التحرير السابق للموقع الالكترونى «اسلام أون لاين»، وحاولت الاتصال مرارا، رد عليّ فى إحداها محمد عباس مسئول مكتب الدكتور أبو الفتوح، ووعدنى بتحديد موعد وحصل على رقم تليفونى، لكن لم أتلق أى اتصال من جانبه.

وفى الساعة الخامسة عصر يوم الاثنين ٤ إبريل، أرسلت على رقم الدكتور رسالة قصيرة هذا نصها: «يا دكتور أنا محمد شعير الصحفى بـ «الأهرام» وأحاول الاتصال بسيادتكم منذ أيام لإجراء حوار للأهرام وأرجو الاهتمام وتحديد موعد». وبعد حوالى نصف ساعة وجدت الدكتور أبو الفتوح يتصل

بى بنفسه، وأعطانى رقم تليفون محمد عباس المسئول عن موضوع ترتيب المواعيد، فشكرته كثيرا، وأعدت الاتصال بعباس راويا له ما جري، فوعدنى بتحديد موعد قريب، وأخبرنى أن الدكتور كان مشغولا بالفعل خلال الفترة الماضية.

وبعد ذلك بيومين، صباح الأربعاء ٦ إبريل، تلقيت اتصالا مفاجئا من الزميل جمال زايدة «صاحب ثورة الغضب» فى الجريدة يوم ٣١ يناير.. لعلك تذكره.. وسألنى عما إذا كنت قد طلبت لقاء أبو الفتوح فرددت بالإيجاب، وعندئذ وجدته يقول لى أنه - أى زايدة - أصبح الآن مسئول ملف الإسلام السياسى، بعد تعيينه من جانب رئيس التحرير الجديد عبدالعظيم حماد، وأن هناك زميلة أخرى سوف تجرى الحوار مع أبو الفتوح، لأن رئيس التحرير طلب إجراء حوارات مع جميع المرشحين للرئاسة، وحدد أمورا معينة طلب الاستعلام عنها منهم، لذا فإنها هى التى ستجرى الحوار.

قلت له إننى أقوم بإجراء الحوار لنشره فى ملحق «شباب التحرير»، فرد عليّ سريعا بقوله «لاخلاص الملحق خلص»، وكنت قد سمعت بأنه سيتم دمج الملحق داخل الجريدة على صفحتين يوميا بدلا من ٤ صفحات، وواصل زايدة كلامه منتقدا العمل فى الملحق وما وصفه بأنه تداخل بين ما ينشر فى الجريدة والملحق.

قلت له فى النهاية إننى لا مشكلة لديّ فى أن تقوم الزميلة بإجراء الحوار بدلا مني، إلا أنه بالغ وطلب منى المبادرة بالاتصال بمكتب أبو الفتوح لإعطائهم اسم الزميلة التى ستجرى الحوار!

كان طلبه استفزازيا للغاية، وبعد المكالمة جلست أفكر فى الأمر حزينا، غاضبا، وشعرت بخسارة شخصية كبيرة بعدم لقائى بالدكتور أبو الفتوح، لم أدر ما يمكن فعله، لكننى لست الصحفى الذى يمكن أن ينازع زميلا له فى نفس الجريدة للحصول على خبر أو إجراء حوار.

وجدت أمامى هذا الصباح دعاء خليفة، فرويت لها ما حدث، ووافقتنى على أنه كان مستفزا، ونصحتنى بعرض الأمر على محمد البرغوثى الذى سيأتى بعد قليل للنظر فيما يمكن فعله.

وكنت فى حاجة إلى لقاء البرغوثى بالفعل لسبب آخر أيضا، وهو أننى كنت قد أحضرت له حوار الأستاذ أحمد سعيد جاهزا للنشر، ووصل البرغوثى بالفعل إلا أنه كان يحمل لنا خبرا جديدا شديد السخونة! [1]

وقفت أمام البرغوثى، فاغراً فاهي، حاملا أوراق حوار أحمد سعيد بيدى، عاجزا عن الفهم!

«البرغوثى حيوقف الملحق»!

لماذا؟ هل طلبوا منه ذلك؟ ألم يقال أنه سيتم دمج الملحق داخل الجريدة على صفحتين يوميا؟!

قيل ذلك بالفعل، وفقا لقرار رئيس التحرير الجديد، إلا أن «البرغوثى ثائرا» قرر وقف الملحق إلى الأبد!

قلت له: «ليه؟ اقنعنى!» والحق أنه قد أقنعنى بالفعل!

كانت وجهة نظره هو أن قرار دمج الملحق فى الجريدة هو إعلان بداية النهاية له، وفقا لما خبرناه عن «الأهرام»، فاليوم سيتم دمجه كصفحتين فى الجريدة، وغدا سيسمح بنشر الإعلانات فى الصفحتين خصما من المساحة المخصصة للموضوعات بالطبع، وبعد غد سوف تؤدى مشاكل تبويب الصفحات فى الجريدة والظروف التحريرية الضاغطة إلى تخفيض المساحة إلى صفحة واحدة، وهكذا حتى يتم إلغاؤه بالفعل، فلماذا كل ذلك؟ كانت وجهة نظر البرغوثى هو أننا قد بدأنا كباراً لذا يجب أن ننتهى كبارا أيضا كما نحن، وإذا كانت الإدارة التحريرية الجديدة للجريدة قررت أن الملحق أدى دوره إلى هذا الحد، فالأفضل أن يتوقف الملحق إذن تماما.

أقنعتنى كلمات البرغوثي، رغم صعوبة القرار وألمه بالنسبة لنا جميعا، إلا أن

(١) كنت قد استكملت الحوار بسؤال الأستاذ أحمد سعيد تليفونيا عن مسألة إذاعته بيانات حرب ٦٧، وهى النقطة التى خجلت من إثارتها معه أثناء الحوار، الذى اعترانى خلاله تقلبات نفسية كبيرة كما أسلفت (!) وردّ الأستاذ قائلا: «اسأل المجلس العسكرى»..ثم شرح موضحا أنه كان سيواجه عقوبة الإعدام لو رفض نشر هذه البيانات، وفقا للقانون، وأن القوات المسلحة وقتها كانت تتعامل مع الإذاعة بلغة الأمر «كأننا جند فى المعركة» ثم قال: «ارجعوا للصحف يوم ٦ يونيو، وشوفوا إزاى «الأهرام» بقيادة هيكل كان بيهلل للنصر، ليه بتقولوا عن الإذاعة بس». ثم اختتم كلامه قائلا: «هم ما قدروش وقتها على جمال عبدالناصر فقالوا أحمد سعيد هو السبب!».

الألم سرعان ما تحول إلى سخرية مريرة.. «عادة المصريين..مش حيشتروها!».

نظرت إلى الحوار الذى أحمله فى يدى جاهزا للنشر، كان أحد العناوين التى جاءت على لسان الأستاذ أحمد سعيد كما كتبته كالتالي:

«أطالب ملحق «شباب التحرير» بالاستمرار فى بث الروح الثورية فهذه مسئوليتكم الوطنية»

قلت لنفسى «افرح يا قلبى لك نصيب..صباح الفل على عيون الثورة!»

ضحكت للغاية، وتساءلت: «الاستمرار فى بث الروح الثورية إيه؟ إذا كان وجود الملحق نفسه ما استمرّش؟!»

ضحكنا جميعا - دعاء والبرغوثى وأنا - بألم، وسألته «طب انشر الحوار ده فين؟ على هدومى؟» رد قائلا: «معرفش» ثم أضاف: «ممكن فى ملحق الجمعة الأسبوعي».

وانصرفنا جميعا مغادرين القاعة الدائرية كل فى طريقه.

فى أحد كتب الكاتب الكبير الراحل محسن محمد ورد فصل بعنوان «رأيت صحيفة تموت»، روى فيه تجربة عاشها فى إحدى الدول الغربية عندما وجد صحيفة تخرج على قرائها يوما «بمانشيت» كبير تعلن فيه أن هذا العدد هو العدد الأخير منها، وتوضح لقرائها أنها سوف تضطر إلى التوقف عن الصدور بسبب المشاكل المالية الخانقة لها والتى أدت إلى اتخاذ قرار بإغلاق الصحيفة نهائيا، والاعتذار للقراء!

كان ذلك تجربة صحفية وإنسانية خاصة، لكن لم يخطر ببالى يوما أننى سأشهد تجربة قريبة من ذلك، مع الفارق فى أن الصحيفة التى كتب عنها الأستاذ محسن محمد توقفت لأسباب مالية، أما ملحق «شباب التحرير» فقد توقف بعد أسبوع واحد من تولى رئيس التحرير الجديد الأستاذ عبدالعظيم حماد، الذى وصفناه بأنه رئيس التحرير الذى جاءت به ثورة ٢٥ يناير، «فأى شرف له؟!»، لكنه على ما يبدو لم يتحمس كثيرا لذلك المولود الثورى الصغير، فقرر تخفيض مساحته الى النصف ودمجه فى الجريدة، وهو ما قاد إلى إصدار البرغوثى قراره بوقفه نهائيا!

والمثير هو أن محمد البرغوثى قد اتخذ القرار من تلقاء نفسه ولم يخبر أى مسئول فى الجريدة به بشكل مسبق، بل وكتب ذلك وأعلنه للقارئ، من خلال كلمات مؤثرة، نشرت فى اليوم التالى الخميس ٧ إبريل، العدد ٥٦ تحت عنوان: «العدد الأخير من شباب التحرير»، وموقعة باسم «مجلس التحرير».

وجاء نصها كالتالى:

«فى لحظة فارقة من تاريخ مصر، ومن عمر «الأهرام»، صدر ملحق «شباب التحرير» قبل تنحى الرئيس السابق بأربعة أيام، وقد اختار مجلس تحرير الملحق أن يحمل العدد الثانى عنوانا عريضا على ثمانية أعمدة يقول: «ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١: يوم ولدت مصر من جديد»، ولعل كثيرين قد انتبهوا إلى أن هذا العنوان كان يمثل ردا مهنيا وسياسيا واضحا على ما اقترفه أحد الأشخاص فى حق مصر، وفى حق «الأهرام»، عندما اختار يوم ٤ مايو ٢٠١٠، وهو عيد ميلاد مبارك، أن تخرج «الأهرام» وفى صدر صفحتها الأولى صورة ضخمة للرئيس السابق، ومانشيت أضخم تقول كلماته: «يوم ولدت مصر من جديد».

لقد كان «شباب التحرير» الذى صدر قبل تنحى الرئيس السابق هو البشارة بقرب انعتاق الوطن من نظام سياسى فاسد، وانعتاق «الأهرام» من التبعية له، مما أدى لإهدار كل مواثيق المهنة وليصبح «الأهرام» بوقا لقارئ واحد هو الرئيس السابق الذى لم يكن يقرأ شيئا!

والآن وقد دخلت «الأهرام» عهدا جديدا، وانتقلت مصر بكاملها إلى ولادة جديدة، فقد رأت الإدارة المسئولة عن «الأهرام» أن ملحق «شباب التحرير» بصورته الراهنة، أدى مهمته على أكمل وجه، وآن له أن يندمج بفلسفته ومحرريه فى الجريدة الأم.

لهذا نستأذنكم الاحتجاب. والعودة إلى قواعدنا وأماكننا فى الجريدة».

..................................

بعد ذلك بثلاثة أيام، كنت نائما فى سريرى ظهر الأحد ١٠ إبريل، عندما تلقيت اتصالا من محمد عباس مدير مكتب الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح، ليخبرنى أن زميلة أخرى من «الأهرام» اتصلت به لإجراء الحوار، إلا أنه قرر

أن يعود لى أولا لسؤالى عن الأمر لأننى كنت أول من طلب الحوار، شكرته كثيرا واحترمت موقفه، وأخبرته أن الزميلة هى التى ستجرى الحوار لا أنا..
ثم رحت أغط فى نوم عميق[1]

(١) تمكنت بعد ذلك من نشر حواد الأستاذ أحمد سعيد على صفحة كاملة فى ملحق الجمعة يوم ٢٢ أبريل، لكننى اضطررت لتعديل عناوينه، ليصبح العنوان الرئيسى له هو «أطالب الأهرام بالاستمرار فى بث الروح الثورية».. لأنه لم يعد هناك بالطبع ملحق «شباب التحرير» الذى كان سعيد قد طالبه أصلا بذلك.

# عند نقطة المنتهى

## «الجيش وعد فأوفى»

فى هذه الأيام، أواخر شهر مارس، وخلال النصف الأول من شهر إبريل، بدا أننا نقترب من نهاية المسألة، إما بالنصر الكلى، أو الهزيمة الكاملة، ولا ثالث لهما!

سباق محموم جرى بين الشارع الثائر والمجلس العسكري، بحيث أخذ الأول يرفع سقف مطالبه إلى أقصى الدرجات، بينما يحاول الأخير اللحاق به لاهثا، وكبح جماح تطلعاته، حتى وصلت الأمور إلى أشد درجات الاحتقان، وأصبحنا نقف جميعا عند حافة الأمر كله..ولكن..فى النهاية..تبددت كل المخاوف، وجاءت أخيرا الفرحة الكبري..

خلال هذه الفترة اعتاد المصريون سماع الأخبار الطيبة خلال النصف الثانى من الأسبوع قبل يوم الجمعة.. الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، مما كان يسهم فى تخفيف حدة المظاهرات الأسبوعية الحاشدة التى أصبحت إحدى العلامات المنيرة ليوم الجمعة، والتى لولاها ما تحقق الشىء الكثير لهذه الثورة.

تصاعدت الدعوات إلى محاكمة رموز النظام السابق وإلغاء حالة الطوارئ، ونشرت «الشروق» على صفحتها الأولى يوم الخميس ٧ إبريل كلاما على لسان الداعية الإسلامى الدكتور صفوت حجازى قال فيه إننا نستطيع أن نأتى بمليونى متظاهر للذهاب إلى شرم الشيخ لإحضار مبارك وولديه لمحاكمتهم شعبيا.

فى هذه الأثناء أصدر النائب العام المستشار عبدالمجيد محمود قرارا بحبس رئيس الوزراء الأسبق أحمد نظيف وتم إلقاء القبض على محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان الأسبق وحبسه ١٥ يوما على ذمة التحقيقات معه، وبدأ الإعلان عن قرب إجراء التحقيقات مع مبارك وعائلته حول تضخم ثرواتهم،

ويوم الأربعاء ٧ إبريل قبل يومين فقط من موعد «جمعة المحاكمة والتطهير»، قرر المستشار عاصم الجوهرى مساعد وزير العدل لجهاز الكسب غير المشروع حبس الرجل الخطير، الدكتور زكريا عزمى الرئيس السابق لديوان رئيس الجمهورية، وأحد أوتاد حكم مبارك التى كانت راسخة، لمدة ١٥ يوما على ذمة التحقيقات معه ، فى بلاغات الأجهزة الرقابية ضده بتضخم ثروته.

وفى اليوم نفسه تم الإعلان عن تحديد يوم الاثنين ١١ إبريل للتحقيق مع صفوت الشريف حول تضخم ثروته أيضا.

وفى اليوم التالى نشر مع «الأهرام» ملحق مكون من ٤ صفحات ، عبارة عن جريدة القوات المسلحة، وحملت صفحتها الأولى ١٦ عنوانا أبرزها:

من المجلس الأعلى للقوات المسلحة..إلى شعب مصر

- ولاؤنا للوطن والشعب.. ولا نجامل أحدا على حساب مصر.

- زاهدون فى السلطة ولا نسعى إليها.ولا نبحث عن دعاية أو شهرة.

- نؤيد الثورة وندعمها.ونبذل قصارى جهدنا لتحقيق أهدافها.

- نرفض استعراض قوتنا على الشعب.. العنف لا يستخدم إلا ضد البلطجية والخارجين على القانون.

- محاولات الوقيعة بين الجيش والشعب مصيرها الفشل.

- الانتخابات البرلمانية فى سبتمبر لإعطاء مزيد من الوقت للأحزاب الجديدة.

ويوم الأحد ١٠ إبريل أصدر النائب العام قرارا باستدعاء مبارك ونجليه للتحقيق، وقال المتحدث الرسمى بإسم النائب العام أنه تم إرسال خطاب بذلك إلى وزير الداخلية لاتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة لتنفيذ القرار.

ما الذى يعنيه ذلك؟ تصاعدت حمى التساؤلات فى الشارع المصري، وبدا أن الوطن يقف على أطراف أصابعه ترقبا لما سيحدث.. هل سيتم التحقيق مع مبارك ونجليه فعلا؟ وما الذى يعنيه إخطار وزير الداخلية بالقرار؟ هل

سيتم القبض عليهم لإجبارهم على المثول للتحقيقات؟ هل يمكن أن يحدث ذلك حقا؟!

وجاء يوم الإثنين ١١ إبريل موعد التحقيق مع الشريف. وسرَت لديّ وزوجتى إيناس حالة من الترقب لما ستسفر عنه التحقيقات، وسط توقعات كبيرة بحبسه أسوة بزكريا عزمي. نقلت الفضائيات خبر وصول الشريف إلى مقر جهاز الكسب غير المشروع لبدء التحقيق معه. ومرت ساعات طوال، انشغلنا خلالها زوجتى وأنا بمتابعة أحداث البلاد على الفضائيات، حتى كدنا ننسى مسألة التحقيق مع صفوت الشريف، دخلت إيناس لتنام آخر الليل، بينما ظللت مستيقظا، حتى فوجئت على شريط الأخبار بخبر حبس صفوت الشريف.. وعلى الانترنت - بعد ذلك بقليل - شاهدت مقطع فيديو يصور لحظات خروج الشريف من مقر جهاز الكسب غير المشروع، فى اتجاهه إلى محبسه!

خرج صفوت الشريف خروجا أخيرا، ونهائيا، خرج من بوابة الحياة السياسية أسوأ ما يكون الخروج، غادر الشقة الفاخرة والفيلا الفسيحة والشاليه المريح إلى زنزانة مظلمة كئيبة فى سجن طرة، ترك خلفه الوزارة والحزب والمجلس، كما ترك خلفه ميراثا سياسيا ثقيلا سوف يعلق عليه التاريخ ويذكره طويلا.

وجاءت أصوات سباب المصريين، فى أثناء خروج الشريف لترحيله إلى محبسه، لتسدل ستارا نهائيا حزينا أسودا، على مسرح الأحداث فى حياة رجل طالما صال وجال فى شتى البقاع والأرجاء، وكان هو محرك الأمور، ودافع الأحداث، دون أن يخطر بباله - أو ببال أبرع الكتاب والمؤلفين - يوما أن تأتى النهاية على هذا النحو التعس.

طالما كنت أراقبه ..أتابعه.. كيف يسير ببطء؟ كيف يتحرك بهدوء؟ كيف يدخن سيجاره؟ كيف يزم شفتيه ويرفع حاجبيه لأعلى وهو يستمع إلى شىء جديد بالنسبة له لا يستطيع توقعه؟ وكيف تنبسط ملامح وجهه سريعا بعد ذلك لمنح محدثه ابتسامة مجاملة؟ أو كيف يستطيع أن يمنع عضلات وجهه من أن تشى بأى مشاعر داخلية له أحيانا؟ وكيف يتجاهل كل هذه العيون التى يعرف أنها مسلطة عليه لمتابعته، دون أن يبدو عليه أنه يشعر بها من الأصل؟!

طالما كنت أراقبه.. وبعدها كنت أطلق لنفسى عنان التأمل والأسئلة.. ترى أى

شىء هو الأكثر قدرة علي التأثير والتلاعب بعقل الإنسان.. المال أم الشهرة أم السلطة؟ كان السؤال يعصف بذهنى طويلا، لكننى - من متابعة صفوت الشريف - توصلت فى النهاية إلى الجواب، لاسيما فى ظل مجتمعاتنا العربية وبيئاتنا السياسية.. إنها السلطة.. والتى يمكن ببساطة أن تجلب معها المال والشهرة، لكنها هى الأساس، فهى تمثل القدرة على الفعل وبلوغ الهدف أيا كان، وهو ما لا يوفره المال أو الشهرة وحدهما.

«الأهرام» كتبت صباح الأربعاء ١٣ إبريل تقريرا متميزا فى صفحتها الأولي، أعدته الزميلة المحررة النابهة سميرة على عياد، ذكرت فيه أن صفوت الشريف قضى ليلته الأولى فى سجن طرة منكسرا لا يتكلم مع أحد، ورفض تناول العشاء مكتفيا بعبوات العصير. لكن اللقطة المؤثرة - فى نفس العدد - جاءت على الصفحة الرابعة، حيث تم نشر صورة كبيرة للشريف وهو يخرج واجما من مقر جهاز الكسب غير المشروع فى طريقه إلى طرة وكتب تحتها بدون توقيع:

## سبحان المعز المذل.. العادل!!

«كان يأمر فيطاع..وكان يضحك فتبتسم الدنيا لأتباعه..هو بتعبير موسيقى «مايسترو» عزف دوما سيمفونية للكذب والنفاق..وكان صاحب «جوقة» لحن الفساد التى لم تكن شريفة بالمرة..أخيرا..انتهت الحفلة وجاء وقت الحساب.. أو ساعة العدالة..واقتيد صفوت الشريف إلى السجن..فسبحان المعز المذل.. العادل!!» (١)

فى هذه الأثناء، ووسط حالة التأهب فى الشارع المصرى لمتابعة أنباء بدء التحقيقات مع مبارك، كان طبيعيا أن تطلّ «السعودية» برأسها، فقد قامت قناة «العربية» التى تملكها السعودية ببث تسجيل صوتى لكلمة ألقاها مبارك كانت كافية لتصاعد الغضب الشعبى ضده بصورة أكبر، فقد خرج للناس شاكيا من الألم الذى يعانيه مما يتعرض له وأسرته مما قال انها حملات ظالمة وادعاءات باطلة مؤكدا عدم امتلاكه أى حسابات أو أرصدة خارج مصر.

وذكرت جريدة «الشروق» يوم الثلاثاء ١٢ إبريل أن مصادرها رجحت أن

(١) «الأهرام» هى التى اختارت وضع علامتى تعجب لا علامة واحدة!

يكون قرار إذاعة الكلمة على قناة «العربية» قد تم بتواصل مصرى - سعودى رفيع المستوى، بعد صدور قرار حبس زكريا عزمى.

ليس ذلك وحسب، بل إن وزير الخارجية السعودى سعود الفيصل قام يوم الثلاثاء أيضا بزيارة خاطفة إلى مصر، لم تستغرق سوى عدة ساعات يفترض أنه التقى خلالها بالمشير حسين طنطاوى للمرة الثالثة خلال فترة قصيرة، إلا أن ما أعلن بخصوص الزيارة - وفقا لما نشره «الأهرام» صباح الأربعاء - هو أن الوزير السعودى أجرى مباحثات مع كبار المسئولين فى مصر، تناولت أوجه التعاون الوثيق بين البلدين، والتطورات على الصعيدين الإقليمى والعالمي(٤) وهى الصيغة الثابتة للبيانات الرسمية والتصريحات الحكومية، التى حفظها الصحفيون عن ظهر قلب، والتى لا تقدم أى معلومة أو فائدة حول طبيعة اللقاء أو مادار خلاله.

وفى نفس هذا الثلاثاء التاريخى ١٢ إبريل، وبالتحديد فى تمام الساعة السابعة مساء بدأت التحقيقات مع الرئيس السابق محمد حسنى مبارك فى مستشفى شرم الشيخ الدولى التى نقل إليها قبلها، كما تم التحقيق مع نجليه علاء وجمال فى المجمع القضائى فى حى النور فى شرم الشيخ، ومع الساعات الأولى من يوم الأربعاء ١٣ إبريل صدر القرار التاريخى للنائب العام المستشار عبدالمجيد محمود بحبس الرئيس السابق ونجليه لمدة ١٥ يوما على ذمة التحقيقات فى الاتهامات الموجهة إليهم بقتل المتظاهرين واستغلال السلطة والنفوذ والاعتداء على المال العام والحصول على عمولات ومنافع من صفقات مختلفة، وتم ترحيل علاء وجمال فجرا إلى سجن طرة.

وفى اليوم التالى الخميس ١٤ إبريل، احتفلت مختلف الصحف بصدور قرار حبس مبارك وكتبت «الأهرام» فى مستهل تقريرها الرئيسي:

«فى خطوة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر، أصدر النائب العام......»

وجاء التقرير تحت ٣ عناوين رئيسية:

«المانشيت» باللون الأحمر:

«فرحة شعبية واسعة بقرار حبس مبارك ونجليه».

ثم عنوانان تاليان هما:

«نظيف ووزراؤه التفوا حول جمال وعلاء وسألوا عن صحة الوالد».

«استئناف التحقيقات مع الرئيس السابق فور تحسن صحته».

وكتبت «الأخبار» عنوانها الرئيسى باللون الأحمر:

«ليلة حبس مبارك وجمال وعلاء».

لكنها سبقته ببيت شعر لإبن عروس هو:

«لابد من يوم معلوم ترتد فيه المظالم...أبيض على كل مظلوم أسود على كل ظالم».

كما نشرت «الأخبار» إلى جوار ترويستها الرئيسية ٣ صور «بائسة» لمبارك وجمال وعلاء، كُتب عليها كلمة «محبوس». وجاءت صورة مبارك بجوار اسم ياسر رزق رئيس التحرير.

وكعادة «الأخبار» منذ تولى رزق رئاسة تحريرها فقد تم إفراد الصفحة الأولى بالكامل للعناوين فقط وجاء من بينها:

«الناس هتفت: «الله أكبر» بعد إعلان قرار الحبس.وقذفت سيارة ترحيل جمال وعلاء بالأحذية».

- «حبس سرور وترحيله إلى المزرعة.وصفوت يتمسك بالإقامة فى زنزانة عزمى».

- «القوى الوطنية تعلن تعليق مظاهرات الجمعة.وتؤكد: الآن انتصرت الثورة».

- «صحف العالم: الجيش المصرى يثبت أنه حامى ثورة الشعب».

- «شباب الثورة: نظام مبارك انتهى.والجيش وعد فأوفى».

وكتبت «المصرى اليوم»:

«مبارك مصدوم نفسيا..ويمتنع عن الطعام..ويتهم الداخلية بالكذب».

وكتبت «الشروق»:

«مبارك محبوس فى «مستشفى شرم» وولداه فى طرة».

«جمال هاتفيا لأصدقائه من طرة: أيوه ولاد الريس الاتنين فى السجن».

وكتبت «الوفد»:

«الوفد تتفرد بتفاصيل أسود ليلة فى تاريخ مبارك وأسرته».

- «علاء يبكى ويرفض الخروج من غرفة التحقيقات وجمال يصرخ: «أسكت يا ولد».

وكتبت «الدستور»:

«علاء وجمال فى سجن مزرعة طرة».

«حبس مبارك ونجليه بتهم قتل المتظاهرين والاستيلاء على المال العام».

أما «الفجر» الأسبوعية فقد خرجت بعنوان:

«استمرار جمال وعلاء فى السجن يعيد أموال مصر المنهوبة».

بالإضافة إلى انفراد خاص بها بالصور:

«حبس مبارك فى جناح ٧ نجوم بمستشفى المارينز على طريق الإسماعيلية».

فى إشارة إلى المركز الطبى العالمي.

..............................

وأخيرا.. فقد كان ذلك بالنسبة لى كافيا. نعم. لقد أصبحت أصدق المجلس العسكري، الذى وعد فأوفى بالفعل، وانحاز المشير طنطاوى أخيرا إلى صفوف الجماهير المطالبة بمحاكمة مبارك، وخطا النائب العام خطوة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر بحبس الرئيس السابق مثلما كتبت «الأهرام»، ولم يشغلنى كثيرا أن يكون مبارك محبوسا فى مستشفى، أو مستوصف، المهم أن قرار الحبس قد صدر، وصدقت الوعود، وجاء اليوم الموعود، المنتظر، لبدء محاكمة الرئيس السابق عن كل ما اقترفته يداه من الجرائم والآثام فى حق هذا الشعب العظيم على مدى ثلاثين عاما.

بدأت محاكمة مبارك ونظامه، ووطدت الثورة دعائمها، وانحاز الجيش إلى الشعب، ليصلا معا متحابين..متعانقين..إلى نقطة المنتهي، لهذه القصة الطويلة الخالدة!

# فى انتظار التغيير!

## «همّ كلمتين..أقولهم ولاّ حتزعلوا؟»

فى «الأهرام»..اعتبرت أن قيام رئيس التحرير الجديد عبدالعظيم حماد بإصدار قرار إيقاف – أو تقليص – ملحق «شباب التحرير»، كأول قرار تحريرى مهم له، إنما يعد نوعا من عدم الذكاء السياسى، لكن ذلك حدث على كل حال وانتهى أمره، وبدأت «الأهرام» تستعد كى تنفض عن نفسها غبار سنوات من التبعية للنظام، بدأت الجريدة تتأهب للانطلاق الكبير، بما يوازى مكانتها التاريخية المعروفة.

وبدا أن رئيس التحرير يوجه اهتماما ملحوظا بقطاع الشباب من الصحفيين فى الجريدة، وأعلن أنه سيقوم بتشكيل مجلس تحرير لـ «الأهرام» تكون له السلطة العليا فى الجريدة، وطلب من الشباب ترشيح اسمى زميلين منهم، ليكونا هما صوت الشباب داخل المجلس.

تلقفنا جميعا هذا الإعلان بسعادة، وسارع الشباب فى تداول الأسماء فيما بينهم، وقاموا بإعداد قائمة من أسماء الصحفيين المحسوبين على جيل الشباب للتصويت عليها، من خلال صفحة «اتحاد شباب صحفيى «الأهرام» على «فيس بوك» التى كان صديقنا الشاب على محمد على قد أنشأها وتحولت بمعاونة أحمد هوارى ومحمود مكاوى ونادر محمود طمان وعمرو على الفار وهانى عزت إلى منبر مهم لتداول ومناقشة مختلف القضايا الأهرامية.

كان اسمى من بين الأسماء الموجودة فى القائمة التى سيتم التصويت عليها، وقد شكرت للشباب ترشيحى لهذا الأمر، إلا أن المفاجأة التى أدهشتنى كانت هى حصولى على أعلى الأصوات بالإضافة إلى الزميل العزيز الشاب أحمد صبري.

فى البداية، أسقط فى يدى، ولم أعرف ما أفعل، وكان أول ما تبادر إلى ذهنى هو أن أعتذر عن قبول هذا الأمر، لكن دعاء خليفة كان لها رأى آخر واجهتنى به بحدة، كانت فى محلها، فقد قالت لى بوضوح: «ما ينفعش تقول أنا باعتذر» وظلت تكررها «ما ينفعش..ما ينفعش»، وفهمت منها أن مسألة الاعتذار هنا هى رفاهية لا نملكها، وأنها أقرب إلى الاعتذار عن مواجهة العدو فى المعركة، فهل هذا ممكن؟ أو مشرف؟

كان العدو الرئيسى الذى تحاول دعاء - ونحاول نحن جميعا - مواجهته، إنما يتمثل فى عدم المهنية أو الموضوعية فى اتخاذ قرارات نشر المواد الصحفية، وبالتالى فإنه عندما يكون متاحا لأحدنا أن يشغل موقعا ما فى الجريدة يمكنه من مواجهة ذلك وتعديله فلابد أن يتصدى للأمر ويقوم به فورا، ولا مجال لأى اعتذارات.

اقتنعت بالطبع بكلمات دعاء ببساطة، وكل ما فى الأمر أننى كنت مأخوذا بالمفاجأة، إلى حد ما، لكن لم يكن ممكنا أن يكون موقفى مثل ذلك الموقف «المضحك» لبعض قيادات حزب التجمع بعد قبول الدكتور جودة عبدالخالق التعيين فى حكومة الدكتور عصام شرف، فما سمعته هو أن قبول الدكتور جودة المنصب قد تمت مواجهته بمشاعر غاضبة ورافضة لدى بعض القيادات، دون أن يتم الإعلان عن ذلك، وكان هذا الغضب مضحكا بالنسبة لى، وبدا أمامى اليساريون فى «التجمع» كمن اعتاد الجلوس على مقاعد المعارضة، وعندما قامت الثورة، وأصبح ممكنا أن تشارك المعارضة فى الحكومة لتنفيذ ما تراه سياسة مفيدة، تكون المفاجأة هى أن هؤلاء المعارضين الذين سودت مواقفهم وتصريحاتهم مئات الصفحات فى الصحف من قبل أصبحوا يرفضون المشاركة!

كان ذلك مثيرا للضحك بالنسبة لى، ولم يكن ممكنا أن أتخذ نفس الموقف، لكنها فقط كانت «الخضة» الأولى!

وسرعان ما تدبرت الأمر، واستعددت لهذه المسئولية الثقيلة، لاسيما فى ظل ما أحاطنى به تيار الشباب من ثقة كانت تجبرنى، على الانتقال من خندق المعارضة وطرح الأفكار «النظرية» حول الصحافة، وما يجب أن تكون عليه، إلى مربع «العمل» والحركة الفاعلة على الأرض، من خلال المشاركة فى حكومة «مجلس التحرير».

وطلب منى الكاتب الصحفى الأستاذ فتحى محمود الذى تبنى مطالب الشباب الإصلاحية أن أرسل له سيرة ذاتية لى لتقديمها ضمن الأسماء المرشحة إلى رئيس التحرير، وفعلت ما طلبه منى، وظللت أشحذ سيفى، وجلست فى الانتظار.

فى هذه الأثناء، أصدر عبدالعظيم حماد قرارات بتعيين بعض القيادات الصحفية الجديدة فى الجريدة، وإعادة تنظيم العمل فى بعض الأقسام، وكان اللافت هو أن القرارات الجديدة تم إعلانها داخل الجريدة عصر يوم الخميس ٢١ إبريل، وكانت هناك إجازة حتى يوم الإثنين ٢٥ إبريل «شم النسيم»، أى أن القرارات الجديدة ستكون قد دخلت حيز التنفيذ لمدة ٤ أيام قبل عودة المحررين للانتظام فى العمل يوم الثلاثاء ٢٦ إبريل.

كانت مثل هذه الأمور من الأشياء المعتادة، عند إجراء التغييرات داخل الصحيفة ولكن فى عهود سابقة، لا سيما فى عصر إبراهيم نافع الحديدى، لكن الأمور الآن اختلفت، ليس فى «الأهرام» وحدها بل فى مصر بالكامل.

والأدهى من ذلك هو أن كثيرين من الزملاء من الشباب وغيرهم قد اعترضوا على كثير مما جاء فى القرارات الجديدة، ولك أن تتخيل أن صحفيا مثل محمد البرغوثى الذى لمع نجمه من خلال ملحق «شباب التحرير»، فضلا عن ترشيحه لرئاسة تحرير «الأهرام المسائى»، لم يشغل أى موقع فى التغييرات الجديدة، وتم وضع اسمه ضمن وحدة صحفية جديدة تم استحداثها، وكانت مهمتها تقديم المشورة الصحفية والتطوير، وما إلى ذلك من المسميات التى تستخدم «للركن على الرف» عادة!

وإزاء هذه التغييرات، قرر شباب الصحفيين تنظيم وقفة احتجاجية عند مائدة الدسك المركزى بعد اجتماع مجلس التحرير يوم الثلاثاء ٢٦ إبريل.

ويوم شم النسيم «الإثنين» كنت فى «الأهرام»، وعقب اجتماع مجلس التحرير حاول عدد من الشباب التحدث مع حماد بشأن التغييرات الجديدة، لإبداء اعتراضاتهم عليها، وحاول هو تهدئتهم بالحديث عن مجلس التحرير الجديد الذى سيتم تشكيله وسيكون هو الضابط لأوضاع الجريدة، وعندئذ تدخلت سائلا حماد عن طبيعة اختصاصات مجلس التحرير المنتظر وكيفية ممارسته

لدوره، وموقعه الإدارى بالنسبة للدسك المركزى الذى يدير عجلة العمل اليومى فى الجريدة، إلا أنه رد علىّ ضاحكا بقوله أن دور المجلس معروف وفقا للائحة «الأهرام»، ثم قام بمداعبتى بتوجيه ضربة مؤلمة لى على ذراعى!

والواقع أن اللائحة الداخلية لـ «الأهرام» هى من الأسرار الكبرى التى يصعب الإطلاع عليها، لكن رئيس التحرير أحب أن تظل مسألة مجلس التحرير بمثابة «الجائزة الكبرى» التى ينتظرها الجميع، دون أن يعرفوا ما سيفعلونه بها بالتحديد.

وخلال هذا اللقاء أيضا، بدا أن حماد يعلم بنبأ الوقفة التى سيتم تنظيمها فى اليوم التالي، وهو ما أشعرنى بحجم الدور الذى يلعبه «اتحاد شباب صحفيى «الأهرام» على موقع «فيس بوك»»، كما أن حماد حاول أيضا تهدئة الاعتراضات على قراراته، بإعلانه أنه قرر أن يكون عدد السبت من الجريدة بمثابة عدد خاص يضم جميع أفراد المعارضة الأهرامية من الشباب، ليعملوا فيه ويقدموا أفكارا صحفية جديدة يتم نشرها لهم!

على أى حال..جاء يوم الثلاثاء..وظللت أتابع الأمر بترقب..انتهى اجتماع التحرير..ووقف الشباب عند باب صالة التحرير، الذى اعتاد رؤساء التحرير الخروج منه عقب الاجتماع، إلا أن حماد قام بتغيير خط سيره، وخرج من باب آخر، فتابعه الزملاء حتى لحقوا به عند الباب، والتقوا به معلنين بغضب أنهم يريدون التحدث معه، فدخل ودخلنا معه جميعا إلى القاعة الدائرية فى الدور الرابع..تلك القاعة الثورية..أبقاها الله ذخرا.

وعلى مدى حوالى ساعتين دار حوار عاصف..غاضب..رافض للتغييرات الجديدة، ولاحظت أن بعض الزملاء ممن كانوا رفاق المعارضة الأهرامية ضد أسامة سرايا، أصبحوا من أكبر مؤيدى حماد، وحاول أحدهم حثه على الانصراف من القاعة وعدم التحدث مع الشباب، بينما قال آخر إن هؤلاء لا يمثلون كل «الأهرام»، وأن هناك جبهات أخرى كان لابد من إخطارها بموعد هذا الاجتماع، وقيل أن هؤلاء أصبحوا يحصلون على مزايا لأنفسهم من حماد. لكن ما يقال كثير، وما قيل فى الاجتماع أيضا كثير.

ظللت أراقب المشهد ولم أتحدث، وبدا لى أن الكلمات الغاضبة المتشنجة.

التى أصبح الجميع يتراشقون بها، أخذت تتراقص متصاعدة شيئا فشيئا مع «دخان السجائر» إلى أعلى، نحو سقف القاعة الدائرية الثورية، لترسم ملامح مظلة ضخمة، عريضة، خانقة، سرعان ما تعود لتهبط مرة أخرى ببطء لتجثم رويدا رويدا فوق الصدور الغاضبة، فتخنق ما بداخلها من أحلام.

- خرجت من القاعة.. مختنقا.. متألما.. متأملا.. حالما.. وكعادتى فى مثل هذه الأحوال فإننى أجدنى أنحاز فورا إلى أسلوب محدد فى الكتابة، فرحت أكتب على صفحة «اتحاد شباب صحفيى الأهرام» قائلا:

«همّ كلمتين..أقولهم والا حتزعلوا؟

شكلكم حتزعلوا.. عموما حقولهم وخلاص..

بس قبل ما أقولهم ..أحب أسجل اندهاشى وذهولى من شىء شاهدته اليوم وهو أن هناك أشخاصا كنت أعاتبهم من قبل على درجة حدة هجومهم على أسامة سرايا.. وملاحقتهم له فى المؤسسة لمطالبته بالرحيل..والآن فوجئت بهم بنفس درجة الحدة لكن فى الدفاع عن رئيس التحرير الجديد فهل تحسنت الأحوال من وجهة نظرهم إلى هذا الحد؟ مش عارف..وبعدين هذا الاتحاد لم يروّج لأحد بعينه منذ اليوم الأول.. يعنى بالعربى لا لمدير التحرير ولا لغيره.. وأى انتقاد لرئيس التحرير الحالى ليس فى صالح أشخاص بل لـ «الأهرام»وهذا واضح من بدرى..يبقى إيه الحكاية يا حبايبنا؟

عموما همّ كلمتين..الأولى أن الثورات يمكن أن تطيح بالقيادة السياسية أو الصحفية فى وقت قصير أما التغيير الحقيقى فى أحوال الشعوب أو المحررين فهو يحتاج أوقاتا أطول.. يعنى إيه؟

يعنى إننا لازم نستمر فى محاولة إحداث تغيير حقيقى بطريقة وضع طوبة على طوبة وألا نظن أن مصر أو «الأهرام» يمكن أن تتغير أول الأسبوع الجاى..

وما حدث حتى الآن «فُل الفُل» بس مطلوب الهدوء أكثر من كده..

ومطلوب أيضا أن نقتنع بأننا نعمل عملا من أجل الغد ربما لا يرى جيلنا نتائجه فى حياته ..مش مشكلة وإيه يعنى .. طالما أننا نفعل الخير.. وبعدين رئيس التحرير ليس مخلدا وأول كلمة قالها يوم تسلمه الرئاسة من سرايا إنه

عنده ٦١ سنة.وكمان حيكون هناك برلمان جديد ورئيس جديد للدولة.وهذا كله يعنى أن رئيس التحرير الحالى يعد رئيسا انتقاليا إلى حد كبير..اتفقنا؟

أما الكلمة التانية فهى إنه فى بعض الأحوال النادرة ممكن يظهر التغيير بشكل سريع زى ما حصل فى جريدة «الأخبار» مثلا..بس ده يا حلوين يتطلب حاجتين اتنين برضه..

وهما إن القيادة يكون عندها مهنية عالية جدا وإدارة حازمة جدا..والحاجتين دول يعنى عندنا .زى ما انت فاهم.. مش قلتلكم حتزعلوا؟

طب ماتزعلوش ..سلامو عليكو».

# الجزء الثالث

## ابريل ٢٠١١ – مايو ٢٠١٢

# ..وجرت فى النهر مياه كثيرة..ودماء أيضا!

**الأخبار ٣ إبريل ٢٠١١:**

رفيق حبيب المفكر القبطى ومستشار مرشد الإخوان المسلمون: «الدستور القائم على الشريعة الإسلامية يحقق المساواة للمسيحيين». (أجرى الحوار محمد نور)

**الشروق ١٨ إبريل:**

كتبت - رانيا ربيع:

قال حمدين صباحى المرشح المرتقب لرئاسة الجمهورية فى ندوة بساقية الصاوي: «أنا ناصرى ولن أكرر أخطاء دولة جمال عبدالناصر فهو ليس نبيا.. أريد مصر دولة مدنية لا علمانية ولا دينية ولا عسكرية، نحن مجتمع لا يمكن أن يفصل الدين فيه عن الدولة، فالدين الإسلامى والمسيحى مكونان لثقافتنا ولا نقبل بعزلهما».

**«الأهرام» ١٩ إبريل:**

عمودان فى الصفحة الأولى تحت عنوان «خزانة أسرار صلاح منتصر»:

«مع كامل احترامنا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة واعتزازنا بدوره التاريخى يعتذر «الأهرام» عن عدم نشر القراءة التحليلية فى سلسلة أعمدة الأستاذ صلاح منتصر والتى سبق نشرها تحت عنوان: يوم تنحى الرئيس.. وذلك بناء على طلبه».

**الشروق ٢٠ إبريل:**

كتب - ميشيل عبدالله:

قال حمدين صباحى فى ندوة بجامعة الفيوم: «نريد مصر دولة مدنية ذات

مرجعية إسلامية باعتبار أن المصريين مسلمين ومسيحيين ينتمون للحضارة الإسلامية..لا نريد الرئيس الفقيه ولا الجنرال».

**الشروق ٢٣ إبريل:**

مجزرة سورية مروعة تعيد كابوس حماة

استشهاد ٨١ متظاهرا وإصابة المئات برصاص قوات الأسد

**الشروق ٢٦ إبريل:**

**مانشيت باللون الأحمر: الأسد يفترس درعا .والمدينة تستغيث: واعرباه**

**وعلى الصفحة الأولى:**

**- عصام شرف يلتقى العاهل السعودى وينفى وجود ضغوط سعودية لمنع محاكمة الرئيس السابق.**

**- عمرو موسى يبدأ من أسوان أولى جولاته الانتخابية.**

**«الأهرام» ٢٨ إبريل:**

**كتبت - ليلى مصطفى.**

**المجلس الأعلى للقوات المسلحة يؤكد: لم نتدخل فى سياسة وسائل الإعلام ونسعى لاستعادة ريادة مصر الإعلامية.**

**- الدكتور يوسف القرضاوى فى تصريحات خاصة لـ «الأهرام»:**

**«أتمنى أن يجمع الإخوان بين المثالية والواقعية وينظروا للحاضر والمستقبل وأهل الدار والناس خارج الدار نظرة متكاملة، ويسمع بعضهم لبعض ويقدموا الرأى الذى تتفق عليه الغالبية (وأمرهم شورى بينهم).**

**وأضاف أن على الإخوان أن يستمروا فى الطريق ويخلصوا النية لله، وهى ربانية، وتابع قائلا للإخوان إذا دخلتم السياسة، فلا تكن ميكافيلية، فليس عندنا أن الغاية تبرر الوسيلة، فالمهم شرف الغاية ونبل الوسيلة.**

وقال القرضاوى فى تصريحه لـ «الأهرام» إن جماعة «الإخوان المسلمون» من أفضل الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة رغم عيوبهم..فهم أفضل الجماعات فى فهم الإسلام فهما وسطيا صحيحا، في كل أمور الدعوة والأسرة وهم من أعدل الناس، وفى الثورة المصرية كانوا من أميز العناصر وأنكروا ذاتهم..ولكن بالطبع هم ليسوا ملائكة.

أما عيوبهم فهى المبالغة فى المحبة والكراهية..فإن أحبوا شخصا رفعوه لمنزلة عالية والعكس صحيح، وقال وهذا ما حدث مع الشيخ محمد الغزالى رحمه الله».

**المصرى اليوم ٣٠ إبريل:**

مسيرة للسلفيين بالقاهرة..وأخرى بالإسكندرية للمطالبة بالإفراج عن المحتجزات فى الكنيسة ومنهم كاميليا شحاتة.

**الشروق ٣٠ إبريل:**

شيخ الأزهر أحمد الطيب: «لا تهم ديانة رئيس مصر المقبل الأهم أن يكون متعلما وعنده ضمير»

كتبت أية عامر:

«..........وعن مواصفات رئيس مصر المقبل من منظور شيخ الأزهر فهو متعلم ويعرف بالسياسة العالمية ويكون من أعماق الناس يشعر بالفقير والفقراء، ولا يشترط دينه، ولكن الأهم أن يكون صاحب ضمير ويشعر بمشاكل الناس.

....وعن مفهوم الدولة الدينية قال: لا توجد دولة دينية فى الإسلام بالمفهوم الغربي، بمعنى أن يقول الحاكم أن كل ما يقوله أو يأمر به هو من عند الله، موضحا أن الدولة المدنية فى الغرب يكون دينها الحرية، فيما يتحكم ديننا نحن فى الحرية».

**«الأهرام» ٣ مايو:**

المانشيت الرئيسى: «أخيرا..العالم بدون بن لادن»

- شيخ الأزهر يستنكر إلقاء جثته فى البحر.

– نبيل العربى وزير الخارجية: مصر ضد كل أشكال العنف بما فى ذلك العَنف الدولى، ومن ثم لا يوجد تعليق رسمى على ذلك.

– مقتل بن لادن ينعش البورصة.

**الشروق ٣ مايو:**

– المانشيت الرئيسى: «أوباما يقتل بن لادن.والغرب يحتفل»

**– طارق الزمر القيادى فى الجماعة الإسلامية: إذا كنا نستتكرعليه بعض العمليات التى كانت مخالفة للشرع إلا أننا لا نتكر عليه الشهادة، فهو أحد شهداء المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الأمريكى والغربى.**

**– نصر فريد واصل:أسامة بن لادن شهيد لأنه قتل على أيدى الأعداء.**

**– الدكتور عبدالمعطى بيومى: رسول الله علمنا أن نحترم الإنسان حيا أو ميتا ولو كان عدوا، فحينما مرت جنازة يهودى هبّ واقفا، وقيل له : أنه يهودى، فردّ: أليست نفسا؟، وكان وقتها فى أشد العداوة مع اليهود.**

**«الأهرام» ٩ مايو:**

**المانشيت باللون الأحمر: «نيران التعصب الطائفى تهدد مصر بمخاطر شديدة»**

**– إحالة ١٩٠ لمحاكمة عسكرية عاجلة بعد مقتل ١٢ وإصابة ٢٣٢ فى مصادمات بإمبابة.**

**– الأحداث بدأت بشائعة عن مسيحية أسلمت.**

**– تجديد حبس صفوت الشريف ١٥ يوما.**

– التحقيق مع الرئيس السابق للمرة الثالثة خلال ساعات.

**«الأهرام» أول يونيو:**

كتب – أحمد هوارى من بنغازى:

«ليبيا..أحفاد المختار يكتبون الفصل الأخير من حقبة القذافى»

ثوار ١٧ فبراير: ثورة مصر رمز ومرجعية ومصدر اعتزاز وإلهام.

«الأهرام» تحصل على صور نادرة من مواقع القتال لمعتصم نجل العقيد القذافي، والمقابر الجماعية قبل أن يتم حرق الجثث فيها، والوسائل البدائية لتحويل سيارات نصف نقل إلى مدرعات يستخدمها الثوار.

**«الأهرام» ٩ يونيو:**

على أكبر صالحى وزير الخارجية الإيرانى فى حوار لـ «الأهرام»:

«مستعدون لإعادة العلاقات مع مصر فورا دون قيد أو شرط»

**«الأهرام» ١٤ يونيو:**

- فى تقرير موسع لمجلة «تايم» الأمريكية عن الربيع العربى:

مكاسب الثورات العربية لن تقتصر على العرب فقط بل يمكن أن تعود بالمنفعة أيضا على أوروبا.

«القارة العجوز» تحتاج إلى سواعد ١٧٥ مليون شاب عربى يعيشون على أعتابها ليعود لها شبابها.

- أردوغان يفوز بثقة الأتراك ويتعهد بصياغة دستور للجميع:

«وسط مشاركة شعبية غير مسبوقة جدد الأتراك ثقتهم فى حزب «العدالة والتنمية» الحاكم بزعامة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان.......وحصل «العدالة والتنمية» على نسبة ٤٩,٩١٪ من الأصوات، وصوت له ٢١,٤ مليون ناخب، وبلغ عدد مقاعده فى البرلمان الجديد ٣٢٦ مقعدا من أصل ٥٥٠ مقعدا، وسيتمكن بذلك من تشكيل الحكومة الجديدة فى البلاد منفردا للمرة الثالثة على التوالى وللمرة الأولى فى تاريخ تركيا».

**المصرى اليوم ١٤ يونيو:**

كتب الدكتور علاء الأسوانى: «هل تسمح الدولة المدنية بتطبيق الشريعة؟!»

«..................السؤال الآن: هل يمكن تطبيق الشريعة فى دولة مدنية ديمقراطية؟!. الإجابة: نعم بالتأكيد. لكن على أن يتم ذلك باختيار الشعب وإرادته

الحرة..فإذا كان هناك حزب سياسى إسلامى يعتبر أن القانون المصرى غير مطابق لمبادئ الشريعة فمن حقه أن يسعى إلى تطبيق ما يراه صحيحا، وعليه عندئذ أن يدعو بوضوح إلى برنامج انتخابى يشرح فيه القوانين التى سيسنها من أجل تطبيق الشريعة، فإذا حصل هذا الحزب على غالبية الأصوات فى انتخابات نزيهة يكون من حقه أن يطبق البرنامج الذى انتخبه الناس من أجله.. أما أن يتولى الحزب الإسلامى الحكم ثم يعتبر أن تطبيق الدين (وفقا لمفهومه) أمر واجب يجب ألا يستشار فيه الناس بل يجب أن يفرض عليهم، فنحن مرة أخرى أمام حكم قمعى يستعمل الدين كغطاء للاستبداد..قد يقول قائل إن النتيجة واحدة فى الحالتين..إلا أن الاختلاف فى الطريقة مهم وفارق، فعندما تحتكم إلى إرادة الشعب يكون تطبيق القانون شرعيا لأنه تم باختيار الناس وإرادتهم..أما إذا فرضت عليهم ما تعتقد أنه صواب فإنك تعتدى على حقهم فى اختيار ما يريدونه لحياتهم من قوانين ومبادئ.كما أن فرض حكم الدين يختلف باختلاف عقلية من يفرضه..فمفهوم تطبيق الشريعة عند مفكرين مستنيرين مثل طارق البشرى وأحمد كمال أبو المجد مختلف بالتأكيد عنه عند مشايخ السلفية.........................................

لقد قامت الثورة المصرية من أجل تحرير المصريين من الاستبداد والقهر، ولن يقبل المصريون أبدا أن يستبدلوا بالاستبداد السياسى استبدادا دينيا. إذا أراد الإسلاميون أن يطبقوا مشروعهم السياسى فعليهم أن يعرضوه على الشعب المصرى صاحب السيادة المطلقة فى النظام الديمقراطى..فإذا اختار الناخبون برنامج الإسلاميين فليس من حق أحد أن يعترض لأنها إرادة الشعب، أما إذا رفضوه فليس من حق أحد أن يفرضه عليهم مهما كانت الأسباب والمبررات..الديمقراطية هى الحل».

**اليوم السابع ٢٠ يونيو:**

- الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح يتراجع عن التنازل لصالح الدكتور محمد سليم العوا ويقول: «أنا سعيد بترشحه لكننى عازم على الاستمرار حتى النهاية فى ماراثون الانتخابات الرئاسية».

- عصام سلطان نائب رئيس حزب الوسط:

«حوارات طويلة وممتدة منذ أيام مع أبو الفتوح حتى ينسحب لصالح العوا، والأيام القليلة المقبلة ستحسم القلق فى التيار الإسلامى، وتنتهى إلى مرشح واحد يدعم المشروع الحضارى الإسلامى».

**«الأهرام» ٢٠ يونيو:**

محمد سليم العوا بعد إعلانه الترشح للرئاسة:

«المشروع الحضارى الإسلامى الوسطى المصرى يتسع للمسلم والمسيحى واليهودى، وأصحاب الأديان الوضعية، وغير المتدينين بأى دين».

**«الأهرام» ٢١ يونيو:**

- بعد اتفاق عدد من المثقفين المصريين ومفكرى الأزهر:

الإمام الأكبر يعلن وثيقة الأزهر بشأن مستقبل مصر

كتب - محمد فتحى:

«..........وجاء ضمن نص الوثيقة:

**من هنا نعلن توافقنا نحن المجتمعين على المبادئ التالية لتحديد طبيعة المرجعية الإسلامية النيرة، التى تتمثل أساسا فى عدد من القضايا الكلية، المستخلصة من النصوص الشرعية القطعية الثبوت والدلالة، بوصفها المعبرة عن الفهم الصحيح للدين، ونجملها فى المحاور التالية:**

أولا: دعم تأسيس الدولة الوطنية الدستورية الديمقراطية الحديثة، التى تعتمد على دستور ترتضيه الأمة، يفصل بين سلطات الدولة ومؤسساتها القانونية الحاكمة، ويحدد إطار الحكم، ويضمن الحقوق والواجبات لكل أفرادها على قدم المساواة، بحيث تكون سلطة التشريع فيها لنواب الشعب، بما يتوافق مع المفهوم الإسلامى الصحيح حيث لم يعرف الإسلام لا فى تشريعاته ولا حضارته ولا تاريخه ما يعرف فى الثقافات الأخرى بالدولة الدينية الكهنوتية التى تسلطت على الناس، وعانت منها البشرية فى بعض مراحل التاريخ، بل ترك للناس إدارة مجتمعاتهم واختيار الآليات والمؤسسات المحققة لمصالحهم، شريطة أن تكون المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى

للتشريع، وبما يضمن لأتباع الديانات السماوية الأخرى الاحتكام إلى شرائعهم الدينية فى قضايا الأحوال الشخصية..................»

- حوار للدكتور محمد عمارة لـ «الأهرام» أجراه محمد القيعى:

«......................

سؤال: يرى البعض أن القول بدولة مدنية لها مرجعية دينية خلط غير مفهوم، ما ردك؟

عمارة: قد أفاجئ القارئ إذا قلت إننى رجعت إلى ١٤ مرجعا فى العلوم السياسية وموسوعاتها ودوائر المعارف والقواميس، ولم أجد كلمة الدولة المدنية، هناك دولة دينية عرفها الغرب فى القرون الوسطي، وهى موجودة فى نظرية الإمامة عند الشيعة وفى ولاية الفقيه، هذه الدولة دينية بمعنى أن الدين مقدس، معصوم، ثابت. فالدولة الدينية تقدس المجتمع والحكم وتجعله معصوما وتجعله ثابتا، فلا وجود لسلطة الأمة ولا الديمقراطية ولا للشورى فى الدولة الدينية، فالحاكم معصوم يحكم بالتفويض الإلهى.

ومقابل الدولة الدينية فى الغرب هى الدولة العلمانية اللادينية، الدولة التى مرجعيتها الواقع والدنيا، ولا علاقة لها بالدين.

الدولة الإسلامية لا هى الدولة الدينية ولا هى الدولة العلمانية.

الدولة الإسلامية هى نظام، الأمة فيه هى مصدر السلطات، بشرط ألا تحل حراما أو تحرم حلالا، وهذا نموذج مختلف تماما عن الدولة الدينية والدولة العلمانية.

.......................

.......................»

- الجماعة الإسلامية تعلن إنشاء حزب «البناء والتنمية» وترفض رئاسة القبطى والمرأة للجمهورية.

**«الأهرام» ٢٢ يونيو:**

كتب المفكر الإسلامى الدكتور أحمد شوقى الفنجرى مقالا بعنوان:

«العقوبات فى الإسلام تطبق فى مجتمع الكفاية والعدل» (٢،١)

قال فيه:

«الفكرة السائدة عند الكثير من الجماعات الإسلامية والدعاة الإسلاميين الذين يطالبون بشدة وحماس بتطبيق الإسلام، أن الذى ينقصنا هو العمل بنظام العقوبات فى الإسلام.وهم يتصورون أن أى زعيم مخلص لدينه وعقيدته يصل إلى الحكم فى أى دولة إسلامية، فما عليه إلا أن يعلن من اللحظة الأولى لحكمه عن تطبيق هذه العقوبات. وهذا خطأ كبير، وفيه أكبر إساءة إلى الإسلام، فالإسلام ليس مجرد نظام عقوبات، وهو أعظم من أن نحصره فى العقوبات.

ومعنى تطبيق الإسلام بذل الجهد الخالص لوجه الله ولغير أى مطمع دنيوى أو مصلحة شخصية لإصلاح أحوال البلاد ورفع الظلم عن العباد وتحسين الاقتصاد.والبناء والتعمير والتعليم والتطوير، كما أن الشريعة الإسلامية تقرر بكل حسم أن الحدود والعقوبات آخر ما يطبق من الإسلام!! وأن هناك شروطا لهذا التطبيق لا يمكن لأى حاكم أن يتخطاها، وإلا يصبح حكمه وقراراته وأوامره كلها غير شرعية، وغير إسلامية.

إن الباحثين والمفكرين المحايدين فى أوروبا يعلنون دائما أن نظام العقوبات فى الإسلام فيه قسوة وشدة وعنف.وهم معذورون فى هذا كل العذر، لأن ما يشاهدونه يطبق فى الدول التى تدعى أنها تحكم باسم الإسلام هو صورة مشوهة وغير شرعية.والإسلام برىء منها، فالشرط الأول لتطبيق هذه العقوبات هو إصلاح المجتمع أولا إصلاحا جذريا، بحيث يصل أفقر رجل فى الرعية إلى ما اصطلح عليه فقهاء المسلمين (بحد الكفاية) بل سموه (حد الغنى). فلا يضطر أحد إلى السرقة ثم تقطع يده.

ويصبح لكل مواطن السكن اللائق والعمل والرزق حتى يتزوج ويتجنب الزنا.. وأن يتحقق الأمن والمساواة والعدالة الاجتماعية، حتى لا يحس أحد بالظلم

أو المحسوبية، وبعد أن يقوم هذا بالكامل، فلن يكون هناك ظلم فى تطبيق العقوبات، ولن تعتبر شديدة أو قاسية مع من ينحرف بعد كل هذا العطاء. وقد يعترض بعض المتشددين بأن تحقيق هذا المجتمع المثالى الناهض أمر صعب المنال ويحتاج إلى سنين من التخطيط والصبر والانتظار. ومعنى ذلك أننا لن نستطيع تطبيق نظام العقوبات إلا بعد عمر طويل، وقد لا نستطيع تطبيقه أبدا. ونقول لهم علام الاستعجال؟..إن العقوبة ليست هدفا لذاته، وليست هى الإصلاح المطلوب للقضاء على الانحرافات بأنواعها، لكن العلاج الحقيقى والجذرى يكون بإزالة أسباب الانحراف أولا. ولتكن لنا فى ذلك أسوة بقائد هذه الأمة محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى ابتدأ جهاده فى المدينة المنورة بالإصلاح أولا، وظل يكافح فى هذا المجال عشر سنوات حتى وصل مجتمع المدينة إلى القمة المثالية التى يحلم بها أى إنسان، ثم لم ينزل نظام العقوبات إلا فى أواخر حياته، وبعد أن اكتمل المجتمع، وزالت أسباب الانحراف، وبذلك لم يوقع عقوبة، قطع اليد إلا مرة واحدة طوال فترة حكمه.

**«الأهرام» ٣ يوليو:**

«قراءات فى النموذج التركى» تقرير كتبه هانى عسل قال فيه:

**«أكثر ما يلفت النظر ونحن نتحدث عن النموذج الديمقراطى التركى أن تركيا نفسها لم تسع إلى فرضه على أحد، وإنما صنعت نموذجا يمكن استلهامه فى أى من دول الشرق الأوسط إعجابا وتقديرا بنتائجه السياسية والاقتصادية ومثاليته رغم الطريق الشاق الذى قطعته فكرة وجود حزب ذى توجهات إسلامية فى بلد يقوم أساسه على المبادئ العلمانية».**

**ويضيف: «لقد نجح حزب العدالة والتنمية فى الوقوف فى نقطة وسط بين تجارب الإسلام السياسى فى إيران وغزة والتجارب العلمانية الخالصة فى تركيا نفسها قبل مرحلة أريكان.......».**

**«...............وبالفعل، فقد كان الاستقرار الاقتصادى هو كلمة السر فى نجاح التجربة الإسلامية فى تركيا، فالحقائق تقول إنه على الرغم من أن اقتصاد تركيا كان على وشك الانهيار فى أواخر القرن الماضى، فإن حكومة أردوغان نجحت فى أن تصبح الدولة الأقوى اقتصادا بين الدول الإسلامية،**

واحتلت المركز الخامس عشر عالميا، رغم أنه اقتصاد لا يقوم على البترول، بل يستند إلى التصنيع والسياحة بشكل أساسى، ويتضح أثر ذلك من خلال متوسط دخل الفرد فى تركيا سنويا والذى يبلغ ١٠ آلاف دولار، ولولا النجاح الاقتصادى لما كتب لهذه التجربة الإسلامية التركية أن تكتمل أو تحقق النجاح».

**الأهرام المسائى ٨ يوليو:**

كتب أحمد فرغلى فى صفحة «إسلامنا» تحت عنوان «الشعراوى..الإمام الثائر»:

**«......كان للشيخ الشعراوى حلم واحد يعمل من أجله ولا يعلن عنه كثيرا هو أن تطبق الشريعة الإسلامية فى كل البلدان العربية والإسلامية وكان يفضى بهذا الكلام لزوج ابنته (صالحة) الدكتور عصام القطقاط - المحبب إلى قلبه - فيقول لكن تطبيق الشريعة يحتاج لتهيئة أذهان الناس وتعليمهم أصول دينهم وأن الدين ممارسة وليس كلاما أو خطبا فى كل مكان».**

**«الأهرام» ٩ يوليو:**

خبر بعنوان: «خيمة شباب صحفيى «الأهرام» فى قلب الميدان»

**«لم تكن سوى فكرة راودت ذهن أحدهم حتى تناولها باقى الزملاء بالتطوير فتبلورت إلى شعلة قاموا بحملها إلى الميدان. الفكرة لم تكن سوى الالتحام بمعتصمى الميدان إيمانا وتأييدا لمبادئ ثورة يناير البيضاء ومطالبها المشروعة، فبدأت الفكرة بتشييد خيمة وسط خيام المعتصمين ثم تبلورت بسرعة البرق لتصبح الخيمة أول مركز إعلامى يمثل اسم «الأهرام» وسط ميدان الثورة منذ بدأت وبذلك أصبحت الخيمة التى تمت بالكامل بالجهود الذاتية من قبل عدد من الزملاء بمثابة مشاركة فعلية من شباب «الأهرام» سواء بالتضامن مع المطالب المشروعة للمعتصمين، وأيضا لنقل كل ما يدور بالميدان على مدى الساعة وذلك من خلال عمل مجموعات تعمل بالتناوب ليل نهار ولتكون تلك البقعة من الميدان هى قلب الميدان النابض بالحقيقة».**

**«الأهرام» ٢٩ يوليو:**

كتب جمال زايدة ومحمد عثمان من طهران:

على أكبر صالحى وزير الخارجية الإيرانية فى لقاء مع وفود شعبية مصرية:

«العالم فى كفة ومصر أم الدنيا فى كفة بالنسبة لإيران»

**الشروق ٣١ يوليو:**

كتب فهمى هويدى تحت عنوان «فازوا وخسر الوطن» مقالا بدأه بقوله:

«لم يحدث الأسوأ فى ميدان التحرير يوم الجمعة الماضى ٧/٢٩. وذلك خبر سار لا ريب. إذ فشل الرهان على تحول الميدان إلى ساحة حرب بين الإسلاميين والعلمانيين، ولم يقع «التطهير» أو «كمين الدم» الذى تحدث به البعض وتمناه آخرون. مع ذلك، فإننى لست سعيدا بأداء الجماهير السلفية، وإن كنت أفهمه. وأرجو ألا يبالغ الآخرون فى التعبير عن الاستياء منه».

واختتم المقال قائلا:

«الشاهد أن السلفيين لو كانوا قد انخرطوا مع غيرهم والتزموا بعناوين لم الشمل، لكانوا قد كسبوا نقطة لصالحهم تعزز الثقة فيهم والاطمئنان إليهم، ولحققت الثورة والجماعة الوطنية والوطن ذاته مكاسب أخرى. لكنهم للأسف لم يروا كل ذلك وشغلوا فقط بإثبات الحضور، فحققوا مرادهم لكنهم زادوا من مخاوف الخائفين، ولم يبالوا بالثورة أو الجماعة الوطنية أو الوطن ذاته – وا أسفاه!»

**يوم الخميس ٤ رمضان ٤ أغسطس:**

**- «الأهرام»:**

«مبارك ونظامه فى قبضة العدالة حضوريا».

ونشر كمانشيت باللون الأحمر عاديا فى الطبعة الأولى، ثم كتبه محمد المغربى بخط اليد ونشر أعلى الترويسة فى الطبعات التالية.

**- الأخبار:**

«مبارك فى القفص..الآن نجحت الثورة»

«عدد تاريخى.. سبحان المعز المذل»

نشر مع مقدمة قصيرة تحت المانشيت كالتالى: «إنه فى يوم الثالث من أغسطس عام ٢٠١١..وضع المصريون حاكمهم داخل قفص الاتهام ليحاسبه القضاء فى محاكمة عادلة على جرائمه فى حق الشعب».

**- الشروق:**

(لتكون لمن خلفك آية)

**- المصرى اليوم:**

«الفرعون فى القفص: أفندم..أنا موجود»

«الديب يطلب شهادة المشير.وضباط الأمن يحتفون بالعادلى وجمال وعلاء»

**«الأهرام» ٢٣ أغسطس:**

كتب الكاتب الصحفى فتحى محمود فى عموده الأسبوعى «رؤى» مقالا بعنوان «جيش محمد» قال فيه:

«أنا ممن يؤمنون بأن صراعنا مع إسرائيل ليس خلافا على مترين أرض أو حول صياغة بند فى معاهدة، بل صراع وجود وليس صراع حدود، وقد يمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لكنى - فى الوقت نفسه - مؤمن بأننا لن نتغلب على الصهاينة بالمظاهرات فقط أو بحرق علمهم الملعون أو حتى بمعركة عسكرية، إنما سنتغلب عليهم عندما نكون أقوى منهم..علميا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا واجتماعيا ورياضيا وعقائديا أيضا.

وعندما نهتف خيبر خيبر يا يهود..جيش محمد سوف يعود، لابد أن نعلم أن جيش محمد (ص) كان يحارب بسيوف صنعها المسلمون بأنفسهم وبدروع لم يحصلوا عليها كمعونة من الفرس أو الروم، وكان يقتحم معاقل أعدائه بخيول عربية أصيلة.

لذلك لن يعود جيش محمد (ص) إلا عندما تصبح أمة محمد قادرة على أن تزرع غذاءها، وتصنع سلاحها، وتملك جميع مقدراتها بأيديها.

جيش محمد (ص) سيعود عندما تصبح جامعاتنا على رأس أفضل مائة جامعة فى العالم، وعندما يصبح فى مراكزنا البحثية مليون أحمد زويل، وعندما نجد سعر صرف الجنيه المصرى أعلى من سعر الدولار، ونرى عبارة صنع فى مصر محفورة على ملايين الأجهزة والمعدات المنتشرة فى كل بقاع الأرض.

جيش محمد (ص) سيعود عندما تختفى تأشيرات الدخول بين جميع الدول العربية من المحيط إلى الخليج، ويصبح للعرب جميعا إرادة سياسية واحدة، ونمتلك حق الفيتو فى كل المحافل الدولية.

ليس هذا حلما من أحلام اليقظة، بل هدف كبير نستطيع كل فى موقعه المساهمة فى تحقيقه، إذا كنا - بحق - من أمة محمد (ص).

أجمل هتاف سمعته أمس:

يا سوريا لا تخافى.بشار بعد القذافى».

**«الأهرام» ١٤ سبتمبر:**

مانشيت أحمر «مجلس أعلى للتعاون الاستراتيجى بين مصر وتركيا»

- «طنطاوى يبحث مع أردوغان تعزيز العلاقات الثنائية فى جميع المجالات»

وفى صفحة داخلية:

- «أردوغان: الأزهر منارة العلم ومرجعية المسلمين الأولى»

- «أردوغان باللغة العربية: مصر أم الدنيا»

**«الأهرام» ٢٣ سبتمبر:**

قراءة فى كتاب «كيف نحكم بالإسلام فى دولة عصرية؟»

نشر عرض الكتاب على ما يقرب من صفحة كاملة مع تناول أبوابه وفصوله بالتفصيل، والإشارة إلى أنه آخر مؤلفات الطبيب والمفكر الإسلامى الدكتور أحمد شوقى الفنجرى.

(ملحوظة: لم تتم الإشارة إلى أن الكتاب أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠).

**«الأهرام» ١١ أكتوبر:**

كتب كارم يحيى من تونس تحت عنوان «حزب النهضة الإسلامى قادم إلى الحكم بخطاب حداثى» حوارا مع راشد الغنوشى رئيس الحزب قال الأخير فيه:

«لا أحد فى التيار الإسلامى وعلى الأقل الوسطى يقول بالدولة الدينية، أى الدولة التى تحتكر النطق باسم السماء، أما الدولة الإسلامية فهى الدولة غير الدينية، ومعناها أنها دولة الشعب المسلم الحريص على أن تكون سياسات هذه الدولة وقوانينها لا تخالف عقائد الناس وقيمهم بل تترجمها لكن لا أحد يقول أنا الذى سأتولى هذه الترجمة، أو أنا الذى أنطق باسم الإسلام».

**«الأهرام» ٢٠ أكتوبر:**

مانشيت باللون الأحمر:

«عنان لوفد الكنيسة: محاسبة المتورطين فى أحداث ماسبيرو»

**«الأهرام» ٢١ أكتوبر:**

مانشيت باللون الأحمر كتبه محمد المغربى بخط اليد:

«مصرع القذافى»

ثم عنوان آخر:

- «لا تطلق الرصاص» آخر كلماته من مخبأ تحت الأرض فى سرت

وعنوان فى الصفحة الداخلية: «مات القذافى. وتحررت ليبيا»

**«الأهرام» ٢٢ أكتوبر:**

كتب كارم يحيى من تونس قراءة فى البرنامج الانتخابى لحزب حركة النهضة بقيادة راشد الغنوشى قبل انتخابات المجلس التأسيسى فى ٢٣ أكتوبر ٢٠١١.

وكتب تحت عنوان «إسلاميون لا ينادون بتطبيق الشريعة» :

«ويخلو البرنامج الذى يقع فى ٥٠ صفحة تماما من أى ذكر لـ (الشريعة الإسلامية) أو الدعوة لاستلهامها أو تطبيقها. وحتى فى الجزء الخاص بالسلطة القضائية لا يوجد أى نص على مرجعية الشريعة لقوانين البلاد. ويكتفى عند الإشارة إلى الإسلام باستعادة النص الموروث عن أول دستور فى عهد «بورقيبة» (دستور عام ١٩٥٩) «تونس دولة حرة مستقلة ذات سيادة الإسلام دينها والعربية لغتها». وأقصى استدعاء للإسلام فى البرنامج لا يتجاوز كونه «مرجعية وسطية متفاعلة عبر الاجتهاد ومع كل خبرة بشرية تثبت فائدتها» وبوصفه «مكونا حضاريا».

واللافت كذلك أن نصا بهذا الحجم يصدر عن حركة إسلامية بالأصل لم يلجأ للاقتباس من آيات القرآن إلا فى حدود أربع مرات فقط وبإيجاز بالغ. والنصوص الأربعة فى مجملها تحض على الحرية وتعلى من قيمة الإرادة الإنسانية وإشاعة الأمان والطمأنينة. كما أن نص البرنامج كان واضحا فى الالتزام بالامتناع عن استخدام المساجد فى الدعاية الحزبية والمجادلات السياسية حين قال: «ترى الحركة أن المصلحة العامة تقتضى تحييد دور العبادة عن الدعاية الحزبية»، وهى التى طالما قيل انها استخدمت المساجد والزوايا فى التجنيد لها فى عهد الرئيس المخلوع «بن على».

**«أخبار اليوم» ٢٩ أكتوبر:**

نشرت الجريدة مقالا لأنيس منصور عقب رحيله جاء فيه:

«ورغم تردد «الأهرام» فى الاستجابة لكل طموحات وخبطات كامل الشناوى فإنها استسلمت وطاوعته. وكان هو الأصح. فـ «الأهرام» صحيفة لبنانية صاحبها ورئيس التحرير لبنانى. هو يخاف أن يكون لها لون سياسى، وإنما هى اختارت السلامة - فاختارت كل الألوان. أو ألا يكون لها لون....».

ويضيف فى موضع آخر:

«وكان كامل الشناوى يسخر من «الأهرام» ويقول أن تمثالا لصاحب «الأهرام» يجب أن يوضع فى كل أركان «أخبار اليوم» - فلولا جمود صاحب «الأهرام» ما

كانت انطلاقة «أخبار اليوم».

**«الأهرام» ٣ نوفمبر:**

مانشيت باللون الأحمر:

«عنان لوفد كنسى: نعمل جميعا لإقامة دولة مدنية ديمقراطية»

- «تقرير تقصى الحقائق ينفى استخدام الشرطة العسكرية الرصاص الحى فى ماسبيرو»

- «مندسون أطلقوا النار.والسرعة الشديدة سبب اصطدام المدرعات بالمتظاهرين».

وخبر آخر بالصفحة الأولى:

«تعيين عبدالفتاح الجبالى رئيسا لمجلس إدارة «الأهرام» خلفا للبيب السباعى الذى بلغ السن القانونية.

**الأخبار ٤ نوفمبر:**

كتب سليمان قناوى مقالا بعنوان: «فى طهران.قالوا لنا: نكحل عيوننا بتراب أقدامكم» بدأه قائلا:

«قلوب أهل الحب تحن إلى أصحابها.. وإن باعدتها الأوطان والزمن» بهذه المناجاة الشجية، بدأت الشاعرة الإيرانية فريبا علومى تقديم لقاء الرئيس الإيرانى الدكتور محمود أحمدى نجاد مع وفد صحفيى العالمين العربى والإسلامى لحضور الاجتماع التأسيسى لاتحاد العالم الإسلامى للصحافة.

خصت فريبا التى تقرض الشعر باللغتين الفارسية والعربية، الوفد المصرى بكلمات بديعة حين قالت: نكحل عيوننا بتراب أقدامكم لحضوركم هذا الاجتماع الذى يتزامن مع الدورة الثامنة عشرة للمعرض الدولى للصحافة والمطبوعات الذى أقيم فى طهران الأسبوع الماضى».

**«الحرية والعدالة» ٤ نوفمبر:**

الدكتور سعد الكتاتنى الأمين العام لحزب الحرية والعدالة أدلى بحوار للجريدة قال فيه:

« نحن الآن على تواصل للاستفادة من التجربتين التركية والماليزية، ودرسنا عدة نماذج أخرى، وتوصلنا إلى أن الأقرب للتطبيق عندنا التجربة التركية، ثم الماليزية، ويتم الآن التخطيط للقاءات مشتركة بيننا وبين الجانب التركى لتدريب عدد من كوادر الحزب على العديد من ملفات خاصة بقضايا التنمية».

**«الأهرام» ٨ نوفمبر:**

كتبت هبة عبدالستار عرضا لرواية تركية بعنوان: «الصلوات تبقى واحدة» تأليف تونا كيريميتشى ترجمة عمرو محمود السيد، صادرة عن «العربى للنشر والتوزيع»، ونقلت فيه كلمات قصيرة تقولها السيدة اليهودية المسنة روزيلا للفتاة المسلمة الشابة بيلين:

«حتى مع اختلاف الديانات تبقى الصلوات واحدة.. اللهفة والآمال والمخاوف.. كلها متشابهة. لهذا قبل أن تدينى أحدا ينبغى أن تستمعى إلى صلواته بحرص، عندها فقط يمكنك معرفة هذا الشخص».

**الشروق ٨ نوفمبر:**

كتب كارم يحيى من تونس تقريرا تحت عنوان: «تونس. وداعا عصر الحزب الواحد» وعناوين تالية منها:

- «الأسئلة الأهم ليست عن «كابوس» حكم «النهضة» بل عن مولد إسلاميين ليبراليين ويساريين ليبراليين وعن صفقات دولية».

- «التونسيون انتخبوا النهضة على قاعدة «لا إكراه فى الدين». ولا ينبغى التهويل فى إسلامية الحركة فزعا أو طربا».

**«الأهرام» ١٠ نوفمبر:**

كتب كارم يحيى رسالة من تونس تحت عنوان: «تونس نحو (كتلة تاريخية) من إسلاميين ليبراليين ويساريين ليبراليين» بدأها بقوله:

«فى بلد تخوض الانتخابات فيه محجبات على قوائم الأحزاب الشيوعية وسافرات غير محجبات على قوائم الأحزاب الإسلامية لابد من تجنب القراءات المنقوصة والأحكام المطلقة عن بعد».

ويضيف بعد ذلك قائلا:

«..... ولعل الاستخلاص الأهم من التجربة التونسية أنه عندما تنزل الأفكار والعقائد واللافتات العقائدية الأيديولوجية إلى أرض السياسة يصبح من الخطأ والخطر معا الإدعاء بعصمة تيار بعينه على إطلاقه وبإثم تيار آخر على إطلاقه. فلا الإسلاميون كلهم أخيار صالحون أو كلهم أشرار طالحون. وهو ما ينطبق على الليبراليين والقوميين واليساريين».

ويختتم رسالته الطويلة بقوله:

«إن انتخابات ٢٣ أكتوبر - فى تونس - تعلن نهاية حقبة الحزب الواحد والديمقراطية والتعددية الشكلية والمزيفة. فالمجلس التأسيسى يضم ممثلين عن ١٩ حزبا و٩ قوائم مستقلة. ولأن التطورات الجارية بامتداد الخريطة السياسية تبرز مولد ما يطلق عليه «الإسلاميون الليبراليون» و«اليساريون الليبراليون» فإن تونس تبدو الأقرب - مقارنة بدول الربيع العربى الأخرى التى أطاحت برأس السلطة فى مصر وليبيا - إلى بناء «كتلة تاريخية» جديدة من هؤلاء وأولئك. لأنه لا حزبا أو تيارا بمفرده لديه التفويض أو القدرة على الاضطلاع بإنجاز دولة الديمقراطية والتنمية».

**«الأهرام» ١٤ نوفمبر:**

«٢٠٠٠ ريال شهريا إعانة بطالة للشباب السعودى»

**«الأهرام» ٢٢ نوفمبر:**

مانشيت باللون الأحمر: «نيران المواجهات «تحرق» مبادرات التهدئة»

وعناوين تالية:

- «شرف يضع استقالة الحكومة تحت تصرف المجلس العسكرى».

- «ارتفاع عدد الشهداء إلى ٢٥ والمصابين إلى ١٨٣٠».

**«الأهرام» ٢٣ نوفمبر:**

مانشيت باللون الأحمر: «ثورة التحرير مستمرة»

ثم عنوانان تاليان:

- «المشير: انتخابات الرئاسة قبل نهاية يونيو.والبرلمانية فى موعدها».

«مستعدون لتسليم المسئولية فورا بعد استفتاء الشعب».

ثم عنوان رابع باللون الأحمر:

«الميدان يرفض.ويطالب برحيل المجلس العسكرى»

**«الأهرام» ٢٤ نوفمبر:**

مانشيت باللون الأحمر: «تجدد نزيف الدم»

وعناوين تالية منها:

- «شيخ الأزهر يناشد قادة الشرطة وقف إطلاق النار على المتظاهرين».
- «وزير الصحة: نعم جرى استخدام ذخيرة حية فى المواجهات».
- «ارتفاع الضحايا إلى ٣٥ شهيدا و٦ آلاف مصاب».
- «اتهام الشرطة باستخدام غاز الخردل.. والعسكرى ينفى.وشرف يطلب تحليل القنابل».

**«الأهرام» ٢٥ نوفمبر:**

خبر بعنوان: «مصرع وإصابة ١٥ شخصا فى اضطرابات بالقطيف السعودية»

«أسفرت الاضطرابات الواسعة التى تشهدها محافظة القطيف بالمملكة العربية السعودية ذات الأغلبية الشيعية منذ الإثنين الماضى عن مقتل شخصين وإصابة ٦، كما رافق تشييع جنازة أحد المتوفين أمس حوادث تبادل إطلاق النار، الأمر الذى نتج عنه مقتل إثنين وإصابة ٣ أخرين».

**«الأهرام» ٢٦ نوفمبر:**

مانشيت باللون الأحمر: «خطر الانقسام»

ثم عناوين تالية بينها :

- «التحرير يطالب برحيل العسكرى.. والعباسية تدعو لبقائه.والخلاف يسود المحافظات».

- «الميدان يرفض الجنزورى رئيسا لحكومة إنقاذ.وبعض القوى السياسية تؤيده».

- «بالوثائق: بلطجية يعترفون لثوار التحرير بالاعتداء على الداخلية لحساب الفلول».

وخبر آخر بعنوان: «المغاربة يدلون بأصواتهم وتوقعات بفوز الإسلاميين»، جاء فيه:

«توجه أبناء المغرب أمس للإدلاء بأصواتهم فى أول انتخابات تشريعية تجرى فى المملكة، فى ظل الدستور الجديد الذى أقر فى استفتاء شعبى فى يوليو الماضي، وسط مؤشرات على أن الإسلاميين هم الأوفر حظا للفوز ويتجاوز عدد المقيدين فى الجداول الانتخابية ١٣ مليون مغربى. وتجرى الانتخابات قبل موعدها بنحو عام كامل .

وكان العاهل المغربى الملك محمد السادس دعا إلى بدء تطبيق الدستور الجديد الذى يزيد صلاحيات رئيس الوزراء وذلك عقب إعلان الملك تعديلات هدفت لتهدئة احتجاجات الربيع العربى».

**«الأهرام» ٢٩ نوفمبر:**

**مانشيت باللون الأحمر: «الشعب يفتح باب الديمقراطية»**

**- «الملايين تدفقوا على لجان الاقتراع منذ الفجر».**

**- «اختفاء بلطجية الانتخابات وسماسرة الأصوات».**

**- «صفوف الناخبين امتدت مئات الأمتار أمام معظم اللجان».**

**«الأهرام» ١٤ ديسمبر:**

- المنصف المرزوقى أول رؤساء الربيع العربى يبكى متذكرا شهداء تونس.

(عقب أدائه القسم كأول رئيس شرعى منتخب لتونس ثورة الياسمين)

- اختيار رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان شخصية العام الأكثر تأثيرا بين الناس خلال عام ٢٠١١ فى استطلاع للرأى أجرته مجلة «تايم» الأمريكية، متفوقا على ليونيل ميسى نجم نادى برشلونة الأسبانى.

**الشروق ١٧ ديسمبر:**

كتب فهمى هويدى تحت عنوان «عن الإسلام الليبرالى»:

«إطلاق عبارة الإسلام السياسى على الجماعات والأحزاب التى تنطلق من المرجعية الإسلامية ينبغى أن يتغير لكى نتحدث عن الإسلام الليبرالى. هذا المنطوق ليس لى، لكنه صادر عن أحد المثقفين البارزين فى مصر، الأستاذ السيد يسين، الذى كان دائم النقد للحركات الإسلامية طوال السنوات الماضية، لكنه أدلى بشهادته تلك فى مقالة نشرتها له صحيفة «الشرق الأوسط» (فى ١٢/١١) تحت عنوان «صعود الإسلام الليبرالى». وقد خصصها للتعليق على التطورات التى حدثت فى تونس والمغرب ومصر، والتى حقق فيها الإسلاميون فوزا مشهودا فى الانتخابات».

ثم أضاف هويدى بعد ذلك:

«كانت مجلة «جين إفريك» الصادرة باللغة الفرنسية قد امتدحت فى عددها الأخير حزب النهضة التونسى. واعتبرت أن توجهاته الليبرالية تمثل تطورا مهما فى مشروعه الفكرى. وحين أثرت الموضوع مع الشيخ راشد الغنوشى رئيس الحزب أثناء زيارتى الأخيرة للعاصمة التونسية كان رده أن ما نحاول تطبيقه الآن على أرض الواقع هو ذاته الذى كنا نتحدث عنه فى الثمانينيات. وكل الذى حدث أنهم ظلوا طوال السنوات التى خلت ينظرون إلينا بنظارة سوداء، فرأونا إرهابيين ومتطرفين وظلاميين، لكنهم حين خلعوا النظارة بعد إعلان نتائج الانتخابات رأوا فينا ما لم يروه من قبل، فى حين أننا لم نتغير».

**«الأهرام» ١٨ ديسمبر:**

مانشيت باللون الأحمر: «قلب مصر يحترق»

ثم عناوين تالية:

- «١٠ وفيات و٤٩٤ مصابا. وإحراق ٢٠٠ ألف كتاب نادر بالمجمع العلمي».

- «الجنزورى: الجيش والشرطة تدخلا لحماية المنشآت».

- «دار الإفتاء تنعى الشيخ عماد عفت وتطالب الحكومة بتحقيق فورى».

**«الأهرام» ٢٠ ديسمبر:**

- حبس ١٢٣ والإفراج عن ٥٩ بينهم ٢٢ طفلا و٩ فتيات (فى أحداث مجلس الوزراء).

وخبر آخر بعنوان «إسرائيل تعرض بيع الغاز الطبيعى للهند»، جاء فيه:

«ذكرت تقارير إخبارية أمس أن إسرائيل عرضت على الهند تصدير الغاز الطبيعى إليها بعد أن اكتشفت تل أبيب فجأة أنها غنية بهذا المورد الطبيعى للطاقة.

وقالت صحيفة «تايمز أوف إنديا» إن إسرائيل التى اكتشفت فجأة أنها غنية بالغاز الطبيعى عرضت على لسان وزير ماليتها يوفال شتاينتس خلال زيارته الأسبوع الماضى إلى الهند تصدير الغاز إلى نيودلهى خلال محادثات مع نظيره الهندى براناب مخرجى ومستشار الأمن القومى شيف شانكار مينون.

وظلت إسرائيل تعانى لعقود من نقص فى الطاقة، ودخلت فيما سمته الصحيفة بـ «علاقات طاقة غير مستقرة» مع دول عربية نظرا للمعارضة الشعبية لإمدادها بالطاقة، إلا أن إسرائيل اكتشفت كميات ضخمة من الغاز الطبيعى على سواحلها الشمالية.

وتشير التقديرات إلى أن إسرائيل تمتلك ٤٠٠ مليار متر مكعب من الغاز، وهو ما يعنى أنها لم تعد بحاجة إلى الاعتماد على دول عربية مثل مصر والأردن، كما أن احتياطيها من الغاز سيوفر لها عائدات بمليارات الدولارات».

**«الأهرام» ٢٨ ديسمبر:**

كتب سامى خير الله:

راعى كنيسة القديسين بالإسكندرية لـ «الأهرام»:

- لست خائفا من صعود الإسلاميين.وأتوقع حياة كريمة للأقباط فى ظل الحكم الإسلامى الرشيد.

- منحنا أصواتنا للإخوان.وعبدالمنعم الشحات أسقطه المسلمون قبل الأقباط.

**«الأهرام» ٣ يناير ٢٠١٢:**

«السعودية تعلن أسماء ٣٢ مطلوبا أمنيا فى أحداث شغب»

**«أعلنت وزارة الداخلية السعودية أمس عن أسماء ٢٣ مواطنا سعوديا من المطلوبين أمنيا فى أحداث القطيف بالمنطقة الشرقية ورصدت مكافآت مالية لمن يرشد عن أماكن وجودهم تمهيدا لمحاكمتهم، وقالت فى بيان رسمى إن العديد من التجاوزات يقوم بها بين الفترة والأخرى وعلى مدى عدة أشهر عدد محدود من مثيرى الشغب فى إحدى محافظات المنطقة الشرقية تمثلت اعمالهم فى التجمعات وإتلاف الممتلكات وحيازة أسلحة نارية غير مشروعة وإطلاق النار العشوائى على المواطنين ورجال الأمن والتستر بالأبرياء من المواطنين ومحاولة جرهم إلى مواجهات عبثية مع القوات الأمنية تنفيذا لأجندات خارجية».**

**«الأهرام» ٢٢ يناير ٢٠١٢:**

«رئيس اللجنة العليا يعلن نتائج انتخابات القوائم لمجلس الشعب:

١٢٧ مقعدا للحرية والعدالة و٩٦ للنور و٣٦ للوفد و٣٣ مقعدا للكتلة المصرية»

**«الأهرام» ٢٦ يناير ٢٠١٢**

**مانشيت أحمر بخط اليد للخطاط محمد المغربى:**

«الشعب يريد استكمال الثورة»

وعناوين تالية منها :

- «الملايين تطالب بمحاكم ثورية للقصاص للشهداء والمصابين».

- «المجلس العسكرى: شباب الثورة بذلوا أرواحهم أمام أشد أدوات القمع».

**«الأهرام» ٢ فبراير ٢٠١٢:**

مانشيت: «مصر في حداد بعد مجزرة ستاد بورسعيد»

- «مصرع ٧٤ وإصابة المئات إثر اجتياح الجماهير مباراة المصري والأهلي».

- «المشير طنطاوي: الحادث مدبر لزعزعة الاستقرار في مصر».

**«الأهرام» ٣ فبراير ٢٠١٢:**

كتب محمد شعير:

- المعارضة السورية تمد «الأهرام» بمعلومات مسربة من داخل قصر الرئاسة في دمشق:

«إبعاد ماهر الأسد عن قيادة العمليات.وبشار يعد مكانا سريا في «الرقة» للهروب إليه».

**«الأهرام» ٢٠ فبراير ٢٠١٢:**

محمد عبدالهادي رئيسا لتحرير «الأهرام».

**«الأهرام» ٥ مارس ٢٠١٢:**

أبو العلا ماضي رئيس حزب الوسط لـ «الأهرام»:

أكبر خطأ ارتكبناه ترك إدارة البلاد للمجلس العسكري منفردا

(حوار محمد شعير ودعاء خليفة)

**«الأهرام» ١٩ مارس ٢٠١٢:**

مانشيت: «مصر تودع البابا شنودة غدا»

- «الصلاة على الجثمان بالكاتدرائية.ودفنه في دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون».

(كتب أشرف صادق وحسين الزناتي)

**الأخبار ٨ إبريل ٢٠١٢:**

«ياسر رزق شخصية العام لجوائز مصطفى وعلى أمين الصحفية»

«فاز ياسر رزق رئيس تحرير الأخبار بجائزة شخصية العام الصحفية بعد نجاحه فى إحداث طفرة بالجريدة.. ومنح فرص للشباب لكتابة المقالات وتحديث التبويب والتوسع فى الحوارات مما أدى لزيادة توزيع الصحيفة لتتصدر الصحف المصرية.. تبلغ قيمة الجائزة ٢٥ ألف جنيه».

**«الأهرام» ٢١ أبريل ٢٠١٢:**

كتبت سارة حسين فتح الله تقريرا عن رئيس الوزراء المغربى عبد الإله بن كيران الإسلامى التوجه، قالت فيه:

«لم يحلم يوما عبد الإله بن كيران رئيس الوزراء المغربى كغيره من الإسلاميين فى دول شمال إفريقيا بأن يصل إلى دفة الحكم فى بلاده ، بل لم يكن يتخيل أن تأتى تلك الرياح العطرة ذات النسيم الشبابى لتزيل أنظمة عربية ظن كثيرون أنها خالدة مدى الدهر. ولكن ذكاءه الشديد وإسلامه المعتدل ورؤيته المستقبلية العميقه عوامل ساعدته على تصديق الحلم والإيمان به فرآه يتحقق أمام عينيه. .

.........................................

وما أن بدأت رياح الثورات العربية تنطلق نحو المغرب من خلال عدة تظاهرات قامت بها حركة (٢٠ فبراير) المعارضة فى فبراير ٢٠١١ بدأ محمد السادس الملك المغربى فى عرض مجموعة من الإصلاحات السياسية بدأها بتعديل الدستور وحل البرلمان وتعيين آخر نابع من انتخابات حرة ونزيهة ............ وفاز حزب العدالة والتنمية بالأغلبية وعين الملك بن كيران رئيسا للوزراء وكلفه بتشكيل الحكومة فى نوفمبر ٢٠١١.

تعامل بن كيران مع تشكيل الحكومة بذكاء تام فشملت أربعة أحزاب مختلفة التوجهات بالإضافة إلى وزراء من الحكومة السابقة وبعض الأسماء التى اختارها الملك محمد السادس ، وتميزت تصريحات رئيس الوزراء الإسلامى الجديد بعد ذلك بالاعتدال الشديد فأعلن أن حزبه لم يحكم رغما عن الإرادة الملكية، بل جاء ليحكم معها وسعى إلى طمأنة الجميع مؤكدا أن حكومته

لم تأت لفرض الحجاب على النساء أو لإلغاء المهرجانات أو لإقفال محلات بيع الخمور، بل جاءت لتعالج مشكلات أكثر أهمية تتعلق بالاقتصاد والمجتمع ومكانة المغرب ووضعه بين دول العالم ، مؤكدا أنه حتى إذا كانت مرجعية البلاد إسلامية فإن تعاقد الحكومة مع الشعب المغربى سياسى فقط.»

**«الأهرام» ٢٩ إبريل ٢٠١٢:**

السعودية تقرر إغلاق سفارتها فى القاهرة وسحب السفير للتشاور عقب أزمة القبض على المحامى المصرى أحمد الجيزاوى فى السعودية واعتصام حشد من المصريين حول السفارة.

**«الأهرام» ٤ مايو ٢٠١٢:**

كتب محمد القزاز حوارا مع الداعية الإسلامى عمرو خالد تحت عنوان «عمرو خالد: فصل الدين عن السياسة مستحيل»

وجاء فيه:

- ماذا أضاف الدين للسياسة، وماذا أضافت السياسة للدين خلال الفترة الأخيرة؟

- سأكون فى منتهى الصراحة والوضوح، أنا خائف على صورة الإسلام فى مصر من ممارسات سياسية حزبية قد تضر بصورة وشكل الإسلام فى المستقبل، وليس صحيحا أن لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين كما قال الرئيس السادات، بل الدين والسياسة داخلان فى كل تفاصيل حياتنا، إذ أن الدين دوره هو تنظيم حياة الناس، وإظهار الحق من الباطل ووضع منظومة القيم والأخلاق فى المجتمع، وتحقيق الرقابة الذاتية وغيرها، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ،ولكن علينا أن نفرق بين ما هو مقدس وبين ممارسات حزبية، فالفقيه حين يفتى فى أمر فإنه يفتى برأى دينى مقدس، والشيخ حين يتحدث عن قضية أخلاقية فإنه يتحدث عن رأى مقدس، لكن رئيس حزب يريد أن يدعو مرشحيه لاختياره، جماعة تريد أن تطلب من أعضائها أن يسمعوا ويطيعوا فى قضية حزبية، فهذا ليس مقدسا.

ـ ماذا عن حالة الخلط الحالية بين ما هو دينى وما هو سياسى؟

ـ نحن الآن نمر بحالة من الخلط بين المقدس والاختيارات الحزبية، وهذا الخلط يضر بالإسلام وبمصلحة الوطن.

ـ منذ متى بدأ هذا الخلط؟

ـ هذا الخلط واضح منذ (نعم ولا) الشهيرة فى استفتاء الدستور العام الماضى، وواضح أيضا من خلال انتخبوا فلانا للرئاسة.

................................

– لماذا يرى البعض أن العمل الدعوي إذا ارتبط بالسياسة جنح أحدهما على الآخر؟

– إجابتى على السؤال تتلخص فى شخص اسمه عبدالله جول رئيس تركيا، وذلك حين سئل بوضوح: لكم حزب سياسى، ولكم أفكاركم الإسلامية الواضحة، فأجاب: إننى أفخر بأن أكون مسلما متدينا، وقال بمنتهى القوة: قيمى وأخلاقى ومثلى وطريقتى فى التفكير مستمدة من الإسلام، ولكن أنا كحزب سياسى لن أخضع الإسلام لاختياراتى الحزبية، بحيث إذا فشل حزبى ينسحب الفشل على الإسلام، وأنا لا أرضى ذلك على الإسلام».

**«الأهرام» ٧ مايو ٢٠١٢:**

السفير السعودى بعد عودته إلى القاهرة:

– السعودية لم تدعم مرشحى التيار الإسلامى فى انتخابات الرئاسة بمصر.

– علاقتنا بمبارك انتهت منذ تنحيه والاستثمارات لم تتراجع.

**الأخبار ١٥ مايو ٢٠١٢:**

كتب رضا محمود:

« المفكر الكبير فهمى هويدى فى حوار خاص على ضفاف البوسفور:

– لا يمكن أن يقتل ألف مصرى بعد الثورة.. ثم يقول الجيش: أنا برئ.

– لست أفهم كيف يخطر على ذهن أحد اقتحام الداخلية أو الدفاع أو

حصار مجلس الوزراء.

- الكل فقد من رصيده..المجلس العسكرى خسر بسبب ممارساته.والإخوان خسروا بسبب تعجلهم.

**«الأهرام» ١٧ مايو ٢٠١٢:**

كتب حجاج الحسينى من المنيا:

«صفوت حجازى: اختيار محمد مرسى جهاد فى سبيل الله لأنه سيطبق الشريعة»

**«الأهرام» ١٨ مايو ٢٠١٢:**

كتب عمرو على الفار وأمير هزاع:

«تأجيل قضية موقعة الجمل إلى جلسة ٩ يونيو المقبل»

«صفوت الشريف يخرج عن صمته: لست شريرا..أنا رجل سياسى»

**«المصرى اليوم» ٢١ مايو ٢٠١٢:**

كتبت فتحية الدخاخنى:

فاروق حسنى:

- «سوزان مبارك شخصية مشرفة وخطؤها الوحيد التوريث».

- «المشير دعم الثورة لأنه كان ضد التوريث وعلاقتى به طيبة جدا».

- «مبارك طلب منى افتتاح معرض الكتاب فى ٢٩ يناير فقلت له إن الناشرين غادروا البلد».

- «العسكرى» ترك أزمات المجتمع تظهر.والفترة الانتقالية كشفت أن الشعب لم يتعلم».

# الجزء الرابع

# يونيو ٢٠١٢ وما بعده

والآن ..ها نحن ذا نقف على أعتاب نهاية القصة.وها هى الرحلة تؤذن بالرحيل.. لكننا لم نعد كما كنا..لم نعد نحن.

الآن..ها نحن نقف فى صمت مهيب.. نلتفت إلى الوراء لننظر فيما جرى.. فيكوينا عذاب الاسئلة.. لكننا لن نلبث طويلاً إلا وسنجيب..لابد أننا سنجيب!

جرت في النهر مياه كثيرة.ودماء أيضا.. مرت بنا ظروف صعبة.مؤلمة.. تألمنا طويلاً.. وتعلمنا كثيراً.. فرحنا وتعسنا.. ضحكنا وبكينا.. لكنّا تعلمنا.

فى الماضى كان هتافنا هو «الجيش والشعب إيد واحدة» لكن الهتاف لم يدم، فقد سالت دماء كثيرة وتقافزت -عبر الأيام-أسئلة عسيرة وظهرت أسطورة (الطرف الثالث) الذى لا يعرفه أحد والذى يفترض أنه يوجه سلاحه نحو الشعب والجيش معاً.

كان لابد أن نفهم أن للثورة أعداء كثيرين لم يكن من الطبيعى أن يضحوا بسهولة بمكتسباتهم الرهيبة التى اكتنزوها على مدى سنوات.. لذا فقد قاتلوا.. قاتلونا بضراوة.. حتى يعودوا.

كما أننا أيضاً أخطأنا..أخطأنا جميعاً.. ودفعنا أثمانا باهظة.. فرّطنا فى الأمانة ..ولم نراقب وكيلنا الذى استودعناه إياها..المجلس العسكرى.. فراح يلهو بها وبنا.رحنا نفرز الغنائم.. واستعجلنا توزيعها.. بعد أن ظننا أن الحرب قد وضعت أوزارها.رغم أنها كانت قد بدأت لتوها.

نهر الدماء الزكية التى لا نعرف بالتحديد لماذا سالت امتد من شارع محمد محمود، إلى منطقة ماسبيرو، ثم مجلس الوزراء ، ثم استاد بورسعيد، ووسط ذلك كله، وأثناءه، واصل النهر مسيره معرّجا على شوارع وقرى وبيوت وأزقة، فقد أهلها الأمن، ففقدنا أغلى الأحبة، وأطهر الأحبة، لماذا؟ لم يقل لنا أحد..

لماذا؟ وكيف ظهر كل أولئك المجرمين؟ من أطلقهم؟ ومن أطلق يدهم فينا؟ولأى غرض أو هدف؟!

يوم الأربعاء أول فبراير ٢٠١٢ ، يوم مجزرة بورسعيد التى راح ضحيتها ٧٤ شابا من خيرة الرجال، كتبت على صفحتى على موقع «فيس بوك» متحديا بدموعى:

«مهما فقدنا من أحبة..ومهما احترقت أجزاء من جسد الوطن..سنظل نلفظ الضعفاء والفاسدين والمتآمرين من أعداء الثورة..وسنظل نحلم..بأن نصبح أفضل..ربما غداً..أو بعد غد».

ولم تكن هذه الكلمات سوى محاولة ضعيفة للغاية لمواجهة ذلك المد الكاسح الذى شنه أعداء الثورة عليها، وما قالوا أنها جرته علينا من فقر ودم وهدم ، وهو ما كان طبيعيا أن ينعكس ويؤتى ثماره فى الانتخابات الرئاسية التى جرت هذا الشهر، يونيو، شهر النكسة كما سيأتيك بيانه بعد قليل.

والآن..وفى ختام هذا العمل الطويل، الذى لاشك أنه أرهقك، قد يكون من المناسب أن نعبر معاً سريعاً على ما جرى فى المسار الآخر للثورة، الذى حاولنا تتبعه من البداية، وهو مسار الثورة فى جريدة «الأهرام».. فضلاً عن تأثير كل ما جرى خلال الأشهر الماضية فى حياة أبطال هذا العمل المتواضع، فَهُم أحباؤك كما أرجو!

فى «الأهرام».. طال انتظارنا لتشكيل مجلس التحرير الموعود، الذى لوّح لنا به رئيس تحرير الثورة عبدالعظيم حماد، طال الانتظار حتى بلغ أشده ، ولم يقم حماد بإجراء أى تغييرات تذكر فى هيكلِ الجريدة وقياداتها، بعد تغييرات أبريل ٢٠١١ التى كانت مثارًا للجدل أصلاً، وساد الارتباك والتخبط سير العمل فى الجريدة، حتى هدد الكاتب الصحفى لبيب السباعى رئيس مجلس الإدارة بالتدخل بنفسه والقيام بتعيين مجلس التحرير المنتظر.

لكن فى المقابل. وعلى صعيد شباب الصحفيين فى الجريدة، يمكن القول أن صفحة «اتحاد شباب صحفيى الأهرام» على موقع «فيس بوك» لم تعد مجرد منبر أساسى لمناقشة قضايا الجريدة فقط، بل أفرزت عملاً صحفياً ناجحاً من خلال الفكرة التى أطلقتها خلال شهر يوليو٢٠١١ بإقامة خيمة خاصة لـ «الاهرام» للمشاركة فى الاعتصام الجارى وقتها فى ميدان التحرير، وهى الخيمة التى يمكن القول أنها أعادت «الأهرام» إلى قلب الميدان، بعد أن كان الثوار قد اعتبروا أنها بحكم التاريخ لابد أن تقف فى صف الثورة المضادة، لكنهم فوجئوا بخيرة الشباب من صحفيى «الأهرام»، يبيتون وسطهم، وينقلون أخبارهم ، بأمانة ودقة وحرفية لافتة، كما أن ذلك كان كافياً أيضاً داخل الجريدة ذاتها للتأكيد على أن هؤلاء الشباب الذين اعتادوا انتقاد السياسة التحريرية للجريدة على «فيس بوك» ليسوا مجرد متكلمين، بل هم طاقات صحفية حقيقية تنتظر من يمنحها الفرصة ويفتح لها الطريق.

وبالفعل انطلقت طاقات صحفية جبارة ولمعت بشكل يومى وعبر انفرادات وتقارير حية أسماء أحمد هوارى وعمرو على الفار وهانى عزت ومحمود مكاوى ونادر محمود طمان واسماعيل جمعة ونهاد سمير وعادل الألفى وعلى محمد على، فضلاً عن اسم المصور الشاب البارع علاء عبدالبارى الذى لم يكن يغادر ميدان التحرير تقريباً.

صاروا جميعاً ، نجوما صحفية منيرة.

لكن الاعتصامات انتهت، وعاد الشباب إلى مواقعهم فى الجريدة، وعدنا جميعا لانتظار التغيير فى «الأهرام»، حتى لا يصبح النجاح مجرد عمل فردى

أو فكرة طائشة تصادف وجود من يتبناها، لكن التغيير لم يأت وظل عبدالعظيم حماد رئيس التحرير رابضا فى موقعه، مغلول اليدين، كأن قوى خفية تقيده.. وكان لذلك نتائج سيئة بالطبع، فقد أغرت سياسة اللافعل التى انتهجها حماد عدداً من القيادات الصحفية فى الجريدة ممن يحسب بعضهم على فلول النظام القديم فى مصر بالعمل ضده، ومحاولة الإيقاع به، وتقديم أنفسهم كرؤساء محتملين للتحرير.

والمؤسف حقا، بل لعله مما يدمى القلب، هو أن هؤلاء قد نجح بعضهم فى شق صف الشباب الذى كان موحدا، عبر استقطاب بعضهم، وإيهامهم بأن المستقبل سيكون لهم معاً، فظهرت التحزبات، وقيل أن فلاناً من الشباب يعمل لمصلحة فلان من القيادات، وأن الآخر محسوب على قيادة أخرى، وهكذا تفرق الصف، وسادت أجواء المؤامرات والحيل، ولم يعد نقاء الصف الثورى من الشباب فى «الأهرام» كما كان، وذلك طبيعى وأكثر، بعد أن أصبحت الجريدة، بلا قيادة فاعلة، أو قل بلا قيادة أصلاً.

والأنكى من ذلك، هو وقوع انقسام آخر، داخل صف الشباب الثورى النقى، الذى لم يحسب على أحد، حيث أدى اندفاع الشباب وتباين الرؤى حول تبنى موضوعات معينة لإثارتها والدفاع عنها إلى انقسام المشرفين على صفحة «اتحاد شباب صحفيى الأهرام»، وخروج فريق منهم من الصفحة، ومقاطعتها، وإنشاء صفحة جديدة باسم «اتحاد صحفيى الأهرام».. تخيل!

## موقعة الجمل فى «الأهرام»!

فى غضون شهر نوفمبر ٢٠١١، ظهرت أولى الدعوات لتنظيم وقفة احتجاجية للمطالبة برحيل عبدالعظيم حماد، بعد أن بدا أن التغيير فى الجريدة لن يأتى أبداً، وجلس حماد مع عدد من الشباب، وطلب منهم مهلة لمدة شهر واحد لإجراء التغييرات فاستجاب الشباب، وتم تأجيل فكرة الوقفة الاحتجاجية لمنح رئيس التحرير فرصة أخيرة لتحريك المياه الراكدة.

ومضى شهر وأكثر، ولم يفعل حماد شيئاً، لكنه ظل يعد بقرب التغيير، وتباينت الآراء حول مسألة تنظيم وقفة ضده، فهناك من طالب بذلك فوراً بعد انتهاء مهلة الشهر، وهناك من آثر منحه فرصة إضافية، لكن بدأت الوقفات بالفعل وشاركت فى إحداها، وقمت بالتوقيع على بيان موجه إلى نقابة الصحفيين للمطالبة برحيل حماد، لكننى لم أشترك بعد ذلك فى وقفتين أخريين.. لم أكن مرتاحاً لبعض من شاركوا فيها.. كانت الشبهات تحوم حولهم لتشير إلى أنهم ربما يفعلون ذلك خدمة لمصالح بعض القيادات الصحفية الطامعة فى منصب رئيس التحرير.

اختلطت الأمور.. وتباينت الرؤى..وزادت الانقسامات..حتى أصبحت الأجواء غير محتملة!

وفى هذه الأثناء أقدم أحمد هوارى وهانى عزت على تفجير «قنبلة» دوّت فى أرجاء «الأهرام» العتيد صاحب التقاليد المتجذرة على مدى سنوات.

نشر هوارى وهانى على صفحة «اتحاد شباب صحفيى الأهرام» مشروعاً مهنياً متكاملاً للتغيير فى «الأهرام»، حيث وضعا منظومة كاملة لسير العمل اليومى فى الجريدة، لكن الأخطر هو أنهما قاما بوضع أسماء مقترحة لكل المواقع فى الجريدة، من بين الزملاء والقيادات الصحفية المختلفة، أى أنهما باختصار بعد أن انتظرا أن تأتى التغييرات من جانب رئيس التحرير بلا جدوى قاما بإجراء هذه التغييرات بنفسيهما، وضعا أحلامهما على الورق، بلا نفاق أو مجاملة لأحد، فأعدّا - وهما الشابان الصغيران حديثا التعيين نسبياً - ورقة كاملة ضمت أسماء أشخاص وقيادات لمختلف المواقع فى الجريدة بلا خوف.وكان ذلك جديراً بأن يفتح عليهما (بوابة النار) فى جريدة نشأ أو تربى

معظم صحفييها فى عهد إبراهيم نافع الحديدى الذى لم ينطق فيه أحد.

من هما أحمد هوارى وهانى عزت؟!

كان ذلك هو أبسط سؤال يطرحه الناقدون والساخرون من مشروعهما من القيادات الصحفية التى لم تكن تفعل شيئاً فى اتجاه التغيير؟ ونتيجة للأمواج العاتية ضدهما، فقد اختفى هوارى وهانى من الجريدة ، اعتكفا فى منزليهما، بعد أن كانا يقضيان الساعات الطوال ساهرين حتى الصباح، بحثا عن الأفضل لكل موقع فى الجريدة ، غير مبالين بما قد يؤدى إليه مشروعهما من ضرر شخصى لكل منهما، لاسيما فى ظل قيامهما - ضمن المشروع - بتغيير رئيسى القسمين اللذين يعملان هما فيهما بعد أن وجدا أن الأفضل هنا وهناك أشخاص آخرون!

اختفى هوارى وهانى عن الأنظار فى الجريدة، لكنهما دون أن يقصدا تمكنا من إلقاء عدة أحجار فى بحيرة الصحيفة الراكدة، التى ازداد شوقها للتطهير، والتغيير، لاسيما عقب وقوع ثورة شريفة، أيدها الشرفاء ، لإحداث تغييرات شاملة ، إلا أنها على ما يبدو لم تنجح سوى فى الإطاحة برأس النظام فقط.. حتى فى «الأهرام»!

لكن الانتظار لم يطل أكثر من ذلك، فقد قرر عبد العظيم حماد أخيراً أن يقدم على التغيير بنفسه، ففعلها، مساء ١٤يناير٢٠١٢ ، وكان ذلك بداية لاطلاق ألسنة اللهب فى «الأهرام»!

لماذا؟ ألم يكن التغيير منتظراً؟!

لا تستطيع الأيدى المرتعشة أن تصنع التغيير الحقيقى، أو أن تدافع عن خياراتها!

أطاح حماد بمعظم القيادات الصحفية التى كانت قد تيبست فى أماكنها سنوات طوال، فتحولت إلى مراكز قوى تدير منظومات كاملة من الفساد المهنى أو على الأقل الفشل المهنى.وكان ذلك أمرا محمودا، إلا أنه فى المقابل أتى بعدد كبير من أصدقائه ليحتلوا موقع الصدارة فى «الأهرام» كما أسهب فى محاولة استرضاء جيل الشباب، بمنحهم مواقع متميزة فى منظومة العمل فى

الجريدة ، لإسكات أصواتهم المطالبة بالتغيير، وفى سبيل ذلك سحق حماد جيل الوسط فى الجريدة تماما.

على كل حال..أدت قرارات حماد إلى عاصفة من الغضب شنها ضده المستبعدون من مواقعهم من القيادات وأنصارهم صباح يوم ١٥ يناير، الذى كان يوما مشهودا فى تاريخ «الأهرام»، لم تنحدر الصحيفة إلى ما هو أسوأ مما جرى فيه قبل ذلك ، فقد اقتحم الصحفيون مكتب عبدالعظيم حماد، ومنعوه من الاجتماع برؤساء الأقسام الجدد الذين اختارهم، وأجبروه على التوقيع على ورقة يشهد فيها أنه قرر التراجع عن التغييرات التى أجراها، وأخذوا هذه الورقة لتعليقها فى لوحة الإعلانات داخل الجريدة.

وخلال موجة الاحتجاج العارمة سقطت «طفاية سجاير» من يد أحدهم على زجاج مكتب رئيس التحرير فانكسرت وتطاير الزجاج، كما تطايرت أنباء الاحتجاجات فى «الأهرام» لتصل إلى شتى البقاع فى الوسط الصحفى حتى فوجئت بالصديق الصحفى محمود أبوبكر يتصل بى متسائلاً عن طبيعة ما يجرى فى الجريدة، موضحا أنه يعد تقريرا بشأنه لموقع هيئة الإذاعة البريطانية «بى بى سى»!

لم يسبق أن شهدت «الأهرام» صاحبة المدرسة الرصينة فى الصحافة ، ودرة الصحف المصرية والعربية، مثل هذه الأحداث المؤسفة ، المؤلمة ، لذا فقد تبارى الزملاء لاسيما من جيل الشباب فى التعبير عن ألمهم بسبب ما حدث، على صفحتى «اتحاد شباب صحفيى الأهرام» و«اتحاد صحفيى الأهرام»على موقع «فيس بوك». وكتب بعضهم كلمات شديدة التأثر مثل أيمن عبدالعزيز الثائر الشريف.

وبدا لى أننا نقف عند نقطة فارقة فى تاريخ «الأهرام»، لذا فقد انتظرت يوما لمراقبة المشهد ككل، وبعد أن تخلصت من صدمتى وألمى بسبب ما حدث، رحت أكتب على «فيس بوك» مهددا متوعدا، بلجوء الشباب فى الجريدة إلى العمل «الحركى» العنيف أيضا.

بدأت كلمتى بقولى:

**«أما وقد نجحت موقعة الجمل فى «الأهرام» يوم ١٥ يناير فإن كلاما آخر لابد أن يقال..»**

ثم رحت أبيّن أنه بينما كان الشباب يفكرون فى العلن ويعبرون عن آرائهم بوضوح بالكتابة على صفحات «فيس بوك» كان هناك آخرون يخططون سرا ويدبرون بليل لما حدث يوم ١٥ يناير.وقلت إن المطالبة برحيل عبدالعظيم حماد ربما تكون قد وحدت صفوف معارضيه من الشباب ومن مختلف القوى الأخرى التى تعمل لمصالحها الشخصية ، لأنه لم يكن صالحا بالفعل لقيادة «الأهرام»، ولكن..الآن وبعد طى صفحة حماد فإنه لابد من أن تنقسم صفوف المعارضين، لأن الأهداف ليست واحدة، ورحت أهدد الآخرين بقولى محذراً:

«إن وصول أسماء بعينها إلى مقعد رئيس التحرير بعد حماد لن يكون إلا على جثثنا.. وأعتذر عن استخدام لفظ «جثث» لكنكم أنتم الذين بدأتم بالتحرك على الأرض وفى مثل هذه الأمور قد يسقط الضحايا».

## اجتماع «الحواوشى»

طويت صفحة عبدالعظيم حماد بالفعل، فقد خرج يوم ١٥ يناير من «الأهرام»، ولم يعد قادراً على العودة إليها، بعد أن هدد منفذو موقعة الجمل «الأهرامية» بمنعه من دخول مكتبه إذا حضر ، وظلت الجريدة بلا رئيس تحرير فعليا لمدة شهر.

وخلال هذه الفترة أيضاً..كان طبيعياً أن يحاول الساعون إلى منصب رئيس التحرير العمل على تقديم أنفسهم كمرشحين محتملين للمنصب، وحاول أحدهم استمالة فريق الشباب، وكنت واحداً ممن تحدث هذا الشخص معهم بقوله أنه معجب بما أكتبه عما يحدث من تطورات داخل الجريدة ، وأنه يسمع عنى كلاماً جيداً كشخص عاقل له آراؤه المتزنة ، لم أدر ما يمكن قوله فى مثل هذه الأمور، التى كانت جديدة علىّ تماما ، فتمتمت قائلاً إن الهدف مما قد يكتبه المرء فقط هو المصلحة العامة ليس أكثر وهنا أمسك صاحبنا بكلمتى «المصلحة العامة»، وراح يقول إن ذلك بالفعل هو الهدف الذى ينبغى أن يعمل لأجله الجميع، لكن للأسف قليلين فقط هم الذين يريدون المصلحة العامة لـ «الأهرام»، مثلما قال.

ويوم الجمعة ١٧فبراير جلس هذا المسئول الصحفى فى كافيتريا الجريدة على غير العادة، وبشكل غير مرتب مع أربعة من فريق الشباب، ثم انضممت أليهم، ودار حديث طويل امتد لما يقرب من ساعتين حول أوضاع الجريدة وما آلت إليه.

وفى نهاية الجلسة قام محدثنا مغادرا الجريدة ، بينما جلسنا نتدارس ما قاله وكان أول ما قاله أحمد هوارى صاحب التعليقات المفاجئة قوله بالنص: «جاء طالبا البيعة فبايعناه»، وانفجرنا جميعا ضاحكين، ثم انصرفنا من الجريدة، أحمد هوارى وهانى عزت وعمرو على الفار وأنا، متجهين إلى مطعم «حمادة» في شارع الصحافة خلف مبنى «الأهرام»، كنا جائعين جميعا بشدة، طلبنا عدداً من «ساندويتشات الحواوشى» الساخنة، ولم نلبث أن طلبنا من النادل مضاعفته، وفى انتظار جرعتى «الحواوشى» الأولى ثم الثانية، تبادلنا الآراء والرؤى بجدية حول مسألة تولى محدثنا رئاسة التحرير، قال كل منا جملة أكملت حديث الآخر، وطرح كل منا فكرة كانت لبنة فى بناء الآخر، حتى

جاء طرحنا الفكرى المشترك الذى توصلنا إليه جميعا فى نهاية الجلسة وهى الجلسة التى قررت وقتها أن أؤرخ لها فى كتابى باسم «اجتماع الحواوشى».

لم يكن محدثنا هو الإسم الذي يمكن أن نحلم به لرئاسة تحرير «الأهرام» بعد الثورة، لكنه كان الأفضل مهنياً وسط الأسماء المطروحة، ولم يكن محسوباً على النظام السياسى السابق، ومن قال إن الإصلاح لابد أن يتحقق فى اليوم التالى لوقوع الثورة؟!

اتفقنا جميعا فى النهاية على توصيف الفترة المقبلة، فى عمر «الأهرام»، تماماً كما الوطن ، بأنها مجرد فترة انتقالية، أعباؤها ومصاعبها كبيرة للغاية، بما لا يجعل منها مطمعاً أو مغنماً يمكن من خلاله تحقيق الأحلام الكبرى للثورة، فى «الأهرام»، وفى مصر أيضا.

رأينا أن المستقبل مفتوح أمام الثورة بعد ذلك لتحقيق أهدافها، ففى «الأهرام» لا بأس من أن يتولى القيادة حاليا شخص مهنى، ربما يحاول إنهاء حياته فى صورة رئيس التحرير القوى، الشريف، الذى لا يخضع للسلطة فى الدولة قدر الإمكان، على أن يكون ذلك لفترة مؤقتة يمكن من خلالها إفراز، وفرز، قيادات صحفية جديدة تكون هى المعبر الحقيقى عن الثورة والأحلام، لاسيما فى ظل عملية التجريف التى جرت للكفاءات الصحفية الراقية خلال سنوات عهد إبراهيم نافع وبعده أسامة سرايا، حتى بدا أمامنا كأنه لا أحد يمكن أن يستحق هذا المنصب الرفيع..رئيس تحرير «الأهرام».

على كل حال أنهى المجتمعون ، هوارى وهانى وعمرو وأنا، وجبة الحواوشى الساخنة، وأنهينا حديثنا أيضا بالاتفاق على إمكانية دعم الرجل للموقع..دون أن يخطر ببالنا أن يجرى ما جرى بعد ٤٨ساعة فقط من اجتماع الحواوشى!

# السهم الطائر

أسماء عديدة حاولت الترويج لنفسها فى «الأهـرام» كرؤساء محتملين للتحرير، لاسيما عقب انتهاء عهد عبدالعظيم حماد فعلياً يوم موقعة الجمل «الأهرامية» فى ١٥يناير، وبينما كان الجميع يتدارسون أوضاع الصحيفة ومستقبلها، جاءت المفاجأة الكبرى بصدور قرار رئيس مجلس الوزراء الدكتور كمال الجنزورى بتعيين محمد عبدالهادى علام رئيساً جديداً للتحرير خلفاً لحماد يوم الأحد ١٩ فبراير.وفى اليوم التالى الإثنين ٢٠ فبراير جرت مراسم تسليم وتسلم رئاسة التحرير بين عبدالعظيم حماد ومحمد عبدالهادى علام، لينتهى بذلك عهد حماد عن عشرة أشهر و١٩يوما فقط، حيث كان أول أعداد «الأهـرام» الذى حمل اسم عبدالعظيم حماد رئيسا للتحرير هو يوم ١ أبريل ٢٠١١ المعروف بكذبته الشهيرة!

ولم يكن اسم رئيس التحرير الجديد ، محمد عبدالهادى علام، أحد الأسماء المرشحة أو المتنافسة للمنصب، حيث كان قد تم تعيينه قبل فترة قصيرة رئيسا لتحرير مجلة «الأهـرام العربى»، التى تصدرها المؤسسة ، وقبلها كان يشغل موقع رئيس القسم الدبلوماسى فى «الأهرام»، ثم مراسل الجريدة فى لبنان.

ومفاجأة تعيين عبدالهادى، بقدر ما أذهلت وأصابت الساعين إلى المنصب فى صدورهم ، إلا أنها لم تزعج قطاع الشباب الثورى فى الجريدة، فالرجل كان واحدا منا بالفعل إبان رئاسته القسم الدبلوماسى، كان معروفا بدماثة الخلق، والمهنية، والتواضع ، ولم يكن من المحسوبين على أحد من الكبار .

وإذا جاز لى أن أبدى رأيا مهنيا بشأنه ، فإننى أستطيع أن أقول إننى اطلعت على تقاريره الصحفية المكتوبة بخط يده ، التى كان يرسلها من بيروت فى فترة عمله مراسلا لـ «الأهرام» هناك، وذلك بحكم عملى فى قسم الشئون العربية.

ومن خلال ذلك، أقول أن الرجل كان صحفياً بحق، يمارس الدور الحقيقى المنتظر من المراسل الصحفى، الذى لا يتمثل فى الأساس فى الخبر وحسب، بل فى كتابة التقرير الإخبارى الشامل الذى ينقل الأحداث ويفسرها ويعلق عليها لإفهام القارئ المحلى، لا مجرد إعلامه فقط.

هوارى كان سعيدا أيضا بتعيين عبدالهادى، وسماه «بالسهم الطائر» ، فى

إشارة إلى وصوله إلى المنصب قادما من بعيد وعلى غير توقع أو انتظار، وقال لى إنه قرر أن يتوقف عن الكتابة على صفحتى اتحاد صحفيى «الأهرام»، على «فيس بوك»، وذلك لإتاحة الفرصة لرئيس التحرير الجديد كى يعمل وينظم الصفوف فى هدوء، بعيدا عن الانتقاد والتشكيك منذ البداية ، كما قرر هوارى أن يلتفت إلى ممارسة العمل الصحفى بشكل أكبر، لأن ذلك هو الأجدى ، خلال مرحلة البناء الحالية، كما قال لى.

بدأت الدماء تسرى فى عروق الصحيفة من جديد.. لكن بهدوء..بهدوء شديد.. وهو السمة المميزة لرئيس التحرير الجديد، الذى سار فى طريقه هادئا، لكن بثبات. قام بعمل اجتماعات مطولة مع جميع أقسام الجريدة ، استمع إلى شكاوى الجميع، وسبر أغوار الصحيفة، واطلع على ملفات الصحفيين ، وتعرف على أدق التفاصيل عنهم، حتى أنه كان يقول خلال فترة بدايته «أنا بأذاكر دلوقتى». ثم بدأت تغييراته فى المواقع القيادية للصحيفة ، شيئا فشيئا، على مراحل، لا دفعة واحدة، وتمكن من إبعاد الكثير من مراكز القوى السابقة التى تربعت على عروش الأقسام سنوات طوال، والغريب حقا أن إجراءاته هذه لم تكن تلقى معارضة أو مقاومة من هؤلاء، ولا أحد يدرى لماذا؟

البعض قال إنه ربما يكون قد ساومهم أو بعضهم على كشف جانب من أفعالهم السابقة المشينة، لذا فقد ابتعدوا فى هدوء، بلا جدال، ربما، وربما لا، لاأحد يدرى، لكن الملاحظ هو أن اختياراته الجديدة انصبت فى أغلبها على من يمكن وصفهم فى الجريدة بـ «التكنوقراط»، أو المتخصصين، فقد جاءت القيادات التى عينها عبدالهادى من المتميزين مهنياً الذين لم يحصلوا على مزايا من «الأهرام» على مدى تاريخهم الطويل ، وحاول إقامة توازن بين مسألتى الكفاءة والأقدمية، فى القيادات الجديدة.

ويمكن القول أن بعضا من اختيارات عبدالهادى للمواقع القيادية فى الجريدة جاءت فى غير محلها، وأن مستوى الصفحة الأولى - وهى عنوان الجريدة - لم يقفز بشكل لافت إلى الأعلى ، لكن الرجل على كل حال لم يعزل نفسه عن الصحفيين، وظل مقبلاً على الاستماع لجميع الرؤى والأفكار، ووفقا لما قاله بنفسه فى بداية عهده فإنه لا مانع من الوقوع فى الأخطاء ثم إصلاحها بعد اكتشافها ، حتى لو تم ذلك بعد فترة قصيرة من اتخاذ القرار.

والأمر المهم أيضا هو أن «الأهرام» قد التزمت خلال فترة الانتخابات الرئاسية والمعركة التى سبقتها بالموضوعية فى التناول وعدم الانحياز إلى أى من المرشحين، بل إن رئيس التحرير اختار يوم الانتخابات ٢٣ مايو لكتابة مقال قصير فى الصفحة الأولى لـ «الأهرام» تحت عنوان «يوم الشهداء» افتتحه بقوله:

«اليوم.يوم شهداء ثورة ٢٥ يناير فى السويس والقاهرة والأسكندرية وفى ربوع مصر كافة.يوم كريم بنونة ومحمد عمار وأحمد بسيونى وأحمد إيهاب..»، كما اختتمه بقوله: «اليوم ونحن نتوجه إلى صناديق الاقتراع علينا أن نتذكر دماء الشهداء.ونكون أوفياء لهم.. فاليوم يوم الشهداء».

كما قرر أن ينشر صفحة كاملة داخل الجريدة فى نفس اليوم ، احتلت نصفها العلوى صور الشهداء، بينما نشر فى النصف السفلى منها قصيدة لبهاء جاهين بعنوان «العريس» ، بالإضافة إلى موضوع كتبه صديقى نادر محمود طمان بعنوان «ضحكة الشهداء»، وكان يتناول معلومات قصيرة عن بعض الشهداء ، الذين اعتلت صورهم الصفحة، وقد أخبرنى نادر أن رئيس التحرير كان يتولى الإشراف على هذه الصفحة، ويختار صور الشهداء بنفسه حتى عذّبه، لكن ذلك كان مريحا ومطمئنا بالنسبة لى للغاية.

وإذا كانت هناك من كلمة أخيرة بشأن «الأهرام» فهى تلك الشهادة التاريخية المهمة التى قدمها أنيس منصور الكاتب الراحل فى مقال له أعادت جريدة «أخبار اليوم» نشره، يوم السبت ٢٩ اكتوبر ٢٠١١ ، بعد وفاته ، بعنوان:

«كامل الشناوى..الذى ليس له مثيل فى تاريخ الصحافة»

وفى المقال كتب الأستاذ أنيس رحمه الله:

« .....كان كامل الشناوى قد وجد لنا عملاً فى صحيفة «الأهرام» سنة ١٩٥٠ .وعمل معنا أيضا. وأدخل كامل الشناوى كثيرا من التجديد على الصحيفة التى كانت غير موافقة أو غير قادرة على التصور أو التحرك أو أن يكون لها موقف سياسى واضح. لقد هزها كامل الشناوى. وغير ملامح الصفحة الأولى وأدخل الخطوط العريضة فى العناوين وأدخل الألوان فى الصفحة الأولى وقالوا: عجوز تتصابى. وإنما كانت شابة نسيت أنها كذلك!

...............

ورغم تردد صحيفة «الأهرام» فى الاستجابة لكل طموحات وخبطات كامل الشناوى فانها استسلمت وطاوعته.وكان هو الأصح. فـ «الأهرام» صحيفة لبنانية.صاحبها ورئيس التحرير لبنانى.هو يخاف أن يكون لها لون سياسى، وإنما هى اختارت السلامة - فاختارت كل الألوان. أو ألا يكون لها لون. إنها اختارت الطعام المسلوق لأنه صحى - ولكن لا طعم له.. ولذلك قفزت صحف أخرى لجرأتها ومرونتها مثل صحف «أخبار اليوم».

........................

وكان كامل الشناوى يسخر من «الأهرام» ويقول إن تمثالا لصاحب «الأهرام» يجب أن يوضع فى كل أركان «اخبار اليوم» - فلولا جمود صاحب «الأهرام» ما كانت انطلاقة أصحاب «أخبار اليوم».

انتهى مقال الأستاذ أنيس.. وهكذا وبعد كل هذه السنوات من عملى فى «الأهرام»، توصلت إلى تفسير للغز «الحياد الشديد» الذى تشتهر به «الأهرام» تاريخيا، أو قل لغز اختيار السلامة دوماً، أو اختيار كل الألوان، أو ألا يكون لها لون، وهو ما يدفع فى سبيل المهادنة مع السلطة، والبعد عن الثورية أو التثوير.

اتضح أن السر التاريخى هو فى جنسية صاحب «الأهرام» اللبنانى بشارة تقلا، الذى اختار وقتها ألا يكون للصحيفة لون سياسى محدد حتى لا تصطدم مع السلطة، لكن الظروف الآن تغيرت، ولم تعد «الأهرام» هى تلك الصحيفة التى تصدر فى مصر لمالك لبنانى، ولم يعد أحد بالطبع يمارى فى المصرية الخالصة للصحيفة، لذا فقد زالت أسباب المبالغة فى الحياد، ومهادنة السلطة.

ولعل علمى بهذا السر التاريخى من شأنه أن يريحنى، ويريح كل أهرامىّ، حيث كنا نسمع هذا المأخذ على «الأهرام»، على مدى سنوات طوال، دون أن نعرف كيف نرد، أو لماذا كانت «الأهرام» كذلك على مر التاريخ مهادنة للسلطات، لكن الآن ، أما وقد عرف السبب، وقد زال هذا السبب، فلماذا لا تنطلق «الأهرام» فى سماء الإبداع والتألق، والاستقلال عن سلطات الدولة؟

إن ذلك لا يتطلب سوى الجرأة والمهنية فى شخص رئيس التحرير ، الذى ينبغى أن تكون ثقته فى نفسه بالقدر الكافى لأن يكتب مقالاً أو يبرز خبراً، يجعله يستيقظ فى اليوم التالى ليجد نفسه خارج المنصب، ولا يبالى، لأنه

عندئذ سيكون قد دخل التاريخ من أوسع الأبواب.. وأجمل الأبواب.. كما أن الصحفيين أيضا -عندئذ- سوف يحمونه بأجسادهم، ولن يسمحوا بمغادرته الجريدة إلا على جثثهم!

ولكن أنّى يحدث هذا؟!

# نكسات يونيو

على الصعيد السياسى، أسهمت ثورة يناير المجيدة فى ضخ دماء السياسة فى عروق هذا الوطن، فأصبحنا جميعا نتحدث فى السياسة، التى أضحت محور أحاديث المقاهى والمنتديات والصالونات، الكل يحاول أن يفهم ، ويبنى وجهة نظر، ويتخذ مسارا سياسيا واتجاها لنفسه.

لم يعد المجتمعون يختلفون حول أفضلية فريقى الأهلى والزمالك، بل تنافس الناس فى عرض وجهات نظرهم بشأن الأحزاب المختلفة، والقيادات السياسية على الساحة، وعرفنا فضيلة التصويت فى الانتخابات، حتى إننى شعرت بأن يوم الإثنين ٢٨نوفمبر ٢٠١١ أول أيام الانتخابات البرلمانية كما لو كان شبيها بأيام العيد ، فقد خرج المصريون منذ الصباح الباكر متجهين فرادى وجماعات إلى لجان الاقتراع، فرحين محتفلين مستبشرين، مصرين على رسم ملامح الغد بأيديهم.

ودخلنا بعدها فى فاصل طويل من الصراع فى الانتخابات الرئاسية، وأصبح لكل منا مرشحه الذى يدافع عن كونه الأصلح لقيادة مصر.بدأ الناس يتعلمون فيما بينهم، الاختلاف بلا خلاف، والافتراق دون شقاق.

وربما يمكنك أن تتوقع أن ينحاز كاتب هذه السطور إلى جانب الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح، فهو المرشح الإسلامى المستنير، الذى يقبل الآخر ولا يسعى إلى فرض رأيه عليه. وعلى الصعيد الفكرى والمعرفى ربما كان المرشح الدكتور محمد سليم العوا هو الأرجح كفة، وقد فكرت فى التصويت له، لكننى حسمت أمرى بالميل إلى أبوالفتوح الأكثر خبرة بالسياسة وممارساتها، وكنت أتمنى أن ينجح أبوالفتوح وأن يتخذ بعدها العوا مستشارا رئيسيا له.

وبعد الجولة الأولى كم تمنيت لو كان كلاهما قد اتحدا مع حمدين صباحى، ليشكلوا جميعا تيارا ثوريا توافقيا، يجمع الإسلاميين الليبراليين واليساريين الليبراليين، ليشكل الجميع «كتلة سياسية تاريخية»، كتلك التى شهدتها تونس، لكن ذلك لم يحدث وتفتت أصوات الثوار، لذا فقد نجحت الحركة السياسية الأكثر تنظيما، الإخوان المسلمون، وصعد مرشحها الدكتور محمد مرسى إلى جولة الإعادة، وهو ما صدم ليبراليين كثيرين، كانوا قد استاءوا من ممارسات

جماعة الإخوان المسلمون المتخبطة فى معظم الأحيان، أما ما صدمنى أنا حقا فكان هو صعود مرشح الثورة المضادة أحمد شفيق لخوض جولة الإعادة.

وسط كل هذا الزخم الثورى نجح شفيق!

قضيت ليلة ليلاء، مساء الجمعة ٢٥ مايو، بعد ظهور نتائج عمليات الفرز فى الجولة الأولى، شاركت فى لقاء «قهوة الدقى» الأسبوعى مع قدرى ووائل وأمجد وخالد، لكننى بعدها ظللت أتجول فى شوارع القاهرة بعد منتصف الليل بسيارتى، ورحت أنظر طويلا إلى النيل، كمن يحاول التعرف من جديد على محيطه، ومجتمعه، الذى اختار أن يكون شفيق هو أحد مرشحيه فى جولة الإعادة.

والحق أننى كنت قد تنبأت بذلك بالفعل قبل الانتخابات ، لكننى حاولت ألا أصدق نبوءتى ، وعندما استبد بى الإحباط والشعور بأن شفيق سيفوز، رحت أحطّ كعادتى على شاطئ الكتابة الساخرة، فكتبت على صفحتى على موقع «فيس بوك» قبل الانتخابات ما يلى:

# فريق الفن والفنتزة

«عندى حالة هبل..
ورغبة فى الفنتزة..
على طريقة..
باللغة العربية الفصحى..استيقظ وفنتز واصحى..
أو بأسلوب..
فنتز يا جميل فى الساحة..ما الفنتزة هى المتاحة..
ومش حنجيب سيرة خالتك شريفة..
فالكلام يخص عمك شفيق..وخريطة الطريق
على كل حال..
بيقولك..خليها فى سرك
عمك شفيق
واخد الفريق..ورايح الغريق!
وانا فى عرضك.. يخليلك أرضك
ما تجيبش سيرة..لا لمتهم ولا برئ!
................
صوت فخم.. ترتعد له الفرائص.. ويهز الأركان
نابعٌ من قابع خلف الجبل
أيها المستقرون أبدا..
الرابضون مدى الدهر..الباقون قرب النهر
الرافضون حتى لأحلام المنام
يقول لكم عمكم..
شكرا..
فقد أنجزتم المهمة.. وانزاحت الغمة
We got it!
.............
بقولكم إيه يا ولادى..أنا خلاص ماشية
حبوا بعض يا ولادى..
واسألوا على بعض..على قد ما تقدروا

خليكم زى ما انتم..
وافتكرونى..
وافتكروا دايما اخواتكو اللى راحوا..
أنا خلاص ماشية..
بس يمكن أرجع تانى..
بعد شهر..سنة..سنتين..سنين..
بس انتم..خليكم زى ما انتم..
وافتكرونى..
وافتكروا اخواتكو اللى راحوا..
............ أمكم ثريا !»

نجح الفريق أحمد شفيق، وكان ذلك أولى نكسات شهر يونيو بالنسبة لى، كم كانت الصدمة قاسية ، وتذكرت وسط حالة الدوار التى انتابتنى، أثناء سيرى بسيارتى مساء الجمعة حتى فجر السبت، الأستاذ الكبير أحمد سعيد ، ترى ماذا يمكنه أن يقول الآن؟!

ولكن..لماذا الصدمة؟

اختار الناس من يشعرون أنه سيحقق لهم الاستقرار والأمن، ويدفع عجلة الحياة اليومية ، لاشك أن البشر يحبون الحرية، ويسعون إليها ، لكنهم قبلها يحتاجون إلى الطعام والأمن.. وقد أدرك القائمون على أمر البلاد فى هذه الفترة تلك الحقيقة، فلعبوا على هذه الأوتار الحساسة لدى الناس.

على أى حال نجح شفيق فى الجولة الأولى، وصعد للمنافسة على المنصب مع محمد مرسى، وكان رأيى واضحاً بتأييد مرسى، على الرغم من اعتراضى على كثير من الممارسات السياسية للإخوان المسلمون..أيدت مرسى.. وأعدت نشر كلماتى السابقة.. «فريق الفن والفنتزة».. لكن فى «الأهرام» هذه المرة.

ومساء الأربعاء ١٣يونيو، كنت عائدا إلى منزلى بالمعادى بصحبة أحمد هوارى الذى أصر على توصيلى، وعند وصولنا إلى مقر المحكمة الدستورية العليا على كورنيش النيل، بدا المشهد مخيفاً، حشد من البشر حول مقر المحكمة ، التى أحاطت بها دبابات الجيش، بالإضافة إلى أكثر من ١٥سيارة

كبيرة للأمن المركزى، تم رصها بجوار سور مستشفى القوات المسلحة المجاورة للمحكمة.

كان من المنتظر أن تصدر المحكمة الدستورية حكمها فى اليوم التالى الخميس ١٤ يونيو فى طعنين تم تقديمهما إليها، الأول يتعلق بدستورية قانون العزل السياسى، وما سيترتب على ذلك من استبعاد أحمد شفيق من الانتخابات أو الإبقاء عليه، أو إعادة الانتخابات بالكامل. والثانى يتعلق بدستورية قانون انتخابات مجلس الشعب، وما سيترتب على ذلك من حل المجلس من عدمه.

وكان وزير العدل قد استبق جلسة المحكمة المنتظرة، بإصدار قرار مفاجئ يوم الأربعاء بمنح حق الضبطية القضائية لأفراد القوات المسلحة ، بما يمكنهم من القبض على مدنيين، فى حالة ارتكابهم بعض الجرائم ، ومنها تعطيل سير العمل وخلافه.

وبدا القرار بمثابة استعداد لمواجهة الاحتجاجات والمظاهرات المحتملة بعد صدور الحكم، وذلك عبر الضرب بيد من حديد على مرتكبيها.

بعد وصولى إلى المنزل مساء الأربعاء، رحت أكتب مشاهداتى حول الاستعدادات الأمنية بجوار المحكمة الدستورية ، كما كتبت على صفحتى على موقع «فيس بوك».. «الطف يا رب».

كانت مصر تقف بالفعل على أطراف أصابعها، متطلعة لمعرفة مصير الانتخابات الرئاسية، ومجلس الشعب، معا فى يوم واحد.

فى اليوم التالى ، توالت الأحداث سراعاً، حيث أصدرت المحكمة حكمها بعدم دستورية قانون العزل، وعدم دستورية قانون انتخابات مجلس الشعب، وهو ما ترتب عليه الإبقاء على شفيق فى سباق انتخابات الرئاسة، وحل مجلس الشعب.

تقافزت الأسئلة سريعا إلى سطح الأحداث الملتهبة هذا اليوم..بعد أن تم توجيه ضربتين للثورة والإخوان المسلمون تحديدا.. الأولى بالإبقاء على شفيق فى انتخابات الرئاسة..والثانية بحل مجلس الشعب الذى يحظى فيه الإخوان بالأكثرية النيابية.

توالت المفاجآت المذهلة أمام عينىّ الشاخصتين داخل «الأهـرام».. وجوه عديدة خلعت أقنعة الثورة وراحت تتبادل التهانى والمباركات.. برجوع هيبة الدولة ..كما قالوا.

هذا اليوم، شعرت بحق أن الثورة قد انتهت، وأننى أستيقظ أخيرا من ذلك الحلم الجميل الذى بدا أنه يتحقق رويداً رويداً لكننا استيقظنا أخيرا لنجد أننا نمسك بأيدينا الريح، ونقبض على الوهم!

قبل اليوم ..الخميس ١٤يونيو ٢٠١٢.. كانت فكرتى الرئيسية فى هذا الكتاب.. أو الرواية..سمّه كما تشاء.. هو أن صمت المصريين الطويل على مدى سنوات وسنوات قد انفجر هادراً يوم ٢٥ يناير ليعلن بغضب أن الصمت قد يطول لكنه يظل غير مأمون العواقب.

أما اليوم.. وبعد ما جرى ..ها هى الفكرة- فى لحظة إحباط مريرة - تتحول بداخلى، لأشعر بأن كل ما دار منذ ٢٥ يناير حتى اليوم من أحاديث الثورة والحرية والانتصار، كأنه لم يكن سوى صمت هادر، لفّنا جميعاً بجناحيه، حتى احتوانا.. بعد أن خيل لنا أن صوت الثورة حقيقة..لكننا استيقظنا جميعاً فى النهاية على صرخة هادرة.. للثورة المضادة.. بددت الصمت .. ووأدت الأحلام.

كنا على مسافة ٤٨ ساعة فقط قبل التوجه إلى صناديق الاقتراع لاختيار رئيس مصر، لكننى شعرت، عندما رأيت أحمد شفيق فى مؤتمر انتخابى بعد صدور الحكم، بأن اللعبة قد انتهت، وأن الصمت قد تبدد، على وقع «صوت فخم..ترتعد له الفرائص.. ويهز الأركان»، انطلق مدوياً ليعلن إسدال الستار على اللعبة الكبرى، حتى أننى لم أستبعد أن يعلن شفيق - خلال مؤتمره الانتخابى - نفسه رئيساً للجمهورية، بلا انتخابات أصلا!

يا إلهى.. رحماك يا رب العالمين.

ما العمل يا رب؟ أتكون هذه هى النهاية حقاً؟!

عدت إلى منزلى مساء الخميس، ذاهلاً، واجماً، حزينا، أحاول لملمة أشلاء نفسى الممزقة. وعلى شاشة التليفزيون توالت المشاهد المفاجئة بالنسبة لى، حديث إبراهيم عيسى على «أون تى فى» ، وحوار شفيق مع عماد الدين أديب

على «سى بى سى»، كلمات هنا وهناك، أشلاء تتناثر، وأحلام تتبعثر، قبل أن تتبخر!

عجزت عن النوم دقيقة واحدة، رحت أجلس خلف جهاز الكمبيوتر، وعلى صفحتى على موقع «فيس بوك» رحت أكتب..أعدت أولا نشر مقال «فريق الفن والفنتزة»، الذى ينتهى بوصية «أمكم ثريا» ثم كتبت بعدها:

«البقاء لله..أمكم ثريا..تعيشوا انتم.. game over»

ثم كتبت تعليقاً آخر حول حلقة يوم الخميس من برنامج إبراهيم عيسى على قناة «أون تى فى» وقلت:

«فى هذا الظرف التاريخى يقول الأستاذ إبراهيم عيسى أن الانتخابات المقبلة ستكون بين الدولة العلنية والدولة السرية، وأنه يجب على الناس أن تختار.وعاد إلى سرد وقائع تاريخية للإخوان.. مؤكدا أن الجانب السرى من الإخوان حاليا أمر مؤكد وأن هناك إخوانا غير ظاهرين فى مختلف القطاعات والوظائف وأن التنظيم الدولى أمر مؤكد.. لكن لم يتعرض الأستاذ إبراهيم للفترة التاريخية القريبة التى كانت فيها جريدته (الدستور) تعبر عن رأى الإخوان وتنقل رسائلها الإعلامية مقابل تعهد الجماعة بشراء عدد معين من نسخ الجريدة يوميا وفقا لاتفاق سابق».

وعدت لأكتب تعليقا آخر على الحوار الطويل الذى أدلى به أحمد شفيق للإعلامى عمادالدين أديب على قناة «سى بى سى» مساء الخميس أيضاً وقلت:

«الأستاذ عماد الدين أديب محاور الرؤساء.. قدم وجبة إعلامية (وسياسية) دسمة للغاية من خلال حواره مع الفريق أحمد شفيق على «سى بى سى» .. وهو حوار للتاريخ.. تعلمت منه كثيرا كثيرا..فى فنون الإعلام والسياسة..وعرفت منه معلومات جديدة تماما منها أن شفيق أول من اقترح التنحى على مبارك وأنه كان ضد التوريث والخصخصة ووقف ضد ذلك طويلا.. وأنه سيكون هو المرشح الذى سيتبنى الثورة بعد أن اختطفت من الثوار بدليل أن أول قراراته سيكون برد الاعتبار للشهداء والمصابين وأسرهم.. وتوظيفهم والاستعانة بهم فى مؤسسات الدولة ورفع التعويضات لهم إلى أقصى حد مهما كانت الظروف.

إنه حوار للتاريخ ودرس سياسى وإعلامى دسم..سنذكره طويلا..ونتعلم منه كيف يقدم الإعلام الرؤساء.

إنه إعلام ذكى جدا وخطير جدا جدا..فهو يجعل الأستاذ شفيق هو نفسه لا غيره مرشح الثورة ومنقذها..وهو يمرر ذلك بطرق خاصة جدا.. يمكننى أن أسردها بالتفصيل فى سياق تحليل تاريخى للحوار مستقبلا ان كان فى العمر بقية..لكنها فعلا فكرة لطيفة ومسلية للغاية.. أن يكون شفيق هو مرشح الثورة.. game over»

ظهر نور الصباح يوم الجمعة، ولم أنم، ارتديت ملابسى وتوجهت إلى «الأهرام»، كان بداخلى ما أريد التعبير عنه بالكتابة على «فيس بوك» لكننى فشلت.

قبل توجهى إلى الجريدة، قمت بشراء معظم صحف الصباح، كان لابد من التأريخ لما حدث يوم الخميس فى المحكمة الدستورية، فقد كان إيذانا أو إعلانا بنهاية الثورة.

«الأهرام» قالت: «حل مجلس الشعب وبقاء شفيق فى سباق الرئاسة». و«الأخبار» كتبت: «حل البرلمان.. وجولة الإعادة فى موعدها». و«الجمهورية» عنونت: «حل مجلس الشعب بالكامل..وشفيق مستمر».

وكتبت «المصرى اليوم» : «العزل لمجلس الشعب..والبقاء لشفيق». وكتبت «الوطن»: «المتاهة». و«اليوم السابع» عنونت : «عزل البرلمان وبقاء شفيق». أما «الشروق» فكتبت: «كما كنت..الدستورية تعيد كل السلطات إلى العسكرى». وكذلك قالت جريدة «التحرير»: «كما كنت..انقلاب بالقانون» وعنوان آخر هو: «الإخوان لن تصّعد أو تصطدم»، مع عرض صورة ضخمة بمساحة الصفحة الأولى كاملة للمشير محمد حسين طنطاوى جالسا على كرسى .

أما جريدة «الحرية والعدالة» فأصدرت عددا خاصا جاء العنوان الرئيسى لصفحته الأولى «حلوا المجلس.. سابوا شفيق» ثم باللون الأحمر: «العزل الشعبى هو الحل».

اطلعت على الصفحات الأولى للصحف داخل السيارة، ثم اتجهت إلى «الأهرام»..وفى الجريدة سمعت المناقشات فى اجتماع مجلس التحرير،

وعرفت أنه بعد سقوط الحصانة القضائية عن نواب مجلس الشعب بعد حله، فإنه سوف تتم ملاحقة ثلاثة من النواب قضائيا، وطلب أحد مسئولى التحرير من الزميل مندوب القسم العسكرى الاستعلام عن خبر ضبط كمية كبيرة من الأسلحة لدى عضو بمجلس الشعب!

بين عشية وضحاها.. وجد النواب أنفسهم على أعتاب السجون!

مضى اليوم فى «الأهرام» عاديا ، وانصرفت ظهرا عائدا إلى منزلى، على أمل أن أنجح فى إغماض عينى وأنام، لكننى لم أنم.. فشلت فى النوم.. ورحت أجلس خلف جهاز الكمبيوتر..لأكتب على «فيس بوك» ما اختمر أخيرا بداخلى، وكنت قد فكرت فى الصيغة التى يمكن أن أقدمه بها حتى كتبت ما يلى:

«ما أعرفه هو أن الإخوان ارتكبوا خطايا فى حق الثورة..وفى حق الجميع.. وفى حق أنفسهم..وما أعرفه هو السلمية والصناديق وحدها لتحقيق أهداف ثورة شريفة دخلت غرفة الإنعاش..وما أعرفه هو أننى لن أنزل إلى الشارع الا إذا كانت هناك أدلة يقينية قاطعة على التزوير.. ولكل ذلك فإن ما سأفعله هو أننى سألتزم بالمباراة حتى آخر دقائقها.. وأنزل بهدوء شديد أنتخب محمد مرسى.. لأن الظرف التاريخى لا يحتمل تصفية حسابات سياسية بين من كانوا يوما رفقاء الميدان..

سأنتخب مرسى حتى أرضى ضميرى وأنام مستريح البال مساء يوم الإثنين أيا كانت النتيجة..سأنتخب مرسى لأننى لست ممن يقال لهم إن هذه الانتخابات بين دولة شفيق المدنية ودولة الإخوان الدينية..

سأنتخب مرسى بينما أحتضن كل أحبائى ممن سينتخبون شفيق.. فقد تعبوا وأرهقوا طويلا بفعل فاعل.. وأعذرهم ولا أتهمهم بشىء..

سأنتخب مرسى بعد أن فقد الإخوان البرلمان وعادت كل السلطات إلى المجلس الأعلى لحماية الثورة المضادة.. عفوا أحبائى.. لكننى قررت أيضا أن أرهقكم بهذه الكلمات لإرضاء الضمير.. ولأطلب منكم فى النهاية.. فقط.. أن ترضوا ضمائركم بحق.. أيا كان اختياركم».

ورد علىّ صديقى الثائر الشريف الحالم حتى النخاع أيمن عبدالعزيز

الصحفى بالقسم الخارجى فى «الأهرام» قائلاً:

«أتفق معك وأحترم رأيك غير أننى لم يعد لدىّ ذرة ثقة فى أن صوتى سيكون محترما وله وزن وسيكون الأمر فقط أوراقا وصندوقا لكننى شبه متيقن من جملة ما يجرى من سفالات من أن ما سيتقرر لا علاقة له بالصناديق ولا الإنتخابات فالتلاعب له أكثر من طريقة حتى وإن بدا الأمر أننا أمام انتخابات وصناديق وحبر الخ الخ»

وعدت لأرد عليه قائلاً:

«أعذرك للغاية يا أيمن بك.. لكنها مسألة ضمير.. فلنتمالك أنفسنا. ونصبر قليلا.. ولنعتبرها المباراة الأخيرة التى لا ننتظر لها نتائج.. لكن لا يعقل أبدا أن يفوز شفيق بفارق كاسح.. فقط لأن أنفاسنا تقطعت فى الأمتار الأخيرة وهزمتنا احباطاتنا.. فلنغرس ما بيدنا من فسيلة.. حتى لو قامت الساعة غدا يا صديقى».

وظل أيمن على رأيه وراح يناقشنى بتعليقاته على ما كتبت وراح آخرون بدا عليهم الإحباط يعبرون عن سعادتهم بما كتبت.

وكانت المفاجأة بالنسبة لى بعد ذلك، عندما وجدت أيمن عبد العزيز يقول لى أنه يفكر فى الذهاب للإدلاء بصوته، وسعدت بذلك كثيرا.

سقطت مساء الجمعة غارقا فى نوم عميق بعد حوالى ٣٦ ساعة كاملة من الاستيقاظ أو العجز عن النوم.

وصباح السبت ١٦يونيو بدأت عملية التصويت وانتهت فى اليوم التالى الأحد ١٧يونيو فى العاشرة مساء؛ لتبدأ عمليات الفرز، وتوالت الأحداث متسارعة بعد ذلك تلك الليلة، حيث أصدر المجلس العسكرى «ليلاً» الإعلان الدستورى المكمل الذى لم يتم الإعلان عن بنوده بالكامل فى الحال، وبعد ذلك بساعات، وبالتحديد فى تمام الساعة الرابعة فجرا خرج الدكتور محمد مرسى ليعلن –على العالم– أنه فاز فى الانتخابات بنسبة ٥٢,٥٪ من الأصوات مقابل ٤٧,٥٪ لمنافسه أحمد شفيق، وألقى كلمة احتفالية قصيرة كأول خطاب له كرئيس للجمهورية.

ويوم الإثنين، وبينما كان أنصار مرسى يحتفلون فى ميدان التحرير، وأنصار شفيق يؤكدون أن النتائج النهائية سوف تعلن فوز مرشحهم ، بدأت أصداء

الإعلان الدستورى «الليلى» فى الانطلاق، وبدا أننا أمام نكسة جديدة للثورة خلال شهر يونيو، حيث أكدت نصوص الإعلان الدستورى بشكل قاطع رغبة الجيش فى السيطرة على الرئيس المقبل، وعلى كل شىء ، حتى يبقوا كدولة داخل الدولة ، لا رقابة لأحد عليهم ، ولا سلطان لأحد غيرهم.

ووسط هذه الأصداء، توالت النكسات أيضا، بإصدار المشير حسين طنطاوى قراراً بتشكيل مجلس الدفاع الوطنى برئاسة رئيس الجمهورية، ويختص بالنظر فى الشئون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها. والأمر اللافت للنظر هو أن تشكيل المجلس يضم فى عضويته عددا كبيرا من العسكريين من قادة الأسلحة وغيرهم ، وأن صدور القرارات عنه يكون بالأغلبية المطلقة.هل وضحت الصورة؟!

لم يعد المجلس العسكرى يخفى نواياه، أو قل أن اللعب أصبح «على المكشوف»، وانطلقت مساء الثلاثاء ١٩يناير مظاهرات عارمة فى ميدان التحرير، للتنديد بالإعلان الدستورى المكمل، واغتصاب المجلس العسكرى السلطات فى الدولة قبل أن يسلم السلطة (شكليا) آخر يونيو.

وسمعت الكاتب الصحفى سليمان جودة يقول صباح الثلاثاء على قناة «دريم» نقلا عن كتاب للأستاذ الراحل أحمد بهاء الدين أن الرئيس أنور السادات قال للأستاذ بهاء عام ١٩٧٦:

«يا أحمد انت قرأت الكتب وعارف التاريخ كويس، العسكريين مش ممكن يسيبوا الحكم إذا مسكوه فى أى مكان بسهولة إلا بعد ٣٠ سنة!»

.........

ومساء السبت ٢٣ يونيو قبل يوم واحد من إعلان نتيجة جولة الإعادة قضيت أوقاتا صعبة، عجزت - كالعادة- عن النوم فترة طويلة، وكنت شبه واثق من فوز شفيق، وأن ذلك سيحدث بأى وسيلة، «بالذوق أو بالعافية».

كنت مع عائلتى فى الأسكندرية، سهرت مع شقيقى مدحت وحدنا حتى الصباح - صباح الأحد- وسألته عما سيفعله بعد فوز شفيق، فقال إنه لا خيار سوى العودة إلى ميدان التحرير مرة أخرى. قلت له إنها ستكون دموية للغاية

هذه المرة، وكان واضحا عليه أنه يعى ذلك جيدا، لكنه تساءل قائلا: «حنعمل إيه؟ حنسيبه كده؟ مفيش حل !».

نجحت فى اقتطاع بضع ساعات من النوم فى الصباح، واستيقظت فى تمام الساعة الثالثة عصرا، حيث الموعد المحدد لإعلان النتيجة.

وفجأة.وخلافا لكل التوقعات..تم إعلان فوز مرسى بفارق ضئيل.ليصبح بذلك أول رئيس لمصر من جماعة «الإخوان المسلمون»، وأول رئيس مدنى منتخب وفقا لانتخابات حقيقية، و.. و.....

وانهالت دموعى حارة غزيرة، وكتبت على صفحتى على «فيس بوك» عبر هاتفى المحمول..«الحمد لله..الآن نجحت الثورة» ، بينما توالت زغاريد أمى ودموع شقيقتى مروة.

كانت سعادتى هائلة، لا أستطيع وصفها. نزلنا جميعا فى المساء إلى كورنيش الإسكندرية، وأمام مسجد القائد إبراهيم تعالت الهتافات الاحتفالية، وأضاءت الألعاب النارية سماء عروس المتوسط، التى تزينت الليلة فرحا بنجاح الثورة ووصول أحد القوى السياسية التى شاركت فيها إلى الحكم.

أبناؤنا؛حازم وحلا نجلاى، وعمر ورنا نجلا شقيقتى مروة وزوجها باسم، عادوا اليوم إلى الرقص فى الشارع بسعادة، مثلما فعلوا من قبل يوم ١١ فبراير ٢٠١١؛ يوم تنحى مبارك.

وعلى الرغم من الفرحة العارمة، إلا أننى لم أنس أن للقصة دروسا عميقة ينبغى أن نعيها جيدا، لاسيما أن نصف المصريين إلا قليلا اختاروا أن يكون أحمد شفيق رئيسا، لأسباب عديدة.

ولعل ذلك كان هو سبب عدم تعليقى على عبارة قالتها أمامنا سيدة سكندرية محترمة وسط الاحتفالات عند مسجد القائد إبراهيم عن أنصار شفيق، حيث قالت إنهم لا يمكن أن يظهروا اليوم أبدا لأنهم «نزلوا الجحور خلاص».. ابتسمت لها نصف ابتسامة.. ولم أعلق بشىء.

# وتبقى الفكرة

وهكذا.. وفى ختام يونيو بنكساته ودروسه.. لابد أننا تعلمنا..لا شك أننا تعلمنا..

إن مواجهة النظم السياسية العاتية، صاحبة القلاع العتيدة ، التى يحرسها العسكر، لا يمكن أن تنجح إلا بتكاتف شعبى موحد، يضم جميع القوى السياسية التى ينبغى أن تكون مؤمنة بأنه لا غنى عن تآلفها وائتلافها وقبولها ببعضها البعض.

ويبقى التحدى الأكبر واقعاً على أكتاف الإسلاميين..لماذا؟ وما هو المطلوب منهم؟!

أولاً: لابد من الاعتراف بحجم وتأثير الإسلاميين فى مصر والمنطقة، بما يضعهم فى مقدمة صفوف القوى السياسية الوطنية المختلفة ، وذلك من شأنه بالتبعية أن يلقى بالعبء الأكبر على أكتافهم، فهم مطالبون بقيادة القوى السياسية والثورية لإتمام عملية التحول الديمقراطى بنجاح، شريطة أن يفعلوا ذلك دون تعالٍ أو وصاية على أحد.

لكنهم أيضا حتى يمكن لهم أن يصلوا إلى ذلك، لابد أولا أن يعملوا على إقامة مراجعات فكرية وفقهية وسياسية واسعة ، يخرجون منها مقتنعين فى دواخلهم بحق بأنهم لا يمتلكون وحدهم حقيقة الحل، أو عصمة الطريقة.

وذلك لا يقلل أو يطعن بحال من الأحوال فى «الشريعة الإسلامية» كفكرة، لكن تطبيق الشريعة يحتمل فى كل موقف العديد من الحلول، فأيها هو الصواب؟ وأيها الاجدى والأنفع لحياة البشر وتحقيق مصالحهم؟ فلا يكفيك ان تقول إننى سأطبق الشريعة وكفى لتكون قد أدركت الحقيقة. فها هى أسرة آل سعود تفتخر بأنها تمثل الدولة الإسلامية الوحيدة فى المنطقة التى تطبق الشريعة الإسلامية، وذلك تزييف للحقائق وخلط للأوراق لا مراء فيه.. فالحقيقة هى أنهم يطبقون الحدود الشرعية فقط، قطع الرأس واليد وغيرها..أما الشريعة ذاتها فهى تؤكد أن أولى قواعد الحكم السياسى الشرعى إنما تتمثل فى الشورى، ولا يجوز أن تكون الشورى شكلية، أو مقصورة على فئة بعينها ، فما

بالك بأسرة اقتطعت قطعة من أرض الله، وأطلقت عليها اسمها، ثم جاءت لتدعى أنها تحكم بشرع الله، وشرع الله منها براء؟!

لا مهرب ولا مناص من أن يعمل الإسلاميون فى كل صوب وحدب من الأرض، على بناء مشروعهم السياسى الخاص، الذى يقدم الحلول العملية والواضحة لجميع مشكلات الحياة والحكم وفقا لطبيعة كل أرض.

ولا مهرب ولا مناص من أن يقدم الإسلاميون مشروعهم ذاك باعتباره طرحا سياسيا، أو حلا متاحا، دون ربطه بالعصمة أو القداسة، فمن يدريك؟ لعل مشروع أخيك - غير الإسلامى - هو الأكثر نفعا للناس ولا يخالف الشريعة، وعندئذ يكون هو الإسلامى الحقيقى الذى يرضى عنه الله لا أنت؟!

إن خير الناس هو أنفعهم للناس، كما أكد سيد البشر المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، ومضمون هذا الحديث الشريف ذكره رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان باللغة العربية خلال حواره مع الإعلامية الكبيرة منى الشاذلى يوم الإثنين ١٢سبتمبر ٢٠١١ ، وهو المنهج الذى سار عليه أردوغان فى تجربته شديدة الخصوصية فى بلاده، فراح يدفع عجلة الاقتصاد والتنمية إلى الأمام بأقصى طاقته، لم يلتفت إلى تلك التى ارتدت الحجاب أو النقاب أو حتى لباس البحر، لم يحظر فيلما، أو يغلق ملهى، لكنه توجه فوراً إلى العمل.. والإنتاج .. فحصد عبر عدة انتخابات أصوات البشر، لينشىء حكما ذا مرجعية إسلامية فى أعتى قلاع العلمانية، وليتغلب بعد سجال طويل على حكم العسكر، حماة قلعة العلمانية فى تركيا .كيف؟ فقط لأن الشعب اختاره.. فأنّى لنا ذلك؟

كيف يمكن أن نصل إلى أن تختار شعوبنا العربية، لا سيما فى مصر، بنفسها وبحريتها الكاملة حكم الإسلاميين؟

لعل من المفارقات التى قد تبدو للوهلة الأولى مذهلة هو أن المواطن المصرى البسيط المعروف بتدينه، مسلما أو مسيحيا، يبدو فى أغلب الوقت كمن يخشى حكم الإسلاميين .فكيف ذلك؟

أعلم أن الأنظمة استخدمت فزاعة الإسلاميين مع شعوبها سنواتٍ طوال، لكن ليس ذلك وحده هو السبب، فهؤلاء البسطاء المتدينون عندما يفزعون من

حكم الإسلاميين إنما يخشون فقط على شىء واحد ..هو حريتهم.

نعم..تلك هى الحقيقة!

لماذا ارتبط حكم الإسلاميين دوما بالتعدى على الحريات؟

المسئولية هنا أيضا تقع على عاتقهم، فخطابهم السياسى فى أغلب الأحوال إنما يشى بغموض الصورة حول رؤيتهم للحرية، ولذلك ميراث تاريخى طويل فى الفكر الإسلامى بشكل عام ، حيث تضاربت الرؤى طويلاً بين الفرق الإسلامية المختلفة، وفى علم الكلام ، حول الحرية، والموقف من الجبر والاختيار، وغيرها .

وعلى مستوى الفكر السياسى، الآن..فإننى أرى، ضرورة أن تقوم فلسفة الحكم الإسلامى على ركيزتين أساسيتين، لا غنى لإحداهما عن الأخرى، وهما ، أولا الإيمان بالله، وثانيا الإيمان بالحرية المطلقة للبشر، التى لولاها لما أمكن حساب المرء عن أفعاله فى الآخرة، إن كانت خيرا فخير، وإن كانت شراً فشر.

فالفرد حر أصلا فى أن يؤمن أو يكفر، وهناك كتابات ودراسات علمية رصينة، لاسيما للدكتورعبدالمعطى بيومى والدكتور محمد سليم العوا وآخرين حول حديث قتل المرتد، وتجمع هذه الكتابات على أن القتل إنما يكون للمرتد الخارج عن الجماعة، المحارب لها، أما المرتد عن الإسلام على مستوى الاعتقاد فقط، فلا سبيل للحاكم إلى معاقبته .

وهكذا، إذا ما اتفقنا على مبدأ الحرية الكاملة للفرد، فإننا ننتقل منها إلى الحرية الكاملة للمجتمع أيضا، فالمجتمع هو مجموع أفراده، وإرادة المجتمع هى محصلة إرادات أفراده، لذا فقد يختار المجتمع (ينتخب) اتجاها بعيدا عن الاتجاه الإسلامى، بل قد يختار المجتمع اختيارا شاذا بعيدا عن الدين، وعندئذ فإن واجب الإسلاميين هو احترام اختيار المجتمع، والعمل وفقا لقوانينه، مع العمل السلمى المستمر لتغيير هذا الاختيار، وتلك القوانين ، لإعادتها جميعا إلى الاتجاه الذى يرى الإسلامى أنه الحق.

وبكلام آخر موجه للإسلاميين ، فإننى أقول ، أنه لا يكفيك أيها الأخ الإسلامى المحترم، أن يكون ما تدعو إليه هو الحق المبين كى يتم تطبيقه فى

المجتمع.. لأن المجتمع أصلا حر بناء على حرية أفراده مجتمعين فى اختيار الحق أو الضلال. ولذلك فإنه ينبغى عليك - أيها الأخ الإسلامى المحترم - ألا تعرض ما لديك للناس قائلاً «اقبلوه لأنه حلال»، أو «لأنه الحق»، بل قل لهم إن ما لديك هو الأنفع والأصلح للحياة، واعمل على إثبات ذلك لهم.

وإذا أقنعت البشر سيختارونك. وبعد ذلك إذا نجحت فى إثبات إنك الأفضل.. سوف يسير الناس خلفك.. ويعجبهم كل ما لديك.. لكن ذلك مرهون أولا بإقامة أبنية فكرية متماسكة لديك، وثانيا بلورة الأفكار فى مشروعات سياسية محددة، وثالثا تطبيق ناجح لهذه المشروعات فى الواقع.. فإذا ما أدركت كل ذلك عبر عمل لسنوات وسنوات سوف يسير الناس خلفك، وتطبق كل ما تريد، لأنه عندئذ سيكون برضا الناس، واختيارهم، ووفقا لإرادتهم الحرة.

.........................

الله ..
سبحانه .. منه المبتدأ .. وإليه المنتهى ..
لكن الكل يقول إنه متجه إليه ..
لذا فأنت بحاجة دوما - كى تصلح الحياة - لأن تتجه إلى البشر .. أن تصل إليهم .. تقنعهم .. فتغيرهم .. فتنصلح الحياة.

إننى أؤمن بأن فلسفة الدين الإسلامى، تقوم فى أساسها على التوازن الدقيق بين أمور عدة، قد تبدو متناقضة.. بين الروح والجسد.. بين الفكر والعمل.. بين الآخرة والدنيا.. بين الثبات العميق للمبدأ والمرونة الشديدة للتطبيق .. بين الثابت والمتحول، وذاك هو سر صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

وعلى صعيد الواقع السياسى الحالى فى مصر، فإننى أستطيع القول أن أقرب الإسلاميين إلى هذه الرؤية فكراً، إنما هو حزب الوسط برئاسة المهندس أبو العلا ماضى، ولا أحتاج إلى أن أقول إنه لا توجد أى علاقة تنظيمية بينى وبين الحزب، ولكن قدر لى خلال شهر فبراير ٢٠١٢ أن ألتقى مع زميلتى دعاء خليفة بالسيد أبو العلا ماضى فى حوار صحفى، كان من بين ما قاله خلاله أنه رغم عدم حصول الحزب على عدد كبير من المقاعد فى الانتخابات البرلمانية، إلا أنه سعيد حقا بحصول الحزب على حوالى مليون صوت، من

أصوات المصريين فى الانتخابات فى مختلف الدوائر، رغم أن الحزب لم يقل للناس صوتوا لنا حتى تدخلوا الجنة!

والواقع إننى شعرت بداخلى بالسعادة أيضا أن يكون هناك مليون مصرى يمكنهم أن يتفاعلوا بل يختاروا طريق هذا الفكر الإسلامى الجديد ، رغم إنه لايزال يتلمس طريقه فى مجتمعنا نسبيا، وسط انتشار وشيوع الفكر السياسى الإسلامى بصورته المعتادة، لدى الإخوان المسلمون مثلا.

والحق أننى لن أتوقف عن مواصلة العمل لنشر هذا الفكر وتأصيله، بالبحث عن منابعه الأولى فى التاريخ الإسلامى الطويل، وعرض جوانبه المختلفة ، وتقديم تجاربه الناجحة فى المنطقة. يساعدنى فى كل ذلك أجواء الحرية التى أتاحتها ثورة ٢٥ يناير المجيدة، التى سمحت لمن هم مثلى أن يكتبوا ما يريدون فى صحيفة كبيرة بحجم «الأهرام».

ولذا فإننى أختم هنا بكلمات قصيرة نشرتها فى «الأهرام» يوم الجمعة ٢٥ مايو ٢٠١٢ تحت عنوان «الإسلامى الجديد»، حيث كتبت:

«هذه السطور عن مصر لا تونس فاصبر على متابعتها للنهاية قدر الإمكان!

كلمات هادئة وديعة مسالمة قالها وزير الخارجية التونسى رفيق عبدالسلام، فى ندوة مصغرة عقدت فى «الأهرام» وكان لى شرف الحضور.

الوزير الشاب هو عضو حركة النهضة الإسلامية التى فازت فى الانتخابات التونسية وحصلت على الأغلبية وهو نفسه زوج ابنة المفكر الإسلامى راشد الغنوشى زعيم حركة النهضة..فماذا قال؟

تحدث الوزير الشاب بهدوء قائلا : «نحن فى تونس فى مرحلة التحول الديمقراطى، ولابد من التوافق بين جميع القوى، حتى نتعلم من بعضنا البعض، ولم نشأ أن نوجد حالة من الاستقطاب بين القوى حول مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية، لذا فقد اكتفينا بأن ينص الدستور على أن تونس دولة مسلمة ولغتها هى العربية، وهذا هو الحد الأدنى المتفق عليه، فلا خلاف على الإسلام، لكن هناك تأويلات مختلفة».

انتهى كلام الوزير، لكن ما قاله هو عناوين عريضة وانعكاس لفكر سياسى إسلامى جديد فى المنطقة، يجمع ولا يفرق، يبنى ولا يهدم، يعرض ولا يفرض،

يقدم نفسه كبديل سياسى على الساحة ، دون أن يحاول أن يستأثر بها ، حتى لو حصل على الأغلبية فيها!

إنه فكر إسلامى خاص، يحاول تلمس طريقه السياسى فى المنطقة منذ فترة. لكنه لا يزال على الطريق، خصومه من مختلف التيارات، سواء الإسلامية أو الليبرالية، لكنهم لا يجدون عادة نقائص أو اتهامات كثيرة يرمونه بها، فهو فكر متوازن، مؤمن بلا تعصب، ثورى دون اندفاع، يحسب خطواته جيدا، ولا يستعجل الوصول إلى مجتمع الفضيلة ، رغم أنه يؤمن بها، ويسعى إليها، لكنه أبدا لا يفرضها!

وأخيرا..تبقى حقيقة وسؤال..أما الحقيقة فهى أن جميع القوى السياسية الإسلامية، فى أى مكان على الأرض، مطالبة «بواجب الطمأنة»..وهو أن تسعى بوضوح إلى طمأنة مختلف تيارات المجتمع والناس البسطاء، عبر التأكيد على إيمانها الكامل بالحرية ، وفقا لقاعدة..من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..تلك هى الحقيقة، أما السؤال فهو..ألا تزال فى حاجة إلى البحث عن أسباب نجاح الإسلاميين فى تونس وتعثرهم فى مصر؟!»

# قرارات ٢٠ رمضان الأليمة

## (العودة إلى طريق الشيخ محمد عبده)

هذه السطور .. كنت أتمنى ألا أضطر إلى كتابتها .. لكن القصة لم تنته، ولا تنتهي.

كنت قد عبرت عن سعادتى الشديدة بفوز الدكتور محمد مرسى برئاسة مصر باعتباره أحد مرشحى الثورة ، كما كنت قد عبرت عن الرضا عن أداء الأستاذ محمد عبد الهادى علام رئيس تحرير «الأهرام» ، الذى تم تعيينه بعد الثورة، والذى اتبع سياسة إصلاح هادئة متدرجة، تنبيء بأن الأفضل قادم فى الطريق على يديه، حيث بدا كأنه رئيس التحرير (التوافقي) ، الذى يرضى عنه أغلب الصحفيين فى «الأهرام»، باستثناء أصحاب المصالح بالطبع الذين أطاح بهم.

لكن ما جرى هو أن الأغلبية المنتخبة من «الإخوان المسلمون» فى مجلس الشورى رأت أن من حقها أن تبادر إلى تغيير رؤساء تحرير الصحف القومية لاختيار أسماء جديدة باعتبار أن المجلس هو مالك الصحف القومية.

وخاض الصحفيون معركة طويلة تصاعدت خلال شهر يوليو ٢٠١٢، لرفض تعيين رؤساء تحرير جدد، باعتبار أنه بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، كان من المفترض أن تكون هناك صيغة جديدة تماما لملكية الصحف القومية، حتى لا تكون هذه الصحف تابعة لأى سلطة فى الدولة، وأن تتمتع باستقلالية كاملة، من خلال نمط ملكية يتيح ذلك، حتى تكون الصحافة بالفعل هى السلطة الرابعة التى تراقب سلطات الدولة.

لكن مجلس الشورى أصر على اتباع نفس أساليب النظام السابق فى عصر مبارك للسيطرة على الصحف، من خلال اختيار أسماء محددة لرئاستها، يدينون بالولاء لهم، واستحدث المجلس الحالى طريقة عجيبة لاختيار رؤساء

التحرير بأن يقوم الراغب فى تولى المنصب من الصحفيين بتقديم سيرته الذاتية، وجزء من كتاباته الى لجنة شكلها المجلس تقوم باختيار رؤساء التحرير من بينهم ، وبالطبع فإن رئيس التحرير الذى تعينه اللجنة أو المجلس لابد أن يكون تابعا لهما.

وخاض الصحفيون فى «الأهرام» المعركة، لا دفاعا عن شخص محمد عبد الهادى علام بل عن مبدأ استقلال الصحف القومية، الذى ينبغى أن يكون من ضمن أول ما تطالب به القوة السياسية المنتخبة بعد الثورة (الإخوان).

كما أصر الزملاء فى جريدة «الأخبار» على بقاء ياسر رزق رئيسا للتحرير لأنه رغم كل شيء قد تمكن بمهنيته الرفيعة من رفع جريدة «الأخبار» وسط سوق الصحف إلى مرتبة متقدمة للغاية، وتشهد على ذلك أرقام توزيع الصحف.

وبالنسبة لى فقد كان رأيى واضحا فى القضية، وكتبته وقتها، وهو يتمثل فى عدة أمور هي:

أولا - لابد من الاعتراف بأن القانون الحالى يتيح لمجلس الشورى أن يعين رؤساء جدد للتحرير، حتى بدون وضع معايير أو تشكيل لجان باعتباره المالك للصحف.. وأنه إذا كانت الجماعة الصحفية غير راضية عن الأسلوب الحالى فإنه لابد من إجراء تعديل تشريعى، وهو ما نص عليه الحكم الأخير لمحكمة القضاء الإدارى، بخصوص هذه المسألة.

ثانيا - كنت سأحترم الأغلبية المنتخبة فى مجلس الشورى إذا بادرت بالدعوة إلى عقد مؤتمرعام لبحث موضوع ملكية الصحف القومية، باعتباره المشكلة الرئيسية التى تتفرع عنها باقى المشكلات، مع إمكانية التجديد لرؤساء التحرير الحاليين لفترة مؤقتة لحين الوصول إلى صيغة جديدة للملكية، وصياغة قانون جديد شامل ينظم المسألة.

ثالثا - أن مبادرة مجلس الشورى إلى ما ذهب إليه بحجة انتهاء فترة رؤساء التحرير الحاليين، إنما هو استخدام لنفس أساليب النظام السابق التى كان يستعملها للسيطرة على الصحافة، وإغفال لحقيقة أن هناك ثورة قامت ودماء سالت لتعديل أوضاع خاطئة فى كل مؤسسات الدولة ومن بينها الصحافة .كما أنه يثير الشبهات والريبة فى هذا الظرف السياسى فى البلاد حيث لا دستور

ولا مجلس للشعب، بل إن مجلس الشورى نفسه مطعون فى شرعيته أمام المحكمة الدستورية.. فلماذا هذه السرعة؟

رابعا - إن كاتب هذه السطور يعتبر أن الاتجاه الفكرى الذى ينتمى إليه، هو الإسلامى الليبرالي، ومع ذلك فهو يؤمن بضرورة استقلال الصحف عن مختلف السلطات فى الدولة، حتى تكون هى سلطة الرقابة على هذه السلطات، لتحقيق مصلحة المجتمع ، لا أن تكون الصحافة يسارية عندما يحكم اليساريون ، وإسلامية فى زمن حكم الإسلاميين وهكذا.

وأخيرا.. فإنه من حق الإسلاميين أن يطمحوا ويطمعوا فى الوصول إلى مقعد رئيس التحرير فى مختلف الصحف القومية، بشرط ألا يكون ذلك على أكتاف السلطة السياسية الموجودة فى الدولة، بل بالعمل والترقى المهني، وفق قواعد ومعايير مهنية يضعها الصحفيون أنفسهم، تصبح معها الصحف مؤسسات مستقلة معبرة عن مختلف التيارات فى المجتمع، أيا كان الاتجاه الفكرى لرئيس التحرير.

ويوم ٨ أغسطس ٢٠١٢ - الموافق ٢٠ رمضان ١٤٣٣هجرية - تجاهل مجلس الشورى كل الاعتصامات والتوقيعات المقدمة له من الصحفيين، وحالة الغليان التى سادت الصحف القومية، وقام بتعيين رؤساء جدد للتحرير، وفيما يتعلق بـ «الأهرام» فقد تم اختيار عبد الناصر سلامة الذى كان رئيسا لقسم المحافظات ليكون رئيس التحرير.

ووقع الخبر علينا كالصاعقة ، لا سيما أن سلامة كان ممن يطلق عليهم ببساطة أنهم من فلول النظام السابق، فقد كان يهاجم الثورة ويصف الثوار فى التحرير بأنهم يحصلون على تمويل أجنبى وغيره، لكنه يبدو أنه نجح فى تقديم نفسه جيدا للقوة السياسية الجديدة بعد الثورة المتمثلة فى جماعة الإخوان المسلمون.. سامحهم الله!

وفى إطار ذات القرارات تم تعيين محمد حسن البنا القريب من الإخوان فى رئاسة تحرير «الأخبار» ومحمد خراجة (الإخوانى) رئيسا لتحرير «الأهرام المسائي»، على الرغم من رفض الزملاء أيضا لتغيير رئيس التحرير السابق علاء ثابت، صاحب التجربة المهنية والإنسانية الراقية جدا فى «الأهرام المسائى».

مرت على لحظات عصيبة للغاية يوم ٢٠ رمضان، وأعتقد أننى فى ذلك اليوم بدأت أنظر نظرة مختلفة تماما لجماعة «الإخوان المسلمون»، فهم بالفعل يريدون السيطرة على كل شيء فى البلاد ، بعيدا عن التوافقية أو احترام الحرية أوغيرها.

جاء اختيار سلامة صاعقا للصحفيين فى «الأهرام»، لا سيما أنه جاء محاطا بعدد من أصحاب المصالح المرتبطين به، ومعظمهم محسوبون على النظام السابق!

**أسقط فى يد مجموعة الشباب واتحادى الصحفيين فى «الأهرام»، وشعرنا بالفشل والوصول إلى ختام القصة، لكنه كان ختاما حزينا للغاية ، وبعد أن قضيت هذا اليوم الأربعاء ٢٠ رمضان بالكامل فى منزلى عاجزا عن التصرف أو التحدث ، كان لابد أن أفكر بهدوء فيما حدث.**

**هل هى ديكتاتورية الثورة والثوار (الإخوان)؟! وهل من الضرورى أن تسعى أى قوة سياسية تحصل على الأغلبية الانتخابية إلى السيطرة على الصحافة لتكون هى الذراع التى تتحدث باسمها؟ وهل لو كان الثوار أكثر مثالية وصدقا لما فعلوا ذلك؟**

تقافزت إلى ذهنى أسئلة عديدة ، وسط موجة عارمة من الإحباط، واتفق شباب الصحفيين على تنظيم وقفة احتجاجية صامتة أمام مكتب رئيس التحرير، للإعلان عن رفض تعيينه، وتسجيل الموقف ليس إلا، ووقفنا بالفعل يوم الخميس ٢١ رمضان ٩ أغسطس، بينما واصلت مجموعة من الزملاء سياسة الاعتراض عبر إقامة دعوى قضائية ضد قرار تعيين سلامة، لعدم انطباق المعايير التى تم الإعلان عنها من قبل عليه. وضمت هذه المجموعة الزملاء عادل الألفى وأيمن عبدالعزيز وعمرو على الفار وإبراهيم السخاوى والشاعر أحمد عبادى.

أيا كان الأمر.. فقد كان ذلك إيذانا بإعادة انضمامنا إلى ما يمكن تسميته بصفوف المعارضة فى «الأهرام»، كما كان الحال عليه أيام أسامة سرايا الذى عينه نظام مبارك!

وتفاعلت الأفكار بداخلى حتى بدأت أفهم وأقول:

إن الثورة فى أى مجتمع يمكنها أن تنجح بالفعل فى الإطاحة برءوس النظام السياسى القائم والإتيان بآخرين غيرهم، وذلك يعد نجاحا بالفعل، إلا أنه مجرد بداية للنجاح، وليس نهاية له، لأنه لا بد من أن تلحق به بعد ذلك ثورة بل ثورات أخرى هادئة، فى مختلف مؤسسات الدولة ، ووسط مختلف فئات المجتمع ، عبر (طلائع ثورية تربوية)، يقومون بالعمل على تغيير ثقافة البشر وفهمهم للأمور، حتى يمكن أن يتغير المجتمع بالفعل ، وتنجح فيه الثورة، لكن ذلك لا يمكن حدوثه إلا عبر سنوات وسنوات من العمل، بعد الإطاحة برأس النظام!

وقد بدأت هذه الطلائع الثورية فى التشكل بالفعل داخل عدد من مؤسسات الدولة، بما فى ذلك وزارة الداخلية ذاتها، وقد رأيت فى الفترة السابقة حلقة مهمة لبرنامج الإعلامى حافظ الميرازى على قناة «دريم»، حول قيام عدد من الضباط فى الوزارة، بالعمل لإقامة نقابة خاصة بهم، لتكون بمثابة الجهة المستقلة، التى تحميهم من بطش رؤسائهم، إذا ما أساء هؤلاء الرؤساء استخدام السلطات أو وجهوا إليهم الأوامر بالعمل ضد الشعب لخدمة النظام.

وتساءل أحدهم ببراءة قائلا إنه إذا صدرت إليه أوامر بإطلاق الرصاص على المواطنين، وقام هو برفض تنفيذ الأمر، فما هى الجهة التى تحميه بعد ذلك من بطش رؤسائه به؟! إنها محاولات لتغيير بنية الثقافة داخل مؤسسة وزارة الداخلية.

وفى «التليفزيون الرسمى» كذلك هناك محاولات أخرى للتغيير. .فقد عرض الصحفى جابر القرموطى على قناة «أون تى في» حلقة استضاف فيها ثلاث مذيعات من قناة «النيل الأخبار»، قمن بشرح مجهوداتهن وزملائهن لإصلاح التليفزيون من الداخل، ودفعه نحو الانحياز للشعب لا النظام.

لاحظ أن هذه المؤسسات ظلت تعمل بطريقة معينة عشرات السنين، ولا بد من تغيير طريقة تفكير العاملين فيها، لا مجرد اتهامهم أو إقصائهم.

فى «الأهرام» كذلك. .أستطيع أن أقول أن اتحادى صحفيى «الأهرام» يمكنهما أيضا القيام بهذا الدور الذى يمكن تسميته بالدور «التثويرى التنويرى»، لتغيير ثقافة الصحفيين أنفسهم داخل المؤسسة، حتى يبادروا بذواتهم دون دفع

من أحد إلى رفض التبعية لأى جهة، لا التصفيق لعبد الناصر سلامة، مثلما حدث يوم ٢٠ رمضان.

وهكذا، فإنه لا فكاك أبدا من ضرورة السير فى الطريقين معا..

طريق الثورى جمال الدين الأفغانى والإصلاحى محمد عبده..

فإذا كان طريق «الأفغاني» المتمثل فى الثورة السياسية المباشرة قد نجح فى الإطاحة بحسنى مبارك من رئاسة مصر، وإقصاء أسامة سرايا عن رئاسة تحرير «الأهرام»، فإن عدم كفاية الوقت بالطبع لاتباع طريق «محمد عبده»، المتمثل فى إصلاح الفكر والتربية، قد أدى إلى وصول قوة سياسية تريد ممارسة نفس أساليب النظام السابق إلى سدة الحكم، وكان من الطبيعى أن يلتحق بهذه القوة ويتبعها عبد الناصر سلامة رئيس تحرير «الأهرام»، الذى كان أصلا ضد الثورة، ويا للعجب!

لا غنى عن الاثنين معا.. السير فى الطريقين.. الأفغانى ومحمد عبده.. فطريق الأفغانى يغير الحكام فقط، وطريق محمد عبده يغير المحكومين بالتدريج، دون التعرض للحكام بشىء، ولذا فلا غنى عن التكامل بينهما.

وما سلكناه فى مصر و«الأهرام»، هو طريق الأفغانى وحده ، دون طريق محمد عبده، وإذا ما أردت فهم الأمر جيدا بكلمات الشيخ محمد عبده ذاته، فإنك ستجدها فى الأعمال الكاملة للامام التى جمعها الدكتور محمد عمارة ، فى الصفحة رقم ٨٠٧ من الجزء الأول، فها هو الشيخ يروى بنفسه حوارا دار بينه وبين جمال الدين الأفغانى حيث يقول الشيخ الإمام:

«إنى أعجب لجعل نبهاء المسلمين وجرائدهم كل همهم فى السياسة، وإهمالهم أمر التربية الذى هو كل شيء، عليه يبنى كل شيء، إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة.وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن نترك السياسة ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، ونعلم ونربى من نختار من التلاميذ على مشربنا .فلا تمضى عشر سنين إلا ويكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار. فقال (أى الأفغاني): إنما أنت مثبط ! » (انتهي).

وأقول أنه لا شك أن هذه الطريق وحدها غير كافية، لكن الطريق الأخرى وحدها أيضا لا تؤدى إلى صلاح المجتمعات، لذا فلابد من الثورة والإصلاح معا، أو لابد من (السياسة) و(التربية) معا، بكلمات الأستاذين خالدى الذكر، الأفغانى ومحمد عبده.

## قرارات ٢٤ رمضان الخطيرة

جاء يوم ٢٤ رمضان – الموافق ١٢ أغسطس ٢٠١٢ – ليحمل أخبارا مخيفة، لكنها بلا شك سعيدة، أو كان ينبغى أن تكون كذلك، لولا ما حدث يوم ٢٠ رمضان، منذ أربعة أيام.

اليوم قرر الرئيس محمد مرسى إقالة المشير حسين طنطاوى والفريق سامى عنان من قيادة القوات المسلحة، بالإضافة الى إقصاء عدد من القيادات الكبيرة، وتعيين الفريق أول عبد الفتاح السيسى وزيرا للدفاع.

جاءت القرارات لتضرب أسطورة المجلس العسكرى الذى ظل يحكم البلاد فعليا طوال الأشهر الماضية فى مقتل.. الإطاحة بطنطاوى وعنان.. ماذا بعد ذلك؟!

ظللت أترقب فى خوف ما سيجرى بعد ذلك، هل ينزل الجيش إلى الشارع بكامل قوته، ويعلن الانقلاب على التجربة الديمقراطية الوليدة، والقبض على مرسى ورجاله، والإطاحه بالإخوان واعادتهم الى السجون؟

الوقت يمضي، ولا شيء يحدث!

الوقت يمضي، والباب ينفتح شيئا فشيئا لتطل السعادة برأسها!

الدقائق والساعات تمر لتؤكد رويدا رويدا أنه قد تمت الإطاحه نهائيا بحكم العسكر.

الفرحة تتزايد ببطء.. لكن فى خوف.

وفى النهاية.. لم يحدث شيء!

إنها الحقيقة.. تمت الإطاحة نهائيا بحكم العسكر، وارتضت القيادات القديمة التى كانت اجزاء فعالة وتروسا دوارة فى النظام القديم – نظام مبارك – ارتضت الجلوس فى البيت، والتواري، ليبدأ حكم جديد مستقر.

ولكن .. لماذا لم يتوار الخوف بداخلى رغم استقرار الأوضاع؟!

لماذا أجدنى بعد هذه الخطوة الكبيرة لا أزال غير مستريح؟!

- سأقول لك.. السبب هو قرارات ٢٠ رمضان الخاصة برؤساء تحرير الصحف.

نعم .. فقد أدت هذه القرارات، وما تلاها من الإطاحه بالمشير والفريق، إلى تسلل شعور غير مريح إلى داخلى، مفاده أن الإخوان يريدون السيطرة على كل شىء بالفعل.

آه لو استجاب الإخوان لمطالب الصحفيين ولم يصدروا قرارات ٢٠ رمضان، وقتها كنت سأرقص طربا لقرارات ٢٤ رمضان، وكنت سأنزل إلى ميدان التحرير للاحتفال بها مع المحتفلين الذين كانت أغلبيتهم من الإخوان بالإضافة إلى بعض القوى الثورية.

من حق السلطة الحاكمة «المنتخبة» أن تقبض بيدها على مقاليد سلطتها، وأولى خطوات ذلك هو أن تضمن الولاء الكامل لها من جانب الجيش والأجهزة الأمنية، لكن ليس من حقها على الإطلاق أن تعتبر أن الصحافة والإعلام هى إحدى أدواتها ووسائل ترسيخ حكمها، إذا كانت هذه السلطة تؤمن حقا بالحرية، وتدرك أنها ربما تكون هى نفسها خارج مؤسسة الحكم بعد ٤ سنوات، وبالتالى فإن سيطرتها على الصحافة لن تفيدها بل تفسد الصحافة وحسب.

فهل الإخوان مؤمنون حقا بذلك؟

لو لم تصدر قرارات ٢٠ رمضان.. أى فرحة كانت ستغمرنى اليوم؟!

على أى حال.. يبقى هنا أن أنقل لك ما حصلت عليه من معلومات حول الفريق أول عبد الفتاح السيسي، الذى أصبح الرجل الأول فى القوات المسلحة، والذراع العسكرية الجديدة للسلطة المنتخبة، خاصة أن الأقاويل كانت قد ترددت حول انتمائه اصلا إلى جماعة الإخوان، أو على الأقل قربه منها.. فما حقيقة هذه المسألة؟

الواقع أن افتراض أن يكون السيسى له أى علاقة تذكر بجماعة الإخوان، يبدو فى البداية أمرا عبثيا، بل مضحكا، لماذا؟

السيسى كان يشغل قبل توليه منصب وزير الدفاع ، على مدى سنوات طويلة، منصب مدير المخابرات الحربية، فهل يمكن تصديق أن يكون مدير

المخابرات الحربية فى عهد حسنى مبارك له أى صلة بجماعة الإخوان؟

لكن حكاية علاقته بالإخوان والشائعات حولها لم تنشأ من فراغ بل لها أصل حقيقي.. فما هو؟

الحكاية ببساطة كما رواها لى مصدر مقرب جدا من الفريق أول عبد الفتاح السيسى هى أن الرجل طوال عمره كان متدينا .. حريصا على دينه فى مقابل أى إغراءات.. كيف؟

السيسى خاض اختبارات التعيين كملحق عسكرى ونجح فيها أكثر من مرة، وكان يحلم بأن يكون ملحقا عسكريا لفترة فى الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا على الأقل، نظرا للخبرة والاحتكاك الكبير اللذين سيحصل عليهما فى هذه الحالة، فضلا عن كون ذلك إضافة كبيرة للسيرة الذاتية الخاصة به كضابط كبير فى القوات المسلحة، وقد تمكن بالفعل من اجتياز الاختبارات المؤهلة لذلك، لكنه لم يتمكن من تحقيق حلمه لسبب بسيط، وهو أنه كان يشترط أن تكون زوجته التى سيصحبها معه فى سفره بالطبع غير محجبة، لكن زوجة السيسى محجبة حجابا عاديا، فهل تخلع حجابها لتحقيق حلم زوجها؟! السيسى رفض ذلك بشكل قاطع.

وتم تكرار التجربة مرة أخرى، ونجح الرجل فى اجتياز اختبار «الملحق العسكرى»، لكن نفس المشكلة طاردته، حيث أن مسألة عدم حجاب الزوجة هذه كانت غير قابلة للاستثناءات، ولا وساطة فيها حتى لو تدخل المشير طنطاوى نفسه الذى كان يحب السيسى، فتلك كانت القواعد فى عصر مبارك!

وأمام تكرار الموقف، لم يغير السيسى قراره، وفى ظل حب المشير له، لذا فقد وافق الأخير على سفر السيسى كملحق عسكرى لمدة سنة واحدة، لا أربع سنوات، على أن تكون فى السعودية لا أمريكا.

ويؤكد المصدر أن طنطاوى كان يحب السيسى بالفعل، وأنه قربه منه وجعله مديرا لمكتبه فى إحدى الفترات قبل توليه منصب مدير المخابرات الحربية، وأن طنطاوى كان يحترم السيسى دائما - ويقول عنه - أنه «بركة المكتب».

وفى الحياة الشخصية اليومية للسيسي، تستطيع أن تجد أمورا أخرى كان

يحاول أن يمارسها كما يريد هو، لا وفقا للقواعد الصارمة، فهذه القواعد مثلا كانت تمنع رجال المخابرات من أداء الصلاة فى المساجد، لذا فقد كان يضطر فى بعض الأحيان إلى إجراء مناورات بسيارته والتحرك من مكان إلى آخر قبل الوصول إلى المسجد حتى يستطيع الهروب ممن يراقبه!

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن السيسى كان مرتبطا ارتباطا كبيرا بعمله، وكان يشعر دوما بأنه سيجلس فى يوم من الأيام على عرش وزارة الدفاع، وهو ما تحقق له بالفعل، وهو فى سن الرابعة والخمسين من العمر فقط.

وخلال فترة ما بعد ثورة يناير، كان السيسى هو الضابط الوحيد فى القوات المسلحة الذى صرح بوقوع عمليات كشف العذرية على الفتيات المقبوض عليهن من جانب رجال الجيش، لكنه علل ذلك بأنه لحماية المجندين من الادعاء عليهم بعد ذلك بالاعتداء عليهن جنسيا!

كما أن السيسى كان يصرح خلال تلك الفترة للمقربين منه بأنه لم يصدر أمراً واحداً لرجاله بإطلاق الرصاص على المتظاهرين، فى جميع الوقائع التى حدثت بعد ثورة يناير.

وأياً ما كان الأمر، فإن الرجل الذى يمتلك هذه المواصفات الشخصية، وبعد أن أصبح صاحب الرقم (١) فى القوات المسلحة، يمكنك أن تتوقع تماماً التناغم بينه وبين مؤسسة الحكم الجديدة التى يسيطر عليها الإخوان، حتى أن الصورة الأولى للقاء الرئيس مرسى بوزير دفاعه السيسى بدت لى فيها الأعين والابتسامات، ودودة مرتاحة متفاهمة.

وهذا أمر طبيعى بلا شك، فلابد أن تكون السلطة فى البلاد برأس واحدة، منتخبة، لها أذرعتها العسكرية والأمنية وغيرها من الأذرع الإدارية والتنفيذية لتستخدمها لمصلحة الوطن لا النظام، فإذا ما فشلت السلطة الحاكمة فى تحقيق أهدافها، أزاحها الشعب وجاء بقوة أخرى، تعمل معها نفس هذه الأذرع، لمصلحة الوطن أيضاً لا النظام.

**كل ذلك طبيعى ومفهوم.ووضع للأمور فى نصابها الصحيح.. فيما عدا مسألة اعتبار أن الصحافة هى إحدى هذه الأذرع التنفيذية التى ينبغى ولاؤها، فالمفترض أن يكون للصحافة استقلالها كسلطة شعبية «رابعة»، تضاف إلى السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، وذلك ليس لأن الصحافة**

تتكبر أو تحاول أن تبحث لنفسها عن مساحة أكبر فى الدولة، بل لأن الصحافة لا بد بالفعل أن تكون مستقلة عن السلطة الحاكمة، لأن استقلال الصحافة - ببساطة - وحفاظ السلطة الحاكمة على ذلك، إنما يعنى أن هذه السلطة تؤمن بحق بالحرية، وتقبل النقد والمراجعة، وهى أمور ألقت قرارات ٢٠ رمضان الصحفية عليها بظلال من الشك والحيرة.

## ..ويبقى البشر

على أى حال..وأياً كان الأمر فإنه طالما كان هناك بشر كان هناك أمل..فى التغيير والإصلاح.

(إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والبشر هنا..أبطال هذا العمل «هدير الصمت»..موجودون..باقون..كل يمضى فى طريقه الذى اختاره بحريته الكاملة.

حازم عبد الرحمن مدير التحرير، لم يعد يظهر فى الدور الرابع بالجريدة، بعد نقل مكتبه إلى مكان آخر، عقب مغادرته منصب مدير التحرير، ولم نعد نراه تقريبا إلا مرة واحدة كل أسبوع على صفحات «الأهرام»، حيث يكتب مقاله الأسبوعى، وبعد ذلك بفترة تمت إحالته للمعاش عند بلوغه السن القانونية.

ومحمد البرغوثى، اختفى للأسف أيضا، فبعد نجاح ملحق «شباب التحرير»، ثم اختياره ليرأس تحرير جريدة «الدستور» لفترة قصيرة ، عاد بعد ذلك إلى الجريدة، ووعده عبد العظيم حماد رئيس التحرير باختياره للإشراف على القسم السياسى أكثر من مرة ، إلا أن ذلك لم يحدث، أما هو – البرغوثى – فقد انصرف إلى إعداد البرامج التليفزيونية، وكان يقول إن لديه التزامات مادية كبيرة يحتاج إلى الوفاء بها شهريا، وانتهى به الحال رئيسا لقسم المحافظات فى جريدة «الوطن» التى يرأس تحريرها مجدى الجلاد.

وهناك أيضا، أحمد هوارى ودعاء خليفة، لا يزالان موجودين، باقيين، يعملان.

كما أن أحمد قدرى أيضا موجود، باق، على قيد الحياة رغم كل شيء.

هوارى هو «المفكر» و«المناضل» معا، ففى شهر يوليو ٢٠١٢ أصدر أول عمل أدبى له بعنوان «ع المكنة»، وهو مجموعة قصص قصيرة كتبها خلال العامين اللذين سبقا ثورة ٢٥ يناير، وفى هذه القصص– كما كتب هو– تأريخ لما يخجل من ذكره التاريخ، وتبيان أننا جميعا كنا – ذات عهد – مغتصبين، بلا نصيب من متعة، ومنتهكين دون ثمن، وظالمين بغض الطرف عن الظلم، وشياطين بالخرس

خوفاً من ثلة عبيد، إلا من رحم ربى......

كتب هوارى ذلك ليقدم «تنظيرا» حول الفترة الزمنية التى سبقت الثورة مباشرة، لكنه أيضا كان «مناضلا» على الأرض، فى الوقت نفسه، ويشهد على ذلك الإهداء الذى كتبه فى مقدمة مجموعته القصصية.. «إلى شهيد لا أعرفه حملته فوق كتفى يوم جمعة الغضب.. وحملت أمانته إلى يوم الدين».

كما يشهد على ذلك أيضا تعرضه للإصابة فى أحداث محمد محمود، عندما كان يحاول هناك -على الأرض - إبعاد الشباب عن محيط وزارة الداخلية، فسقط تحت أرجل الجموع، وتلفظ الشهادتين، فى لحظات فارقة انتظارا للموت ، لكنه لم يمت.. وظل باقيا.

دعاء خليفة أيضا، واصلت «التفكير والنضال» معا ، من خلال موضوعاتها الصحفية العديدة ، التى ظلت تكتبها حتى بعد موت ملحق «شباب التحرير»، وطوال عام ٢٠١١ كانت دعاء أغلب الوقت فى ميدان التحرير، ترصد ما به ومن به، والتحولات التى تطرأ على الميدان وثقافته وأخلاقياته، حتى دفعت ثمنا باهظا خلال شهر فبراير ٢٠١٢، عندما تعرضت هى وإثنتان من ناشطات الثورة المعروفات للتحرش الجماعى من جانب مجموعات من البلطجية فى ميدان التحرير. وكتبت هى بذاتها رغم آلامها النفسية الرهيبة تغطية وتعليقا على ما حدث فى «الأهرام» تحت عنوان «كلاب مسعورة تهتك عرض الثورة» يوم الثلاثاء ٧ فبراير ٢٠١٢.

ورغم الحساسية الشديدة فى شخصية دعاء، والآلام النفسية الرهيبة التى تركتها هذه الحادثة بداخلها، لكن دعاء لم تتوقف ، ظلت تذهب هنا وهناك، لتعمل وتكتب ، كما ظلت تنتقد الأوضاع المهترئة فى «الأهرام»، وظلت تعبر عن موقفها بصوت عال، لكنها فى الحقيقة تحولت إلى ما يشبه كتلة من الأعصاب المحترقة باستمرار.. رحمها الله وعافاها.

وهناك أيضا أحمد قدرى.. لايزال على قيد الحياة، طحنته الثورة بالفعل، لكنه لم يمت .بقى.. عاش رغم كل شيء.. والعجيب حقا هو أن قدرى تمكن فى هذه الظروف. «بالفهلوة المصرية» المعتادة من استخراج بطاقة ضريبية ، وسجل تجارى، بإسم شركته «أدريانو» المتخصصة فى أجهزة تحلية المياه !

والأكثر من ذلك هو أن قدرى قد تمكن من العثور على شريكة العمر.. ابتسام.. فتاة نقية صغيرة من بولاق الدكرور..أحبته حبا كبيرا.

قدرى خطب ابتسام ..وكان يوما مشهودا.. ذهبنا جميعا إلى بولاق الدكرور لحضور حفل الخطبة ..أصدقاء اللقاء الأسبوعي.. وائل فهمى وخالد سلامة وأمجد حنفى وأنا.. قطعنا رحلة طويلة فى العبور من شارع السودان إلى طريق ناهيا.. الذى يصفه قدرى بأنه «شانزليزيه بولاق».

وبدا أننا نسير فى الطريق نحو حياة قدرى الجديدة .. حياة مختلفة .. سعيدة ، بعد أن عانى كثيرا وطويلا لكنه رغم ذلك ظل باقيا ساخرا .. ظل حيا.

وهناك..فى «شانزليزيه بولاق».. ركبت «التوك توك» للمرة الأولى فى حياتي.. وظل يتمايل بى هنا وهناك.. بينما رحت أراقب الحركة الدائبة للبشر فى كل اتجاه.. ترى إلى أين تذهب كل هذه الحشود؟

وماذا يفعلون؟

وماذا يريدون بالتحديد؟

ماذا يريدون؟

تقافزت إلى ذهنى - مع الحركة المستمرة يمينا ويسارا - كلمات ومعانى وأفكار.

الحرية.. الإخوان.. شفيق.. القيم.. الحياة.

بينما ظل «التوك توك» يتمايل فى كل اتجاه ..كأنه يرقص على وقع غناء مطرب شعبى ظل يصدح عاليا من المذياع..حتى كدت أصاب بالصمم..لكننى كنت سعيدا.. فقد تغيرنا.. لم نعد كما كنا.. لم نعد نحن.. ولن نعود.

# حصاد الأيام

قبل المبتدأ ........ ٩
المبتدأ ........ ١١
ينـاير الخـير ........ ١٥
**الجزء الأول ........ ٢٩**
**٢٨ يناير ــ ٢٠ فبراير**
أطول يوم فى تاريخ مصر ........ ٣١
شهادة تاريخية من قلب الميدان ........ ٤٧
مكالمة المساء ........ ٥٣
فخر «الأهرام» .. البشر لا الجريدة ........ ٦٧
مشاجرة فى القلعة الهادئة ........ ٧١
ثلاثة مشروعات فردية.. ومنظومة طائشة ........ ٧٩
وطـــن يحـــترق ........ ٨٧
ظهور الرجل الغامض ........ ٩٥
جمعة الاعتقال ........ ١٠١
إنها الحرية ........ ١٠٧
ثورة ٣٠ فبراير المجنونة! ........ ١١٥
موعد مع الصدق ........ ١٢١
عن صحف تثور على قياداتها ........ ١٢٧
خوف وإحباط وتهديد ........ ١٣٥
خميس الأمل ........ ١٤١
١١ /٢ /٢٠١١ يوم الحلم ........ ١٤٧
«الشعب أسقط النظام» ........ ١٥٧
السكون غير مضمون ........ ١٦٥
أجور الصغار.. وقصور الكبار ........ ١٧١
عزمى والشريف يكذّبان «الأهرام» ........ ١٧٦
الصحف القومية تعود إلي ملاكها ........ ١٧٩
لماذا لم تستقل.. لتستقل؟! ........ ١٨٧
مفاجأة فى المقهى ........ ١٩٣
متحـــولـــون! ........ ١٩٩
الشرطة العسكرية فى الدور الرابع ........ ٢٠٥
**الجزء الثانى ........ ٢٠٩**
**فبراير ـ مارس ـ أبريل ٢٠١١**

«الأهـــــرام» الجـــديـدة ........ ٢١١
الثورة.. والسعودية! ........ ٢١٧
الدين والسياسة.. رؤية ما ........ ٢٢٣
الشرعية.. لمن؟ ........ ٢٣٩
الثوار يهزون العروش العربية ........ ٢٤٥
طائر فى السحاب ........ ٢٥٣
الثورة فى بطن البقرة! ........ ٢٦٥
أربعاء الغضب فى «الأهرام»! ........ ٢٧٥
الإسلامى الجديد..بعد الثورة ........ ٢٨٥
سرايا والقراء «معا»..يومين فقط ........ ٢٩٣
رأيت صحيفة تموت! ........ ٣٠٣
عند نقطة المنتهى ........ ٣١١
فى انتظار التغيير! ........ ٣٢١
**الجزء الثالث** ........ **٣٢٩**
**ابريل ٢٠١١ – مايو ٢٠١٢**
..وجرت فى النهر مياه كثيرة..ودماء أيضا! ........ ٣٣١
**الجزء الرابع** ........ **٣٦١**
**يونيو 2012 وما بعده**
خيمة فى الميدان ........ ٣٦٤
موقعة الجمل فى «الأهرام»! ........ ٣٦٦
اجتماع «الحواوشى» ........ ٣٧٠
السهم الطائر ........ ٣٧٢
نكسات يونيو ........ ٣٧٧
فريق الفن والفنتزة ........ ٣٧٩
وتبقى الفكرة ........ ٣٨٩
قرارات ٢٠ رمضان الأليمة ........ ٣٩٥
قرارات ٢٤ رمضان الخطيرة ........ ٤٠٣
..ويبقى البشر ........ ٤٠٨
يناير الخوف ........ ٤١٣

# يناير الخوف

## (أنينُ أخير.. عن قصة صراع لاينتهى)

(يناير وفبراير ٢٠١٣)

يا الله ..

يارب العالمين.. إليك الملجأ والمنتهى..

يا الله ..

رحماك يارب.. ما كل ذاك الذى جرى؟!

أكنا نظن أن ينتهى بنا الحال إلى ماوصلنا إليه؟!

التاريخ حلقات متسلسلة.. متواصلة.. ونحن عندما نحاول كتابة التاريخ فإن ما نفعله فى الواقع هو أننا نركز عدستنا على فترة زمنية بعينها، نعمل على استقراء أحداثها من وجهة نظرنا واستطلاع ماقد تؤدى إليه هذه الأحداث مستقبلاً، وذلك كان هو ما فعلته بعينه فى الصفحات السابقة، منذ اندلاع ثورة يناير «المجيدة» حتى بدايات حكم الرئيس محمد مرسى المنتمى إلى جماعة «الإخوان المسلمون».

وأنا الآن، وبينما أكتب هذه السطور فى أواخر فبراير ٢٠١٣ .. أشهد أمامك أيها القارىء الكريم.. بأننى رغم كل ماجرى أخيراً.. ما أزال ثابت القناعة بكل ما كتبت قبل هذه السطور .. لم يتغير شىء .. فيما عدا ما استجد بداخلى حديثا من أن موسم الحصاد لهذه الثورة المجيدة ربما يتأخر فترة أو فترات، لكنه سيأتى أخيرا .. حتما سيأتى.

لذا فإنه بإمكانك ياسيدى أن تعتبر أن نهاية هذا العمل هى ذاتها، ما جاء فى آخر فصوله بعنوان «ويبقى البشر»، كما أنك تستطيع النظر

إلى هذه السطور الجديدة على أنها تأريخ سريع لإرهاصات مرحلة «جديدة» من مراحل ثورة يناير، إلتى يبدو أنها ستطول نوعا ما، بعد أن ظننا خطأ أنها يمكن أن تؤتى أكلها سريعاً، والواقع أن ذلك ربما لم يكن واقعياً أو انسانياً.

حوالى الساعة السادسة إلا عشر دقائق مساء يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ٢٠١٢، كنت فى سيارتى عندما بدأ المتحدث باسم رئاسة الجمهورية يتلو على مسامعى فى المذياع نص «الإعلان الدستورى» التاريخى الذى أصدره الرئيس محمد مرسى، والذى بدا بوضوح أنه بداية لمرحلة جديدة «أكثر وضوحا» من حكم الإخوان. قام الرئيس بتعيين نائب عام جديد، رغم أنه يفترض أن يكون صاحب هذا المنصب نائبا قانونيا عن المجتمع يختاره المجلس الأعلى للقضاء، لا الرئيس الذى يمكن «نظريا» أن يقف كمتهم أمام النائب العام، فكيف يعينه هو بنفسه؟

والأكثر من ذلك هو أن الرئيس قام فى ذات الإعلان الدستورى بتحصين قراراته، بمنع الطعن عليها فى أى محكمة، وهو ما بدا أنه إلغاء «ولو مؤقت» لدولة القانون، وانفراد بالحكم دون رقابة حتى إصدار الدستور الجديد، الذى تعذر التوافق حوله، بعد سجال طويل فى اللجنة التأسيسية لوضع دستور بين الإسلاميين والليبراليين.

كتبت على صفحتى فى موقع «فيس بوك» بعد دقائق من تلاوة الإعلان الدستورى الكلمات التالية:

«انتخبت الرئيس محمد مرسى وأيدته لكننى لم أعد أحتمل كل هذا الارتباك وتلك الضبابية. من هم مستشارو الرئيس؟ وماذا يريد بالتحديد؟ اللهم الطف».

ثم كتبت أيضاً:

«مامعنى أن تحصن السلطة التنفيذية نفسها ضد أحكام القضاء؟ متى حدث هذا ؟ المفترض أن النائب العام هو ممثل المجتمع الذى يمكن أن يحاكم رئيس الجمهورية ذاته فكيف يعينه هذا الأخير؟».

. والحق أن ذلك كان بمثابة بداية مرحلة جديدة بالنسبة لى «شخصيا» حيث بدا أن آخر الخيوط الرابطة بينى وبين حكم «الإخوان المسلمون» بدأت تتقطع.

كانت وجهة نظر الجحافل الإخوانية التى ملأت الفضائيات لتفسير وتبرير قرار الرئيس هى أنه اضطر إلى فعل ذلك بعد أن وقفت ضده المحكمة الدستورية العليا سابقاً وألغت أكثر من قرار له وأن ذلك كان من قبيل «الثورة المضادة» لذا فقد كان لابد من ابتلاع هذا «الدواء المر» لفترة مؤقتة حتى يصدر الدستور الجديد، وتبدأ العملية السياسية فى البلاد، والواقع أن ذلك لم يكن مقنعاً بالنسبة لى بالمرة.لأنه حتى ولو كان التوافق حول الدستور قد غاب فى الفترة السابقة طويلاً فإنه لايمكن أن يكون الحل إزاء ذلك هو مافعله الرئيس، والذى كان يشبه من وجهة نظرى - بلغة كرة القدم - كما لو أعطى «مرسى» كتفا «غير قانونية» لمختلف القوى السياسية، ليبدأ هو اللعب بمفرده!

والأخطر من ذلك أيضا على مستوى «التكتيك السياسى» هو أن الرئيس قد نجح بإصداره ذلك الإعلان الدستورى فى توحيد جميع خصومه السياسيين فى كفة واحدة، بمن فى ذلك أيضا «فلول» النظام القديم فى البلاد، وأنصار «الثورة المضادة» الحقيقيون.

وتمت الدعوة إلى مظاهرات حاشدة فى ميدان التحرير يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر، والذى كان يوما «فاصلا» بالنسبة لى، كتبت فيه على صفحتى بموقع «فيس بوك» فجرا:

«سأنزل إلى ميدان التحرير اليوم لأقول لا للرئيس الذى انتخبته بعد أن قرر قمع الحرية ولو مؤقتا، ولإيمانى بأن الحكم الإسلامى الرشيد الذى أدافع عنه يقوم على الشورى والحرية وهما ما أهدرهما الإخوان، ولأننى أحلم بمجتمع الفضيلة والقيم على أن يكون ذلك بالاختيار الحر للبشر حتى يكون مجتمعا حقيقيا سواء نص الدستور على مبادىء الشريعة أو أحكامها أو حتى اقتصر على الإشارة إلى أن دين الدولة هو الإسلام، كما ارتضى إسلاميو تونس. دعوا الناس تختار ولا تفرضوا عليهم شيئا فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل. سأنزل

إلى ميدان التحرير اليوم لأقول لا لقمع الحرية وللانفراد بالرأى ولا للتشنج والمغالبة وتكريس الاستقطاب. أخيرا أتمنى أن يجرى الإسلاميون مراجعات فكرية شاملة وعاجلة لاسيما حول الموقف من الحرية لأن مايحدث حاليا سيعود بأسوأ الضرر على واقع الحركات السياسية الإسلامية بشكل عام.لأن هذه هي مصر».

وعصر ذلك اليوم،انطلقنا بالفعل فى مسيرة حاشدة من أمام نقابة الصحفيين إلى ميدان التحرير عبر شوارع منطقة وسط البلد، وكان المشهد بالنسبة لى - رغم مشاركتى فيه - مؤثرا حاسما، فهأنذا أسير أخيرا فى مظاهرة ضد حكم «الإخوان المسلمون» الذين أيدتهم فى الانتخابات الرئاسية، بل وبكيت فرحا، وخرجت إلى الشوارع طربا، عندما نجح مرشحهم.

والآن، هاهم السائرون بجوارى يهتفون ضد «حكم المرشد»، وضد الإخوان الذين تحدث عنهم الرئيس الراحل جمال «عبدالناصر قالها زمان.. الإخوان مالهمش أمان»، وكان ذلك جديداً بالنسبة لى تماما، لكننا كنا جميعاً نتغير، ومازلنا نتغير.

فى ذلك اليوم، عُدنا إلى ميدان التحرير مرة أخرى، كان بجوارى فى ذات المسيرة أحمد هوارى ودعاء خليفة، و.. أتدرى من أيضاً نزل إلى ميدان التحرير؟! لن تصدق!

إنه أحمد قدرى.. فقد شاهده شقيقى مدحت فى الميدان، وضحكا معاً على تغير الحال.

أحمد قدرى - كما تعلم - لم يكن من المتحمسين للثورة، التى أفسدت أحوال البلد وعادت بالعواقب الوخيمة على دخله الشهرى «المهتز» أصلا، ولم يعرف من قبل طريقا إلى ميدان التحرير، إلا على سبيل الفضول، لكن هاهو الإعلان الدستورى الذى أصدره الرئيس - فضلا عن ارتباك الأوضاع وعدم وجود رؤية واضحة - يوحد كل الخصوم، كلهم، فقد نزل إلي الميدان، الثائر والفلول، الليبرالى والشيوعى، وغيرهم وغيرهم.

والأخطر- بل الأشد خطورة- من الخسارة السياسية «للإخوان» فى معركة الإعلان الدستورى، كان هناك أيضا «الانقسام المجتمعى» الذى بدأ يسرى فى أوصال البلاد، حتى أصبح شرخا عميقا بين طرفين، لايقبل كل منهما الآخر، ولا يطيقه.

ففى مقابل كل هذه التحركات المضادة للإعلان الدستورى، والدعوة إلى الخروج ضده فى مظاهرات حاشدة يوم الجمعة ٣٠ نوفمبر فيما سمى باسم «جمعة حلم الشهيد»، بدأ تحرك الإسلاميين حيث دعوا إلى مظاهرة حاشدة أيضا يوم السبت باسم «الشريعة والشرعية».. ولا أدرى لماذا تم الزج «بالشريعة» فى المسألة، فالخلاف لم يكن على تطبيق الشريعة، والمناهضون للإعلان الدستورى رفضوه لأنه خروج على القانون، وليس لرفضهم تطبيق الشريعة، والخطير فى الأمر هو أن المكان الذى دعوا إلى تنظيم المظاهرات فيه كان هو أيضا ميدان التحرير.. كيف سيتم ذلك فى الوقت الذى يوجد فيه معتصمون رافضون للإعلان الدستورى فى الميدان؟ سحب «المواجهة» الملبدة بالخوف والترقب بدأت تغطى سماء المدينة!

ويوم الخميس ٢٩ نوفمبر بدأت الجلسة «التاريخية» للجنة التأسيسية لوضع الدستور، والتى شهدت التصويت على مواده مادة مادة، وجرت العملية فى سرعة مذهلة، وفى ظل غياب الغالبية الساحقة من قوى المعارضة التى انسحب أعضاؤها من اللجنة احتجاجا، وبدا أن كل شىء فى المسار الذى حددته «السلطة» يجرى لاهثا ليتحول إلى حقيقة واقعة على الأرض، رغم كل صيحات الرفض والاعتراض عليها.

وفى ذات اليوم .. الخميس ٢٩ نوفمبر كتبت على صفحتى على موقع «فيس بوك»:

«عمرو خالد يدعو الرئيس ويرجوه التراجع والبحث عن التوافق.. عمرو خالد يقول أن الشورى هى أساس الحكم فى الشريعة فكيف يطالب الرئيس بتطبيق الشريعة إذا كان هو لم يطبقها، ويؤكد أن الشورى ملزمة وليست معلمة.. ويناشد.. ارحموا أمكم مصر.. عمرو

خالد.. الرجل المحترم.. الإسلامى الحقيقى».

كما نقلتُ قصيدة مؤثرة للشاعر «المحترم» على سلامة قال فيها:

«كل الدكاكين مقفولة..

بس الميدان مفتوح..

القمر بدر

والحلم مسموح..

تعالى هنا..

...

لسه فيه مكان ف حضن يضمنا

آدى السلاح لو عايز تقتلنى..

وآدى قلبى لو نفسك تبوح.. »

وتبددت سحب المواجهة بين الطرفين عندما أعلن الإسلاميون عن نقل مظاهرة السبت إلى ميدان «نهضة مصر» بجوار جامعة القاهرة بدلا من ميدانِ التحرير، وساهم ذلك بلا شك فى صرف الاحتقان الذى كان حاصلاً.

وجاءت (جمعة حلم الشهيد) فى التحرير، وشاركت فيها، كما فعلت يوم الثلاثاء السابق عليها، وامتلأ الميدان بالبشر بدون «الإخوان المسلمون»، وكان ذلك مؤشرا طيبا على حيوية المجتمع، من وجهة نظر البعض، الذين أكدوا أن «الميدان» فى هذه الأيام قد استعاد أخلاقياته الأولى، فى زمن الثورة الأول، فى الأيام الثمانية عشر، وربما كان ماقالوه صحيحا، لكننى فى الواقع لم أكن سعيدا، لم أكن سعيدا بما يجرى هنا، وبما جرى هناك فى اليوم التالى فى ميدان «نهضة مصر»، عندما وجدت الجحافل تملأ «الميدان الجديد» مطالبة بتطبيق الشريعة، التى لم تكن أحد عناصر الصراع أصلا.

لم أكن سعيدا بكل هذا الانقسام، الذى أخذ يزداد عمقا فى المجتمع يوما بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة.

لم أكن سعيدا، بعد أن بدا واضحا أمام عينى عدم اقتراب تحقق حلم إقامة تيار سياسى إسلامى متحرر، يؤمن بالتطبيق المتدرج للشريعة الإسلامية، وأن يكون ذلك باختيار البشر، بحرية كاملة، سيحدث ذلك يوما من محصلة الصراع المجتمعى الذى بدأ فى هذا التوقيت، سيحدث بلا شك، لكن ليس غداً!

تم إقرار الدستور، الذى صوّتُ ضده بالطبع، لكن الأغلبية اختارته، فأصبح دستور مصر، وظهر مقطع فيديو سابق للقيادى السلفى الدكتور ياسر برهامى وهو يطمئن أبناء الدعوة السلفية قائلاً: إن الدستور الحالى يحوى قيوداً شديدة للغاية على الحريات، وكان ذلك مؤسفا وصادما، لكنه الواقع.

الواقع أن الإسلاميين فى غالبيتهم بمن فى ذلك «الإخوان المسلمون» يعتبرون أن الحريات خطر على الدين، وأن تقييدها هو حفاظ على القيم والشريعة، رغم أن أساس الإيمان هوالحرية، وأساس الحساب الإلهى لنا على أعمالنا هو أننا أحرار فى ارتكاب هذه الأعمال، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

إن المبادىء السامية فى الفكر السياسى الإسلامى، التى ينبغى استلهامها، تقوم على قواعد حاكمة منها، أنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأن الدعوة إلى طريق الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن الله لاينظر إلى صورنا بل إلى القلوب التى فى صدورنا، وهو ما يصب جميعا فى خانة الحرية الكاملة التى منحها الإسلام للفرد، والتى يمكن القياس عليها بالنسبة للمجتمع، الذى ينبغى أن يكون حراً فى اختياراته، بلا إجبار أو تخويف أو مغالبة، أو محاولة لاقتناص الأغلبية السياسية بأى طريق كان، فالوصول إلى مجتمع الفضيلة والقيم، لايكون إلا عبر إشاعة أجواء العدالة والحرية الكاملة، حتى تتجذر القيم فى المجتمع والنفوس، لا أن تصبح مجرد مظاهر قشرية، تسهل إزالتها مع أى تغيير جديد، بل أنه حتى إذا ما تم

إجبار الفرد، أو المجتمع، على السير فى طريق ما تحت ضغط الترهيب والتلويح بالقوة، فإن الله سبحانه لن يحاسبنا إلا على ما نؤمن به فى صدورنا، لا ما أجبرنا عليه.

إن ما أصبحت أؤمن به حقاً، هو أن ذلك التيار الجديد الذى أحلم به، لن يخرج من نتاج عقول القيادات «التاريخية» للإسلاميين الحاليين، وكذلك الليبراليين الذين تشربوا عبر سنوات وسنوات بأفكار بعينها، وأصبح من الصعب عليهم أن يتقبلوا غيرها، لكن التغيير الحقيقى سيأتى من خلال أجيال «الشباب» و«الوسط» فى التيارات الإسلامية والليبرالية على السواء، فالأولون؛الشباب، قاموا بثورة يناير «على الأرض»،والأخيرون؛ تقبلوها واحتضنوها ، ففى هؤلاء وأولئك تكمن بذور التغيير «الفكرى» أولا ثم «السياسى» تاليا.

وعلى غرار السقوط «الفكرى» للإخوان المسلمون من وجهة نظرى، توالى السقوط «السياسى» أيضاً، الذى جاءت ذروته فى المواجهات الدامية التى وقعت بجوار قصر الرئاسة فى الاتحادية بمصر الجديدة بين جحافل من «الإسلاميين» وآخرين من الشباب الذين كانوا يعتصمون بجوار القصر، رفضاً للمسار السياسى الذى يجرى فى البلاد.

مواجهات عنيفة بالحجارة والأسلحة، لم تكن الشرطة طرفا فيها هذه المرة، بل الشعب ذاته، أبناء الشعب أمام أبناء الشعب، أتدرى بماذا يسمى ذلك؟!

إنها «الحرب الأهلية» فى أنصع صورها!

لماذا؟ صراع على السلطة وصراع على فرض الرأى والوجهة والمسار!

وازداد السقوط السحيق، ببدء سقوط الشهداء من بين الشباب فى التحرير على يد رصاص الشرطة، الحى أو الخرطوش، لا فرق، المهم أن الشباب ماتوا، مات جابر «جيكا» الذى قال رفاقه أنه أدلى بصوته للرئيس محمد مرسى فى انتخابات الرئاسة، ومات آخرون،قيل أنهم خرجوا على الشرعية! ولكن متى كانت الثورة عملاً شرعيا؟!

مات الحسيني أبو ضيف أيضاً.. المصور الصحفى الذى كان يقف ليرصد بعدسته أحداث مواجهات الاتحادية، وقيل إنه تم استهدافه بشكل مباشر ومقصود من مسافة قريبة، وكاد صديقنا «مصور الثورة» علاء عبد البارى أيضا يتعرض للموت، بالقرب من قصر القبة، الذى انتقل إليه الرئيس محمد مرسى هربا من المظاهرات أمام قصر الاتحادية، إلا أن المظاهرات لاحقته إلى «القبة»، وقال لى علاء أنه كان يقف بجوار مدرعة الشرطة يحمل فى يده الكاميرا الخاصة به، إلا أن أحد الجنود استهدفه بشكل مباشر بإلقاء قنبلة الغاز نحوه لا إلى أعلى، ولولا القناع «الضخم» الواقى من الغاز الذى كان يرتديه فوق رأسه، لكان فى عداد الأموات!

ولأن العنف لايجلب سوى العنف، ظهرت مجموعات من الشباب أطلقت على نفسها إسم «بلاك بلوك»، عمدت إلى التخفى بارتداء أغطية فوق رءوس أعضائها، والقيام بقطع الطرق والكبارى ومسارات مترو الأنفاق وغيرها، وكادت البلاد تدخل فى حالة من الشلل التام. وتركز الخوف، كل الخوف، من أن يبادر شباب الإسلاميين إلى النزول إلى الشارع أيضا، لتبدأ المواجهات بينهم وبين الشباب الغاضب، وبدا أن البلاد أصبحت تقف على أطراف أصابعها على عتبة الانزلاق إلى حرب أهلية حقيقية.

يقول الإخوان المسلمون والرئيس محمد مرسى أنهم قد حصلوا على الأغلبية، وبالتالى فإن الشرعية معهم، وأن الشباب الغاضب هم مجموعات من «البلطجية» الخارجين على الشرعية.. الشرعية.. هل كانت ثورة يناير عملاً شرعياً فى نظر نظام مبارك؟

لكن الإخوان ومرسي ليسوا كمبارك ونظامه، فقد وصلوا للحكم عبر انتخابات حقيقية غير مزورة، وذلك صحيح لا مراء فيه، لكن وجهة نظر الشباب كانت تشير إلى سقوط شرعية محمد مرسى مع سقوط أول شهيد برصاص الشرطة فى عهده، بل إنهم كانوا ينظرون إليه على أنه أسوأ من مبارك، الذى لم يصل إلى ماوصل إليه إلا بعد ٣٠ عاما فى الحكم، فى حين أن الإخوان لم يكملوا بعد عدة أشهر فى السلطة.

هل أنت مع هذا أو ذاك؟ هؤلاء أم أولئك؟ لماذا أصبح الاختيار بعد عامين فقط من ثورة يناير بين سيء وأسوأ؟

لاشك أن محاولة تلمس الطريق الصحيح وسط هذه الاجواء هو أشبه بمحاولة السير على حبل مشدود بين جبلين فوق واد سحيق.. لكننا سنحاول أن نفعل .. سنجتهد .. وقد نخطئ أونصيب.

مانراه هو أن الإخوان قد حصلوا على الأغلبية بالفعل، لكن ذلك جاء فى أول انتخابات شرعية بعد سقوط نظام مبارك،أي فى بداية عهد «التحرر الوطنى» وهو ما كان يستلزم من القوة السياسية الحائزة للأغلبية أيا كانت أن تبادر إلى «احتضان» مختلف القوى السياسية فى المجتمع، لتكوين صف وطنى واحد تقوده الأغلبية للعمل على رفعة البلاد وعبور المحنة بها، بعد أن عصفت بها الأهواء عقودا من الزمان .وليس محاولة الانفراد بالسلطة والحكم باسم «الأغلبية» فى بداية فترة «التحرر الوطنى» التى تعد بصورة أو بأخرى مرحلة انتقالية تتطلب التوافق والتآزر بين الجميع، لأن أزمة الوطن - أو أزماته - أصعب كثيرا من أن يواجهها طرف واحد، حتى لو كانت الأغلبية معه.

وفى ذات السياق فلاشك أنه كان حريٌ «بالإخوان» والذين يفترض أنهم كانوا رفاق الميدان لمختلف القوى فى زمن الثورة الأول أن يدركوا أن الاحتجاجات ضدهم حاليا، حتى وإن اتخذت أشكالا من العنف على يد الشباب الغاضبين،إنما هى فى الأساس «رفض سياسى» لممارسات السلطة، لكنه رفض يأتى بعد انسداد أفق الحل السياسى أمامهم، فهى ليست مجرد أعمال من البلطجة، كما وصفها «الإخوان» حتى وإن اندس المخربون وفلول الثورة المضادة وسط جمع الشباب الغاضبين، لكن عملية شطر المجتمع إلى نصفين متواجهين بعد الإعلان الدستورى فى نوفمبر هى التى أدت إلى ما أدت إليه.

وازدادت الأمور احتقانا باندلاع أعمال عنف ومواجهات تحولت إلى عصيان مدنى فى مدينة بورسعيد، بعد صدور الحكم بإعدام أعداد من المتهمين فى قضية ستاد بورسعيد.

وفى ظل كل ذلك أصبح سؤال الوقت خاصة على صعيد المعارضة لحكم الإخوان بأشكالها المختلفة هو.. ما العمل؟!

ناشط سياسى مثل الشاب أحمد دومة كانت وجهة نظره أن «سلمية» قد ماتت! وأنه لامفر من المواجهة فى الشارع مع ميليشيات الإخوان بالسلاح، حتى تتوقف البلاد عن تعاطى المسكنات لتدخل فى إطار «عملية جراحية» ستكون صعبة وتستغرق بعض الوقت، لكن لابد منها، قائلا: «احنا بنشتري دلوقتي سلاح زى ما همّ اشتروا سلاح خلال الفترة اللى فاتت، واحنا عارفين اللى اشتروا منهم»!

لم يكن ممكنا بالنسبة لى أن أقبل هذا الرأى، لأنه ببساطة يعنى الحرب الأهلية، التى لايعلم أحد متي وكيف يمكن الخروج من أتونها.

إذن.. ما العمل؟!

الفريق السياسى للمعارضة المتمثل فى جبهة الإنقاذ التى تضم محمد البرادعى وعمرو موسى وحمدين صباحى والسيد البدوى تردد هو الآخر كثيرا فى معرض بحثه عن إجابة السؤال.. فقام بركوب موجة الشارع الغاضب فى بعض الأحيان رغم أن الجبهة لم تكن لها سيطرة عليه، وفى أحيان أخرى قام بطرح أطر للحل السياسى، اختلف مداها بين قيادات الجبهة، فطالب صباحى بانتخابات رئاسية مبكرة، وتحدث الباقون عن تشكيل حكومة إنقاذ وطنى تتولى تنظيم الانتخابات البرلمانية، وقال عمرو موسى كلاماً متوازنًا فى هذا الإطار حيث ذكر أنه يعترف بشرعية الرئيس المنتخب لكنه يطلب التوافق حول المسار السياسى.

وانتهت جبهة الإنقاذ أخيراً إلى إعلان موقفها بمقاطعة الانتخابات البرلمانية، التى أعلن الرئيس عن تنظيمها ودعا الجماهير إلى خوضها، مستمرا فى السير فى طريقه رغم كل مايجرى!

وفى هذا التوقيت الحرج.. تلقينا نذر الشر والخطر من تونس.

تونس التى كنت أفخر بنجاح تجربة التقارب بين الإسلاميين

وخصومهم فيها، كانت على موعد مع مرحلة جديدة في ثورتها هي الأخرى صباح يوم الأربعاء ٦ فبراير، عندما اغتال مجهولون المعارض اليساري شكري بلعيد الذي اشتهر بهجومه على الإسلاميين، وتصاعدت الاتهامات لحركة النهضة بزعامة راشد الغنوشي بالتسبب فيما حدث عن طريق «غض الطرف» عن تجاوزات السلفيين خلال الفترات السابقة واستغلال هؤلاء الأخيرين حكم «النهضة» الإسلامي للتدثر به، لتنفيذ قناعاتهم «بأيديهم» على الأرض!

أيمكن أن نصل في مصر إلى مثل تلك المرحلة؟ أيمكن أن تلحق مصر بتونس في مرحلة الاغتيال السياسي كما لحقت بها من قبل في مرحلة اندلاع الثورة؟!

ما العمل لإيقاف مايجري؟!

ما العمل؟

إجابتي التي استغرقت وقتا لبلورتها، لم تكن تخرج عن بعض المحددات الرئيسية،وهي أولا،المعارضة السياسية، وتشمل العمل السياسي ضد النظام الحالي، ويستوي في ذلك خوض الانتخابات البرلمانية أو مقاطعتها، فكلاهما موقف سياسي له نتائجه المختلفة. المهم هو أن يتم الإقرار بالشرعية السياسية للنظام الحالي «الإخواني» ولعب دور المعارضة والحشد ضده، بالوسائل السياسية المختلفة.

وثانيا، تكون إحدى هذه الوسائل هي النزول إلى الشارع بشكل «سلمي سلمي وحسب، للتظاهر ضد السياسات الحالية واعلان رفضها وحشد الجماهير للتظاهر ضدها، لأن «السلمية» لم تمت كما يقول أحمد دومة، بل هي أمضى سلاح ضد الطغيان.

وثالثا، العمل السياسي في الإطار متوسط وبعيد المدى، في المدن والقرى والنجوع، عبر سنوات وسنوات، حتى تتحول أحزابنا السياسية «الورقية» إلى كيانات حقيقية لها وزنها على الأرض، ولها مؤيدوها المؤمنون بأفكارها والساعون إلى إنجاح أحزابهم والوصول بها إلى سدة الحكم، لتطبيق أفكارهم، وتلك هي السياسة.

ورابعا، وذلك مايخصنى شخصيا، ويتمثل فى العمل الهادئ الطويل «للتبشير» بإمكانية ظهور تيار إسلامى حر،من محصلة انصهار أفكار الإسلاميين والليبراليين معا فى بوتقة فكرية، لإنتاج نسق فكرى جديد،له أفكاره وفقهه وسياساته ورموزه، ليتحول عبر الزمن إلى تيار سياسى يسعى للوصول إلى الحكم لتطبيق أفكاره، ورغم طول هذا الطريق، والاحتمالات شبه المؤكدة لعدم إدراك ثماره فى أعمارنا القصيرة، إلا أنه لامفر منه، ولا طريق غيره، وذلك هو طريق «التربية» الذى سلكه الشيخ الإمام محمد عبده.

وخامسا، وتأتى للرد على الداعين للثورة على حكم الإخوان، ولهم أقول إن محاولة إسقاط حكم الإخوان سوف يستدعى المواجهة المسلحة فى الشارع مع مؤيديهم، كما أن إسقاط حكمهم لو نجح سوف يدخل بالبلاد فى أتون عجلة لاتتوقف من الثورات المتتالية على حكم أى سلطة تالية قد تحيد عن المسار الصحيح، وتلك هى الفوضى والوصفة المثالية للتحول إلى «دولة فاشلة» ،ومن ناحية أخرى فإن استدعاء الجيش للمشهد السياسى، كما يطالب البعض، سوف يؤدى إلى أسوأ النتائج مستقبلاً على مسار الديمقراطية، إذ ربما تكون الديمقراطية قد ضلت طريقها الآن - فى زمن الإخوان - لكنها إذا ما عاد الجيش إلى ساحة السياسة فإنها ستكون قد انزلقت إلى «التيه العظيم» فى صحراء مستقبل الوطن، ولايعلم أحد متى يمكن أن تعود، لأن عودة الجيش للسياسة - ان حدثت ستكون إعلانا لفشل المدنيين جميعا بمختلف أطيافهم السياسية فى إدارة دفة الأمور فى البلاد فى المرحلة الماضية، وسيستمر هذا الوضع «العسكرى» الجديد - فى تقديرى - لفترة لايمكن التنبؤ بطولها مستقبلاً.

وسادسا، ومالا أتمنى الوصول إليه، هو أن تدخل الجيش بالنسبة لى يمكن أن يكون مقبولا فى حالة واحدة فقط، هى أن ينقلب «الإخوان المسلمون» على الديمقراطية، إما بتزوير واضح لاخلاف عليه للانتخابات، أو برفض مغادرة السلطة فى حالة خسارتهم فى أى انتخابات مقبلة.

فى هذه الحالة وحدها، دون غيرها، ربما يكون تدخل الجيش هو، أهون الشرّين، وأقل الضررين، لأن العودة إلى حكم دكتاتورى جديد لم يعد خيارا مطروحا أصلا أمام الشعب المصرى.

بقى أن أقول لك،أنه فيما يتعلق ب «الأهرام»؛ مصرنا المصغرة، التى نعمل فيها، فقد سار الحال من سىء إلى أسوأ، عادت الجريدة إلى مهادنة السلطة الحاكمة، حتى بدون حرفية أو ذكاء أو ادعاء المهنية، عادت الصحيفة «مسخا» مشوها، لاتعرف ماتريد، وتتجه إلى قارئ محدد يمثل الأغلبية البرلمانية فى مجلس الشورى؛«الإخوان المسلمون» الذين قاموا بتعيين رؤساء التحرير الجدد.

كما تم تعيين ممدوح الولى نقيب الصحفيين رئيسا لمجلس الإدارة، وهو صحفى نظيف عفيف مهذب،لكنه ينتمى إلى جماعة «الإخوان المسلمون»، فيما جاء تأكيدا واستمرارا فى سياسة «الأخونة» ونظرا لأن الرجل هو شخصية محترمة بالفعل، فإنه لم يواجه باعتراضات كبيرة فى البداية، لكنه بدأت مواقفه تتجه إلى السير فى ركاب السلطة الحاكمة واختياراتها، وشارك رغم رفض جموع الصحفيين فى جلسة الجمعية التأسيسية لإقرار الدستور كنقيب للصحفيين، وداخل «الأهرام» قام بتقريب بعض الشباب من المنتمين أو المؤيدين للتيار الإسلامى له، ووافق على ترقية الصحفى الإخوانى إسماعيل الفخرانى إلى درجة «مدير التحرير» متخطيا اللوائح التى تشترط عددا معينا من سنوات الخدمة لذلك، فضلا عن عدم تدخله بالطبع لدى رئيس التحرير عبدالناصر سلامة لإيقاف الإنحياز للإخوان، رغم تراجع توزيع الصحيفة ووصوله إلى مستويات غير مسبوقة.

وفى مقابل السياسة التحريرية المنحازة للإخوان من جانب رئيس التحرير برزت تلك المجموعة من الشباب فى «اتحاد شباب صحفيى الأهرام» على موقع «فيس بوك» ؛عادل الألفى وأحمد عبادى وأيمن عبدالعزيز وعمرو على الفار وإبراهيم السخاوى ،واستمروا فى الكتابة على صفحة الاتحاد ضد أسلوب تعيين رئيس التحرير كما أسلفت فى موضع سابق- وضد سياساته التى انتهجها- وواصلوا دعواهم القضائية

التى أقاموها ضد قرار مجلس الشورى بتعيين سلامة، وحاولوا إثبات عدم انطباق الشروط والمعايير التى حددها المجلس على عبد الناصر سلامة، كما أقاموا دعوى أخرى لاتهامه بالسب والقذف ضدهم وضد من شاركوا فى الوقفة الاحتجاجية . وكنت أنا منهم فى أول أيام ممارسته العمل، عندما أدلى بتصريحات يتهمنا فيها باتهامات مختلفة منها حصولنا على تمويل خارجى!

اختار الشباب المواجهة مع «النظام» فى «الأهرام» وكتبوا كلمات حاسمة وواضحة وبعضها حاد فى انتقاد رئيس التحرير وسياساته، وكتب آخرون أيضا مثل محمد جميل وهبة عبد العزيز ومنال عبيد، وبدرجة أقل حدة أحمد هوارى، كما حاولت أنا أيضا الكتابة بين حين وآخر، لكن من أضيروا بسبب مواقفهم كانوا هم مجموعة الشباب الخمسة الألفى وعبادى وعبد العزيز والفار والسخاوى، حيث عمد رئيس التحرير إلى الاقتصاص منهم عبر خصم الحوافز الشهرية أكثر من مرة، وحصل معظمهم على تقدير «صفر من عشرة» لأكثر من شهر، وللأسف هكذا أصبحت تدار «الأهرام» بعد الثورة.

وتصاعد خلاف هذه المجموعة بالإضافة إلى رافضى السياسة التحريرية مع رئيس التحرير، وتم تنظيم وقفتين احتجاجيتين فى بهو «الأهرام»، تحولت إحداهما إلى مظاهرة حقيقية فى الدور الرابع الشهير على أبواب صالة تحرير «الأهرام» من خلف الزجاج الشفاف، ودخلت الزميلة سحر عبدالرحمن وهى تهتف إلى الصالة حيث كان رئيس التحرير بذاته جالسا على مائدة الدسك الشهيرة، وظل ينظر إلينا نظرات حادة مقطبا جبينه، وبعد هذه التطورات تمت إحالة الشباب الخمسة ومعهم سحر عبد الرحمن إلى الشئون القانونية بالمؤسسة للتحقيق معهم.

حاول البعض التدخل لصرف الاحتقان القائم فى المؤسسة، وكان أحد المساعى للأستاذ عاصم عبدالخالق مدير تحرير جريدة الأهرام الدولى، الذى اتفق مع ممدوح الولى رئيس مجلس الإدارة على عقد لقاء مع الشباب للاستماع إليهم وإيقاف التحقيقات القائمة معهم،

ووافق الشباب وطلبوا حضور الزميل وائل الليثى الصحفى بالقسم الخارجى، كما شرفونى بطرح إسمى لاحضر اللقاء معهم.

دار حديث طويل فى اللقاء مع رئيس مجلس الإدارة وتم عقد لقاء آخر فى اليوم التالى، حضر جزءا صغيرا منه رئيس التحرير دون أن يتحدث تقريبا، وتم حفظ التحقيقات مع الشباب، بعد أن استمعوا مطالبهم لرئيس مجلس الإدارة، وبعد أن أكدوا أنه فى حالة استمرار الأوضاع على ماهى عليه، فإن أحداً لن يصمت أو يتوقف عن إبداء رأيه، ووعد رئيس مجلس الإدارة بتحسن الأوضاع، مؤكدا أنه يعانى معاناة شديدة بسبب هذه الأوضاع ذاتها!

هكذا جاءت التطورات فى مصر و «الأهرام» فى هذه المرحلة، التى كان طابعها الأبرز هو الخوف والقهر والتسلط والانفراد بالرأى والتخويف من العقاب، حتى آلت أوضاعنا من يناير الخير فى ٢٠١١، إلى يناير الخوف فى ٢٠١٣، بعد عامين على ثورتنا المجيدة، التى لاشك أنها رفعت رءوسنا، لكنها بالطبع لم تنجح بعد فى إصلاح نفوسنا.

ومساء الأحد ٢٤ فبراير ٢٠١٣، كنت أجلس فى الجريدة مع صديقى الحبيب أحمد هوارى، وكانت مصر تقف مترقبة انتظارا لحوار تليفزيونى مع الرئيس محمد مرسى قيل أن قناة «المحور» ستذيعه مساء، وطال الانتظار وطال، حتى بلغ سبع ساعات كاملة، والواقع أننى وهوارى لم ننتظر، بل نزلنا متوجهين إلى منزل صديقى «الجديد» محمد المراكبى فى المعادى.

المراكبى هو صحفى شاب بمجلة الشباب التابعة لمؤسسة «الأهرام»، وهو فى الأصل الصديق المقرب لهوارى، وقد نجحت الثورة فى تقريبى كثيرا من جيل الشباب، فوجدت فيهم الدرر الكامنة، وكان منهم المراكبى خلقاً وفكرا ومهنية، وهو أيضا كان أول مصدر أستمد منه المعلومات عن الثورة لكتابة هذا العمل .. أتدرى كيف؟!

إذا عُدت إلى يوم السبت ٢٩ يناير فى هذه الأوراق، ستجد أننى نزلت إلى ميدان التحرير لأول مرة بصحبة أحمد هوارى ومحمد المراكبى

ومحمد جميل، وتحدث معى المراكبى فى الطريق طويلاً عن معلوماته التى جمعها من مصادره فى جهاز الشرطة حول أحداث جمعة الغضب يوم ٢٨ يناير، كان المراكبى هو العين الأولى التى أنظر بها للأحداث على الأرض، فى الشارع، بعيدا عما أقرأه فى الصحف وعلى الإنترنت.

منذ ذلك اليوم، وبعده، توطدت علاقتى به كثيرا وأصبحنا أصدقاء.

وقد حدث الشىء نفسه تقريبا مع الصديق هانى عزت، هو أيضا دمث الخلق حالم الرؤية عاشق للصحافة الحرة، وقد سميته «بالمفكر الصغير»، لكن هانى هداه «فكره» إلى تأييد المسار السياسى الذى اتبعه الإخوان، هانى لم يكن إخوانيا، لكن فكره «المستقل» اختار هذا الطريق، ولعل ما ساعد على ذلك هو أنه كان يعمل مندوبا لـ «الأهرام» فى جماعة «الإخوان المسلمون»، وهو ما أتاح له الاقتراب من أعضائها وطول الحديث معهم فكان من محصلة ذلك أن اقتنع بخطهم السياسى، بعقله المستقل، لا بحثا عن مصلحة أو مغنم، دون أن يمنعه ذلك من رؤية عيوبهم وتسجيل ملاحظاته على أدائهم.

مساء الأحد، يوم الحوار المنتظر للرئيس، وصلنا هوارى وأنا إلى منزل المراكبى فى المعادى حوالى الساعة الثانية صباحا، حيث كان الحوار الذى أجراه الإعلامى عمرو الليثى قد بدأت إذاعته قبل حوالى ربع ساعة فقط!

جلسنا نتابع الحوار معاً، ولم يكن مفاجئا بالنسبة لنا ماقاله الرئيس، أو بالأحرى مالم يقله، فقد نفى معظم ما نراه بأعيننا فى هذا الوطن، وبدا كأنه يتحدث عن بلد آخر يراه هو وجماعته وحدهم،ضحكنا كثيرا،وفكر المراكبى وهوارى فى مداعبة صديقنا هانى عزت «المؤيد للإخوان» عبر الإتصال به، ومحاولة خداعه، حيث أبدى المراكبى لهانى بجدية شديدة مصطنعة إعجابه الكبير بحوار الرئيس قائلا له:

«تصدق ياهانى إنه أقنعنى؟! بجد كلامه جامد جدا»

ضحك هانى ولم يرد، وسعى المراكبى - الذى فتح ميكروفون الهاتف ليكون الحوار مسموعا - لنا إلى محاولة الإيقاع بهانى بمختلف الوسائل، لكن الأخير استمر أيضا فى الضحك دون اقتناع.وفى النهاية علم هانى بوجودنا، هوارى وأنا مع المراكبى، فأطلقنا ضحكات عالية، وكذلك فعل هانى .

.. ورغم كل ما يجرى .. فقد ضحكنا جميعا .. ضحكنا بشدة .. لم نكن سعداء بالطبع .. لكننا أيضا لم نكن حزانى تماما .. ففقد كنا ندرك .. أننا تغيرنا .. لم نعد كما كنا.. لم نعد نحن .. ولن نعود.

# هدير الصمت

شعر

.. ورغم كل ما يجرى ..
فقد ضحكنا جميعا ..
ضحكنا بشدة ..
لم نكن سعداء بالطبع ..
لكننا أيضا لم نكن حزانى تماما ..
فقد كنا ندرك أننا تغيرنا ..
لم نعد كما كنا .. لم نعد نحن ..
ولن نعود.

**محمد شعير**